

مكتبة

t.me/soramnqraa

حائز على
جائزة
هوغو

ن. ك. جيميسين

بوابة المسلة

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثاني

ترجمة: محمد أ. جمال

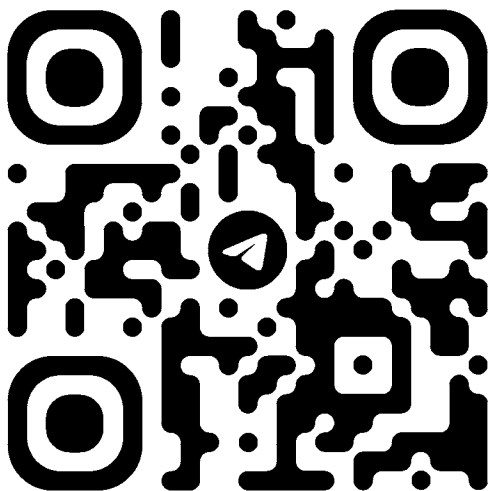
منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

بوابة المسلة

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثاني



مكتبة

t.me/soramnqraa

الكاتب: ن. ك. جيميسين

عنوان الكتاب: بوابة المسلة: ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثاني

ترجمة: محمد أ. جمال

العنوان باللغة الأصلية: The Obelisk Gate

الكاتب: N.K. Jemisin

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 3-19-808-9921-978

الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2024

1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

THE OBELISK GATE: Copyright © 2016 by N.K. Jemisin. All rights reserved

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: + 965 98 81 04 40

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: + 964 78 11 00 58 60

✉ takween.publishing@gmail.com f takweenkw

📷 takween_publishing 📺 TakweenPH

🌐 www.takweenkw.com

ن.ك. جيميسين

مكتبة

t.me/soramnqraa

بوابة المسلة

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثاني

رواية

ترجمة

محمد أ. جمال

مرايا

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

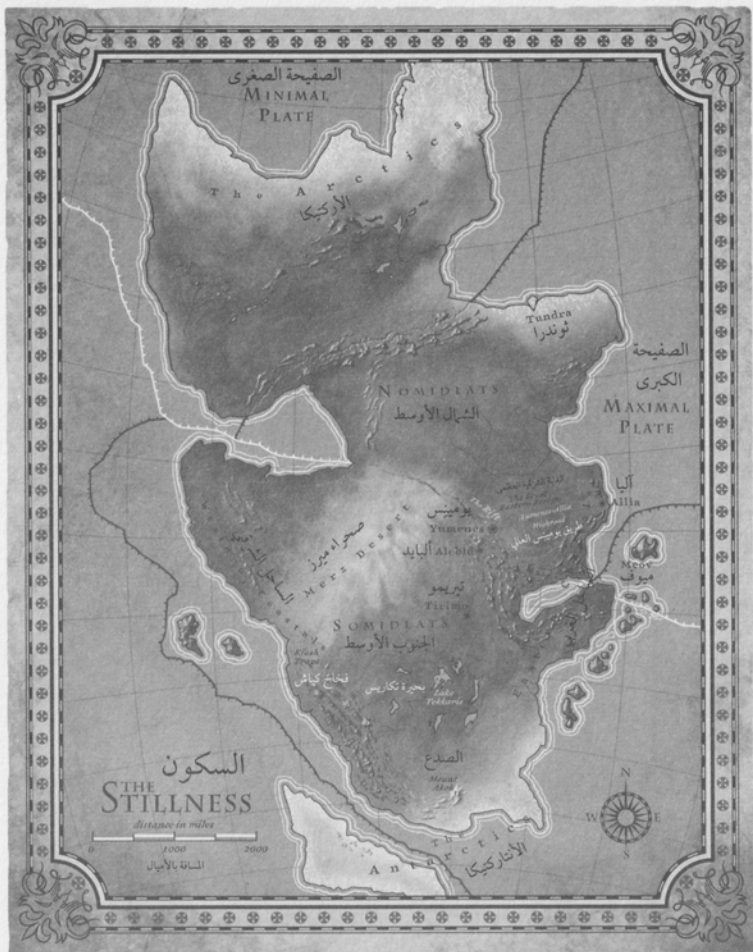


المحتويات

٩	١. ناسّون، على الصخور.....
٢١	٢. أنت، نتابع.....
٥١	٣. شافا، منسي.....
٧١	٤. أنت، أمام التحدي.....
٩٥	فاصلة.....
٩٧	٥. ناسّون، تتولى الزمام.....
١٠٩	٦. أنت، تلتزمين بالقضية.....
١٣٣	٧. ناسّون تجد القمر.....
١٥٣	٨. أنت، تم تحذيرك.....
١٧٥	٩. ناسّون، والحاجة إليها.....
١٩٣	١٠. أنت، مهمة كبيرة تنتظرك.....
٢١١	١١. شافا، ممدّداً.....
٢١٩	١٢. ناسّون، تقع إلى فوق.....

٢٤١	١٣. أنت، بين الآثار
٢٧٩	فاصلة
٢٨١	١٤. أنت مدعوة
٣٠٩	١٥. ناسون، ترفض
٣٣٣	١٦. أنت، تقابلين صديقاً قديماً
٣٥٣	١٧. ناسون، تواجه
٣٧٥	١٨. أنت، تبدئين العد التنازلي
٣٩٧	فاصلة
٣٩٩	١٩. أنت، تستعدين للقتال
٤٤٥	فاصلة
٤٥١	٢٠. ناسون، تختار
٤٦١	شكر وعرفان

إلى من لا خيار لهم سوى إعداد أطفالهم للقتال



ناسّون، على الصّخور

مكتبة

t.me/soramnqraa

هممم. لا. أنا لا أحكي هذه الحكاية كما ينبغي.

في النهاية المرء نفسه، والمرء غيره. علاقات المرء تنحت الشكل النهائي لوجوده. أنا أنا، وأنا أنت. دامايا كانت نفسها، وكانت الأسرة التي رفضتها والناس في المرتكز الذين نحتوها حتى أدق التفاصيل. سيانيت كانت ألابستر وإينون وأناس آليا وميوف المساكين الراحلين. وأنت الآن أهل تيريمو والمسافرين المنقوعين في الرماد على الطرقات وطفليك الميتين... وأيضًا ابتك المتبقية على قيد الحياة، التي سوف تستعيدنها.

هذا ليس حرقًا للأحداث، فأنت إيّسون في النهاية. تعلمين هذا، أليس كذلك؟

الدور إذن على ناسّون، ناسّون التي كانت في الثامنة فقط عندما انتهى العالم.

لا يمكن القول بما دار في ذهن ناسّون الصغيرة عندما عادت من تدريبها ذات مساء لتلقي شقيقها الأصغر مطروحًا على الأرض، وأباها

واقفاً فوق جثته. يمكننا تخيل ما فكرت فيه، وأحست به، وفعلته، يمكننا التخمين، لكننا لن نعرف يقيناً أبداً. ولعل ذلك أفضل.

إليك ما أعرفه يقيناً: فيما يخص التدريب الذي ذكرته، ناسون كانت تتدرب كي تصبح قوالة.

غريبة هي العلاقة بين السكون وبين من عينوا أنفسهم حماة قول الحجر الحافظين. ثمة سجلات بوجود القوالين تعود حتى موسم قشر البيض القديم الذي تشيع عنه الشائعات. ذاك هو الموسم الذي أدى فيه نوع ما من الانبعاثات الغازية إلى ولادة كل طفل جديد في الأركتيكا بعظام شديدة الهشاشة تنكسر بمجرد اللمس وتتقوس مع النمو... لو حدث النمو (تجادل الأركيومستيون اليومينيونيون لقرون إن كان السترونتيوم هو السبب أم الزرنيخ، وإن كان من الممكن اعتبار هذا موسمًا من الأصل، لما كان لم يؤثر إلا في بضع مئات الآلاف من البرابرة الضعفاء الشاحبين الصغار في التندرا الشمالية. وذلك كان الوقت الذي بدأ ينتشر فيه وصم الأركتيكيين بالضعف). ذلك كان قبل خمس وعشرين ألف سنة، بحسب القوالين أنفسهم، وهو أمر يعده أكثر الناس كذبة صارخة. القوالون في الواقع هم جزء من الحياة على السكون منذ زمن أقدم حتى من هذا، ما حدث قبل خمسة وعشرين ألف سنة ببساطة هو أن دورهم تشوه حتى انعدمت جدواهم تقريباً.

لا يزالون موجودين، وإن كانوا قد نسوا كم نسوا. جماعتهم، إن كان من الممكن تسميتها جماعة، تمكنت من النجاة رغم إنكار الجامعات من الأولى إلى السابعة عملهم وأعلته منحولا وعلى الأرجح عارياً

من الصحة، ورغم تأثير الحكومات في علمهم بالبروباجندات على مر الزمان، ورغم المواسم بالطبع. كان القوالون ذات يوم لا يأتون إلا من عرق يدعى ريجوو، وهم قوم ساحل غربيين لهم بشرة شاحبة تميل إلى الحمرة وشفاه سوداء سوادًا طبيعيًا، وكانوا يعبدون حماية التاريخ مثلما عبد الناس في أزمنة أقل مرارة الآلهة. اعتادوا نقش قول الحجر على ألواح في جوانب جبال عالية علو السماء، كي يرى الجميع ويعرفون الحكمة الضرورية للنجاة. لكن للأسف، تدمير الجبال في السكون لا يتطلب أكثر من نوبة غضب لرضيع أوروچيني. وتدمير البشر يتطلب جهدًا أكثر بقليل.

لم يعد القوالون من الريجوو، غير أن أكثرهم يصبغون شفاههم بالأسود تخليدًا لذكراهم، وإن كانوا ما عادوا يذكرون لماذا يفعلون ذلك. والآن هكذا يميز المرء القوالين: من شفاههم، ومن حزم الألواح البوليمرية التي يحملونها، ومن الثياب الرثة التي يميلون إلى لبسها، ومن حقيقة أنهم عادة لا يحملون أسماء كومونات حقيقية. إنهم ليسوا أغيارًا؛ نظريًا هم قادرون على العودة إلى كوموناتهم إن حلّ الموسم، مع أنهم بحكم عملهم يميلون إلى الشرود بعيدًا إلى حد يجعل عودتهم غير عملية. وعمليًا، ثمة مجتمعات كثيرة مستعدة لاستقبالهم، حتى في أثناء المواسم، لأن حتى أكثر المجتمعات تقشفًا ترغب في الترفيه خلال ليالي البرد الطويلة. أكثر القوالين لهذا السبب يتدربون على فنون الموسيقى والكوميديا وما إلى ذلك. ويضطلعون أيضًا بأدوار المدرسين ورعاة الصغار عندما لا يكون هناك من يمكن الاستغناء عنه لممارسة هذا الواجب. والأهم من كل هذا

أنهم تذكرة حية بأن كان هناك آخرون نجوا من ظروف أسوأ من هذا عبر العصور. كل كومونة تحتاج إلى ذلك.

القوالة التي جاءت تيريمو اسمها رنثري قوالة الحجر (يتخذ القوالون «الحجر» اسمًا كومونيًا، و«قوال» اسمًا استخداميًا، وهم من أندر طوائف الاستخدام). إنها شخص بلا أهمية خاصة، لكن عليك أن تعرفها لسبب. كان اسمها ذات يوم رنثري مستولدة تتيك، لكن ذلك كان قبل أن يزور تتيك قوال أغوى رنثري الشابة حينها بعيدًا عن حياة مملّة كانت ستقضيها صانعة زجاج. كانت حياتها لتصبح أكثر أهمية بقليل لو حل الموسم قبل أن تغادر، فمسؤوليات المستولدين في تلك الأوقات معروفة، أو لعل هذا أيضًا ما حثّها على الذهاب. أم كان السبب فقط الحماقة المعتادة للعشاق الصغار؟ يصعب الجزم بالسبب. حبيب رنثري القوال تركها في النهاية عند أطراف مدينة بينفن الاستوائية، بقلب مفطور ورأس مترعة بالقول وحافطة تعج بقطع اليشم والكابوشون، وجوهرة لؤلؤية مبقعة بأثر قدم حصان. أنفقت رنثري الجوهرة في تكليف كسّار بصنع مجموعتها الخاصة من الألواح، وقطع اليشم في شراء متاع السفر والإقامة في نُزل حتى يتم الكسّار ألواحها، وقطع الكابوشون لشراء العديد من المشروبات القوية في الحانة. ثم، بجراح مضمّدة وعدّة جديدة، انطلقت وحدها. هكذا تحمي المهنة نفسها من الانقراض.

عندما ظهرت ناسون في الاستراحة التي اتخذت رنثري لنفسها فيها محلا، لعلها ذكرتها بأيام تدريبها نفسها (بالجزء الحالم الأحمق وليس بغوايتها، إن رنثري تفضل الأكبر سنًا). كانت رنثري قد تجولت في اليوم

السابق وتسوقت في أكشاك سوق تيريمو، ووزعت ابتساماتها المشرقة بين شفيتها المصبوغتين بالأسود، من أجل إعلان وجودها في المنطقة. لم ترَ وقتئذٍ ناسون تقف في طريق عودتها من المدرسة لتحقق فيها برهبة وأمل مبالغ غير عقلاني.

اليوم هربت ناسون من المدرسة وجاءت كي تبحث عنها، وكي تقدم إليها هدية. هذا هو العرف، أعني تقديم الهدية، وليس هروب أبناء المدرسين من مدارسهم. كان هناك بالفعل اثنان من المدينة يجلسون على دكة في الاستراحة وينصتون إلى حديث رنثري، وكأس رنثري لتلقي العطايا كان ممتلئًا بقطع حجرية متعددة الوجوه والألوان المشرقة تحمل شعار الربع. ترمش رنثري متفاجئة من رؤية ناسون: بنت طويلة أكثر قامتها ساقان وأكثر وجهها عيان، ولا يخفى على أحد أنها أصغر من أن تكون خارج المدرسة في هذا الوقت المبكر ما دمنا لسنا في موسم حصاد. تتوقف ناسون عند عتبة الاستراحة، تلهث كي تلتقط أنفاسها، ما يجعل من دخولها درامياً بامتياز. يلتفت الزائران ليحدثا فيها: إنها ابنة جيجا الكبرى الهادئة عادةً. وجودهما فقط هو ما منعها من الإفصاح عن نواياها للتوّ وفي الحين. لقد علمتها أمها التزام أقصى درجات الحذر (ستسمع أمها بغيابها عن المدرسة، لكن ناسون لا تكثر)، لكنها تزدرد لعبائها، وتتجه من فورها إلى رنثري وهي تقدم شيئاً، شظية صخرية قائمة، يمكن رؤية الكامن فيها: ماسة صغيرة شبه مربعة.

إن ناسون لا تملك أي مال سوى مصروفها، وكانت قد أنفقتة بالفعل على الكتب والحلوى عندما وصلت القوالة إلى المدينة. لكن أحداً

في تيريمو لا يعلم أن هناك منجم ماس محتملاً ممتازاً في المنطقة، لا أحد إلا الأوروبيون طبعاً، وذلك فقط لو كانوا يبحثون. ناسون كانت الوحيدة التي اهتمت بذلك منذ آلاف السنين. إنها تعرف أنها لم يكن ينبغي أن تجد تلك الماسة، لقد علمتها أمها ألا تُظهر أوروبيينتها، وألا تستخدمها خارج جلسات التدريب المخفية بعناية التي تقوم بها في وادٍ قريب كل بضعة أسابيع. لا أحد يستخدم الماس كعملة لأنه يصعب تكسيه قطعاً صغيرة، لكنه لا يزال مفيداً في أمور الصناعة والتعدين وما إلى ذلك. ناسون تعلم أن له قيمة ما، غير أنها ليست عندها أدنى فكرة أن تلك الصخرة الجميلة التي أعطتها من فورها إلى رنثري قد تساوي بيتاً أو اثنين. إنها لا تزال في الثامنة.

وتصبح ناسون في غاية الحماس لما ترى عيني رنثري تتسعان عند رؤية الكتلة البراقة البارزة داخل الكتلة الصخرية السوداء، فلا تعود تأبه بوجود آخرين في المكان وتندفع قائلة: «أريد أن أصبح قوالة أيضاً!».

لا تملك ناسون أدنى فكرة عما يفعله القوالون بالطبع، إنما هي ببساطة ترغب جداً جداً في مغادرة تيريمو. عن ذلك المزيد، لاحقاً.

إن رنثري لحمقاء لو رفضت هذه الهدية، تقبلها، لكنها لا تمنح ناسون إجابة لحظية، وذلك جزئياً لأنها ترى ناسون طفلة لطيفة وإعلانها ذلك لا يختلف عن أي شغف لحظي عند أي طفل (وهي محقة إلى حد ما، ناسون في الشهر السابق كانت تود أن تصبح مهندسة). بدلاً من

ذلك طلبت من ناسون أن تقعد، وتابعت إلقاء الحكايات على جمهورها الصغير ما تبقى من الأمسية، حتى بدأت الشمس ترسم ظلالاً طويلة على منحدر الوادي وعبر الأشجار. عندما نهض الزائران الآخران لينصرفا، رميا ناسون بالنظرات والتلميحات حتى ذهبت، على مضض، معها. لأن أهل تيريمو لن يقبلوا أن يُقال عنهم إنهم أساءوا احترام قوالة بتركهم طفلة تستهلكها بالحديث طوال الليل.

إثر ذهاب زوارها، أشعلت رنثري نارًا وبدأت تعد عشاءها من قطعة بطن خنزير وبعض الأعشاب ودقيق الذرة، وهي أشياء ابتاعتها من تيريمو في اليوم السابق. وفيما كانت تأكل تفاحة في انتظار نضوج العشاء، أخذت قلب صخرة ناسون بين أصابعها، بانبهار، وقلق.

اتجهت في الصباح إلى تيريمو. قادها القليل من التحري المستر إلى بيت ناسون. كانت إيّسون غير موجودة في تلك اللحظة، ذهبت لتدرّس آخر فصولها في إطار عملها كمعلمة مدرسة. ناسون أيضًا ذهبت إلى المدرسة، وإن كانت تقضي وقتها فقط حتى تتمكن من الهروب ساعة الغداء كي تذهب إلى القوالة مرة أخرى. جيغا كان في «الورشة»، مثلما يجب أن يسمى الغرفة المعزولة التي تقوم بدور قبو البيت، حيث يعمل بأدواته الصاخبة خلال النهار. أوتشي ينام على فراش قشي في نفس الغرفة. يستطيع أوتشي النوم خلال أي شيء، لطالما كانت أغاني الأرض تهويدات نوم بالنسبة إليه.

يفتح جيغا الباب عندما تطرقه رنثري، وللحظة تؤخذ على حين غرة. إن جيغا هجين أوسطي، مثل إيّسون، عدا أن أصوله تميل نحو

السانزية قليلاً. إنه رجل ضخم بُني عَصَل حليق الرأس، مهيب، ومع ذلك ابتسامة الترحيب على وجهه صادقة، ما جعل شعور رنثري أفضل نحو ما قررت فعله أفضل. هذا شخص صالح، ولا يمكنها أن تغشه.

تقول: «تفضل»، وتعطيه الصخرة الماسية. لا يمكنها أن تأخذ مثل تلك الهدية القيمة من طفل مقابل حفنة قصص وتدريب على مهنة ستغير ناسون على الأرجح رأيها بشأنها في بضعة أشهر. يقطب جيغا مستغرباً ويأخذ الصخرة، ثم يجزل شكرها عندما يسمع توضيحها، ويعدّها بنشر حكاية كرم رنثري ونزاهتها لكل بقدر ما يستطيع، عسى أن يساعد ذلك في منحها مزيداً من الفرص للممارسة فنّها قبل أن تغادر المدينة.

تذهب رنثري، وبذا ينتهي دورها في هذه الحكاية. غير أنه دور هام، ولهذا أخبرتك عنها.

عليك أن تفهمي أن لم يكن هناك شيء بعينه قلب جيغا ضد ابنه. لقد لاحظ ببساطة على مر السنين أشياء في زوجته وطفليه أثارت الشكوك في أعماق عقله، وتلك الشكوك تحولت إلى حكمة، ثم إلى هياج كامل عند النقطة التي بدأت بها تلك الحكاية. لكن الإنكار منعه من القلق بهذا الشأن أكثر. لقد كان يحب عائلته برغم كل شيء، والحقيقة كانت، ببساطة، لا يمكن تصورها... حرفياً.

كان ليكتشف كل شيء في النهاية، بشكل أو بآخر. أكرر: كان ليكتشف كل شيء في النهاية. اللوم يقع على عاتقه وحده.

لكن إن أردت تفسيراً بسيطاً، ولو كان هناك حدث وحيد بمثابة نقطة التحول، قشة البعير، السدادة المشروخة لأنبوب الحمام... فقد

كان تلك الصخرة. إن جيغا يعرف الصخر، لقد كان كسارًا ممتازًا. يعرف الصخر، ويعرف تيريمو، ويعرف أن عروق الأحجار النارية من البراكين العتيقة تجري تحت الأراضي المحيطة. أكثرها لا يخترق سطح الأرض، لكن من الممكن جدًا أن تجد ناسون ماسة بالصدفة ملقاة حيث يمكن أن يجدها أي شخص. من غير المرجح، لكن ممكن.

هذا التفسير ظل يطفو على سطح عقله بقية اليوم بعدما غادرت رنثري. أما الحقيقة فتحت السطح، لوياثان^(١) على وشك الخروج، لكن مياه أفكاره لا تزال هادئة. إن الإنكار لقوي.

ثم يستيقظ أوتشي. يمشي به جيغا إلى قلب البيت، ويسأله إن كان جائعًا، ويقول أوتشي لا، ثم يتبسم لجيغا، وبالحساسية الفائقة لطفل أوروچيني قوي، يشير إلى جيب جيغا ويقول: «ماذا لامع هنا بابا؟».

الكلمات، بلغة الرضع اللثغة، لطيفة. لكن المعرفة التي تحتويها، أي إن الصخرة بالفعل في جيب جيغا ولا يمكن أن يكون أوتشي قد عرف بأنها هناك، فيها هلاكه.

ناسون لا تعرف أن كل هذا بدأ بالصخرة. عندما ترينها، لا تخبرها. عندما عادت ناسون إلى البيت، كان أوتشي قد مات بالفعل، وجيغا يقف فوق جثته التي تبرد في قلب المنزل، يتنفس بصعوبة. إن ضرب رضيع حتى الموت لا يتطلب مجهودًا بالغًا، لكن تنفسه تسارع بينما يفعل. حين دخلت ناسون البيت كان ثاني أكسيد الكربون في مجرى دم جيغا

(١) لوياثان leviathan: وحش أسطوري ذُكر في العهد القديم، أقرب إلى تنين هائل أو أفعى عملاقة يكمن في المحيطات. [المترجم]

لا يزال قليلاً، كان دائخاً، مرتجفاً، يشعر بالبرودة، وفاقدًا للتمييز. لذا،
حالما عبرت ناسون مدخل الغرفة بسرعة وهي تحقق إلى هذا المشهد،
وتستوعب ببطء ما تراه، يندفع جيغا: «هل أنت أيضًا مثله؟».

إنه رجل ضخيم، هتافه عالٍ وحاد، جعل ناسون تقفز. تندفع عيناها
نحوه بدلاً من أن تظل على جثة أوتشي، وهذا ينقذ حياتها. لون عينيها
الرمادي يعود إلى أمها، لكن رسمة وجهها من جيغا. مجرد رؤية وجهها
يعيده خطوة إلى الوراء من الهلع الأولي الذي كان قد وقع فيه.

زائد أنها تقول الحقيقة. هذا يساعد، لأنه لم يكن ليصدق غير ذلك.
تقول: «نعم».

إنها في تلك اللحظة غير خائفة. رؤية جسد شقيقها ورفض عقلها
لتفسير ما تراه جمداً كل الوظائف المعرفية لديها. إنها حتى غير متأكدة
مما يسأل جيغا، خاصة وأن فهم سياق حديثه يتطلب الاعتراف بأن ما
يغطي قبضتي أبيها دماء، وأن تمدد شقيقها على الأرض ليس نومًا. لا
يمكنها ذلك، ليس الآن. ومع غياب أي فكرة متماسكة أخرى، ومثلما
يفعل الأطفال أحيانًا في المواقف الشديدة، ناسون... تتكصص^(١). إن ما
تراه يفزعها، حتى وهي لا تفهم سبب ذلك. كان جيغا دومًا الأقرب
إليها من بين والديها. وهي طفلة المفضلة أيضًا، أولى أبنائه، التي لم يتوقع
قط أن ينجبها، الابنة التي تحمل وجهه وحس دعابته، وتحب طعامه
المفضل، وعنده آمال مبهمة أنها قد تحذو حذوه وتصبح كسارة.

(١) النكوص Regression: مصطلح نفسي، ويعني تراجع المرء أحيانًا إلى مراحل عقلية
سابقة عند تعرضه لضغط شديد، في ميكانيزم نفسي دفاعي غير واع. [المترجم]

لذا، عندما تبدأ في البكاء، لا تعلم سببه بالضبط. وبينما تشرع في النحيب وقلبها في الصراخ، تخطو خطوة نحوه. قبضته تشدان، لكنها لا يمكنها أن تعتبره تهديدًا. إنها تبحث عن الطمأنينة. تقول: «بابا». جيجا يجفل. إنه غير قادر على قتلها، حتى لو كانت... لا. إنها فتاته الصغيرة.

تتقدم خطوة أخرى، تمد يدها إليه. لا يستطيع إرغام نفسه على التقاط كفها، لكنه يظل ساكنًا. تقبض على معصمه الأقرب لها. إنه يقف معتليًا جسد أوتشي، فلا تستطيع احتضانه حول وسطه كما ترغب. لكنها مع ذلك تضغط رأسها في عضلة ذراعه ذات الرأسين، كم هي قوية إلى حد مطمئن. ترتجف، ويشعر بدموعها تجري على جلده.

يظل في مكانه، يهدأ تنفسه رويدًا، وتنفك قبضته رويدًا، وهي تنتحب. يستدير بعد وهلة ليواجهها بالكامل، فتحيط وسطه بذراعيها. الاستدارة لمواجهتها تتطلب الالتفات عما فعله لأوتشي. حركة سهلة. يتمتم: «اجلبي أشياءك، مثلما تفعلين عندما نقضي بضع ليالٍ عند جدتك». لقد تزوجت أم جيجا مرة أخرى قبل سنوات قليلة، وتعيش الآن في سومي، مدينة الوادي القريب، تلك التي ستهلك قريبًا عن بكرة أبيها.

تسأل ناسون من جوار معدته: «هل نحن ذاهبون إليها؟».

يلمس مؤخرة رأسها. لطالما كان يفعل ذلك لأنها تحب جدًا تلك الحركة. عندما كانت رضيعة، كانت قهقهتها تعلو عندما يداعبها هناك. ذلك لأن السَّسَبينا تقع في هذا المكان من مخها، وعندما يملسها هناك

تستوعبه بالكامل، مثلما يفعل الأوروبيون. لكن لم يعرف أيهما قط لماذا أحببت تلك الحركة بهذا القدر.

قال برفق: «إننا ذاهبان إلى مكان تصبحين فيه أفضل، إلى مكان سمعت عنه، يستطيعون فيه مساعدتك»، يستطيعون جعلك طفلة صغيرة من جديد، وليس... غرض النظر عن تلك الفكرة أيضًا. تزدرد لعبها، ثم تومئ وتخطو إلى الخلف بينما ترفع نظرها إليه. «هل ماما قادمة أيضًا؟».

يتحرك شيء ما في وجه جيجا، بخفة مثل زلزال. «لا». وناسون، التي كانت مستعدة للانطلاق نحو الغروب مع قوالة ما فقط كي تهرب من أمها، تستريح أخيرًا. تقول: «حسنًا يا بابا»، وتذهب إلى غرفتها كي تحزم أمتعتها. تعلق نظرة جيجا حيث ذهبت لوقت طويل، ينقطع نفسه للحظة. يحيد ببصره عن أوتشي من جديد، ويجلب أشياءه، ويتجه إلى الخارج ليربط حصانه في العربة. لم تمض ساعة إلا وهما بعيدان، متجهان إلى الجنوب، ونهاية العالم في أعقابهما.

«في أيام جياماريا، تلك التي بادت في موسم الصحراء الغارقة، كانوا يقولون إن تقديم أصغر أبنائك للبحر يجعله يحجم عن المجيء لأخذ البقية».

من «وقفة المستولدة»، حكاية قوالين سُجلت في ربع هانل، على الساحل الغربي بالقرب من شبه جزيرة بروكوف. منحول.

أنت، نتابع

«القمر».

يحدق ألابستر فيك، الوحش الحبيب، العاقل المجنون، أقوى أوروچيني على وجه السكون، وعشاء آكلة صخر قيد التحضير. تحمل نظرتة كل شدتها القديمة، وتشعرين بإرادته، بهذا الشيء الذي يجعله قوة طبيعية عاتية، وكأنه فارس يمتطي صهوة تحديقه. كان الوصاة حمقى لمجرد تخيلهم أنهم قادرون على ترويضه. «أو الساتالايث».

«ماذا؟».

يصدر صوتًا خافتًا محبطًا. إنه لا يزال نفس الشخص الذي كانه في تلك الأيام، عندما كنتما أقل من عشاق وأكثر من أصدقاء، قبل عشرة أعوام وحياة أخرى، باستثناء تحوله جزئيًا إلى حجر. يقول: «الاسترونمستية ليست هراء. أعلم أنهم علموك هذا. إن كل من في السكون يحسب أن دراسة السماء مجهود ضائع في حين أن الأرض هو من يحاول قتلنا، لكن يا ساين، بحق نار الأرض، حسبتك تعلمت أن تتشككي في الوضع القائم على نحو أفضل».

تنفجرين، مثلما اعتدت الانفجار فيه دومًا: «كنت منشغلة بأمور أخرى». لكن التفكير في الماضي يجعلك تفكرين فيما أنت منشغلة به في الحاضر، وهذا يأخذك إلى ابتك الحية، وابنتك الميت، وزوجك الذي سيصبح عمًا قريب زوجك السابق، وتحفلين. «واسمي الآن إيسون، أخبرتك بذلك».

«أيًا كان». يستند ألابستر بحذر وتنهيدة مزججة إلى الحائط. «يقولون إنك جئت مع جيو مستتية، فلتجعلها تشرح هذا لك، لا أملك الكثير من الطاقة هذه الأيام»، غالبًا لأن تحول المرء إلى طعام ليس سهلاً، «لم تردي على سؤال الأول، أصار في وسعك فعلها؟».

أستطيعين استدعاء مسلة؟ لم تجدي في سؤاله أي معنى عندما سألك إياه أول مرة، ربما لأنك كنت مشغولة بإدراك أنه: (أ) حي، (ب) يتحول إلى صخر، (ج) الأوروچيني المسؤول عن تمزيق القارة نصفين و قذح موسم ربما لن ينتهي أبدًا.

«المسلات؟»، تهزين رأسك، ارتباكًا أكثر من رفضًا. تنجرف نظراتك إلى الشيء الغريب بالقرب من سريره، الذي يبدو مثل سكين سبجي وردي شديد الطول ويحسّ مثل مسلة، مع أنه يستحيل أن يكون كذلك. «ماذا تع... لا، لا أعرف، لم أحاول منذ يوم ميوف».

يزمجر برفق مغلقًا عينيه. «أنت عديمة الفائدة إلى حد صديء يا ساين، يا إيسون، لم يكن عندك أبدًا أي احترام للصنعة».

«بل أحترمها كثيرًا، أنا فقط...».

«فقط بما يكفي لتسيير أمورك، بما يكفي للتحسن بغرض الاستفادة».

قالوا لك هذا سقفك فلم تقفزي فوقه، قبلت كي تحصيلي على سكن أفضل وخاتم أعلى...».

«بل من أجل الخصوصية أيها الوغد، ولبعض التحكم في حياتي، وبعض الاحترام الصدي...».

«بل وكنتِ تنصتين إلى كلام وصيك ولا تنصتي إلى غيره...».

«اسمع!»، عشرة أعوام من العمل مدرسة منحت صوتك حدة نصل سبجي، حتى أن ألابستر يتوقف عن التوبيخ ويرمش، تتابعين بخفوت شديد: «أنت تعلم جيدًا لماذا كنت أنصت إليه».

تسود لحظة صمت، يستغلها كلاهما لاستجماع شتاته.

يقول بعد هنيهة: «أنت محقة، أنا آسف». لأن كل أوروپيني إمبراطوري ينصت -أنصت- لوصيه المكلف به. من لم ينصتوا ماتوا أو زُجَّ بهم في محطات التوصيل. باستثناء، مرة أخرى، ألابستر. أنتِ لم تعرفي حتى الآن ما الذي فعله بوصيته.

تمنحينه إيماءة هدنة. «اعتذار مقبول».

يأخذ نفسًا حذرًا، يبدو منهكًا. «حاولي يا إيسون، حاولي استدعاء مسلة، اليوم، أحتاج إلى أن أعرف».

«لماذا؟ وماذا عن هذا السليل -لايت؟ ماذا يفعد...».

«ساتالاييت. وهذا كله لا يهم إلا لو استطعت التحكم في المسلات». عيناه في الواقع تجاهدان للانغلاق، وهذا على الأرجح شيء جيد. سيحتاج إلى طاقته إن كان ينوي النجاة من أيِّ ما كان يحدث له،

لو كان هذا ممكناً. «بل أسوأ من مجرد أنه لا يهم. أنت تذكرين لماذا كنت أمتنع عن إخبارك عن المسلات في المقام الأول، أليس كذلك؟».

نعم. ذات يوم، قبل أن تلقي أي بال لتلك الكريستالات الهائلة شبه الحقيقية في السماء، سألت ألابستر كيف يفعل كل تلك الأفاعيل الأوروبية المبهرة التي يفعلها. لم يكن ليخبرك، وكم كرهته لهذا السبب، لكنك الآن تدركين كم هي خطيرة تلك المعرفة. لو أنك لم تفهمي أن المسلات في الواقع مكبرات، أدوات تضخيم أوروبية، ما كنتِ أبداً لتتوجهي إلى الحقيقة كي تنقذي نفسك من هجوم الوصي. لكن إن لم تكن الحقيقة نصف ميتة أصلاً، ومشققة ومحشوة بأكل صخر متجمد، كانت ستقتلك. لم يكن عندك ما يكفي من القوة والتحكم في النفس كي تمنعي تلك القوة من التهامك من مخك وحتى قدميك.

والآن، ألابستر يريدك أن تتوجهي إلى مسلة عمداً، كي يرى ماذا سيحدث.

ألابستر يعرف وجهك. يقول: «اذهبي وجربي». تنغلق عيناه بالكامل حينها. تسمعين حشرة واهنة في نفسه، وكأن في رثيته حصي. «إن التوبازية تطفو في مكان ما قريب، نأدها الليلة، وفي الصباح سنرى...»، وفجأة يبدو كما لو أنه ضعف، فرغت طاقته، «سنرى لو جاءت. لو لم تأتِ، أخبريني وسأبحث عن شخص آخر، أو أفعل ما في وسعي بنفسني».

يبحث عمّن ليفعل ماذا؟ لا يسعك حتى مجرد التخمين. «هل ستخبرني عمّا يعنيه كل هذا؟».

«لا، لأن رغم كل شيء يا إيسون، لا أريدك أن تموتي»، يأخذ نفسًا عميقًا، يخرج به ببطء. كلماته التالية أرق من العادي: «تسعدني رؤيتك». تضطرين إلى تضيق فكك كي تردى. «نعم». لا يضيف شيئًا، وذلك وداع كافٍ لكلكما.

تنهضين، ترمين أكلة الصخر الواقفة قريبًا منه بنظرة. يدعوها ألا بستر أنتموني. تقف بثبات التماثيل كما يفعل بنو جنسها، عيناها شديدا السواد تراقبانك بثبات. ومع أن وقفتها لها طابع كلاسيكي، تشعرين فيها بلمسة تهكم. تقف ورأسها مائلة بأناقة، وإحدى يديها على فخذاها والأخرى مرفوعة بأصابع مرتحية تلوح إلى اتجاه غير معين. لعلها إيلاء تعال إلى هنا، أو تلويحة وداع بظهر اليد، أو حركة من التي يفعلها الناس الذين يحتفظون بسر ويريدونك أن تعرفه، لكنهم لا يريدون إخبارك به. تقولين لها: «اعتني به».

ترددون أن تحرك فمها: «سأفعل، مثلما أعتني بأي شيء ثمين». لن تحاولي حتى محاولة تفسير ذلك. تعودين إلى مدخل العيادة، حيث يقف هوّا في انتظارك. هوّا، الذي يبدو مثل طفل بشري غريب، وهو في الواقع آكل صخر بشكل ما، ويعاملك وكأنك شيء الثمين. يراقبك بغير سعادة، مثلما يفعل منذ أن عرفت حقيقة. تهزين رأسك وتتجاوزينه في مشيك نحو الخارج. يتبعك حثيثًا.

الليل في أوله بكومونة كاستريما. يتعذر هنا تمييز الليل من النهار لما كان ضوء الجيودات العملاقة الناعم الأبيض، المنبعث على نحو مستحيل من الكريستالات الهائلة التي تتشكل منها الجيودات، لا يتغير أبدًا. يمضي

الناس إلى شؤونهم، يحملون أشياءهم ويصيحون بعضهم على بعض، تستمر أمورهم بشكل عادي من دون الإبطاء المعتاد الذي يحدث في الكومونات الأخرى نتيجة لخفوت الضوء. تظنين أن النوم سيشق عليك لعدة أيام، على الأقل حتى تعتادي ذلك. لكن لا يهم، فالمسلات لا تأبه بالساعة والوقت.

كان لِرنا ينتظرك في الخارج بكياسة بينما أنت وهوا عند ألابستر وأنتيموني. ينضم إليك حال خروجك. على وجهه الترقب. تقولين: «أحتاج الخروج إلى السطح».

يلتوي وجهه. «لن يتركك الحراس يا إيسّون. لا أحد يثق بالوافدين الجدد، وبقاء كاستريما يعتمد على سرية وجودها».

رؤية ألابستر أعادت كثيرًا من الذكريات القديمة، وحدة الطبع القديمة أيضًا. «فليحاولوا أن يمنعوني وسيروا».

يتوقف لِرنا عن المشي. «وتفعلين بهم ما فعلته بتيريمو؟».

يا للجحيم الصدى. تتوقفين أيضًا، تترنحين قليلًا من قوة تلك الضربة. هوا أيضًا يتوقف، ويرمق لِرنا بعين التأمل. لِرنا لا يحرق غضبًا، النظرة المسطحة على وجهه أبعد ما تكون عن الغضب. تبًا. حسنًا.

بعد لحظة، يتنهد لِرنا ويقترب. يقول: «سندهب إلى إيكا، وسنخبرها بما نحتاج. سنطلب منها أن نخرج إلى السطح... مع الحراس لو أرادت. تمام؟».

معقول إلى حد يجعلك تتساءلين لماذا لم تفكري فيه حتى. لكن، أنت تعلمين لماذا. ربما تكون إيكا أوروبية مثلك، لكنك قضيت أعوامًا

طوالاً يقمعك فيها ويخونك أوروچينيون آخرون في المرتكز، خبرتك تمنعك من الثقة بها لمجرد أنها من قومك. لكن عليك أن تمنحها فرصة لأنها من قومك.

تقولين: «حسنًا»، وتتبعينه إلى مسكن إيكا.

مسكن إيكا ليس أكبر من مسكنك، ولا يميزه أي شيء مع أنه بيت قائدة الكومونة. مجرد شقة أخرى منحوتة بأساليب مجهولة في جانب كريستالة عملاقة بيضاء متوهجة. غير أن ثمة شخصين ينتظران خارج بابها، أحدهما يستند إلى الكريستالة والأخرى تنظر من فوق الحاجز إلى فضاء كاستريما. لِرنا يتمركز خلفهما ويشير إليك كي تحذري حذوه. من العدل أن تنتظري دورك كغيرك، والمسلات لن تطير.

المرأة التي تتأمل المشهد تنظر إليك، تتأملك من فوق إلى تحت. إنها أكبر منك سنًا بقليل، سانزية، وإن كانت بشرتها داكنة أكثر من البقية، وشعرها الكثيف رماد براكينني ذو هياج خفيف يجعل له هيئة سحابية مجمعة بدلًا من الصلبة المعتادة. بها شيء من الساحل-شرقيين، وبها من الساحل-غربيين أيضًا، خاصة العينين اللتين تميزهما علايات الموق^(١)، واللتين تتفحصانك بحذر وقلة إعجاب. تقول: «أنت الجديدة»، بغير تساؤل.

تومئين بالإيجاب، «أنا إيسون».

(١) علاية الموق: طيات جلدية رأسية وثنائية تشكل من الجفن العلوي أو السفلي إلى الزاوية الإنسية للعين. [المترجم]

تبتسم بجانب فمها، فترمشين؛ أسنانها مشحودة مدببة، مع أن السانزيين يفترض أنهم توقفوا عن سن أسنانهم منذ قرون، بات ذلك مسيئًا إلى سمعتهم بعد موسم الأسنان. «أنا هياركا قيادية كاستريما، أهلاً بك في حفرتنا الأرضية الصغيرة»، وتتسع ابتسامتها. تكتمين ضحكة من قولها، غير أنك في نفس الوقت، بعدما سمعت اسمها، تفكرين. عادة ما يكون وجود طائفة قيادة لا تحكم في كومونة نذير شؤم. إن للقياديين الناقمين عادة سيئة في إثارة الانقلابات خلال الأزمات. لكن هذه مشكلة إيكا لا أنت.

الشخص المنتظر الآخر، الرجل المستند إلى الكريستالة، لا يبدو أنه يراقبك، لكنك تلاحظين أن عينيه لا تتحركان مع أي شيء ينظر إليه في الأفق البعيد. إنه نحيل، أقصر منك، له شعر وذقن يجعلانك تفكرين في الفراولة التي تنمو بين القش. تستشعرين وخزًا واهنًا من انتباهه غير المباشر لك، لكنك لا تستشعرين نداء الغريزة الذي ينبئك بأنه من نفس نوعك. لا تتحدثين معه ما دام لم يُد لوجودك اهتمامًا.

يقول لِرنا: «جاء منذ أشهر قليلة»، فيشتك عن جيرانك الجدد. تتساءلين للحظة إن كان يشير إلى الرجل ذي شعر الفراولة بين القش، ثم تدركين أنه يعني ألابستر. «ظهر فجأة على ما نعتبره الميدان الرئيسي بهذا الجيود... القمة المسطحة»، ويومئ نحو شيء خلفك، فتلتفتين محاولةً فهم ما يعني. آها، هناك، بين العديد من كريستالات كاستريما مدببة القمة، ثمة واحدة تبدو وكأنها بُترت في منتصفها، تاركة خلفها منصة سداسية مرتفعة ومستقرة بالقرب من مركز الكومونة. يتصل بها

العديد من الجسور السُّلمية، وعليها عدد من المقاعد والخواجز. القمة المسطحة.

يتابع لِرنا: «لم يكن هناك أي تحذير. لم يسسبن الأوروبيون شيئاً ولم يرَ الحراس المناوبون الراكدون شيئاً. ظهر برفقة آكلة الصخر صاحبه تلك بغتة».

لم يلاحظ عبوسك المتفاجئ. لم تسمعي راكد يستخدم كلمة راكد من قبل.

«ربما علم آكلو الصخور الموجودون بأنه قادم، لكنهم قلما يتحدثون مع أي شخص عدا أشخاصهم المختارين، وفي تلك الحالة لم يفعلوا حتى ذلك». تنجرف نظرة لِرنا نحو هواء، الذي كان يتجاهله بثبات في تلك اللحظة. يهزّ لِرنا رأسه. «حاولت إيكا بالطبع طرده، وإن كانت قد عرضت عليه القتل الرحيم إن أراد. تشخيصه كان واضحاً، ومنحه بعض العلاج المخفف وفراش سيكون من قبيل اللطف. لكنه فعل شيئاً عندما استدعت الأشداء؛ انطفأ النور وتوقف الهواء والماء. دام ذلك لدقيقة، لكنها مرت علينا عامًا. عندما أعاد كل شيء إلى وضعه السابق كان الجميع مستائين. هكذا قالت إيكا إن في وسعه البقاء، وأن علينا علاج جراحه».

لا يبدو ذلك غريباً. تقولين: «إنه وغد ذو عشرة خواتم، امنحوه ما يريد وافعلوا ذلك بلطف».

«أهو من المرتكز؟»، يشهق لِرنا فيما يشبه الدهول، «يا نار الأرض! لم أحسب أن أيًا من الأوروبيين الإمبراطورين قد نجا».

تنظرين إليه بدهشة من ذهوله، لكن تدركين حينها أن كيف له أن يعرف؟ ثم تراودك فكرة أخرى تعيدك إلى رشذك. تقولين برفق: «إنه يتحول إلى حجر».

يقول لِرنا آسفًا: «صحيح، لم أر قط شيئًا مثل هذا. يوم جاء هنا كانت أصابعه فقط... كل ما آخذته أكلة الصخر. لم أشهد كيف تتطور الحالة، إنه حريص على أن يحدث ذلك فقط في غيابي وغياب مساعديني. لا أعلم إن كانت هي من يفعل ذلك به، أم هو من يفعله بنفسه، أو...»، يهزّ رأسه، «كلما سألته عن ذلك يبتسم ويقول: «اسمح لي ببعض الوقت أرجوك، أنا في انتظار أحدهم»». يعبس لِرنا وينظر إليك، متفكرًا.

وهناك ذلك أيضًا: عرف ألا بستر بشكل ما أنك قادمة. أو لعله لم يعرف، لعله كان يأمل فقط في قدوم شخص، أي شخص، عنده القدرة المطلوبة. ثمة فرصة جيدة لحصول ذلك هنا، خاصة وأن إيكا تستدعي كل روجا على بعد أميال بابتسامة واسعة. ستكونين ما ينتظره فقط لو ثبت أنك قادرة على استدعاء مسلة.

بعد لحظات، تُخرج رأسها من الشقة عبر الستائر، تومئ إلى هياركا، وتحقق إلى رأس الفراولة بين القش حتى يتنهّد ويلتفت إليها، ثم تلمحك مع لِرنا وهوا. «جميعكم هنا، رائع، فلتدخلوا جميعًا».

تحاولين الاعتراض. «أحتاج إلى أن نتكلم وحدنا».

تحقق فيك، ترمشين، بارتباك وانزعاج. تتابع التحديق. ينقل لِرنا ثقله من قدم إلى أخرى بجوارك. يثقلك ضغط صامت. لا يفعل هوا شيئًا

إلا المراقبة واتباع خطاك. تصلك الرسالة أخيرًا: كومونتها، طريقتها، ولو أردت أن تعيش فيها... تتنهدين وتتبعين الآخرين.

الشقة في الداخل أدفأ من أكثر شقق الكومونة، وأعتم؛ للستائر تأثير واضح حتى مع توهج الحوائط، ما يجعلك تشعرين بالليل أخيرًا، وهو الوقت الفعلي على الأرجح في الأعلى. تفكرين في أن تلك فكرة صالحة للاقتباس في شقتك الخاصة، قبل أن تراجع نفسك، لأنك لا ينبغي أن تفكري كما لو أنك مستمرة هنا طويلًا. ثم تراجعين نفسك مجددًا، لأنك فقدت أثر ناسون وجيجا، لذا عليك أن تفكري في الاستمرار طويلًا. ثم.. «تمام»، تقولها إيكا بصوت ضجر بينما تتجه إلى الجلوس على أريكة بسيطة منخفضة، تعقد رجليها وترتكز بذقنها على قبضتها. يقعد الآخرون أيضًا، لكنها تنظر إليك. «كنت أفكر في بعض التغييرات بالفعل، لقد جئنا في الوقت المناسب».

للحظة تحسبنيها تضيف إليك لِرنا بقولها «جئنا»، لكنه يقعد على الأريكة بالقرب منها، وثمة شيء ما، بعض من أريحية الحركة والسلوك، تفهمين منها أنه سمع ذلك من قبل. إنها تعني هَوَا إذن. يستقر هَوَا على الأرض، ما يجعله أشبه بطفل أكثر... مع أنه ليس كذلك. غريب أنك تتذكرين ذلك بصعوبة.

تقعدين بحذر. «مناسب لماذا؟».

يقول رأس الفراولة بين القش: «لا زلت لا أرى أن تلك فكرة جيدة»، ينظر إليك، وإن كانت رأسه تميل نحو إيكا، «إننا لا نعرف شيئًا عن أولئك الناس يا ييك».

تقول هياركا وهي تميل إلى جانبها وترتكز بساعدها على ذراع الأريكة: «نعرف أنهم ظلوا على قيد الحياة حتى أمس، هذا شيء ما». رأس الفراولة بين القش - يجب أن تعرفي اسمه قريبًا - يضيق شفثيه. «بل هذا لا شيء. صيادونا أيضًا قادرون على النجاة في الخارج». صيادون. ترمشين. تلك طائفة استخدام عتيقة، بل ومستهجنة طبقًا للقانون الإمبراطوري، لذا لم يعد هناك من يولد صيادًا. إن المجتمعات المتحضرة ليست في حاجة إلى الصيادين الجامعين. حقيقة أن كاستريما في حاجة إليهم تقول الكثير عن واقع الكومونة أكثر من أي شيء أخبرتك به إيكا.

تقول هياركا: «صحيح، يعرف صيادونا تضاريس المكان، وأشدًاؤنا أيضًا. لكن هذا يقتصر على تضاريس المكان القريبة. أما القادمون الجدد فيعلمون عن الحال فيما وراء نطاقنا... الناس والمخاطر وما إلى ذلك». تبدئين في قول: «لست متأكدة إن كنت أعرف أي شيء مفيد». لكن حتى وأنت تقولين ذلك، تعبسين، لأنك تتذكرين هذا الشيء الذي لاحظته قبل عدة بيوت طريقًا، الأوشحة والخرق الحريرية الملفوفة على معاصم العديد من الاستوائيين، والنظرات المنغلقة التي رموك بها، وعزمهم المعقود مقارنة ببقية الناس المصعوقين. رأيتهم في كل خيم يتفحصون الناجين أمثالهم، وينتقون من بينهم السانزيين حسني المتاع أو الأصح جسدًا أو حتى الأفضل من المتوسط، ويتحدثون إلى أولئك المختارين بأصوات خفيضة، ويغادرون في الصباح التالي في مجموعات أكبر من تلك التي وصلوا بها.

هل هذا يعني أي شيء؟ في الماضي كان المرء يلزم من يشبهه، لكن الأعراق والشعوب لم يعد لها أهمية منذ زمن بعيد. أثبتت السانزا القديمة أن مجتمعات الهدف المشترك والتخصصات المتنوعة أكفأ من غيرها. عدا أن يومينس لم تعد أكثر من خَبَث يجري على سطح حمم القاع، وقوانين الإمبراطورية وطرقها لم تعد لها قبضة. لعل تلك أولى أمارات التغيير إذن، ربما إن غادرت كاستريما في بضع سنين ستجدين كومونة مليئة بالأوسطيين أمثالك، لوهم بني نوعًا، ضخام الجثة نوعًا، شعرهم مجعد فقط، لا رماد براكييني ولا منسدل. في هذه الحالة يمكن أن تنضم ناسون إليك.

لكن إلى متى سيظل على كليكما إخفاء حقيقتكما؟ لا تريد الكومونات الروجات، عدا هذه الكومونة.

تقاطع إيكا شروذك بقولها: «تعرفين أكثر منا، وأنا على كل حال ليس عندي صبر كافٍ للجدال. سأخبرك بما قلته له قبل عدة أسابيع»، وتومئ برأسها إلى لِرنا، «أحتاج إلى مستشارين... أشخاص يعرفون عن المواسم جيدًا. ستقومان بهذا الدور حتى أستبدلكما».

تغمرك الدهشة. «أنا لا أعلم أي شيء صدئ عن هذه الكومونة!». «هذه وظيفتي أنا وهو وهي»، وتشير إلى رأس الفراولة بين القش وهياركا، «وستتعلمين على كل حال».

يتدلى فمك مفتوحًا، ثم يخطر لك أنها ضمنت هَوّا في هذا الجمع، «يا نار الأرض وجيوب الصدا! أتريدين من آكل صخر أن يكون مستشارك؟».

«لم لا؟ إن بيننا عددًا منهم، أكثر مما نعلم بهم»، ثم تركز على هواء الذي يراقبها بتعبير غير واضح، «هذا ما قلته لي».

يقول بهدوء: «هذا صحيح»، ثم يتابع: «لكنني لا أستطيع التحدث بصوتهم، ونحن لسنا جزءًا من كومونتك».

تميل إيكّا وترميه بنظرة قاسية، على وجهها تعبير بين العدواني والدفاعي. تقول: «إن لكم تأثيرًا في كومونتنا، حتى ولو كتهديد محتمل»، ثم تقفز عيناها نحوك، «وهناك أيضًا الأشخاص الذين أنتم... آه... مرتبطون بهم. إنهم جزء من الكومونة. ألا تأبهون بما يحدث لهم على الأقل؟».

تدركين أنك لم تريّ أكلة صخر إيكّا، تلك ذات الشعر الأحمر، منذ عدة ساعات. بيد أن ذلك لا يعني أنها ليست قريبة، تعلمين من خبرتك مع أنتيموني ألا تثقي بالغياب الظاهري. لا يرد هواء على إيكّا. تشعرين فجأة بامتنان غير عقلائي لأنه يبذل مجهودًا كي يظل ظاهرًا لك.

تعتدل إيكّا، وتقول لك حتى وعيناها لا تزال على هواء: «أما لماذا أنت، ولماذا الطبيب، فذلك لأنني أحتاج إلى وجهات نظر متنوعة: قيادية، حتى لو كانت عازفة عن القيادة»، وتنظر إلى هياركا، «وروجا محلي آخر، حتى لو لم يحاول كبح لسانه عن التصريح بمدى الغباء الذي يحسبني عليه»، وتنظر إلى رأس الفراولة بين القش، الذي يتنهد، «ومقاوم طبيب، يعرف الطريق، واكل صخر، وأنا، وأنت يا إيسون، يا من في وسعك قتلنا جميعًا»، تبسم ابتسامة نحيلة، «أليس من المعقول منحك سببًا كيلا تقتلينا؟».

ليس لديك أدنى فكرة عما تردين به على ذلك. تراودك فكرة عابرة بأن على إيكا إذن دعوة ألابستر إلى دائرة مستشاريها، ما دامت القدرة على تدمير كاستريا تؤهل إلى ذلك. لكن هذا قد يؤدي إلى أسئلة مربكة. تقولين لهياركا ورأس الفراولة بين القش: «هل أنتما من هنا؟». تقول هياركا: «لا».

تقول إيكا: «نعم»، ترمقها هياركا، «لقد عشت هنا منذ طفولتك يا هيار».

تهز هياركا كتفيها، «لا أحد هنا يتذكر ذلك غيرك يا ييك». يقول رأس الفراولة بين القش: «لقد وُلدت ونشأت هنا». ثمة أوروچينيون، كبروا بأمان في كومونة لم تقتلها. «ما اسمك؟». «كاتر شديد». تنتظرينه أن يكمل. يتسم بنصف فمه وبلا عينيه. تقول إيكا: «سر كاتر لم ينكشف ونحن نكبر»، تستند إلى الحائط خلف الأريكة، وتدعك عينها كما لو أنها منهكة، «غير أن الناس خمنوه على أية حال. منعتة الشائعات من أن تتبناه الكومونة في ظل القائد السابق. أنا بالطبع عرضت عليه منحه الاسم ست مرات حتى الآن». يرد كاتر: «بشرط أن أتخلي عن اسم «شديد»». لا يزال يتسم ابتساماته الهزيلة.

تحفض إيكا يدها ويضيق فكها. «إنكارك لحقيقتك لم يمنع الناس من معرفتها».

«والتبجح بها ليس ما أنقذك».

تأخذ إيكا نفسًا عميقًا، تتلوى عضلات فكها وتسترخي. «ولعل ذلك سبب طلبي منك أن تفعل ذلك يا كاتر، لكن دعنا نتجاوز تلك النقطة».

ويستمر النقاش.

تتابعين الاجتماع، تحاولين فهم السياقات الخفية لما يدور، ولا زلت غير مصدقة أنك هنا بينما تناقش إيكا كل المشاكل التي تواجه كاستريما. إنها أمور لم تضطري إلى التفكير فيها من قبل: شكاوى من أن المياه الساخنة في الأحواض العامة ليست ساخنة كفاية، نقص حاد في صانعي الفخار في مقابل وفرة زائدة على الحد في الخياطين، فطر في أحد كهوف الغلال، ما أدى إلى حرق اضطراري لمخزون عدة أشهر كيلا ينقل العدوى إلى البقية، نقص في اللحوم. انتقلت فجأة من الاهتمام بشأن إنسانة واحدة إلى الاهتمام بشؤون الكثيرين، مفاجأة غير متوقعة.

تندفعين: «لقد استحممت فورًا»، في محاولة لاستخراج نفسك من حالة الدوار، «كانت المياه لطيفة».

«طبعًا كانت لطيفة بالنسبة إليك، فقد كنت تعانين شظف المعيشة وتستحمين في الجداول الباردة لشهور، ذلك لو تكلفت عناء الاستحمام. أكثر أهل كاستريما لم يعيشوا قط بغير مولد أرضي كفاء وصنابير قابلة للتعديل»، تدعك إيكا عينيها، لم يدم الاجتماع أكثر من ساعة لكنه يوحى بما هو أكثر، «يتكيف الناس مع المواسم بطرق مختلفة».

لا يبدو لك التذمر من الصغائر تكييفًا، لكن لا بأس.

يقول لِرنا عابَسًا: «نقص اللحوم مشكلة حقيقية، لاحظت أن آخر بضع حصص غذائية كانت خالية من اللحم، ومن البيض أيضًا».

يزداد تعبير وجه إيكا قتامة. «صحيح، ذاك هو السبب»، ثم تضيف من أجلك: «ليس عندنا أراضي خضراء في الكومونة كما لعلك لاحظت. إن التربة حولنا فقيرة، جيدة للحدائق لكنها لا تصلح للعشب ولا العلف. بالإضافة إلى أن في آخر أعوامنا قبل الموسم كان الكل منشغلين بالجدال حول إن كان علينا إعادة بناء السور القديم من قبل موسم الاختناق، حتى أن أحدًا لم يفكر في التعاقد مع أية كومونة زراعية لاستجلاب بضع عربات محملة بالتربة الجيدة»، تنهد، تدعك أرنبه أنفها، «لا يمكن جلب أكثر الماشية عبر مداخل المنجم والسلام. لا أعرف ما الذي كنا نفكر فيه عندما قررنا أن نعيش هنا في الأسفل. لهذا بالتحديد أحتاج إلى مساعدة».

إرهاقها ليس مفاجئًا، لكن استعدادها للإقرار بالمشكلة هو المفاجئ، ومقلق أيضًا. تقولين: «ليس للكومونة إلا قائد واحد خلال الموسم».

«نعم، وهو أنا، لا تنسي ذلك»، قد يكون هذا تحذيرًا لكن هذه ليست نبرة تحذير. تفكرين في أن قبول مكانتها في كاستريا مسألة أمر واقع: لقد اختارها الناس، ويثقون بها حتى الآن. لكنهم لا يعرفونك ولا لِرنا ولا هواء، وعلى ما يبدو لا يثقون بهياركا ولا كاتر. أنت في حاجة إليها أكثر مما هي في حاجة إليك. غير أن إيكا على حين غرة تهز رأسها. «لم أعد قادرة على متابعة الحديث في هذا الهراء».

جيد لأن هذا الشعور بالتفكك - كنت في الصباح تفكرين في الطريق
والنجاة، وناسون - بدأ يثقل عليك. «أحتاج إلى الخروج إلى السطح».
تغييرك للموضوع كان مفاجئًا وكأنه قادم من العدم. ظلوا جميعًا
للحظة يحدقون فيك. تسأل إيكا: «لماذا بحق الصدا؟».

«ألا بستر»، لا يبدو على إيكا الفهم، «ذو الخواتم العشرة في العيادة.
لقد طلب مني فعل شيء».

إيكا تعبس. «آه، هذا الشخص»، ولا تستطيعين منع نفسك من
الابتسام على رد فعلها، «شيء مثير للاهتمام. إنه لم يتحدث مع أحد
منذ جاء، لم يفعل شيئًا سوى الجلوس وتعاطي مضاداتنا الحيوية وأكل
طعامنا».

يقلب لِرنا عينيه. «لقد صنعت دفعة بنسولين جديدة يا إيكا».
«المبدأ نفسه هو ما يزعجني».

تشكين في أن ألابستر كان يخدم الهزات الميكروية وتوابع هزات
الشمال طوال فترة مكوثه هنا، ما يجعل وجوده أكثر من مستحق. لكن ما
دامت إيكا لا تسبب ذلك بنفسها، فتوضيحه لن يكون ذا نفع، وأنت
لست متيقنة إن كنت تثقين بها ما يكفي بعد للحديث عن ألابستر. «إنه
صديق قديم»، هذا ملخص جيد حتى لو كان ناقصًا.

«لم يبد لي شخصًا ذا أصدقاء، ولا أنت أيضًا»، تتأملك طويلاً، «هل
أنت أيضًا ذات عشرة خواتم؟».

تنقبض أصابعك لا إرادياً. «كنت ألبس ستة خواتم ذات يوم»،
يلتفت لِرنا بغتة ويحدق فيك، وجه كاتر يتلوى على نحو لا يسعك

تفسيره. تضيفين: «ألا بستر كان مرشدي، عندما كنت لا أزال مع المرتكز».

«أرى ذلك. وما الذي يريد منك فعله في الأعلى؟».

تفتحين فمك، ثم تغلقينه. لا تستطيعين منع نفسك من النظر شذراً إلى هياركا، التي تدمدم وتنهض، وإلى لِرنا، الذي تنقلب سحته عندما يدرك أنك لا تريدين أن تتحدثي أمامه. إنه يستحق أفضل من ذلك، لكنه برغم ذلك... راكد. تقولين أخيراً: «أمور أوروبية».

ليست حجة مقنعة. يختفي من وجه لِرنا أي تعبير، لكن في عينيه حدة. تلوح هياركا يدها وتتجه نحو الستائر. «إذن أنا ذاهبة. تعالَ معي يا كاتر، بما إنك لست إلا شديداً»، وتطلق ضحكة.

كاتر يتيسس، لكنه، لدهشتك، ينهض ويتبعها. تنظرين إلى لِرنا للحظة، لكنه يعقد ذراعيه. إنه لن يذهب إلى أي مكان. حسناً. بعد ذلك كله تبدو إيكاً مرتابة. «ماذا هنالك إذن؟ درس أخير من مشرفك القديم؟ لا يبدو كمن بقي له في العمر طويلاً».

ينكمش وجهك قبل أن تتحكمي في نفسك. «سنرى».

يبدو على إيكاً سياء التفكير لبعض الوقت، ثم تومئ بحسم وهي تنهض. «حسناً، دعيني أجلب بعض الأشداء وسنطلق من فورنا».

«ثانية، أنت قادمة؟ لماذا؟».

«فضول. أريد أن أرى ما الذي تستطيع ذات ستة خواتم مرتكزية فعله». تبسم لك وتلتقط معطفها الفروي الذي كانت ترتديه عندما رأيته لأول. «وربما أرى إن كان في وسعي فعله أيضاً».

تجفلين بعنف لما تتخيلين برية دربت نفسها بنفسها تحاول الاتصال
بمسلة. «لا».

ينقلب وجه إيكا. يحدق فيك لِرنا غير مصدق أنك حققت هدفك
ثم أضعته في نفس اللحظة. تستدركين بسرعة: «إنها أمور خطيرة حتى
عليّ، حتى وإن فعلتها من قبل».

«أي أمور خطيرة؟».

طيب، لا مفر. من الأمان ألا تعرف، لكن لِرنا محق؛ عليك أن
تفوزي بهذه المرأة في صفك ما دمت ستعيشين في كومونتها. «عديني ألا
تجربي فعلها لو أخبرتك».

«لا أعدك بأي شيء صديء، أنا لا أعرفك». تعقد إيكا ذراعيها.
إنك امرأة ضخمة، لكنها أضخم قليلاً، والشعر لا يساعد. إن كثيراً
من السانزين، مثلها، يربون شعرهم الرماد براكينني على شكل عرف
ضخم متنفش، مثلما تنفخ الحيوانات أنفسها لتخويف الآخرين. يفلح
هذا عندما تكون واثقاً بنفسك كفاية لدعم لذلك. لدى إيكا هذا وذاك
والمزيد.

لكنك لديك المعرفة. تقومين على رجلك وتقابلين عينيها. تقولين
أملًا في إقناعها: «أنت لا تستطيعين فعلها، ليس لديك التدريب المناسب».

«أنت لا تعلمين أي تدريب حصلت عليه».

ترمشين، وتذكرين تلك اللحظة في الأعلى عندما أدركت أنك
فقدت أثر ناسون حتى كدت تنكسرين، ثم ضربتك إيكا بتلك الطاقة
الغريبة الناعمة، مثل صفعة لكن بلطف، وكانت طاقة أوروچينية على

نحو ما. ثم تتذكرين خدعتها الصغيرة لجذب الأوروبيين من بُعد
أميال إلى كاستريا. إن إيكا لا ترتدي خواتم، لكن الأوروبية لا تأبه
بالرتب.

ضاق عليك السبل. تقولين بتردد: «مسلة»، ترين لِرنا بجانب
عينك يرمش ويعبس، «ألابستر يريدني أن أستدعي مسلة، وسأرى إن
كان هذا في وسعي».

إيكا، لدهشتك، تومئ، وعيناها تضيئان. «أها! لطالما حسبت أن
وراء تلك الأشياء أمورًا. لنذهب إذن، أريد أن أرى ذلك بكل تأكيد».
اللعة!

ترمي إيكا معطفها على كتفها. «أعطيني نصف ساعة ثم قابليني
عند الإطالة الخلابة»، وذلك مدخل كاستريا ذي المنصة الصغيرة التي
تسحر القادمين الجدد برؤية الكومونة الغريبة داخل الجيود العملاق.
وبقولها هذا تمرق بجوارك وتخرج من الشقة.

تهزين رأسك، تنظرين إلى لِرنا. يومئ، إنه يريد الذهاب أيضًا. أما
هو فجالس ببساطة في مكانه العادي وراءك، يحدق فيك بوداعة، وكأنه
يقول (أكان لديك شك؟). ستخرجين في موكب إذا.

تقابلك إيكا عند الإطالة بعد نصف ساعة. معها أربعة كاستريمين
مسلحين ويرتدون أزياء باهتة ورمادية على سبيل التمويه فوق السطح.
المسيرة صعودًا أصعب مما كان النزول من قبل؛ تصعدون سلم كثيرة
وتتسلقون منحدرات عديدة. لا ينقطع نفسك عندما تصلون مثلما
مع بعض من طاقم إيكا، لكنك كنت تمشين كل يوم أميالًا بينما كانوا

يعيشون آمنين هائنين تحت الأرض (تلاحظين أن إيكّا لا يصعب تنفسها إلا قليلاً. لا بد أنها تحافظ على لياقتها). تبلغون أخيراً قبواً متنكرًا لأحد المنازل الزائفة على السطح. ليس نفس القبو بالطبع الذي دخلت عبره، ولا يفاجئك هذا؛ من الطبيعي أن يكون لـ «بوابتهم» عدة مداخل ومخارج. لكن الأنفاق مع ذلك أكثر تعقيداً مما حسبت في البداية، وذلك شيء يجدر بك تذكره، إن أردت يوماً الخروج من هنا على عجل.

ثمة أشداء حراس متمركزون في البيت مثلما كان في السابق، بعضهم يحرس مدخل القبو وبعضهم في المنزل نفسه في الأعلى، يراقبون الطريق في الخارج. عندما يعطيكم حراس السطح إشارة بأن الطريق آمن، تخرجون إلى الرماد المتساقط في آخر الليل.

يدهشك كمّ الغرابة التي تحسّينها في السطح بعد أقل من يوم داخل الجيود. لأول مرة بعد أسابيع تلاحظين التنانة الكبرى في الهواء، والضباب الفضي، والحفيف الخفيف لرقائق الرماد الكثيفة على الأرض وأوراق الشجر الميتة. والصمت، الذي يجعلك تدركين كم أن كاستريما صاخبة في الأسفل، مع كلام الناس وأزيز الرافعات ودقات الحدادين، والهمهمة الدائمة لميكانيزمات الجيود الغربية الخفية. أما في الأعلى فلا شيء هناك. وقعت من الأشجار كل أوراقها، ولا شيء يتحرك بين المخلفات الجافة مجمدة الحواف، ولا يمكن سماع تغريد أي طائر بين الفروع؛ إن أكثر الطيور تحجم عن إعلان نطاق سلطتها والتكاثر خلال المواسم، والتغريد لا فائدة منه سوى جذب انتباه المفترسين. ولا أثر أيضاً لصوت أي حيوان آخر، ولا مسافرين على الطريق، وإن كان في وسعك

تمييز أن الرماد أخف هناك. كان هناك بعض الناس أخيرًا. لكن فيما عدا ذلك، فحتى الريح راكدة. لا يزال هناك بعض الضوء في السماء رغم غروب الشمس. الغيوم لا تزال تعكس نار الصدع من أسفلها، رغم كل تلك المسافة جنوبًا.

تسأل إيكا أحد الحراس: «أخبار المرور؟».

تقول الحارسة: «مر موكب من نحو عشرين شخصًا يبدوون كأُسرة واحدة، منذ حوالي أربعين دقيقة»، تحافظ على صوتها خفيصًا على نحو مناسب، «حسنو التجهيز، من كل الأعمار، وكلهم سانزيون. متجهون شمالًا».

وذلك جعل الكل ينظرون إليه. تكرر إيكا: «شمالًا؟».

«شمالًا». الحارسة، ذات الرموش الطويلة شديدة الجمال، تنظر إلى إيكا وتهز كتفيها، «بدوا وكأنهم عازمون على وجهة بعينها».

«هممم»، تعقد ذراعيها وترتجف قليلًا، مع أن الجو ليس شديد البرودة في الخارج. إن برودة الموسم الخامس تستغرق شهرًا حتى تحلّ بالكامل. دفء كاستريا السفلية الشديد يجعل من اعتاده يشعر بأن كاستريا السطحية باردة. أو لعل ذلك ردة فعل إيكا على قسوة الكومونة حولها؛ بيوت عديدة صامتة، وحدائق ميتة، وطرقات يغشاها الرماد كانت الناس تقطعها يومًا. لقد كنت تحسبين الكومونة السطحية طعمًا، وهي فعلاً كذلك، طبق غسل يهدف إلى اجتذاب المرغوبين وتشتيت الأعداء المحتملين. لكن مع ذلك كانت هنا ذات يوم كومونة حقيقية، حية نابضة أبعد ما تكون عن السكون.

«والآن»، تشهق إيكا بعمق وتبتسم، لكنك تشعرين بأنها ابتسامة منهكة. تومئ نحو سحب الرماد المتدلّية، «لو أنك تحتاجين إلى رؤية هذا الشيء، فلا أظن الحظ محالفك في أي وقت قريب».

إنها محقة، الهواء مُشَبَّر بالرماد، ولا يمكنك رؤية أي شيء لعين من بعد حبات الغيوم ذات الصبغة الحمراء. تنزلين مع ذلك عن الشرفة وتنظرين إلى السماء، غير متأكدة كيف تبدئين، ولست متأكدة أيضًا إن كان يجب أن تبدئي؛ كلتا المرتين اللتين تفاعلت فيهما مع مسلة انتهت بك إلى حافة الموت، أضف ذلك إلى حقيقة أن ألابستر هو من يريدك أن تفعلي، وهو الرجل الذي دمر نصف العالم. لعل فعل كل ما يطلبه ليس من الحصافة.

بيد أنه لم يؤذك قط. العالم آذاك، أما هو فلا. ربما يستحق العالم الدمار، وربما استحق ألابستر القليل من ثقتك بعد كل تلك الأعوام.

تغلقين عينيك وتحاولين إسكات أفكارك. تلاحظين أخيرًا أن ثمة أصواتًا حولك يمكن سماعها؛ أزيز خافت وطرقعات واهنة للأجزاء الخشبية من كاستريتا السطحية استجابة لوزن الرماد وتبدل درجة حرارة الهواء. وهناك أشياء صغيرة تسعى وسط أكوام الأعشاب الجافة القريبة، قوارض أو أشياء أخرى صغيرة... لا شيء يقلقك. أحد الكاستريميين يتنفس عاليًا لسبب ما.

تشعرين بموجة دافئة من الأرض تحتك. لا، اتجاه خاطئ.

ثمة رماد كافٍ في السماء إلى حدٍّ يسمح باستيعاب الغيوم في نطاق وعيك، إن الرماد في النهاية صخر مسحوق. لكن الغيوم ليست غايتك.

تتلمسين طريقك عبر الغيوم كما تفعلين في طبقات الأرض، غير متأكدة
عمّا تبحثين بالضبط...

«هل سنستغرق الكثير؟»، يسأل أحد الكاستريميين ويتنهد.

تقول إيكا بتشدد: «لماذا؟ أعندك موعد رومانسي؟».

إنه بلا أهمية، إنه...

إنه...

يشدّك شيء ما غربًا. تتفضّضين وتلتفتين لمواجهته، وتشهقين حالما
تذكرين ليلة بعيدة في كومونة اسمها آليا، ومسلة أخرى، الجمشتية (إنه
لم يكن في حاجة إلى رؤيتها، بل كان يحتاج إلى مواجهتها). إن خطوط
البصر هي خطوط الطاقة. نعم. وهناك، على آخر خط إدراكك، تسسبينين
وعيك ينشدّ نحو شيء ثقيل... ومظلم.

مظلم، مظلم جدًا. ألم يقلّ ألابستر إنها ستكون توبازية؟ هذه ليست
توبازية. لها شعور مألوف، تذكرك بالعقيقية لا الجمشتية. لماذا؟ كانت
العقيقية مكسورة، مجنونة (لست متأكدة لماذا خطرت لك تلك الكلمة)،
لكنها كانت أيضًا أقوى على نحو ما، وإن كان الوصف بالقوة كلمة
أبسط من اللازم عندما تفكرين فيما تحتويه تلك الأشياء. ربما يصلح
الوصف بالثراء أكثر، أو بالغرابة. أكلما ازدادت قتامة اللون ازدادت
الاحتمالات؟ لكن لو أن المسألة كذلك...

«أونيكسية»، تقولينها بصوت عالٍ، وتفتحين عينيك.

تنن مسلات أخرى في محيط خطوط بصرك، أقرب مسافة وأكثر
احتمالًا، لكنهم لا يستجيبون لندائك شبه الغريزي. أما المسلة القائمة

فبعيدة جدًا، أبعد بكثير من الساحل الغربي، تطير فوق البحار المجهولة، وقد تستغرق شهورًا كي تصل. لكن.

لكن... الأونيكسية تسمعك. تعلمين ذلك مثلما كنت تعلمين أن أولادك سمعوا نداءك حتى لو تظاهروا بتجاهلك. تستدير بثناقل، تستيقظ فيها آليات عتيقة لأول مرة منذ عصور، وتهذر بأصوات وهزات تثير البحر تحتها لمسافة أميال. (كيف لك أن تعلمي ذلك؟ إنك لا تسسبنينه، بل فقط تدركينه).

ثم تبدأ في القدوم. يا للأرض المفترس الشرير.

تحفلين عائدة على طول الخط الذي يقودك إلى نفسك. يتعثر وعيك في طريقه بشيء، فتنادينه أيضًا فيما يشبه الاستدراك، إنها التوبازية. أكثر خفة وحيوية وقربًا، وأكثر استجابة أيضًا بشكل ما، لعل ذلك لأنك تستشعرين شيئًا من الألبستر في ثناياها، مثل نقطة خل في طبق حلو. لقد أعدها لك. ثم تنتفضين عائدة إلى نفسك. تلتفتين إلى إيكا التي تنظر إليك بتجهم. «أشعرت بهذا؟».

تهزّ رأسها ببطء، لكن ليس نفيًا. لقد شعرت ببعضه، نوعًا ما، ترين ذلك في وجهها. «أنا... كان ذلك... لا أعرف بما أصفه».

«لا تحاولي التوجه إلى أيهما عندما يصلان»، لأنك متأكدة أنهما قادمتان، «لا تحاولي التوجه إلى أيهما أبدًا». تحاولين تجنب قول مسلة، يوجد الكثير من الراكدين حولكما، وحتى لو لم يحاول أيهم قتلكما بعد، فالراكدون ليسوا في حاجة إلى معرفة أن ثمة ما يمكن أن يجعل الأوروجينيين أخطر مما هم عليه بالفعل.

«ما الذي سيحدث إن حاولت؟». هذا سؤال فضولي لا تحدد، لكن في بعض الأسئلة خطورة.

تختارين الصدق، «ستموتين، لكن لست متأكدة كيف بالضبط». في الواقع أنت متيقنة إلى حد ما أنها إن فعلت ستشتعل فوراً حتى تصبح عموداً أبيض ساخناً من النار والقوة، وستأخذ على الأرجح كاستريما برمتها معها. لكنك لست متيقنة تمام اليقين، لذا تلتزمين بما تعرفين. «إن... هذه الأشياء مثل البطاريات التي تستخدمها بعض الكومونات الاستوائية»، تبتأ، «أقصد كانت تستخدمها. أسمعت عنها؟ البطارية تخزن الطاقة كي يكون عندك كهرباء حينما لا تدور المولدات الهيدروليكية أو الأرضية و...».

تبدو إيكاً مُهانة. صحيح، إنها سانزية، إنهم من اخترعوا البطاريات. «أنا أعرف ما هي البطاريات الصدئة! مع أدنى هزة أرضية تملأ الدنيا بالحمض الحارق لتصبح الكارثة كارثتين، وكل هذا من أجل قليل من الطاقة المخزنة»، تهزّ رأسها، «ما تحدثين عنه ليس بطارية».

تقولين: «لقد كانوا يصنعون بطاريات من السكر عندما غادرت يومينس». إنها أيضاً تتجنب قول مسلة، جيد، إنها تفهم، «كانت آمنة أكثر من البطاريات الحمضية والمعدنية. يمكن صنع البطاريات بأكثر من طريقة، لكن لو كانت البطارية أقوى من الدائرة المتصلة بها...»، تفكرين لعل ذلك كافٍ لتوصيل الفكرة.

تهزّ رأسها مجدداً، لكنك تشعرين أنها تصدقك. وبينما تلتفت إيكاً وتمشي في تفكير عميق، تلاحظين لِرنا. لقد كان هادئاً طوال الوقت،

ينصت إلى حديثك مع إيكا، والآن يبدو غارقاً في التفكير، وذلك يقلقك. أنت لا تحبين حقيقة أن يفكر راكد بعمق في هذا.

ثم يفاجئك لِرنا. «إيكا، كم تظنين عمر هذه الكومونة؟».

تتوقف وتنظر إليه عابسة. يتملأ بقية الكاستريميين كما لو أنهم غير مرتاحين. لعل تذكيرهم بأنهم يعيشون في أطلال حضارة ميتة يزعجهم. «لا أعلم، لماذا؟».

يهز كتفيه، «أنا فقط أفكر في التشابه».

هنا تفهمينه. إن كريستالات كاستريما السفلية تتوهج بطريقة تعجزين عن استيعابها، مثل الكريستالات التي تطفو في السماء بطريقة تعجزين عن استيعابها، وكلتاها أنظمة لا يستطيع استخدامها إلا أوروبيني.

وآكلو الصخر يظهرون اهتماماً غير عادي بالأوروبينيين الذين يستخدمون هذا أو ذاك. ترمقين هواً.

لكن هواً لا ينظر إلى السماء، ولا إليك. لقد نزل من الشرفة وقرص على الأرض الرمادية عند آخر الممشى المتجه إلى الشرفة، يحدق إلى شيء ما. تتبعين نظره فتجدين أكمة صغيرة فيما كان يوماً الساحة الأمامية للبيت المقابل. لا تبدو لك أكثر من كومة رماد أخرى تعلو حوالي ثلاثة أقدام. لكنك تلاحظين قدم حيوان صغير جافة تبرز من أحد جوانبها. لعلها قدم قط أو أرنب. على الأرجح يوجد هنا العشرات من الجثث الصغيرة يدفنها الرماد، إن بداية الموسم تسبب على الأرجح ميتات كثيرة. لكن غريب أن هذه الجثة راكمت على ما يبدو رماداً أكثر بكثير من الأرض حولها.

«ما ترك فيها الموت شيئاً يؤكل يا ولد»، قالها أحد الرجال الذين

لاحظوا هؤا أيضًا، ومن الواضح أنه لا يملك أدنى فكرة عن حقيقة هذا الـ«ولد». يرمش هؤا نحوه ويعض شفتيه بدرجة مناسبة من عدم الارتياح. إنه يمثل دور الطفل خير تمثيل. ثم ينهض ويتجه نحوك، وعندها تدركين أنه لا يدعي، بل ثمة ما أثار حفيظته بالفعل.

يقول لك برقة شديدة: «ستأكلها أشياء أخرى. يجب أن نذهب». ماذا؟ «أنت لا تخاف شيئًا».

فكه يتلوى، فكه المترع بالأسنان الماسية. أئمة عضلات فوق العظام الماسية؟ لا عجب أنه لم يتركك تحملينه أبدًا، لا شك في أنه ثقيل كالرخام. لكنه يقول: «أنا أخاف الأشياء التي قد تؤذيك».

وأنت.. تصدقينه. لأنك تدركين فجأة أن ذلك كان العامل المشترك الأكبر في كل تصرفاته الغريبة حتى الآن. استعداداه لمواجهة الكيركوزا، والذي كان أسرع حتى من أوروچينيتك، وعدوانيته تجاه آكلي الصخر الآخرين. إنه يحميك. قليلون هم من حاولوا حمايتك طوال حياتك. يدفعك دافع إلى رفع يدك والتربيت على شعره الأبيض الغريب. يرمش، ثمة ما يتقد في عينه، شيء لا يمكن ألا يكون إنسانيًا. لا تعرفين كيف يجب أن تفكري، وهذا ما يجعلك تنصتين إليه.

تقولين إلى إيكا والآخرين: «لنذهب». لقد فعلت ما طلبه منك الألبستر. تفكرين في أنه لن تضايقه المسلة الزائدة عندما تخبرينه عنها، إن لم يكن يعلم بالفعل. لعله، أخيرًا، يخبرك بالذي يحدث بحق الصدا.

أولًا: اجمع في صخرة ثابتة حرز سنة لكل مواطن: عشر دلاء من

الحبوب، وخمسة من البقول، وربع قدر من الفاكهة المجففة، ونصفاً من الشحم أو الجبن أو اللحم المجفف. ضاعف ذلك بمثل عدد السنوات التي تود أن تحافظ على الحياة فيها. بعد ذلك: احرس الصخرة بثلاثة حراس أشداء لكل حرز، حارس للحرز، واثنين لحراسة الحارس.

اللوحة الأولى - «عن النجاة» - البيت الرابع

شافا، منسي

نعم، أنت هو أيضًا، أو كنتِ هو حتى ميوف. لكنه الآن شخص آخر.

القوة التي أطاحت بالكلالسو كانت قوة أوروچينية هوائية. لا يفترض بالأوروچينية أن تعمل على الهواء، عدا أن في الواقع لا يوجد سبب حقيقي يمنع ذلك. لقد تدربت سيانيت بالفعل على استخدام أوروچينيتها على الماء، منذ آليا وما بعدها. مثلما في المياه معادن في الهواء ذرات غبار، والهواء أيضًا له حرارة واحتكاك وكتلة وطاقة وضع مثل الأرض. يكمن الفارق في أن جزيئات الهواء بعضها أبعد عن بعض، وذراته مختلفة. لكن استخدام المسلة على أي حال يجعل كل تلك التفاصيل أكاديمية.

عرف شافا ما سيحدث بعد ذلك ما إن شعر بنبضة المسلة. إن وصي سيانيت هذا الكبير في السن، كبير جدًا. يعلم ما الذي يفعله آكلو الصخر في الأوروچينيين الأقوياء ما إن تتاح لهم الفرصة، ويعلم لماذا

يجب الحفاظ على عين الأوروجيني صوب الأرض لا السماء بأي ثمن. لقد رأى ما الذي يحدث عندما تتوجه ذات أربعة خواتم -هكذا لا يزال يرى سيانيت- إلى مسألة. عليك أن تدركي أنه يهتم بها صدقًا (وهي لا تدرك ذلك)، ليست المسألة كلها مسألة تحكم. إنها صغيرة، ولقد حماها أكثر مما تدرك أنه فعل. لا يستطيع تحمل فكرة موتها الأليم. وهذه مفارقة ساخرة، نظرًا إلى ما سيحدث بعد ذلك.

في اللحظة التي تصلبت فيها سيانيت وغمر جسدها النور، وصار الهواء داخل قمرة الكلالسو الصغيرة يرتجف ويتحول إلى ما يكاد يكون حائطًا صلبًا من القوى التي لا يمكن إيقافها، تصادف أن شافا كان يقف خلف الحاجز المعلق وليس أمامه، أما رفيقه، الوصي الذي قتل حبيب سيانيت البري، لم يكن بهذا الحظ، وعندما رمته موجة القوة إلى الخلف، كان للحاجز الارتفاع والزاوية المناسبة ليطيح برأسه، قبل أن ينهار معه. أما شافا فقد طار إلى الخلف في مخزن الكلالسو الواسع، الذي كان خاويًا لأن السفينة لم تخرج لتقرصن منذ فترة. كانت هناك مساحة كافية لتهدأ سرعة طيرانه تدريجيًا، ولتتجاوزه موجة القوة التي أطلقتها سيانيت. عندما ارتطم أخيرًا بحاجز معلق آخر، كان ذلك بقوة كاسرة للعظام لا قوة مدمرة لها. وكان الحاجز يهتز ويتداعى مثل بقية السفينة، ما ساعده أيضًا.

ثم، عندما انبثقت من قاع المحيط الصخري الأعمدة الصخرية الحادة كالسكين لتخترق الحطام المنفجر، كان شافا محظوظًا مرة أخرى، إذ لم تخترق أيها جسده. في تلك اللحظة كانت سيانيت قد ضاعت تمامًا

في أولى نوبات الحزن، التي ستستمر توابعها في حياة إيسون، (رأى شافا يدها على وجه الرضيع، تغطي فمه وأنفه، وتضغط بلا هوادة. أكانت تعلم أن شافا كان ليحب ابنها مثلما أحبها؟ كان ليضعه بمتهى الرفق على الكرسي ذي الأسلاك)، أمست الآن جزءاً من شيء شاسع وعالمي القوة، وشافا، الذي كان يوماً أهم شخص في عالمها، بات خارج نطاق ملاحظتها. إنه واعٍ بذلك على مستوى ما، حتى وهو يطير وسط العاصفة، وتلك المعرفة تترك أثراً حارقاً عميقاً في قلبه. ثم صار في المياه، يموت.

قتل الوصاة أمر صعب. كل تلك العظام المكسورة التي يعاني منها والأعضاء المتضررة لا تكفي لذلك، على الأقل ليس وحدهم. حتى الغرق لن يكفي في الظروف العادية. إن الوصاة مختلفون، لكن حتى هم لهم حدود، والغرق زائد الأعضاء المنهارة زائد القوة العاتية الناجمة عن الصدمة يكفون للقضاء عليه، يدرك ذلك وهو يتعثر في الماء، متخبطاً بين الشظايا الناجمة عن حطام السفينة. لا يستطيع تمييز أي الجهات حوله فوق، لولا أن أحد الجهات يبدو أكثر إشراقاً بقليل من البقية. غير أن مؤخرة السفينة التي تغرق بسرعة تشده معها. يحاول أن يشد نفسه، يصطدم بصخرة، يستفيق، يحاول أن يسبح عكس التيار المتجه إلى أسفل رغم أن ذراعيه مكسورتان. رثاه خاويتان، أفرغتهما الصدمات من الهواء، ويحاول ألا يستنشق الماء لأنه حينها سيموت لا مراء. لا يمكن أن يموت، لا يزال أمامه الكثير ليفعله.

لكنه في النهاية بشر، تقريباً، وفيما يزداد الضغط المريع حوله تبدأ البقع السوداء في الهيمنة على رؤيته، وجسده كله يتخدر تحت ثقل الماء.

لا يستطيع منع نفسه من تجرع ملء رثيته من المياه. كم تؤلمه، الملح في صدره حمض، وفي حلقه نار، ويظل الهواء عصي المنال. وفوق كل شيء -إنه قادر على تحمل البقية، لقد رأى ما هو أسوأ في حياته الطويلة المريعة- صار فجأة كل شيء أصعب من قدرة عقلانيته الحذرة المرتبة، التي لطالما كانت الوصية على عقل شافا حتى تلك اللحظة.

يهلع.

لا يجب أبدًا أن يهلع الوصاة. يعرف هذا، ولهذا أسباب وجيهة. لكنه يهلع رغم ذلك، يطوح أطرافه ويصرخ بينما يجذبه الظلام والبرودة. يريد أن يعيش، وتلك أول وأسوأ خطايا من هم مثله.

فجأة، ينقشع رعبه. هذا نذير شؤم. يُستبدل بالرعب بعد لحظة غضب ساحق يغلب كل ما عداه. يتوقف عن الصراخ ويرتجف من الغضب، لكنه حتى وهو يفعل يعلم جيدًا أن هذا ليس غضبه. لقد فتح بهلعه بابًا للخطر، والخطر الذي يخشاه أكثر من كل ما عداه عبّر بخطى واسعة ذاك الباب وكأنه صاحب المكان.

يقول له: لو أردت الحياة، اعتبرها عندك.

آه يا شر الأرض.

مزيد من العروض والوعود والاقتراحات والهدايا. يمكن أن يُعطى شافا القوة، قوة كافية لمحاربة التيار والوجع وفقر الأكسجين. يمكن أن يعيش... لكن مقابل ثمن.

لا، لا. إنه يعرف الثمن، الموت أفضل من دفعه. لكن العزم على الموت شيء، وتطبيق ذلك العزم وسط الموت الفعلي شيء آخر.

ثمة شيء يحترق في جمجمة شافا. هذا الحريق بارد، ليس كالنار في أنفه وحلقه وصدره. شيء هناك يستيقظ، يسخن، يستجمع نفسه، جاهز لتحطيم مقاومته.

«نحن نفعل ما علينا فعله»، هكذا يقول همس الغواية. إنه نفس المنطق الذي استخدمه شافا لنفسه مرارًا، على مر القرون، كي يبرر فعل فظائع لا حصر لها. على المرء فعل ما عليه فعله، في سبيل الواجب، في سبيل الحياة.

هذا يكفي. يتمكن منه الوجود البارد.

تملأ القوة أطرافه. وبعد نبضات قليلة للقلب المنتعش، التأمّت العظام المكسورة واستأنفت الأعضاء وظائفها العادية، لكن ببعض التعديلات نظرًا إلى نقص الأكسجين. يتلوى في المياه ويشرع في السباحة. يستشعر الاتجاه الذي يجب أن يتولاه، ليس إلى أعلى، لم يعد ذلك مهمًا، فجأة بات يجد الأكسجين في الماء الذي يتنفسه. إنه لا يمتلك خياشيم، لكن رغم ذلك بدأت حويصلات الهوائية تمتص هواءً من المياه أكثر مما ينبغي أن تفعل. غير أنه أكسجين قليل، لا يكفي لتغذية جسده بما يكفي. تموت الخلايا، خاصة في جزء معين من مخه، وهو، لرعبه، واعٍ بذلك. إنه واعٍ بالموت البطيء لكل ما يجعله شافا. لكن لا مفر من دفع الثمن.

إنه يقاوم بالطبع. يحاول الغضب دفعه إلى الأمام مع الإبقاء عليه تحت المياه، لكنه يعلم أن كل شيء يجعله شافا سيموت لو فعل. لذا يسبح إلى الأمام، لكن أيضًا إلى أعلى، مضيقًا عينيه عبر العتمة نحو النور. يستغرق هذا منه وقتًا طويلًا مميّتًا، لكن على الأقل بعض من

الغضب المعتمل فيه غضبه الخاص، حنق من أنه أُجبر على ما هو فيه، سخط على نفسه من إذعانه، وهذا يساعده على الاستمرار رغم التمثيل الذي بدأ يغزو يديه وقدميه. لكن...

يبلغ السطح، يخترقه، يركز في ألا يهلع بينما يتقيأ المياه، ويسعل مزيداً منها، وأخيراً يستنشق الهواء. يؤله ذلك كثيراً، لكن برغم ذلك، ومع أول نفس، يتوقف الموت. يحصل عقله وأطرافه على ما تحتاج إليه. لا تزال هناك بقع ترقط رؤيته، ولا يزال يحسّ بغيمة كريمة في مؤخرة رأسه، لكنه شافا. شافا. يتمسك بذلك، يتشبث بتلك الفكرة، ينبش مخالبه فيها، ويتنزع نفسه من البرد العاق. يا نار أعماق الأرض، إنه لا يزال شافا، ولن يسمح لنفسه بنسيان ذلك.

(بيد أنه يخسر فيما عدا ذلك الكثير. فلتفهمي أن شافا الذي عرفناه حتى الآن، شافا الذي تعلمت دامايا أن تحشاه وتعلمت سيانيت أن تتحداه، مات. من بقي هو رجل لديه عادة في الابتسام وذو غريزة أبوة ملتوية، وغضب ليس غضبه بالكامل سيتولى زمام كل ما سيفعله من الآن فصاعداً.

لعلك تأسين على الشافا الذي راح، من حقك أن تفعلي، فقد كان جزءاً منك ذات يوم).

يتابع السباحة. بعد سبع ساعات -هكذا هي القوة التي نالها مقابل خسارة ذكرياته- يرى القُمع الذي لا يزال يدخن من آليا في الأفق. تبعد آليا أكثر مما سوف يستغرقه للوصول إلى أقرب شاطئ، لكنه يغير مع ذلك اتجاهه ويسبح نحوها. سيجد مساعدة هناك، يعلم ذلك بشكل ما.

الوقت الآن بعد الغروب بكثير، والظلام تام. المياه باردة، وهو ظمآن ويتألم. لم تهاجمه أي من وحوش الأعماق لحسن الحظ. التهديد الحقيقي الوحيد الذي يواجهه هو إرادته الخاصة، وإن كانت سوف تنهار في معركته أمام البحر، أو أمام الغضب البارد الذي ينهش عقله. ولا يساعده افتقاره التام إلى الصحبة إلا من النجوم اللامبالية... والمسلة. يراها ما إن يلقي نظرة خلفه، جسم متذبذب بلا لون (الآن) يحوم تحت نجوم سماء الليل اللامعة. لا يبدو أبعد مما كان عندما لاحظته أول مرة من سطح السفينة، وتجاهله كي يركز في مهمته. كان حريًا به أن يركز أكثر، وأن يلاحظ إن كانت تقترب، وأن يتذكر أن حتى ذات أربعة خواتم يمكن أن تشكل تهديدًا تحت الظروف المناسبة، و...

يعبس، يتوقف للحظة ويطفو على ظهره (هذا خطر. بدأ التعب فجأة ينتشر فيه. حتى القوة التي تدعمه لها حدود). يحدق إلى المسلة. ذات أربعة خواتم؟ من؟ يحاول أن يتذكر. كان هناك شخص... مهم.

لا. إنه شافا، وهذا كل ما يهم. يتابع السباحة. مكتبة سر من قرأ قرب الفجر، يشعر برمل حصوي أسود تحت قدميه. يخرج من الماء متعثراً، غريباً عن نفسه وعن حركة أطرافه على الأرض، يكاد يزحف. تراجع الأمواج خلفه، ثمة شجرة أمامه، ينهار عند جذورها، وينخرط فيما يشبه النوم، وإن كان أقرب إلى غيبوبة.

عندما يستيقظ، يجد الشمس في السماء، وجسده ملتهب بكل أنواع الأوجاع؛ رثان ملتهبتان، أطراف متوجعة، أنين شروخ لم تلتئم في عظامه غير الرئيسية، حلق جاف، بشرة متشققة (وجرح آخر، عميق).

يتأوه، فيظلل شيء ما وجهه. «هل أنت بخير؟»، سأله صوت له نبرة خشنة جافة منخفضة، مثله.

يفتح جفنيه كما لو أنهما يتقشران، فيرى عجوزًا مقرفصًا إلى جواره. رجل ساحل شرقي، نحيل ومتآكل من عوامل التعرية، أكثر شعره الأبيض المتلوي قد ذهب إلا من هامش يحيط بمؤخرة رأسه. عندما ينظر شافا حوله يجد أنهما في كهف صغير تظله الأشجار. قارب الرجل العجوز راقد على الشاطئ غير بعيد عن هنا، تبرز منه صنارة صيد. أشجار الكهف كلها ميتة، والرمل تحت شافا مختلط بالرماد؛ إنها لا يزالان قريبان جدًا من آليا.

ما الذي جاء به إلى هنا؟ يتذكر أنه كان يسبح. لماذا كان في الماء؟ هذا الجزء تبخر.

يبدأ شافا: «أنا...»، ثم يختنق بلسانه الجاف المتورم. يساعده الرجل على الجلوس، ثم يقدم إليه قربة مفتوحة. لم تبد له المياه ذات الطعم الجلدي المائلة إلى الملوحة بهذه الروعة من قبل قط. يسحب الرجل منه القربة بعد رشقات قليلة، وهي حصافة منه يدركها شافا جيدًا، لكنه مع ذلك يئن ويطلب القربة. عدا أنه يفعلها مرة واحدة، لا يزال قويًا بما يكفي لئلا يتوسل.

(الخواء في داخله ليس من العطش فقط).

يحاول أن يركز: «أنا»، الكلام هذه المرة أيسر، «أنا... لا أعرف إن كنت بخير».

«أغرقت سفيتتك؟»، يشرئب العجوز لينظر حوله. تظهر بوضوح

في الأفق القريب سلسلة التلوات الصخرية الحادة التي رفعتها سيانيت من جزيرة القراصنة، على امتداد الطريق حتى القارة. «أكنت هناك؟ ماذا كان ذلك؟ هزة من نوع ما؟».

يبدو له جهل الرجل شبه مستحيل، لكن شافا لطالما دُهِش من قلة معرفة الناس البسيطة العادية عن العالم. (لَطالما؟ لَطالما دُهِش؟ فعلاً؟). يقول: «روچا»، وقد منعه إنهاكه من نطق الكلمة غير البذيئة ذات المقاطع الثلاثة التي تصفهم. وهذا يكفي. وجه العجوز يتجمد.

«يا وحوش قاع الأرض القذرة! لهذا يجب إغراقهم في المهد». يهزّ رأسه ويركز في شافا، «أنت أضخم من أن أستطيع حملك، وستألم إن سحبتك على الأرض. أظن أنك قادر على القيام؟».

يتمكن شافا، بمساعدة العجوز، من النهوض والمشي مترنحاً نحو القارب. يجلس مرتعشاً في مقدمة القارب بينما يجدف العجوز مبتعداً عن الكهف، متجهاً إلى الجنوب بمحاذاة الساحل. بعض من ارتجافه يرجع إلى البرد - لا تزال ملابسه من الناحية التي كان ممدّداً عليها مبتلة - وبعضه من الصدمة المتلكئة، ولكن بعضه من شيء مختلف تماماً.

(دامايا! يتذكر هذا الاسم بمجهود خارق، ومعه صورة انطباعية: طفلة أوسطية ضئيلة مذعورة مركبة فوق امرأة أوسطية جريئة. في عينيها حب وذعر، وفي قلبه أسى. لقد آذاها. يحتاج إلى البحث عنها. لكنه عندما يتوجه إلى عقله بحثاً عن معنى ذلك، لا يجد إلا الخواء. لقد ذهب، مع كل شيء آخر).

لا يتوقف العجوز عن الثرثرة طوال الرحلة. إنه ليتز شديد مثير،

وميتير هي قرية صيد صغيرة جنوب آليا بأميال قليلة. كان سكان القرية يتجادلون إن كان عليهم الرحيل بعد الكارثة التي حلت بآليا، لكن البركان خمد مرة واحدة. لعل الأرض الشرير لا ينوي القضاء عليهم، أو ليس الآن على الأقل. عند الرجل ابنان، أحدهما غبي والآخر أناني، وثلاثة أحفاد من الابن الغبي، عساهم ألا يكونوا مثله. لا تملك أسرته الكثير، إن ميتير ليست أكثر من كومونة ساحلية أخرى، لا يمكنهم حتى أن يتحملوا تكاليف بناء سور مناسب بدلًا من حفنة الأشجار والعصي التي لديهم، لكن على الناس فعل ما على الناس فعله، أنت تعرف كيف تسير هذه الأمور. لا تقلق، سيعتني بك الجميع كما ينبغي.

(يسأله الرجل وسط ثرثرته: ما اسمك؟ فيجيبه. يسأله الرجل عن بقية اسمه، لكن شافا ليس لديه سوى اسم واحد. وردًا على سؤال ماذا كنت تفعل هناك؟ يتشاءب الصمت بداخله).

القرية نفسها مكان خطير إلى حد بعيد، نصفها على اليابسة ونصفها في الماء، منازل في قوارب ومنازل على ركائز فوق الماء، تربط بينهم الأرصفة والمرافق. يتجمهر الناس حول شافا بينما يعينه ليتز على النزول إلى المرفأ. تلمسه الأيدي فيجفل، لكنها أيادٍ تقصد العون. ليس ذنبهم أن بهم أقل القليل مما يحتاجه إلى حد يجعل للمسათهم وقعًا خاطئًا عليه. يدفعونه، يرشدونه. يوضع تحت دش من المياه النقية الباردة، ثم يوضع في سروال قصير وقميص بلا أكمام منزلي الصنع. عندما يرفع شعره بينما يغسلونه، يتعجبون من الندبة على مؤخرة عنقه، أثر الخياطة السميكة يختفي بعد خط شعره (يندهش منها هو نفسه). يتعجبون أيضًا

من ملابسه التي بهتت من الشمس والملح حتى فقدت كل ألوانها تقريبًا، تبدو بين البني والرمادي (يتذكر أنها يجب أن تكون خمرية، لكن لا يدري لماذا).

مزيد من الماء، ماء جيد، يشرب هذه المرة ملء بطنه. يأكل القليل، ثم ينام لساعات، والهمسات الغاضبة مستمرة في خلفية عقله.

عندما يستيقظ شافا يكون الوقت في أواخر الليل، وثمة ولد صغير يقف أمام سريره. فتيل المصباح كان قد خُفض إلى أدنى درجاته، لكن النور لا يزال كافيًا كي يرى شافا ملابسه القديمة، وقد غُسلت وجُففت، بين يدي الطفل. أخرج الولد أحد الجيوب إلى الخارج، وكان الجزء الوحيد من رداءه الذي احتفظ بشيء من لونه الأصلي: خمريًا.

يدفع نفسه للقيام مستندًا إلى أحد مرفقيه. ثمة شيء في هذا الولد... ربما. «أهلاً».

يشبه الولد ليتز كثيرًا، يحتاج فقط إلى بضعة عقود من التعرض للملح والشمس وخسارة بعض الشعر ليصبح توءمًا للعجوز. لكن في عين الولد أمل يائس لا يوجد لمثله مكان في وجه ليتز. ليتز يعرف مكانه في العالم، أما هذا الولد، الذي لعله في الحادية أو الثانية عشرة، أي كبير بما يكفي لتعترف به كومونته... به شيء في غير محله، وشافا يعتقد أنه يعرف ما به. يقول الولد حاملاً رداءه: «أهذا لك؟».

مكتبة

t.me/soramnqraa

«نعم».

«أنت وصي؟».

ذكرى تصعب اقتناصها. «ما هو الوصي؟».

يبدو الولد كما يشعر شافا، مرتبكا. يخطو خطوة نحو السرير، ويتوقف. (أقرب، أقرب). «يقولون إنك لا تتذكر شيئا. أنت محظوظ لأنك لا تزال حيا». يلحق الولد شفتيه، غير متيقن. «الوصاة هم... حراس...».

«حراس ماذا؟».

حل التشكك محل الذعر في الولد، فاقرب خطوة. «الأوروبيون. أقصد... إنهم يحرسون الناس منهم، كي لا يؤذون أحدا. وأنتم تحرسونهم من الناس أيضا، هكذا تقول الحكايات».

يحث نفسه كي يجلس، تاركاً رجليه تتدليان من فوق حافة الفراش. آلام إصاباته ذهبّت أو تكاد، جلده يتعافى بوتيرة أسرع من المعتاد بفضل القوة الغاضبة بداخله. غدا في الواقع يشعر بأنه في خير، باستثناء شيء واحد.

قال متأملا: «هل أنا فعلا أحرس الأوروبيين؟».

يضحك الولد قليلا، لكنها ابتسامة تبهت سريعا. إنه مذعور جدا لسبب ما، عدا أنه ليس مذعورا من شافا. يقول بخفوت: «يقتل الناس الأوروبيين عندما يجدونهم، إلا لو كانوا مع وصي».

«فعلا؟»، يبدو ذلك فعلا غير حضاري. لكنه يتذكر سلسلة الأعمدة المدببة عبر المحيط، وقناعته التامة بأن ذلك كان فعلا أوروبينيا. قال ليتز: لهذا يجب إغراقهم في المهد.

يفكر شافا: فاتك واحد. ثم يقاوم الانفجار في ضحكة هستيرية. يقول الولد: «لا أريد أن أؤذي أحدا، وبدون تدريب قد... قد

أفعل ذات يوم. كدت أفعل شيئًا عندما كان البركان يثور. كم شئت عليّ المقاومة».

يقول شافا: «لو فعلت لقتلت نفسك وكثيرًا ممن حولك»، ثم يرمش، كيف له أن يعرف ذلك؟ «إن البقاع الساخنة أخطر من أن نحمدها بأمان». تتوقد عينا الولد، «ها أنت تعرف هذه الأمور»، يتقدم أكثر، ينخفض حتى يقرفص عند ركبة شافا، يهمس: «أرجوك، ساعدني، أعتقد أن أمي... لقد رأيتني عندما كان البركان ي... حاولت أن أبدو طبيعيًا ولم أفجح. أظنها تعرف، لو أنها قالت لجدي...»، يشهق فجأة، بحدة، وكأنه لا يجد الهواء. إنه يقاوم البكاء، لكن حركته تفضحه.

إن شافا يعرف ما يحسّ به الغارقون. يمد يده ويمررها على سحابة الشعر فوق رأس الولد، ينزل حتى مؤخرة عنقه، وتلكأ أصابعه هناك. يقول شافا: «ثمة شيء أحتاج إلى فعله»، لأن ثمة شيئًا يحتاج إلى فعله. إن الغضب الذي يهمس في داخله له هدف في نهاية المطاف، وهذا أصبح هدفه: اجمعهم، دربهم، اجعلهم أسلحة كما ينبغي أن يكونوا. «لو أني أخذتك معي، فسيكون علينا أن نسافر بعيدًا عن هنا، لن ترى عائلتك مرة أخرى».

يحيد الولد ببصره، تغزو المرارة ملامحه. «سيقتلونني لو عرفوا». «صحيح». يضغط شافا، برفق شديد، ويسحب أول مقدار من... شيء ما... من الولد. ما هذا الشيء؟ لا يذكر له اسمًا، لعله بلا اسم. المهم أنه موجود، وأنه يحتاجه. يعلم بشكل ما أنه بهذا يستطيع التمسك أكثر بالأشلاء المتناثرة المتبقية من نفسه. ويسحب، الجرعة الأولى لها وقع

الماء الحلو البارد المفاجئ بعد جالونات الملح الحارق. يتوق إلى شرب المزيد، إلى شربه كله، يطلب بقيته بنفس العطش الذي طلب به قربة ليتز، غير أنه يرغب نفسه على التوقف لنفس السبب. يستطيع أن يتحمل بما لديه الآن، ولو صبر، فسيجد لدى الولد المزيد لاحقًا.

جيد. يستطيع التفكير بوضوح رغم الهمسات الآن. إنه في حاجة إلى هذا الولد، ويحتاج إلى من هم مثله. عليه أن يخرج ويبحث عنهم، وبمساعدهم، يستطيع الوصول إلى...

... إلى ...

... طيب. لم ينجلِ الحجاب عن كل شيء، بعض الأشياء لن تعود أبدًا، عليه أن يتعايش.

يحاول الولد استقراء وجهه. بينما كان شافا يحاول استجماع شظايا هويته، كان الولد يصارع مستقبله. لقد صُنعا من أجل بعضهما. يقول الولد: «سأذهب معك»، يبدو أنه حسب طوال الدقيقة المنقضية أن لديه خيارًا، «إلى أي مكان. لا أريد أن أؤذي أحدًا، ولا أريد أن أموت».

ولأول مرة منذ لحظة بعينها على سفينة قبل عدة أيام، عندما كان شخصًا آخر، يتنسم شافا. يربت رأس الولد مجددًا. «إن روحك طيبة. سأساعدك قدر ما أستطيع». يتلاشى توتر الولد فورًا، وتبتل عيناه بالدموع. «اذهب واجمع متاعك كي نسافر، وأنا سأحدث مع والديك».

خرجت تلك الكلمات من فمه على نحو طبيعي، سهل. لقد قال مثلها من قبل، وإن كان لا يذكر متى، لكنه يذكر أن الأمور لا تمضي كل مرة على ما يرام مثلما يقول.

يهمس الفتى شاكراً، يقبض على ركبة شافا ويحاول أن ينقل له شكره باحتضانها، ثم يجنب مبتعداً. يدفع شافا نفسه للنهوض ببطء على قدميه. ترك الفتى زيه الرسمي الباهت خلفه، فيلتقطه. أصابعه تعرف كيف يجب أن يرتديه. كان يجب أن تكون هناك حرملة أيضاً، لكنها ضاعت، لا يستطيع تذكر أين. عندما يخطو إلى الأمام تلتقط عيناه مرآة في جانب الغرفة، يتوقف عندها. يقشعر، لكن ليس من النشوة هذه المرة.

هذا خطأ، خطأ تماماً. شعره يتدلى ضامراً جافاً بعدما أفسدته الشمس والملح؛ كان يجب أن يكون أسود لامعاً، لكنه باهت واهن محروق. رداؤه واسع عليه، لقد فقد جزءاً ضخماً من مادة جسده وقوداً لسباحته نحو الشاطئ. ألوان زيه خاطئة ولا تشير على أي نحو إلى من كان من قبل، ومن يجب أن يكون. وعيناه...

يا شر الأرض. يحدق إلى عينيه البيضاء كما الثلج تقريباً. لم يحسب أنها بهذا الشكل.

ألواح الأرضية تئن قرب الباب، فتلتفت عيناه الغريبتان إلى تلك الناحية. تقف أم الولد هناك، ترمش في ضوء المصباح الذي تحمله. تقول: «شافا؟ حسبت أنني سمعتك، وسمعت إيتز أيضاً؟».

هذا لا بد أنه اسم الولد. «لقد جاء لي بهذا»، ويلمس شافا ملابسه.

تلج المرأة الغرفة، تقول: «آها. يبدو الآن بعدما عُصر وجفف زياً رسمياً».

شافا يومئ. «لقد عرفت شيئاً جديداً عن نفسي. أنا وصي».

عينها تتسعان. «فعلاً؟»، في نظرتها ريبة، «وهل أزعجك إيتز؟». يتسم كي يطمئنها: «لا إزعاج أبداً». لسبب ما يختلج وجه المرأة ويزداد تجهماً. آه، لقد نسي أيضاً كيف يفتن الناس. يستدير كي يواجهها، فتراجع خطوة مع اقترابه. يتوقف، مستغرباً خوفها. «وهو أيضاً عرف شيئاً جديداً عن نفسه. سأخذه ونذهب».

تتسع عينا المرأة. فمها يتلوى في صمت للحظة، ثم تتحكم في فكها. «كنت متأكدة».

«فعلاً؟».

«أنا لا أرغب في ذلك»، تزدرد لعابها، تضيق قبضتها، وشعلة المصباح الصغير في يدها تتراقص بالمشاعر التي تعتمل داخلها. «لا تأخذه أرجوك».

يميل شافا رأسه: «لم لا؟».

«هذا سيقتل أباه».

«ولن يقتل جده؟»، يأخذ شافا خطوة أخرى (أقرب)، «ولا أعمامه وأخواله وأبناءهم؟ ولا أنت؟».

تختلج من جديد. «أنا... لا أعرف كيف أشعر بالضبط الآن». تهزّ رأسها.

يقول شافا برفق: «يا لك من مسكينة». هذا التعاطف أيضاً تلقائي، يشعر بالأسى في أعماقه، «لكن هل ستحمينه منهم لو لم آخذه معي؟».

«ماذا؟»، تنظر إلى شافا متفاجئة ومنتبهة. هل لم يخطر هذا لها فعلاً؟

على الأرجح لا. «أحمب...ه؟»، يفهم من سؤالها أنها غير مؤهلة لتلك المهمة.

هكذا يتنهد ويمد يده وكأنه سيضعها على كتفها، ويهزّ رأسه وكأنها يبيدي أسفه. ترتخي قليلاً فلا تلاحظ يده التي تسللت حول رقبتها. تستقر أصابعه في مكان بعينه فتتيسر فوراً. «ماذ...»، ثم تقع ميتة.

يرمش شافا وهو يراها تقع. يرتبك للحظة؛ أهذا ما كان ينبغي أن يحدث؟ ثم عندها، تنتعش أفكاره أكثر من جرعة الشيء الذي حصل عليه منها، قدر قليل جداً مقارنة بما يملكه إيتز. يمكن أخذ هذا الشيء بأمان فقط من الأوروبيين، الذين لديهم منه وفرة ومزيد. لا بد أنها كانت راكدة. لكن شافا يشعر بتحسن. في الواقع...

يهمس الغضب المعتمل في عقله: خذ المزيد، خذ الآخرين أيضاً، إنهم تهديد للولد، أي تهديد لك.
نعم، كلام سليم.

هكذا ينهض شافا ويمشي في البيت المعتم الساكن، يلمس كلاً من أفراد أسرة إيتز مفترساً جزءاً من كل منهم. أكثرهم لا يستيقظون. الابن الغبي يعطيه أكثر من البقية، إنه شبه أوروبي (أي شبه وصي). ليتز أقل من يعطيه، ربما لأنه عجوز، أو لأنه صاحٍ ويقاوم يد شافا التي تكتم فمه وأنفه. يحاول طعن شافا بسكين سمك سحبها من تحت وسادته. كم يؤسفه أن يضطر الرجل إلى المعاناة من كل هذا الخوف. يلوي شافا رأس ليتز بحدة ليصل إلى مؤخرة رقبته، يتردد صوت كسر عندما يفعل، ولا يلاحظه شافا إلا عندما يهدأ سريان الشيء القادم من ليتز ويموت. آخ،

يتذكر شافا متأخرًا أن خدعته لا تفلح مع الموتى، عليه أن يتوخى الحذر أكثر مستقبلًا.

لكنه بعدما سكن أخيرًا الشيء المشدود بداخله أمسى يشعر بتحسن غامر. صار يشعر... ليس بالكمال، لن يشعر بهذا مجددًا أبدًا، لكن عندما يكون داخله كل هذا الوجود الأجنبي، استعادة أي قدر ولو نذير من الأرض المستعمرة يظل نعمة.

يغمغم: «أنا شافا وصي... وارانتي؟»، ويرمش عندما تخطر له آخر كلمة. ما هي كومونة وارانتي؟ لا يستطيع أن يتذكر. لكنه مع ذلك ممتن لاستعادة الاسم. «لم أفعل إلا ما هو ضروري، إلا ما هو في صالح العالم».

لل كلمات وقع سليم عليه. نعم. إنه يحتاج أن يكون له هدف، هدف يمسك الآن بزمام القيادة في مخه، غريب أنه كان يفتقر إليه من قبل، أما الآن؟ «صار عندي ما ينبغي فعله».

يجده إيتز في غرفة المعيشة. الولد لاهث، متحمس، يحمل حقيبة صغيرة. «سمعتك تتحدث مع ماما. هل... هل أخبرتها؟».

يقرفص شافا ليواجه الولد عينًا بعين، ويمسكه بكتفيه. «نعم، وقالت إنها لا تعلم بماذا تشعر الآن، ولم تنطق بعدها حرفًا».

يتجعد وجه إيتز. يرمي بصره نحو الممر الذي يقود إلى غرف الكبار بالبيت، كل من على الناحية الأخرى من الممر موتى. الأبواب مغلقة وهادئة. لكن شافا ترك أبناء أحوال وأعمام إيتز أحياء، لأنه ليس وحشًا بالكامل.

يسأل إيتز بخفوت: «أفي وسعي توديعها؟».

يقول شافا: «أظن أن في هذا خطرًا»، ويعني ما قال. إنه لا يرغب في أن يضطر إلى قتل الولد بعد، «من الأفضل أن تتم هذه الأمور بنظافة، هيا، أنا معك الآن، ولن أتركك أبدًا».

ينظر إليه الولد ويرمش، ويعتدل قليلًا، ثم يومئ مرتجفًا. يفترض أنه أكبر من أن تؤثر فيه مثل تلك الكلمات كما فعلت، لكن شافا يظن أن كلماته أثرت في إيتز لأنه قضى الشهور المنصرمة في رعب مقيم من أسرته. لا شيء أسهل من التلاعب بعقل في تلك الحالة من الوحدة والرعب، بل إنه حتى لم يكذب عليه.

يتركان البيت نصف الميت خلفهما. يعرف شافا أن عليه أخذ الفتى إلى... مكان ما. مكان ذو جدران سبجية وقضبان مذهبة، مكان سيهلك في الكارثة بعد عشرة أعوام، لذا لعل من الأفضل أنه متضرر إلى حد يمنعه من تذكر موقعه. والغضب الكامن فيه على أية حال يبدأ في توجيهه إلى مكان آخر، مكان في الجنوب، حيث ثمة ما يفعله هناك.

يضع يده على كتف إيتز ليطمئنه، أو ربما ليطمئن نفسه. ومعًا، يغيبان في ظلمة ما قبل الفجر.

لا تنخدع بالظاهر. إن الوصاة أقدم حتى من السانزا القديمة، ولا تحسبنهم يعملون لصالحنا.

آخر الكلمات المسجلة للإمبراطور موتشاتي، قبل إعدامه.

أنت، أمام التحدي

أنت منهكة بعد استدعاء المسلة. عندما تعودين إلى شقتك وتمددتين لنصف دقيقة على البالطة الخشبية العارية التي جاءت مع الشقة، تروحين في النوم قبل حتى أن تدركي أنك تفعلين. في قلب الليل -أو هذا ما يخبرك به جسدك، رغم توهج الجدران الذي لا يتغير- تنفتح عيناك فجأة، وكأن لم تمر إلا لحظة. لكن هوّا متكور إلى جوارك، يبدو أنه نائم فعلاً هذه المرة، وتسمعين غطيظ تونكي الخافت من الغرفة المجاورة. شعورك أفضل بكثير من ذي قبل، باستثناء الجوع. لقد نلت كفايتك من الراحة لأول مرة منذ أسابيع تقريباً.

يدفعك الجوع إلى النهوض والذهاب إلى غرفة المعيشة. يوجد على المائدة كيس من خيوط القنب، لا بد أن تونكي هي من استلمته، مفتوح جزئياً على نحو يكشف عن محتوياته من الفطر وكومة صغيرة من الفاصوليا المجففة وغيرها من طعام الأحرار. هذا صحيح، يحقّ لكم الآن كأعضاء مقبولين في كاستريما الحصول على نصيب من مخازن الكومونة. ليس من بين هذه الأشياء ما يمكنك تناوله كوجبة خفيفة،

باستثناء الفطر، لكنك لم ترين مثله من قبل، وبعض أنواع الفطر يجب أن تُطهى كي تصبح قابلة للأكل. يسيل لعابك، لكن... هل كاستريما تبدو مثل كومونة تعطي القادمين الجدد أنواع طعام خطيرة دون أن تحذرهم؟

همم. طيب. تحضرين مخللة هروبك، وتبحثين فيها عن بقايا المؤونة التي جئت بها إلى كاستريما، وترتجلين وجبة من البرتقال المجفف وكسرات خبز الرماد، وقطعة لحم مجفف سيئة الطعم حصلت عليها من مقايضة في آخر كومونة مررت بها، والتي تشكين أنها من لحم فئران أنابيب المياه. كل ما يُغذي هو طعام، هكذا يقول القوالون.

بينما تمضغن اللحم وتجلسين بذهن ناعس شارد في كيف أن مجرد استدعاء مسلة استغرق منك كل هذا الجهد -وكأن أي شيء يتعلق بالمسلات يمكن وصفه بكلمة «مجرد»- تتبهين فجأة على صرير حاد يتردد بإيقاع في الخارج. تتجاهلينه فوراً، إن لا شيء في هذه الكومونة له معنى، وعلى الأرجح ستحتاجين إلى أسابيع وربما شهور حتى تعتادي على أصواتها الغريبة (شهور؟ أتخليت عن ناسون بهذه السهولة؟). هكذا تتجاهلين الصوت حتى وهو يعلو ويقترّب، وتتابعين التثاؤب، وكنت على وشك العودة إلى النوم عندما يتضح لك متأخراً أن ما كنت تسمعيه كان صراخاً.

تتجهين بوجه عابس إلى مدخل الشقة وتفتحين الستار. إنك لست قلقة قلقاً خاصاً، سسبينتك لم تختلج حتى. وعلى كل حال لو حلت بكاستريما السفلية أية هزة، سيموت الجميع مهما تكن السرعة التي

يغادرون بها بيوتهم. في الخارج ثمة الكثير ممن يسعون في شؤونهم. تمر امرأة بحذاء بابك وهي تحمل سلة من نفس نوع الفطر الذي كدت تأكلينه، وتومئ نحوك بشرود عندما تخرجين، ثم تكاد توقع حملتها بينما تحاول أن تلتفت نحو مصدر الضجة وتوشك أن تصطدم برجل يدفع سلة مغطاة ذات عجل تنقل حمولة شديدة التثانة، على الأرجح من المراحيض. إن كومونة مثل كاستريما بلا دورة نهار وليل فعالة لا تنام أبدًا، وأنت عرفت أن يومهم من ست نوبات عمل لا ثلاثة كالعادة، ذلك لأنك كُلفت بنوبة. لن تبدأ نوبتك قبل منتصف اليوم -أو دقة الجرس الثانية عشرة مثلما يقول الكاستريميون- سيتوجب عليك حينئذٍ البحث عن امرأة اسمها أرتيث ناحية القرن.

ولا شيء من هذا كله يهم الآن، لأنك ترين عبر متاهة كريستالات كاستريما فم النفق المستطيل الكبير الذي يقوم بدور مدخل الجيود، يركض عبره تجمع صغير من الناس وهم يحملون شخصًا يصرخ، هو مصدر كل هذه الضجة.

حتى حينها تراودك الرغبة في تجاهل كل هذا والعودة إلى النوم. إننا في الموسم، والناس في الموسم تموت، ولا حيلة لنا في ذلك. بل إنهم حتى ليسوا قومك، وليس هناك ما يدعوك إلى الاهتمام.

ثم يصيح أحدهم: «لرنا!!»، في صوته هلع يجعلك ترتجفين. ترين من شرفتك الكريستالة الرمادية القصيرة التي تحتوي شقة لرنا، تقع على بعد ثلاثة كريستالات من كريستالتك وتقصر عنها قليلًا. ينفتح ستار بابه بحدة ويخرج منها متعجلًا، يستكمل ارتداء قميصه وهو يركض

نازلاً أقرب سلم. يتجه إلى العيادة، حيث يبدو على الجمهرة الراكضة في الأسفل أنهم ذاهبون.

لسبب لا تستطيعين تحديده، ترمين عينك نحو مدخل شقتك. تونكي، التي تنام مثل الخشب المتحجر لم تخرج، لكن هواء هناك، يراقبك ساكنًا كتمثال. ثمة شيء في محياه يجعلك تتجهمين. إنه على ما يبدو عاجز عن اتخاذ تعبيرات الوجه الصخرية مثل بني جلدته، ربما لأنه ليس لديه وجه حجري حقيقي. مع ذلك، أول تفسير يراودك لتعبيره هو... الشفقة.

في اللحظة التالية تصبحين خارج شقتك، تصلين إلى المستوى الأرضي قبل حتى أن تفكري في فعل ذلك (تفكرين وأنت تركضين: الشفقة المتخفية في وجه أكل صخر أثارتك مثلما لم تفعل صرخات الناس. يا لك من وحش مفترس). إن كاستريها متاهة مربكة مثلما هي عادة، لكن اندفاعك هذه المرة يرشده التدافع الحثيث للراكضين على الجسور والسلام لمثلك في اتجاه مكنن المشكلة، فتتركين نفسك للتيار.

تجدين لدى بلوغك العيادة جمعًا صغيرًا احتشد حولها، أكثرهم قد جاء بدافع الفضول أو الاهتمام أو القلق. كان لِرنا والجماعة التي تحمل المصاب قد غابوا في الداخل، والصرير المربع أمسى واضحًا على حقيقته: عويل يمزق الحناجر لرجل في ألم مروع، ألم يفوق التحمل، وإن كان مع ذلك مرغما على تحمله.

دفعك للناس كي تتقدمي وتدخل العيادة ليس عن عمد. إنك لا تعرفين شيئًا عن الاعتناء بالجرحى... لكنك تعرفين الوجد. غير أن الناس، لدهشتك، ينظرون إليك في انزعاج، ثم يرمشون ويفسحون لك

الطريق. تلاحظين أن من ينظر إليك بحياد يجد من يسحبه جانباً ويهمس له في أذنه بشيء ما، فتتسع عيناه. يبدو أنك محور حديث كاستريما.

ثم تصبحين في العيادة. تكادين تقعين على وجهك من امرأة سانزية تركض بسرعة وهي تحمل محقناً ما في يدها. لا يبدو ذلك تصرفاً آمناً. تتبعينها حتى سرير بالعيادة يتشارك حوله ستة أشخاص في تثبيت رجل يصرخ. تنظرين إلى وجه الرجل عندما ينقلب إلى ناحيتك، ليس وجهها تعرفينه، رجل أوسطي عادي، يظهر من طبقة الرماد على بشرته وملابسه أنه كان على السطح. المرأة ذات المحقن تدفع شخصاً آخر بكتفها وتفرغ في الرجل محتويات المحقن. بعد لحظات يرتجف الرجل ويبدأ فمه ينغلق. رويداً رويداً يموت صراخه. ينتفض مرة أخيرة، انتفاضة هائلة حتى أنها تنتقل إلى من يشبثونه، ثم أخيراً يفقد الوعي.

يكاد صدى الصمت يتردد. يستمر لِرنا والمعالجة السانزية في الحركة، بينما يتراجع من كانوا يشبثونه وهم يتبادلون النظرات، وكأنما يسألون بعضهم ماذا نفعل الآن. في الارتباك الصامت الجديد، لا يسعك ألا تنظري نحو النهاية البعيدة للعيادة، حيث يجلس ألابستر لا يلاحظه أحد من ضيوف المكان الجدد. آكلة صخره تقف حيث رأيتها آخر مرة، عدا أن نظرها مثبت على المشهد. تبصرين وجه ألابستر عبر الأسرة، تنزلق عيناه حتى تقابلا عينيك، لكنهما تحيدان عنهما بسرعة.

يشدّ الرجل على السرير انتباهك من جديد حالما يتراجع من حوله. لا تميزين في البداية أين تكمن المشكلة، باستثناء أن بنطاله يبدو مبتلاً بللاً غريباً في بعض الأماكن المعجونة بالطين الرمادي. البلب ليس أحمر، ليس

دماً، وهناك رائحة يصعب عليك وصفها؛ مثل لحم مملح، مثل دهن ساخن. إنه بلا حذاء، قدماء العاريتان لا تزالان تتشنجان قليلاً، أصابع قدميه المتصلبة لا تكاد ترتخي حتى وهو غائب عن الوعي. يقصّ لِرنا قماش بنطاله. أول ما تلاحظينه وهو يقشر القماش المبتل عنه، هو أجسام نصف كروية زرقاء ترقط بشرة الرجل الخارجية هنا وهناك، قطر كل منها بوصتان تقريباً وارتفاعها حوالي بوصة، لامعة، وغريبة عن لحمه. ثمة حوالي عشرة أو خمسة عشر منها، يستقر كل منها على بقعة من لحمه لونها بين البني والوردي، وتغطي حوالي شبر من ساق الرجل. تظنين في البداية أن تلك الكتل أحجار كريمة، أو هكذا تبدو لك، معدنية الهيئة وزرقاء، وجميلة.

يقول أحدهم بصوت خافت من الصدمة: «اللعة»، ويقول آخر: «يا للصدأ». يدخل شخص آخر العيادة خلفك بعد جدال محدود مع أحد الذين يسدّون المدخل؛ تدخل إيّكاً حتى تقف إلى جوارك، تنظرين إليها، تجحظ عيناها من الارتباك والاشمئزاز للحظة، قبل أن تتحكم في محياها وتعيده إلى الحياد. ثم تقول بحدة كافية لإفزع المحققين في الرجل: «ماذا حدث؟».

(تلاحظين، متأخراً أو ربما في الوقت المناسب، أن ثمة آكلة صخر أخرى في الغرفة، غير بعيدة عن المشهد. تعرفينها، إنها ذات الشعر الأحمر التي كانت مع إيّكاً عندما جئت كاستريما أول مرة. إنها تراقب إيّكاً بشغف، لكن نظرتها تنجرف للحظة نحوك أيضاً. تدركين فجأة أن هوّا لم يتبعك عندما خرجت من الشقة).

يقول رجل أوسطي آخر مغطى بالرماد لإيكا: «نحن دورية الحدود الخارجية». إنه أكثر ضالة من أن يكون من الأشداء، لعله أحد الصيادين الجدد. يتقدم من بين المجموعة المحيطة بالفراش ويركز نظره في إيكا، وكأنها كل ما يمنعه من التحديق إلى الرجل المصاب حتى يفقد عقله. «كنا في الخارج عند مح...محجر الملح. كانت هناك حفرة بالقرب من الجدول. بيليد... لا أعرف ماذا حدث له، لقد راح. في البداية سمعت صراخهما هما الاثنين، لكنني لم أعرف السبب، كنت عند أول الجدول أتعقب أثر حيوان ما. عندما وصلت لم أجد إلا ترتيس يحاول أن يتسلق خروجًا من الرماد. ساعدته على الخروج، لكن هذه الأشياء كانت عليه بالفعل، وبعضها لا يزال يتسلق حذاءه ما جعلني أضطر إلى نزعه عنه...».

فحيح غاضب يجذب انتباهك عن الرجل. لِرنا يهز يديه بعنف، بأصابع مفرودة متصلبة وكأنها مصابة. يقول لرجل آخر: «أعطني الملقاط الصدي!»، فيتنفض الرجل ويذهب كي يجلب له ما أراد. إنك لم تسمعي لِرنا يسبّ من قبل قط.

تقول المرأة السانزية التي حقنت الرجل: «لعلها حروق غليان من نوع ما»، صوتها كما لو أنها لا تصدق ما تقول، تتحدث إلى لِرنا وكأنها تحاول إقناعه لا إقناع نفسه (ولِرنا يتابع بتجهم تحسس حواف إصابته بيده السليمة، ويتجاهلها)، «لا بد أنها كذلك. أعتقد أنه وقع في فتحة تنفيس بخار أو نبع ماء حار، أو حتى أنبوب مولد أرضي صدي»، ما يجعل وجود تلك الأحجار صدفة.

«... وإلا كانت ستصيني أيضًا»، لا يزال الصياد الآخر يتابع الحديث بصوت أجوف، «حسبت أن الحفرة لا تعدو كومة رماد، لكن اتضح أنها... لا أعرف، شيء مثل عش النمل»، يزدرد الصياد لعبابه، «لم أستطع إزالة بقيتها عنه، فجلبته هنا».

تضغط إيكًا شفيتها، ثم تشمر عن ساعديها وتتقدم إلى الأمام، تراحم بقية المصدومين الموجودين حوله. تصيح: «من لا ينوي المساعدة فليفسح الطريق الصديق الآن». يبدأ بعض المحتشدين يشدون بعضهم عن الطريق. يحاول أحدهم انتزاع أحد تلك الأشياء الحجرية، ثم ينفض يده بسرعة صارخًا مثل لِرنا.

ثم يحدث شيء، تتفرض قطعتان من تلك الأشياء الزرقاء إلى أعلى ثم تعودان فتتشبثان في مكانها. عندها تدركين فجأة أن هذه ليست أحجارًا كريمة، بل حشرات. نوع من الخنافس، وغلافها اللامع درع من نوع ما. في اللحظة التي فردت فيها أجنحتها رأيت ما أسفل هذا الدرع، جسدها شفاف، وفي داخله شيء يفور ويغلي، في وسعك سسبنة حرارته حتى من مكانك، حار وكأنه يغلي. ومن حولها يتصاعد الدخان من لحم الرجل.

يمنح أحدهم لِرنا ملقاطًا، فيحاول لِرنا أن ينزع به أحد الحشرات. يرتفع جناحها مجددًا، ثم تبصق خيطًا رقيقًا من شيء ما على أصابع لِرنا. يصرخ ويقفز إلى الخلف ويقع منه الملقاط. يقول أحدهم: «حمض!». يمسك أحدهم بيد لِرنا ويحاول أن يمسح تلك الأشياء عنه بسرعة، لكنك تعلمين كنهها قبل أن يقول لِرنا بين شهقاته: «لا، إنها مجرد مياه، مياه ملتهبة».

يقول الصياد الآخر متأخرًا: «احذر». تلاحظين أن يده تحمل علامة اللسع، وتلاحظين أيضًا أنه لا ينظر نحو مائدة الفحص ولا الناس حولها، المشهد أبشع من أن تُحتمل رؤيته. تلك الحشرات الصدئة تغلي الرجل حتى يكاد يموت. لكنك عندما تشيحين ببصرك، تجددين الألبستر يراقبك مرة أخرى، الألبستر الذي هو نفسه مغطى بالحروق، والذي كان ينبغي أن يموت. كيف لأحد كان يقف عند البؤرة الزلزالية لفتحة صدع بطول القارة، ولا تصيبه إلا حروق من الدرجة الثالثة؟ كان ينبغي أن يتناثر رماده فوق شوارع يومينس الذائبة.

تدركين أنه يحدق فيك، وإن كان لا يبدو عليه أي اكتراث بعذاب رجل غيره بالحريق. تلك اللامبالاة مألوفة لك، إنها لامبالاة مرتكزية، لامبالاة نابعة من التعرض لخianات لا حصر لها، من خسارة كثير من الأصدقاء بلا سبب معقول، من شهادة الكثير من الفظائع التي هي «أبشع من أن تُحتمل رؤيتها».

ومع ذلك، نبضات أوروچينيته قوية قوة عاتية، دقيقة دقة الألماس، ومألوفة إلى حد أنك تضطرين إلى إغلاق عينيك محاولة مقاومة ذكريات سطح سفينة ما وطريق عالٍ ناء وجزيرة صخرية تضربها الرياح. نطاق القدرة الخارج عنه شديد الصغر، لا يكاد عرضه يبلغ البوصة، ورقيق جدًا حتى يشق عليك إيجاد مرتكزه الذي لا يزيد على رأس دبوس. إنه لا يزال أفضل منك.

ثم تشهقين، تفتحين عينيك فترين إحدى الحشرات ترتجف، يصدر عنها هسيسٌ مثل براد شاي حي، ثم تتجمد. أطراف الحشرة، التي كانت

متشبثة باللحم المغلي للرجل، ترتخي. لقد ماتت. لكنك بعدها تسمعين
أنيًا خافتًا، وتتلاشى الأوروجينية. تنظرين نحو الألبستر فتجدينه وقد
دلى رأسه وحنى ظهره. تقرص أنتموني بجواره ببطء بالغ، شيء ما في
هيئتها يوحي بالقلق حتى لو كان وجهها خاملاً كالعادة. آكلة الصخر
همراء الشعر - بسخط داخلي تقررين تسميتها ياقوتية الشعر مؤقتًا -
تحقق فيه أيضًا.

هذا ما في الأمر إذن. تنظرين إلى الرجل مجددًا، فتجدين لِرنا، يحدق
إلى الخنفساء المتجمدة بذهول. يرفع عينيه ويمشط بهما الغرفة، فيتعثر
بك. ترين التساؤل في عينه، وتبدئين في هزّ رأسك بمعنى: لا، لست من
جمد الحشرة. لكن هذا ليس السؤال المناسب، ولعله ليس أصلًا السؤال
الذي كان يسأله، إنه لا يريد أن يعرف إن كنت من فعل هذا، بل يحتاج
أن يعرف إن كان هذا في وسعك.

لِرنا، هَواء، ألبستر، يبدو أن اليوم عنوانه النظرات الصامتة ذات
المغزى.

عندما تركزين سسبيتك في الحشرات، تبدو لك مثل فتحات
حرارية أرضية. أجسامها الصغيرة تحتوي ضغطًا هائلًا محكومًا، بهذا
الضغط يستطيعون غلي المياه. ترفعين يدك نحو الرجل، مثل عادتك
القديمة كي يعرف الجميع أنك تفعلين شيئًا، تسمعين سبة وصوت
أقدام وأجساد تحتك وهي تتدافع كي تبتعد عنك، تبتعد عن أي نطاق
استهلاك قد يظهر. يا لهم من حمقى، ألا يعلمون أنك لا تحتاجين إلى
نطاق استهلاك إلا لو كنتِ تسحبين الطاقة من البيئة المحيطة؟ لدى تلك

الحشرات كل ما تحتاجينه، تكمن الصعوبة في حصر سحبك للطاقة بها وحدها، لا بلحم الرجل الملتهب تحتهم.

تقرب آكلة صخر إيكاً خطوة، لا ترين حركتها بل تسسبينها، تبدو لسسبيتك مثل جبل يتزحزح نحوك. ثم تتوقف يا قوتية الشعر فجأة عندما يقطع طريقها جبل آخر، هوّا، جامدًا، ساكنًا، باردًا. من أين جاء؟ لكن لا يسعك إهدار مزيد من الأفكار في تلك الكائنات الآن.

تبدئين ببطء، تستخدمين عينيك مع سسبيتك كي تحددي متى يجب أن تتوقفي بالضبط... لكن ألم يريك ألابستر طريقة فعلها؟ تحيكن نطاق قدرة من أجسادهم الصغيرة الملتهبة مثلما فعل، واحدة واحدة. بعضها تنشق وينكسر عندما تفعلين ذلك، وواحدة فرقت وطارت نحو جانب الغرفة (أفسح الناس طريقها أسرع حتى مما أفسحوا لك). وانتهى كل شيء.

يحدق الكل إليك، وأنت تنظرين إلى إيكّا. تلهئين، لأن تلك الدرجة من التركيز الدقيق أصعب بكثير جدًّا من تحريك الجبال.

«أهناك شيء يهتز؟».

ترمش إيكّا، تسسبن لتفهم ماذا تقصدين، ثم تقبض على ذراعك. هناك.. ماذا هناك؟ انعكاس، إعادة توجيه، مثلما تفعلين مع المسلات، عدا أن لا توجد أي مسلات، وأنت لست من تقومين بالتوجيه، وأن تلك أوروچينيتك. تسمعين فجأة شهقات الناس المتعجبة من خارج العيادة. إن العيادة مبنى عادي، ليس منحوت في أحد كريستالات الجيود الضخمة، وإضاءته تعتمد على مصابيح كهربية عادية. أما في الخارج،

فترين كريستالات الجيود عبر المدخل مفتوح الستار أكثر توهجًا في كل أرجاء الكومونة.

تحدثين في إيكا، فتومئ إليك إيماة زملاء المواطنين، وكأنك لديك أي فكرة عمّا فعلته حاليًا، أو أنك يجب أن تكوني مطمئنة لشيء فعله أوروچيني بري لا يستطيع فعله أوروچيني مرتكزي ذو خواتم. ثم تتقدم إيكا وتلتقط ملقاطًا آخر كي تساعد لِرنا الذي يجذب أحد الحشرات مرة أخرى رغم أصابعه المحترقة، لكن هذه المرة يستطيع انتزاعها. يخرج من لحم الرجل المغلي خرطوم الحشرة الذي يساوي طوله قطرها، و... لا تستطيعين التحمل أكثر من ذلك.

(تلمحين يا قوتية الشعر مرة أخرى بجانب عينك. تتجاهل هواء الواقف بينكما مثل تمثال، وتبتسم نحو إيكا، شفتاها منفرجتان قليلًا على نحو يسمح لك برؤية شيء من أسنانها اللامعة. تزيجينها من تفكيرك).

تراجعين إلى آخر العيادة، وتجلسين بجوار كومة وسائد ألابستر. لا يزال ألابستر محنيًا، يتنفس ككير الحداد، لكن آكلة صخره تقبض على كتفه بيد كالمِلزمة لتساعد ظهره على الانتصاب. تدركين متأخرًا أنه يحتضن جدعة أحد ذراعيه لصق بطنه، و... يا للأرض، الجزء الحجري الذي كان يغلف قمة رسغه الأيمن فقط من قبل أن أصبح الآن يغلف ساعده كله.

يرفع رأسه، يلمع العرق على وجهه، يبدو منهكًا وكأنه أخذ لتوّه بركانًا خارقًا آخر، لكنه على الأقل هذه المرة لا يزال واعيًا، وابتسم.

يتمتم: «لا زلت أنجب التلاميذ يا ساين، لكن ثمن الدروس أصبح، وصدأ الأرض، غاليًا».

تردد صدمة الفهم في داخلك كالصمت. لم يعد ألابستر قادرًا على الأوروجينية بعد الآن، على الأقل من دون... عواقب. تدفعك الغريزة إلى النظر إلى أنتيموني، وينقبض بطنك عندما تلاحظين أن نظرتها مثبتة على ذراعه الصخري الجديد، لكنها لا تتحرك. بعد لحظة يتمكن ألابستر من الاعتدال، ويرمي إلى أنتيموني نظرة ممتنة ليدها المساعدة. يقول برفق: «لاحقًا». تعلمين أنه يعني «يمكنك أن تأكلي ذراعي لاحقًا». تُغير من وضع يدها كي تدعمه من ظهره بدلًا من كتفه.

تراودك رغبة في دفعها جانبًا ودعمه بيدك بدلًا من يدها، رغبة شديدة القوة حتى أنك لا يعود في وسعك النظر إليهما أيضًا.

تنهضين، تتجاوزين كل من في العيادة حتى تخرجي منها، ثم تجلسين على الحافة المسطحة المنخفضة لكريستالة بالكاد بدأت تنمو من حائط الجيود. لا يزعجك أحد، لكنك تشعرين بضغط النظرات وتسمعين صدى الهمسات. ليس في نيتك إطالة البقاء، لكنك تفعلين، ولا تعلمين لذلك سببًا.

في النهاية يخيم على قدميك ظل. ترفعين عينك فتجدين لِرنا يقف أمامك، وراءه تمشي إيكا مبتعدة مع شخص آخر يحاول إقناعها بشيء وتبدو تتجاهله بغضب. أغلب الحشد قد تفرق أخيرًا، وإن كنت لا زلت ترين عبر الباب المفتوح أن العيادة مكتظة بأشخاص أكثر من المعتاد، لعلهم يزورون الصياد نصف المطهي المسكين.

لرنا لا ينظر إليك، بل يحدق إلى الحائط البعيد من الجيود الذي ضاعت ملامحه وسط وهج عشرات الكريستالات بينكم وبينه، ويدخن سيجارة. تعرفين كنه سيجارته من رائحتها ولون غلافها الخارجي المصفر، إنها ميلو. إن أوراق نبات الدرمنثر وبراعم زهوره لها تأثير مخدر قليلاً عند تجفيفها. يشتهر الجنوب أوسطيين بتدخين الميلو، هذا إن أمكن أن يشتهر الجنوب أوسطيين بأي شيء. رغم ذلك تفاجئك رؤيته يدخنها، إنه طيب، والميلو مضرّة.

تسألينه: «هل أنت بخير؟».

لا يجيبك في البداية، يدخن نفساً عميقاً. تحسببنيه لن يرد لكنه يقول: «سأقتله عندما أعود إلى الداخل».

ثم تفهمين. اخترقت لسعات الحشرات جلد الرجل وعضلاته، ربما بلغت حتى عظامه. لو كان هناك طاقم من الأطباء اليوميّسين وأدوية من أفضل الأنواع، لربما كان من الممكن الحفاظ على حياته حتى يتعافى، وحتى مع ذلك قد لا يمشي مرة أخرى. أما مع المعدات والأدوية القليلة المتوفرة في كاستريا، أفضل ما قد يستطيع لرنا فعله له هو البتر. قد ينجو الرجل من ذلك، لكن هذا وقت موسم، وعلى كل من في أي كومونة أن يثبت استحقاقه للنجاة من الرماد والبرد. قليلة هي الكومونات التي قد تستفيد من صياد برجل واحدة، وهذه الكومونة تأوي بالفعل شخصاً محروقاً بلا فائدة.

(إيكّا تمشي مبتعدة متجاهلة رجلاً يجادلها بحماسٍ من يدافع عن حياة).

لِرنا إذن ليس في أفضل حال. تقررین تغییر الموضوع قليلًا. «لم أرَ مثل تلك الحشرات من قبل قط».

يقول: «يسميتها السكان المحليون الغلايات، وإن كان أحد لم يعلم سبب تسميتها قبل الآن. تتكاثر تلك الحشرات حول الجداول، وتحمل المياه في داخلها. إن الحيوانات تأكلها عند الجفاف، وهي في الغالب آكلة جيفة، عديمة الأذى». ينفض لِرنا الرماد عن ساعده، إنه لا يرتدي إلا قميصًا واسعًا عديم الأكمام نظرًا إلى دفء كاستريما. بشرة ساعديه مبقعة بـ... شيء ما. تشيحين ببصرك. يتابع: «لكن لا شيء يبقى على حاله في الموسم».

بالتأكيد. لعل الجثث المغلية تدوم أكثر.

يضيف: «كان في وسعك إزالة تلك الأشياء عنه فور وصولك».

ترمشين، ثم يستوعب عقلك أن هذا كان هجومًا. لكنه تم على نحو معتدل ومن ناحية غير متوقعة تمامًا، إلى حد أن غضبك منه فاجأك. تقولين: «لم أكن أستطيع، أو على الأقل لم أعرف أني قادرة، ألا بستر هو...».

«أنا لم أتوقع منه شيئًا. لقد جاءنا ليموت لا ليعيش». يلتفت لِرنا ليواجهك، وتدركين فجأة أن سلوكه الهادئ كان يخفي غضبًا متأجبًا. نظرته مسالمة، لكن غضبه جلي في كل ما عداها: شفته البيضاء، تلوي عضلة فكه، منخاريه المتسعان. «لماذا أنت هنا يا إيّسون؟».

تجفلين. «أنت تعلم لماذا، جئت أبحث عن ناسون».

«ناسون ليست في متناولك، وأهدافك قد تغيرت. أنت هنا كي تبقي حية، مثلنا جميعًا. أنت الآن واحدة منا»، شفته تلتوي فيما يشبه

الازدراء، «أقول لك هذا لأنك إن لم تفهميه، فقد تقتلينا جميعًا في نوبة غضب».

تفتحني فمك كي تردي، لكنه يخطو نحوك بعدوانية تجعلك تعتدلين في مجلسك. «قولي لي يا إيسون إنني لن أضطر إلى التسلل من هذه الكومونة في عتمة الليل وأنا أتمنى ألا يمسكني شخص أنت أغضبتة ويجزّ عنقي. قولي لي إنني لن أضطر إلى العودة إلى الخارج والقتال كي أظل حيًا، ولن أضطر إلى رؤية من أحاول مساعدتهم يموتون مرارًا وتكرارًا، حتى تأكلني في النهاية بعض الحشرات الصدئة...».

يقاطع نفسه فجأة بصوت مخنوق، ويلتفت بحركة حادة. تحدقني إلى ظهره المتوتر ولا تقولين شيئًا، لأن ليس ثمة ما يمكنك قوله. هذه ثاني مرة يذكر فيها قتلك لتريمو. وما المفاجئ في هذا؟ لقد ولد هناك وترعرع هناك، وتعتقدين أن أمه كانت لا تزال حية هناك عندما غادرت. لعلك قتلتها أيضًا في هذا اليوم.

ليس هناك ما يمكنك قوله، ليس ومرارة الذنب في حلقك، لكنك تحاولين. «أنا آسفة».

يضحك. ليست كضحكة تصدر عن لِرنا، بل هي ضحكة قبيحة غاضبة. ثم يعود إلى وقفته السابقة، يحدق إلى حائط الجيود. بات أكثر تحكّمًا في نفسه الآن، عضلة فكه لم تعد تقفز طول الوقت. «أثبتي أنك آسفة».

تهزّين رأسك ارتباكًا أكثر منه رفضًا. «كيف؟».

«ثمة شائعة. كان مع إيكا عندما قابلتك اثنان من أكثر أهل الكومونة

ثرثرة، ويبدو أنك أكدت ما كان كثير من الروجات يتهامون به فيما بينهم»، تكادين تجفلين من استخدامه لكلمة روجا، أين ذهب الولد المهذب الذي كانه؟ «قلت في الأعلى إن هذا الموسم سوف يستمر لعدة آلاف من السنين. أكانت تلك حقيقة أم مبالغة؟».

تتهدين وتفركين شعرك. صار متكتلاً وسميكا خاصة عند الجذور. تحتاجين إلى إعادة تضيفيره، لكنك لم تفعلي ذلك لقلة الوقت المتوفر، ولإحساسك بأن لا جدوى من هذا.

تقولين: «المواسم تنتهي دوماً. للأب الأرض طريقته في تحقيق توازنه الخاص. المسألة هي كم سيستغرق هذا».

«كم؟»، نبرته مسطحة، مستسلمة، بالكاد ترقى إلى تساؤل. يظن أنه يعرف الإجابة بالفعل.

وهو يستحق أفضل تخميناتك الصادقة: «ربما عشرة آلاف سنة؟» كي يتوقف صدع يومينس عن التنفيس وكي تصفى السماء. لا يعد هذا زمناً طويلاً بالحسابات التكتونية العادية، لكن الخطر الحقيقي يكمن فيما قد يسببه الرماد. تغطية الرماد للبحر لوقت طويل قد تؤدي إلى تكاثر الجليد عند القطبين، ما يعني بحاراً أكثر ملحاً، ومناخاً أكثر جفافاً، وأراضي دائمة التجمد، ومجالد^(١). والبقعة التي يفترض بها أن تكون الأكثر قابلية للمعيشة، أي المناطق الاستوائية، ستكون لا تزال ساخنة وسامة.

(١) جمع مجلدة، وهي glacier (تُترجم أيضاً إلى مثلجة ونهر جليدي)، وهي كتل سميكة هائلة من الجليد، تغطي مساحات شاسعة من الأرض، وقد يصل عمرها إلى آلاف السنين. [المترجم]

إن أكثر ما يقتل خلال المواسم هو الشتاء، والجوع، والتعرض للمناخ حتى بعد صفاء السماء. والصدع يمكن أن يؤدي إلى شتاء يدوم لملايين الأعوام. لكن كل هذا لا يهم، لأن البشرية ستكون قد انقرضت قبل زمن بعيد. لن يبقى إلا مسلات تطفو فوق سهول بيضاء لا نهائية، ولا أحد هناك ليتأملها أو يتجاهلها.

يختلج جفناه، «همم»، ثم تتفاجئين عندما يلتفت ويواجهك، وتتفاجئين أكثر عندما تجددين غضبه قد ذهب تقريبًا، وإن كان قد استُبدل به كآبة مألوفة لك. ما يربكك فعلاً هو سؤاله:

«وماذا ستفعلين إذن حيال ذلك؟».

ينفغر فمك. تتمكنين بعد لحظة من استجماع الرد: «لم أكن أعلم أن هناك ما أستطيع فعله حيال هذا»، مثلما لم تعلمي بأن هناك ما تفعلينه حيال الغلايات. ألابستر هو المخ وأنت العضلات. «ما الذي تفعلينه أنت وألابستر بالمسلات؟».

تصححين له: «بل ما الذي يفعله ألابستر، لقد طلب مني أن أstdعي واحدة فقط، ربما لأنه...»، يؤلمك أن تقولي، «... لم يعد قادرًا على ممارسة الأوروجينية».

«ألابستر هو الذي صنع الصدع، أليس كذلك؟».

تغلقين فمك بسرعة حتى أن أسنانك تصطك. لقد قلت لتوك إن ألابستر غير قادر على ممارسة الأوروجينية. إن عرف الكاستريميون أنه سبب اضطرابهم للعيش في حديقة صخرية تحت أرضية، سيجدون طريقة لقتله حتى لو اجتمع أكلو الصخر لحمايته.

يبتسم لِرنا بزاوية فمه. «هذا أمر لا يصعب استنتاجه يا إيّسون، إن حروقه ناجمة عن الكشط الجزئي والغازات الساخنة، أي حروق بخارية لا نارية، وتلك سمة معروفة لمن كان على مقربة من حريق نائر. لا أعلم كيف نجا، لكنه ترك عليه علامة»، هزّ كتفيه، «ولقد رأيت كيف دمرت مدينة في خمس دقائق دون قطرة عرق، لذا أستطيع تخيل ما الذي قد يستطيع فعله ذو عشرة خواتم. أخبريني، ما الذي تفعله المسلات؟». تزمين شفتيك. «يمكنك أن تسألني هذا السؤال بستة أشكال مختلفة يا لِرنا وسأعطيك ست نسخ مختلفة من (لا أعرف)، لأنني لا أعرف». «أعتقد أنك عندك فكرة على الأقل، لكن إن أردت الكذب عليّ فكما تحبي، فتلك كومونتك الآن مثلها هي كومونتي».

يخّر صامتًا بعد هذا، وكأنه يتوقع منك ردًا. الرفض التام للفكرة يشغلك عن الرد، لكنه يعرفك أكثر من اللازم، يعلم أنك لا ترغبين في سماع هذا، ولهذا يؤكد عليه: «أنت الآن إيّسون روچا كاسترييا». «لا».

«إذن غادري. الكل يعلم أن إيّكا لن تقدر على منعك من الذهاب لو عزمت عليه. وأنا أعرف أنك ستقتليننا لو شعرت بالحاجة إلى ذلك. لذا، غادري».

تجلسين مكانك، تتأملين يديك المتدلّيتين بين ركبتيك. رأسك خاوية من الأفكار.

يميل لِرنا رأسه: «أنت لن تغادري لأنك لست غبية. لعلك تستطيعين النجاة في الخارج، لكن ليس مثل شخص قد تود ناسون أن تراه مجددًا

أبدًا. أنت تريد أن الحياة هنا حتى تستطيعي في النهاية إيجادها مجددًا...
مهما كان ذلك احتمالًا بعيدًا».

ترتجف يداك للحظة، ثم تتابعان التدي بارتحاء.

«عندما لن ينتهي هذا الموسم، سينتهي طعامنا»، يتابع لِرنا، والأسوأ
أنه يتابع بنفس النبرة الرتيبة المنهكة التي سأل بها إلى متى سيدوم الموسم،
وكأنه يقول حقيقة مطلقة، يعلمها ويكرهها، «قد تساعدنا الكانييالية
لكنها ليست مستدامة. عندها إما ستتحول الكومونة إلى الإغارة على
غيرها أو ستتحلل إلى فرق من الأغيار. لكن حتى ذلك لن ينقذنا على
المدى الطويل. في النهاية سيتضور آخر الكاستريميين الأحياء جوعًا.
والأب الأرض سيفوز».

هذه هي الحقيقة سواء قبلتها أم لا. وهذا دليل أعمق على أن أيًا كان
ما حدث مع لِرنا خلال رحلته القصيرة بلا كومونة قد غيره تمامًا. ليس
إلى الأسوأ في الواقع، بل جعله ذلك النوع من المعالجين الذين يعرفون أن
أحيانًا يكون على المرء التسبب في ألم مريع - إعادة كسر عظمة، بتر عضو،
قتل الضعاف - من أجل تقوية المجمل.

يتابع، برفق وبقسوة: «إن ناسون قوية مثلك. لنقل إنها نجت من
جيجبا، ولنقل إنك وجدتها، وجئت بها إلى هنا أو إلى أي مكان يبدو آمنًا.
في النهاية سوف تجوع مع البقية عندما تفرغ بيوت الأحرار. ربما تستطيع
بأوروچينيتها أن تجبر الآخرين على منحها الطعام، بل وربما تقتلهم
فيظل ما بقي من الأحرار لها وحدها، لكن حتى مع ذلك ستنفذ الأحرار
في النهاية، وسيكون عليها أن تغادر الكومونة لتبحث عما تقتات عليه

بين الرماد، وعساها ألا تصطدم بكائن مفترس أو ما شابه من أخطار. سوف تكون من آخر الميتين، ستموت وحيدة وجائعة وباردة، تكره نفسها، وتكرهك. أو لعلها بحلول ذلك الوقت تكون قد جُنت تمامًا، أو تدنت إلى مرتبة الحيوانات، لا دافع لها غير غريزة النجاة، وحتى هذه تفشل فيها. ربما يصل بها الحال إلى أن تأكل نفسها في النهاية، مثلما قد يفعل أي وحش في...».

تقولين: «كفى». تقولينها همسًا. فيتوقف، رحمةً منه عليك. يشيح عنك مرة أخرى، ويدخن نفسًا طويلًا آخر من سيجارته نصف المنسية.

يسألك أخيرًا: «هل تحدثت مع أحد منذ جئت هنا؟»، هذا ليس تغييرًا حقيقيًا للموضوع، لذا لا تسترخين، يومئ نحو العيادة ويتابع: «أقصد أحدًا غير ألابستر ومسخي السيرك رفيقي سفرك، أقصد ما هو أكثر من اجتماع... بل حديث».

ليس بما يكفي للذكر. تهزّين رأسك.

«إن الإشاعة تنتشر يا إيّسون، والكل يفكر الآن في الموت البطيء الذي سيراه أبنائهم»، يرمي أخيرًا سيجارته وهي لا تزال تحترق، «الكل يفكر في عدم استطاعتهم فعل شيء حيال ذلك».

لكنك تستطيعين، لا يحتاج إلى قول ذلك.

هل تستطيعين فعلًا؟

يغادركِ لِرنا بغتة على نحو يفاجئك. الفكرة المتأصلة فيك عن عدم إهدار المخلفات هي ما تجعلك تذهبين وتلتقطين سيجارته الملقاة.

يتطلب منك اكتشاف كيفية تدخينها دون اختناق بعض الوقت، لأنك لم تجرب ذلك من قبل. لا يفترض بالأوروبيين أن يتعاطوا المخدرات. لكن لا يفترض بالأوروبيين أيضًا أن يعيشوا خلال الموسم. ليس في المرتكز بيوت أحراز. لم يذكر أحد شيئًا مماثلًا، لكنك شبه متأكدة أن يومينس لو شهدت ذات يوم موسمًا حادًا، فلا بد من أن الوصاة اجتاحوا المرتكز وذبحوا كل واحد منكم. إن بني جنسك مفيدون في منع المواسم، لكن إن فشل المرتكز في واجبه، إن شعر سكان النجمة السوداء أو الإمبراطور بأدنى هزة، فلن تنالي ولن ينال زملاؤك من الأوروبيين الإمبراطورين مكافأة النجاة.

ولماذا أصلًا تنجون؟ أي قيمة يقدمها الروجات لمجتمعات الناجين؟ حماية الناس من الموت بالهزات؟ يا فرحتي، يا للنفع الذي يقدمه هذا وقت شح الطعام.

«كفى!»، تسمعين صيحة إيكا غير بعيدة، وإن كنت لا ترينها على المستوى الأرضي للكريستالة. تصيح: «حُسم الأمر. أتريد أن تكون هناك عندما يحدث الأمر أم ستظل هنا لتضيع أنفاسك عليّ؟».

تنهضين. ركبناك تؤلمانك. تتجهين نحو مصدر صوتها.

تمرين بشاب وجهه مفعم بدموع الغضب والحزن الغامر، يتجاوزك في خضم اندفاعه نحو العيادة. تتابعين السير حتى تري إيكا في النهاية تقف محنية الرأس بجوار كريستالة عالية ضيقة، تستند بيدها إلى حائط الكريستالة، وتتدلى أجمة شعرها الثائر حول وجهها فلا تسعك رؤيته. تظنين أنها تترجف قليلًا.

أوربها هذا من وحي خيالك. إنها تبدو باردة القلب، لكن هذا ما
تبدن عليه أنت أيضًا.
«إيكًا».

تتمتم: «وأنت أيضًا؟ لا أريد أن أسمع ما لديك يا قاتلة الحشرات».
تفهمين متأخرًا أن قتلك للغلايات جعل قرارها أصعب. قبل
أن تفعل، كان يمكنها أن تأمر بقتل الصياد رحمةً له، والحشرات كانت
ستصبح الملوثة على ذلك. أما الآن فقرارها يُعد براجماتية، سياسة
كومونية، وهي المسؤولة.

تهزين رأسك وأنت تقترين. تعتدل في وقتها وتلتفت في لحظة،
فتسببنين توجهًا دفاعيًا لأوروجينيتها. لكنها لا تفعل بها شيئًا، لا تنشئ
نطاق قدرة ولا تسحب من البيئة المحيطة شيئًا، لكنها أيضًا لا تعرف
هذه الأشياء، فكلها تقنيات مركزية. أنت لا تعرفين في الواقع ماذا قد
تفعل تلك البرية عجيبة التدريب كي تدافع عن نفسها.

جزء منك عنده فضول شبه انفصالي عن الواقع لمعرفة الإجابة،
والجزء الآخر يلاحظ التوتر في وجهها، فيعرض عليها سيجارة الميلو
التي لا تزال مشتعلة.

ترمش وهي تنظر إليها، تعود أوروجينيتها للسكون مجددًا، لكن
عينها تصعد لتستقرئ عينيك. ثم تميل رأسها، في تعجب وتفكير. في
النهاية تضع إحدى يديها على فخذها، وتنتزع السيجارة من أصابعك
بالأخرى، وتأخذ نفسًا طويلًا. بعد لحظة تتراجع لتريح ظهرها على
الكريستالة، وجهها يستسلم للإنهاك بدلًا من خطوط التوتر المشدودة،

بينما تنفخ دوائر الدخان. تقفين بجوارها وتأخذينها منها. تستغرقان عشر دقائق أخرى للانتهاء من تدخينها بالتبادل بينكما. لكنكما تتلکأ أن حتى بعدها باتفاق غير منطوق. وفي النهاية، عندما يأتيكما صوت النحيب العالي من ناحية العيادة، تومئان أحدهما إلى الآخر وتفرقان.

لا أستطيع أن أفهم ما الذي يجعل أي حضارة عاقلة تضع كل سراديب التخزين الضخمة تلك بملئها بالجثث! لا عجب أنهم، أيًا كانوا، قد ماتوا. تقديري أننا سنحتاج إلى سنة أخرى حتى نتمكن من التخلص من كل العظام والأوعية الجنائزية وغيرها من المخلفات، ثم ربما ستة أشهر أخرى حتى نتمكن من التخطيط والتجديد بالكامل. إلا لو جئتم لي بدوي المعاطف السوداء الذين طلبتهم. لا يهمني إن كانت تكلفتهم الأرض بأكمله... إن بعض تلك الغرف آيلة إلى الانهيار.

ووجدنا هناك أيضًا بعض الألواح المكتوب عليها شيء بطريقة الأبيات، لكننا لا نستطيع قراءة تلك اللغة الغريبة. إنها تشبه ألواح قول الحجر، لكنها خمسة لا ثلاثة. ماذا تريدون أن نفعل بهم؟ أرى أن نعطيهم للجامعة الرابعة، علّهم يكفون عن التدمير واتهامنا بتدمير التاريخ.

من تقرير الرحالة فورجيد مبتكرة يومينس إلى
الهيئة الهندسية شرق الاستواء: «مقترح للاستفادة
من سراديب الدفن تحت الأرضية بمدينة فيرواي»
- يُسمح بالاطلاع للرتب العليا فقط.

فاصلة

معضلة: أنت مصنوعة من أشخاص عدة تتمنين لو لم يكونوا أجزاء منك.
بمن فيهم أنا.

لكنك عني تعلمين أقل القليل. سأحاول أن أشرح لك سياق وجودي، حتى لو
لم أخض في التفاصيل. لقد بدأت بحرب.

الحرب كلمة فقيرة. هل تعد محاولة الناس لتطهير مكان من تفشي فئران
أو حشرات بالحرق أو بالسّم حرباً؟ عدا أن هذا أيضاً تشبيه فقير، فلا أحد
يكره فأراً أو صرصوراً بعينه، لا أحد يختار أن ينتقم من هذا الصرصور اللعين
هناك، ذاك القذر ذي الأرجل الست والظهر الكريه المفلطح، ومن ذريته كلها
على مدى مئات الأجيال التي قد تشهدها دورة حياة الإنسان. وذلك القذر ذو
الأرجل الست والظهر المفلطح لن تُتاح له الفرصة لأن يصبح ما هو أكثر من
مجرد إزعاج للبشر... بينما أنت وبني جنسك قد شققتم سطح الكوكب وأضعتم
القمر. لو أن فئران حديقتك في تيريمو قد ساعدت جيحا على قتل أوتشي، كنتِ
ستهدمين المكان فوق رؤوسهم وتحرقين الهشيم قبل ذهابك. صحيح أنك دمرت
تيريمو على أية حال، لكن لو كان ذلك لسبب شخصي، لفعلت ما هو أسوأ.

لكن حتى رغم كل كراهيتك، ما كنت لتتمكني من قتل كل الحشرات.
والناجون كانوا سيتغيرون تغيراً هائلاً، سيصبحون أقوى وأكثر تحملاً وظهورهم
أكثر فلتحة. وربما أصبحت المصاعب التي صببتها عليهم سبباً لتفريقهم
وتفريق ذريتهم إلى فصائل عدة، لكل منها مصالحها المختلفة. بعض تلك
الفصائل كان سيتجاهل كل ما له علاقة بك، وبعضها كان سيوقرك ويستحقرك

بسبب قوتك، وبعضها كان سيُسخر نفسه لتدميرك مثلما دمرت أسلافهم، مع أنك بحلول الوقت الذي سيكتسبون فيه ما يكفي من قوة لإظهار عدائهم لك، ستكونين قد نسيت أصلاً وجودهم. أما بالنسبة إليهم، فالعداوة بينكما ستكون موضوع الأساطير.

وبعضهم قد يتمنى استرضاءك، أو حتى إقناعك بالوصول إلى درجة من التقبل السلمي. وأنا أحد هؤلاء.

لم أكن كذلك دومًا، فقد كنت لزم من طويل من مريدي الانتقام... لكن ما تصل إليه الأمور كل مرة، هو أن الحياة لا يمكن أن تدوم من دون الأرض، ومع ذلك، ثمة فرصة ليست معدومة أن الحياة سوف تفوز بحربها وتدمر الأرض. كدنا نصل إلى ذلك بضع مرات.

هذا لا ينبغي أن يحدث. لا يمكن أن يُسمح لنا بالفوز.

لذا، إليك اعترافي يا إيسونتي: لقد خنتك من قبل، وسأخونك من جديد. أنت لم تختاري حتى الآن فريقيًا، وأنا مع ذلك أصد عنك من يحاولون تجنيديك لصفهم. وأنا أخطط من الآن لموتك. إن موتك ضروري. لكني أحاول بأقصى ما في وسعي أن أجعل لحياتك معنى يدوم من بعدك حتى ينتهي العالم.

ناسّون، تتولى الزمام

تفكر ناسّون: ماما جعلتني أكذب عليك. تنظر إلى أبيها الذي له ساعات يقود العربة دون توقف، عيناه ثابتتان على الطريق، لكن عضلة فمه لا تنفك تقفز. إحدى يديه -تلك التي ضربت أوتشي أولاً، وقتلته في النهاية- ترتجف حيث تقبض على الزمام. تستطيع ناسّون رؤية أنه لا يزال عالقاً في ثورته، ولعله لا يزال يقتل أوتشي داخل رأسه. إنها لا تفهم لذلك سبباً، ولا تحبه، لكنها تحب أباها، وتخشاه، وتعبدّه، لذا يتوق جزء منها إلى إرضائه. تسأل نفسها: ما الذي فعلته وأدى إلى حدوث هذا؟ فتأتيها الإجابة: لقد كذبت، والكذب دوماً خيبة.

لكن هذه الكذبة لم تكن باختيارها، كانت بأمر من ماما مثل أوامرها الكثيرة: لا تتوجهي، لا تجمدي، سأجعل الأرض يتحرك وعليك ألا تتفاعلي معه، ألم أقل لك ألا تتفاعلي؟ حتى الإنصات تفاعل، والناس العاديون لا ينصتون هكذا، توقفي عليك الصدا، ألن تفعلي شيئاً صحيحاً أبداً بحق الأرض؟ توقفي عن البكاء، والآن ابدئي من جديد. أوامر لا تنتهي، عناء لا ينتهي، أحياناً تتخللها صفة ثلجية أو صفة يد

أو عكس نطاق قدرة أو شدّة عنيف بالذراع. كانت ماما تقول أحيانًا إنها تحب ناسّون، لكن ناسّون لم ترَ لذلك دليلًا.

على عكس بابا، الذي يعطيها كيركوزا حجرًا لتلعب به أو حقيبة إسعافات أولية لمخلّة هروبا، لأن ناسّون مقاومة مثل أمها. بابا يأخذها لصيد السمك عند جدول تيريكّا عندما لا يكون وراءه عمل ينجزه. ماما لم تتمدد معها أبدًا على الأسطح العشبية كي تشير إلى النجوم وتشرح لها أن بعض الحضارات الميتة كانت تعطي لكل منها اسمًا، لكن أحدًا لم يعد يذكر تلك الأسماء. بابا لا يتعب أبدًا من الحديث معها بعد أن ينتهي من عمله، بابا لا يفتش وراء ناسّون كل صباح بعد الاستحمام كما تفعل ماما، التي تتفقد الأذان التي لم تُغسل جيدًا والفرّاش الذي لم يُرتّب بعد، وعندما تُخطئ ناسّون، بابا لا يفعل ما هو أكثر من التنهد وهزّ رأسه وقول: «أنت تعرفين الصواب يا حلوتي»، لأن ناسّون دومًا تعرف الصواب.

لم يكن بسبب بابا أن ناسّون أرادت أن تفر كي تصبح قوالة، وهي لا تحب حقيقة أنه غاضب الآن، ويبدو لها هذا أيضًا بسبب ماما. لذا تقول: «أردت أن أخبرك».

بابا لا يرد. يتابع الحصانان جرّ العربّة بثاقل إلى الأمام، يمتد الطريق أمامهما، وتمرّ الغابات والتلال على جانبي الطريق بجوارهما، والسماء الزرقاء الساطعة فوقهما. لا يقابلان على الطريق اليوم الكثير، فقط بعض حوزية يقودون عربات مثقلة بالبضائع التجارية، وبعض الرسل، ودورية من حراس الربع. قليل من الحوزية الذين يزورون تيريمو باستمرار يومئذ أو يلوحون لهما، لأنهم يعرفون بابا، لكن بابا لا

يرد. لا تحب ناسون هذا أيضًا، لأن أباه رجل ودود، أما الرجل الذي يجلس بجوارها فله سياء الغرباء.

لكن كونه لا يرد لا يعني بالضرورة أنه لا يسمع، فتضيف: «لقد سألت ماما متى يمكنني أن أخبرك، سألتها هذا كثيرًا، لكنها قالت ليس أبدًا، وقالت إنك لن تفهم».

لا يقول بابا شيئًا. لا تزال يدها ترتجفان... لكن هل قل ارتجافهما؟ لا يسع ناسون التمييز. تبدأ تشعر بالحيرة: أهو غاضب؟ أهو حزين على أوتشي؟ (هل هي حزينة على أوتشي؟ لا تشعر بأن ما حدث حقيقي. عندما تفكر في أخيها الصغير تفكر في شيء ضئيل ثرثار ضحوك يعضّ الناس أحيانًا ولا يزال يتغوط في الحفظات، شيء له حضور أوروچيني بحجم الربع. أما ذلك الشيء المجدد الساكن الذي تركاه في البيت فلا يمكن أن يكون أوتشي، فهو ضئيل جدًا وساكن تمامًا) تريد ناسون أن تلمس يد أبيها المرتجفة، لكنها تلفى نفسها مترددة عن ذلك ترددًا غريبًا، ليست متيقنة من سببه... أهو الخوف؟ ربما لأن هذا الرجل غريب عنها جدًا، وهي كانت دومًا خجولة من الغرباء.

لكن... لا، إنه بابا، أيًا كان ما أصاب بابا فهو خطأ ماما.

هكذا تمد ناسون يدها وتقبض على كف بابا الأقرب إليها، تقبض بقوة، لأنها تريد أن تريه أنها ليست خائفة، ولأنها غاضبة، وإن كان غضبها ليس منه. «أردت أن أخبرك!».

الرؤية تتشوش حولها. في البداية لا تعلم ناسون ما الذي يحدث، وتغلق على نفسها. هذا ما دربتها ماما على فعله في لحظات المفاجأة أو

الألم: غلق جسدها تمامًا أمام ردود فعلها الغريزية من الخوف، وغلق تشبث سسبيتها الفطري بالأرض تحتها. لا يمكن لناسون تحت أي ظروف ممكنة أن تستجيب بأوروجينيةها، لأن الناس العاديين لا يفعلون ذلك. يقول صوت ماما داخل رأسها: يمكنك أن تفعل أي شيء آخر، اصرخي، ابكي، ارمي ما تحمله أرضاً، انهضي وتشاجري، أما الأوروجينية فلا.

هكذا تصطدم ناسون بالأرض على نحو أقسى مما يجب، لأنها لم تتقن بعد مهارة تجنب رد الفعل الأوروجيني، ولا تزال تلبس جسدياً عندما تحاول غلق ردود فعلها الأوروجينية. ورؤيتها تشوش لأنها لم تُلَقَ فقط من مقعدها بجوار سائق العربة، بل هي أيضاً تدرجت من حافة الطريق الإمبراطوري وعلى طول المنحدر الحصوي، إلى بركة صغيرة يغذيها أحد الجداول.

(الجدول الذي يغذيها هو ذلك الذي ستحمم فيه إيسون بعد أيام قليلة ولد أبيض يبدو عليه أنه قد نسي فيم يُستخدم الصابون).

تنقلب ناسون على ظهرها أخيراً وتتوقف، دائخة لاهثة. لا يؤلمها شيء بعد. حالما يستقر العالم وتبدأ في استيعاب ما حدث -بابا ضربني، ورماني من العربة- تجد بابا وقد نزل المنحدر حثيثاً وهو ينادي اسمها، ويبيكي. ترمش ناسون طرداً للنجوم والبقع التي تشوش رؤيتها، وتمد يدها بارتباك كي تلمس وجه بابا، وتلفاه مبتلاً.

يقول: «أنا آسف، آسف يا حلوتي. أنا لا أريد أن أؤذيك، أنت كل ما تبقى لي...»، ينتزعها ليحملها بيد قوية، لكن هذا يؤلمها لأنها

تزخر بالرضوض، «أنا آسف آسف، آسف بحق الصدأ، يا للأرض، يا للأرض، يا للأرض اللعين ابن الصدئة! ليس هذه، لن تأخذ هذه مني أيضًا!».

ذلك نحيب المكلومين، نشيج طويل هستيري يجرح الحلقوم. ناسون ستفهم لاحقًا (ليس بعد الكثير) أنه في تلك اللحظة كان يبكي الابن الذي قتله بقدر ما يبكي الابنة التي آذاها.

لكن في لحظتها، تفكر في أنه لا يزال يحبها، وتجهش بالبكاء بدورها. وكان بينهما هما في ذلك الوضع، بابا يحتضنها بقوة وناسون ترتجف من الارتياح والصدمة المتلكئة، كان أن لحقت بهما الموجة الناتجة من انشطار القارة في الشمال.

لقد كانا يسافران على الطريق الإمبراطوري لهما يوم كامل تقريبًا. وقبل لحظات في تيريمو، حولت إيسون اتجاه الموجة القادمة حتى تنقسم وتتخطى المدينة، ما يعني أن الموجة القادمة نحو ناسون أقوى بمراحل. إن ناسون قد وقعت وقعة كادت تفقدها صوابها، ومهارتها وخبرتها أقل من أمها. عندما تسسبن الهزة القادمة حثيثًا، وتسسبن قوتها العاتية، تستجيب لها بأكثر الطرق خطأً: تنغلق على نفسها من جديد.

يرفع أبوها رأسه مدهوشًا من تصلبها المباغت، ووقتئذٍ نزلت المطرقة. حتى هو يسسبن قربها الشديد، غير أنها قادمة أسرع وأشد من أن تتجاوز استجابته ما يزيد على الهتاف في مؤخرة عقله: أجري أجري. لكن الجري عديم الفائدة، إن الهزات ببساطة ما يحدث عندما ينفض المرء الملاءات المغسولة كي يتخلص من التجمعات فيها، لكن على

مستوى قاري، وبسرعة وقوة ضربة نيزك. أما على مستوى الأشخاص الصغار القابلين للانسحاق، فطبقات الأرض تحتهم تشقق، والأشجار ترقص ثم تنهشم. مياه البركة بجوارهما تقفز للحظة في الهواء، وتظل عالقة ثابتة هناك. بابا يحدق إليها، وكأنه يتشبث بالنقطة الثابتة الوحيدة وسط العالم المتشقق والمرتجف بلا هوادة في كل مكان آخر.

لكن ناسون مع ذلك تظل أوروبية ماهرة، حتى وإن كانت مضطربة نوعًا. صحيح أنها لم تتمكن من فعل ما فعلته إيسون كي تكسر قوة الموجة من قبل، لكنها تفعل ثاني أفضل شيء؛ تطلق أبراج قوة في طبقات الأرض، عميقة بأقصى عمق في متناولها، حتى تشبث بصفائح الأرض التكتونية ذاتها. وعندما تضرب طاقة الموجة القادمة، في تلك اللحظة متناهية الصغر، قبل أن تستجيب القشرة السطحية بالتشنج والتشقق، تنتزع منها الحرارة والضغط والاحتكاك، وتستخدمها كوقود لأبراجها التي تثبت طبقات الأرض والتربة في مكانها وكأنها لُصقت بلاصق.

ثمة الكثير من الطاقة التي يمكنها أن تسحب منها في الأرض، لكنها مع ذلك تحيك نطاق قوة محيط. تجعل نطاقها واسعًا بعيدًا، لأن أبابها في داخله، وهي لا يمكن لا يمكن أن تؤذيه، وتجعله قاسيًا صلبًا بقدر ما تستطيع، مع أنها لا تحتاج إلى ذلك، لكن هذا ما تقوله لها غريزتها. وغريزتها محقة، لأن جدار القوة الخفي الناجم عن نطاقها يفكك أي شيء قادم نحو مركزه المستقر، ما يحميها من عشرات الشظايا الطائرة التي كانت لتسحقها حتى الموت.

كل ذلك يعني أن العالم عندما ينهار، سيحدث ذلك في كل مكان إلا حولهما. للحظة لم يعد هناك ما يمكن رؤيته سوى كريات مائية طافية من ماء البركة، وإعصار من هشيم العالم المسحوق، وواحة من السكون في قلب الإعصار.

ثم تنتهي الصدمة. يسقط ماء البحيرة إلى مكانه، مثيرًا رذاذًا من الثلج والطين. الأشجار التي لم تتحطم ترتد عائدة إلى وضعها المنتصب، وبعضها تدفعه ردة الفعل إلى الانثناء إلى الناحية المضادة والانكسار. على مرمى البصر، حيث ينتهي نطاق قوة ناسّون، الناس والحيوانات والحجارة والصخر الذين رُموا من قبل في الهواء يقعون أرضًا ويتهشمون. ثمة صراخ، بشري وغير بشري، وأصوات أخشاب تتحطم وصخور تتفتت، وصرير بعيد لشيء معدني من صنع الإنسان يتداعى. وخلفهما، عند النهاية البعيدة للوادي الذي غادره من فورهما، تهشم واجهة صخرية وتنهار بهدير عاتٍ، كاشفة خلفها عن جيود ضخمة من العقيق المرقط يتصاعد منه البخار.

ثم يسود الصمت. وفي الصمت ترفع ناسّون أخيرًا وجهها من كتف أبيها لتنظر حولها. عقلها خاوٍ. ترتخي أذرع أبيها حولها - من الصدمة - فتتملص منها حتى تتحرر، وتنفض على قدميها. ينفض بدوره. للحظات طويلة لا يفعلان أكثر من التأمل في أطلال العالم الذي عرفوه يومًا حولهما.

ثم يلتفت بابا وينظر إليها، وترى في وجهه ما لا بد أن أوتشي رآه في آخر لحظاته. يسألها: «أأنت من فعل هذا؟».

لقد صفت الأوروبينية ذهنها، بدافع الضرورة. إنها آلية دفاعية؛ التحفيز الشديد للسببينا يصاحبه عادة تدفق في الأدرينالين وغير ذلك من التغيرات الجسدية التي تهيم الجسد للقتال، أو تهيئه للأوروبينية المستمرة لو تتطلب الأمر. في هذه الحالة جلبت الأوروبينية معها صفاء ذهن زائدًا، ما مكن ناسون أخيرًا من إدراك أن ردة فعل أبيها الهيستيرية على وقوعها لم يكن بالكامل من أجل خاطرها، وما تراه في عينه الآن شيء لا يمت إلى الحب بصلة.

ينكسر قلبها في تلك اللحظة. مأساة أخرى صغيرة وسط مآسٍ عديدة. لكنها تتكلم، لأنها ابنة أمها في نهاية المطاف، وإيسون، إن لم تفعل شيئًا آخر، فهي على الأقل دربت ابنتها الصغيرة على النجاة.

تقول ناسون: «هذا أكبر من أن يكون مني»، صوتها هادئ، منفصل، «ما فعلته كان هذا...»، وتشير حولهما، إلى دائرة الأمان على الأرض المحيطة بهما، المتميزة بجلاء عن الفوضى وراءها، «أنا أسفة لأنني لم أستطيع إيقافه كله يا بابا، لقد حاولت».

وما يفلح من كلامها هو كلمة «بابا»، مثلما أفلحت دموعها من قبل. يبهت تعبير القاتل على وجهه، يتلوى ويختفي. يهمس، لنفسه، «لا أستطيع أن أقتلك».

ترى ناسون قلبه. غريزتها هي أيضًا ما دفعتها إلى التقدم والأخذ بيده. يجفل، لعله كان يفكر في رميها جانبًا من جديد، لكنها هذه المرة تتمسك به. تقول من جديد: «بابا»، تُحمّل نبرتها هذه المرة بالأنين والالتكال، تلك هي الأشياء التي ثنته عن فعلها في المرات التي كاد فيها

ينقلب عليها، أي الذي جعلته يتذكر أنها فتاته الصغيرة، يتذكر أنه كان، حتى اليوم، أبًا جيدًا.

هذا تلاعب. ثمة ما يشدها بعيدًا عن الصدق في تلك اللحظة، ومن الآن فصاعدًا كل عاطفة سوف تبديها نحو أبيها سوف تكون أدائية، محسوبة. تموت طفولتها بالكامل في داخلها، لكن تعلم أن هذا أفضل من أن تموت كلها.

وتفلق. ترمش جفون جيغا بسرعة، ويدمدم لنفسه بشيء لا يمكن تفسيره. تشتد قبضته عليها. يقول: «لنعد إلى الطريق».

(لقد صار الآن في عقلها «جيغا»، وسيظل جيغا من الآن فصاعدًا، إلى الأبد، ولن يعود «بابا» إلا فيما تقوله بصوت مسموع، عندما تحتاج إلى تولي زمامه).

وبذا يصعدان إلى الطريق من جديد. ناسّون تعرج قليلا لأن ظهرها مرضوض حيث وقعت على الأسفلت والصخور. الطريق مترع بالشقوق، بيد أن المحيط منه بعربتهما كان أقل سوءًا. لا يزال الحصانين مسرجين، وإن كانت الفرسة قد وقعت على ركبها واشتبكت في سرجها. عسى أنها لم تكسر ساقًا. تبدأ ناسّون في تهدئة الحصانين، تمسّد الفرسة الساقطة على ظهرها وتتحدث إلى الآخر لتخرجه من حالة تشبه التصلب الكامل، بينما يذهب أبوها إلى المسافرين الآخرين المتناثرين حولهما على الطريق. من كانوا في نطاق قوة ناسّون بخير، أما من لم يكونوا فيه...

حالما اطمأنت أن الحصانين عادا جاهزين لأداء دورهما رغم ارتعاشهما، تذهب ناسّون كي تلحق بجيغا، فتجده يحاول رفع رجل رتمته الموجهة في

شجرة، وانكسر إثر ذلك على ما يبدو ظهره، لكنه لا يزال واعياً ويصرخ من الألم. ترى ناسون ساقى الرجل عديمتي النفع متدليتين، تدرك أن تحريكه سيزيده سوءاً، لكن جيغا كما هو واضح يحسب أن تركه هنا بهذا الحال أسوأ. يناديها لاهثاً وهو يحاول إيجاد مسكة أفضل للرجل: «ناسون، هيئي سرير العربة للرجل، ثمة مستشفى حقيقي في بليزنت ووتر، على مسافة يوم من هنا. أعتقد أنا في وسعنا الوصول لو أننا...».

تقول برفق: «بابا، بليزنت ووتر لم تعد موجودة».

يتوقف (يتأوه الرجل المصاب)، يلتفت إليها متجهماً. «ماذا؟».

تقول: «وسومى هلكت أيضاً»، ولا تضيف لكن تريمولا تزال موجودة لأن ماما كانت هناك. إنها لا تريد أن تعود، حتى لو انتهى العالم. يرمي جيغا نظراته نحو الطريق الذي جاء عبره، لا يرى بالطبع سوى أشجار مهشمة وكتل أسفلت مقلوبة على طول الطريق... وجثث، جثث كثيرة، من هنا وحتى تريمو، أو هكذا تخبره عينه.

«يا للصدأ»، يتنفس.

تتابع ناسون: «هناك حفرة كبيرة في الشمال، كبيرة جداً، هي سبب كل هذا. وستسبب هزّات وأشياء أخرى. أنا أسسبن رماداً وغازاً قادمين من تلك الناحية. بابا، أظن أن هذا موسم».

يشهق الرجل المصاب، ليس بدافع الألم وحده. تتسع عينا جيغا من الرعب، لكنه يسألها، وسؤاله مهم: «هل أنت متأكدة؟».

سؤاله مهم لأنه يعني أنه ينصت إليها، وهذا دليل ثقة. تشعر ناسون بانتصار لما تسمع ذلك، وإن كانت لا تفهم بالضبط مصدره.

«نعم»، تعضّ شفّتها، «سيكون موسمًا سيئًا جدًّا يا بابا».

تنجرف عيناه نحو تيريمو مجددًا. ذلك رد فعل تلقائي، فأبناء الكومونات يعرفون أن المكان الوحيد المرحب بهم خلال الموسم هو كومونتهم، وأي مكان عداها خطر.

لكن ناسّون بعدما خرجت منها لن تعود، ليس بعدما أخذها جيغا بعيدًا عنها وأحبها - على هذا النحو الغريب - وأنصت إليها، وفهمهما، حتى وهو يعلم أنها أوروچينية. كانت ماما مخطئة حيال ذلك، قالت إن جيغا لن يفهم.

لكنه لم يفهم أوتشي.

تجزّ ناسّون على أسنانها عندما تتتابها تلك الفكرة. كان أوتشي صغيرًا. ناسّون ستكون أذكى منه. لقد كانت ماما نصف محقة فقط، وناسّون ستكون أذكى منها أيضًا.

لذا، تقول برفق: «إن ماما تعرف يا بابا».

إنها ليست متأكدة من قصدها بقول هذا. أتقصد أنها تعرف أن أوتشي مات؟ أنه ضربه حتى الموت؟ أيمن أن تصدق ماما أن جيغا في وسعه فعل شيء مشابه في ابنه؟ إن ناسّون نفسها لا تكاد تصدق. لكن جيغا يحفل عندما يسمع كلماتها وكأنها اتهام. تنظر إليه لوهلة، تعبيره يتبدل مع الوقت من الخوف إلى الرعب إلى اليأس... ويبطء، إلى الاستسلام.

ينظر إلى الرجل المصاب. إنه ليس بأحد تعرفه ناسّون، ليس من تيريمو، وملابسه العملية وحذاؤه الجيد يرجحان أنه رسول عدا. لن

يعدو مجدداً على ما يبدو، وبالتأكيد لن يصل إلى كومونته الأصلية، أينما كانت.

يقول جيغا: «أنا آسف». ينحني، ويكسر رقبة الرجل وهو يحاول أن يسأل شيئاً، يسأل ماذا؟

ثم يعتدل جيغا، يدها ترتجفان من جديد، لكنه يدور ويمد أحدهما، وناسون تأخذها. يمشيان نحو العربة، ويتابعان رحلتها نحو الجنوب.

الموسم يعود دوماً.

اللوح الثاني - «الحقيقة الناقصة» - البيت الأول

أنت، تلتزمين بالقضية

«ق... ماذا؟»، تسألك تونكي وهي تنظر إليك عبر ستار من الشعر. لقد عدت إلى الشقة من فورك بعدما قضيت بعض اليوم في مساعدة إحدى فرق العمل على صنع وإصلاح أسهم الأقواس المستعرضة كي يستخدمها الصيادون. لقد كنت تساعدن كل يوم طائفة استخدام مختلفة، بما إنك لست جزءاً من واحدة بعينها. ذلك كان بناءً على نصيحة من إيكّا، وإن كانت إيكّا ليست بلا شكوك نحو عزمك الجديد على أن تكوني جزءاً فاعلاً من الكومونة. لكنها على الأقل يعجبها أنك تحاولين. وكانت النصيحة تتضمن أيضاً تشجيع تونكي على فعل المثل، خاصة وأنها حتى الآن لا تفعل شيئاً غير الأكل والنوم والاستحمام على حساب الكومونة، مع الاعتراف بأن الأخير ضروري ليتمكنها من التفاعل الاجتماعي. تونكي الآن على ركبتيها فوق حوض مياه في غرفتها، تمزق شعرها بسكين كي تزيل الأجزاء الملبدة منه. أنت تحافظين على مسافة غير قليلة منها، لأن الغرفة تعبق بالعفن وروائح الجسد، ولأنك تظنين أنك لمحت شيئاً يتحرك في المياه مع شعرها الممزق. ربما كانت تونكي في

حاجة إلى ارتداء القاذورات كجزء من تنكرها كأحد الأغيار، لكنها تظل قاذورات.

تقولين: «قمر»، إنها كلمة غريبة، صغيرة، وأنت لست حتى متأكدة من دقة نطقك لها. ماذا قال ألابستر غيرها؟ «وساتالايت، قال إن الجيومستية ستعرف».

تجهم أكثر فيما تنشر بعنف كتلة تأبى أن تتمزق، «بصراحة لا علم لي بما تتحدثين عنه، لم أسمع قط بأي «قمر». إن خبرتي في المسلات، أتذكرين؟»، ثم ترمش وتتوقف، تاركة الكتلة نصف المبتورة تتدلى أمامها، «وإن كانت المسلات نفسها تعدّ ساتالايت بشكل ما».

«نعم؟».

«إن كلمة ساتالايت تعني الجسم المعتمد في حركته ومكانه على جسم آخر. الجسم الذي يتحكم في الحركة يقال عنه الأساسي، والجسم المعتمد عليه هو الساتالايت، فهمت؟»، تهزّ كتفيها، «ذلك شيء يقوله الفلكيون أحياناً إن تمكنت من إيجاد بعض المنطق في كلامهم... يسمونه ميكانيكا مدارية»، وتقلب عينيها.

«ماذا؟».

«هراء لا أكثر، مثل حركة الصفائح التكتونية لكن في السماء». تحدقين إليها، لا تستطيعين التصديق، تلوح بيدها، «دعك من هذا، ألم أخبرك كيف جاءت المسلات وراءك إلى تيريمو؟ حيثما ذهبت يتبعونك. هذا يجعل المسلات ساتالايت أنت أساسه».

ترتعدين، لا تحبين الصورة التي راودتك، صورة لحبال خفية رفيعة

تربطك بالجمشتية، وبالتوبازية القريبة، والآن بالأونيكسية البعيدة التي يتنامى حضورها المظلم في ذهنك. والغريب أنك تفكرين أيضًا في المرتكز، في الخيوط التي تربطك إليه، حتى بعدما نلت حريتك الظاهرية للخروج منه والسفر. كنت دومًا تعودين إليه، وإلا يأتي هو إليك على شكل الوصاة.

تقولين بخفوت: «مقيدة بالسلاسل».

«لا لا لا»، تقولها بذهن مشئت. لقد عادت إلى محاولة قص الكتلة من جديد، وتعاني معها أيما معاناة. لقد ثلم سكينها. تغادرينها للحظة، وتذهبين إلى الغرفة التي تشاركينها مع هوا، وتجليين حجر شحذ من حقيبتك. ترمش لما تقدمينه إليها، ثم تومئ شكرًا وتبدأ في شحذ سكينها به. «لو أن ثمة ما يربطك بالمسلة، فسيكون تتبعها لك بإجبار منك، أي بالقوة لا بالجاذبية. هذا لو أنك تقدرين على جعل المسلات تفعل ما تريدن»، يصدر عنك زفير متعجب، «لكن الساتلايت سيتفاعل معك سواء حاولت جعله يتفاعل أو لا، الساتلايت ينجذب إلى وجودك، ينجذب إلى الثقل الذي تحدثينه في الكون، ويتلصق حولك لأنه لا يستطيع منع نفسه من ذلك»، ثم تلوح يدها المبللة بذهن مشوش عندما تحدقين إليها مجددًا، «لا أقصد بذلك أن للمسلات دوافع ونوايا بالطبع، فتلك حماقة».

تقرفصين حذاء حائط الغرفة البعيد كي تفكري في كل ذلك، بينما تعود هي إلى ما تفعل. عندما يبدأ ما تبقى من شعرها في التحرر، تتعرفين عليه أخيرًا، لأنه مجعد وقاتم مثل شعرك، وليس رماد براكينى رماديًا، ربما

تجعيداته أكثر تحرراً بقليل. إنه شعر أوسطي، غالباً نقطة سوداء أخرى في صورتها أمام عائلتها عندما يُقارن بهيئتها السانزية العادية فيما عداه - وفي الواقع هي أقصر نوعاً وأقرب إلى الهيئة الكمثرية، لكن هذا ما تحصده العائلات اليومينية التي لا تستخدم المستولدين لتحسين سلالاتهم - وذلك شيء كنتِ لتذكرينه عنها من زيارتها القديمة للمركز.

أنت لا تعتقدين أن ألابستر قصد المسلات بحديثه عن ذاك القمر، لكنك مع ذلك... «قلت إن هذا الشيء الذي وجدناه في المركز... ذاك المقبس، كان المكان الذي صنعوا فيه المسلات».

يظهر فوراً أنك عدت إلى الناحية المثيرة فعلاً لاهتمام تونكي. تضع سكينها وتنحني إلى الأمام، وجهها متحمس رغم بقايا شعرها المتدللة غير المتساوية. «همم، همم. ربما ليس كلهم. إن أبعاد المسلات المسجلة متباينة إلى حد ما، لذا ربما لن يتسع المقبس إلا للقليل منها، أو ربما حتى لواحدة فقط. أو ربما كان المقبس يتغير مع كل مسلة يضعونها فيه كي يتكيف مع أبعادها».

«كيف لك أن تعلمي أنهم كانوا يضعونها فيه؟ لعلها كانت... تنمو بداخله، ولاحقاً يستخرجونها أو يرفعونها منه». هذا يجعل تونكي تبدو في تفكير عميق، ما يشعرك بفخر غير مباشر لأنك فكرت في شيء لم تفكر هي فيه، «ومن «هم»؟».

ترمش، ثم تعتدل ويبهت حماسها. تقول أخيراً: «يُفترض أن عائلات القيادة اليومينية هم أحفاد الناس الذين أنقذوا العالم بعد موسم الانشقاق. عندنا نصوص تتناقلها الأجيال منذ ذلك الوقت،

أسرار تتحمل كل عائلة مسؤولية حفظها، ويفترض بنا أن نطلع عليها عندما ننال اسم الاستخدام والاسم الكوموني»، وتتجههم، «عائتي لم تطلعني عليها لأنهم كانوا يفكرون في التبرؤ مني، لذا تسللت إلى القبو وأخذت ما هو حقي الطبيعي».

تومئين، لأن هذا يشبه بينوف التي تذكرينها. لكنك تستريين في موضوع الأسرار العائلية هذا؛ إن يومينس لم تكن موجودة قبل السانزا، والسانزا ليست إلا آخر حضارة من قائمة حضارات لا حصر لها قامت وانهارت بين المواسم. إن حكايات القادة لها مذاق الأساطير المحاكة لتبرير مكانة في المجتمع.

تتابع تونكي: «وجدت في القبو أشياء متنوعة: خرائط وكتابات غريبة بلغة لم أر مثلها من قبل، وأشياء ليس لها معنى، مثل حجر صغير أصفر تآم الاستدارة، محيطه حوالي بوصة، وضعه أحدهم في حافظة زجاجية محكمة الغلق ومختومة بتحذير من اللمس، يبدو أن تلك الأشياء كانت معروفة ذات يوم بأنها تحفر في الناس ثقوبًا»، تجفلين، «هذا يعني إذن إما أن هناك بعض الحقيقة في حكايات العائلات، وإما أن الأثرياء يسهل عليهم جمع مجموعة قيمة من الأشياء العتيقة، أو كليهما»، تلاحظ تعبير وجهك وتبدو مرتبكة، «صحيح، على الأرجح ليس كلاهما، كلامهم ليس قول حجر على أية حال، بل هو مجرد... كلام، معرفة بخسة، أردت أن أثريها».

يبدو لك هذا أقرب إلى شخصيتها، «لذا تسللت إلى المرتكز كي تبحثي عن المقبس، لأن هذا بشكل ما يثبت بعض الحوادث الصدئة التي تتناقلها أسرتك؟».

«كان في إحدى الخرائط التي وجدتها»، تهز تونكي كتفيها، «لو كان ثمة حقيقة في جزء من القصة -أي إن هناك مقبَسًا حقيقياً في يومينس، أخفاه عمدًا مؤسسو المدينة- فهذا يقترح أن لعل بقيتها أيضًا حقيقي». تضع تونكي السكين جانبًا وتتململ حتى تستريح في مجلسها، وتبدأ في جمع الشعر المتبقي بتمهل في إحدى يديها. شعرها الآن قصير وغير متساوٍ على نحو مؤلم، وأنت تودين لو تأخذين منها السكين وتقصينه لها كما ينبغي، لكن لعلك تنتظرين حتى تغسله مرة أخرى أفضل.

تقول تونكي: «ثمة حقيقة في أجزاء أخرى من القصص أيضًا. أعلم أن كثيرًا من حكاياتهم ليست إلا صدادًا ودخانًا، لا أدعي العكس، لكنني تعلمت في الجامعة السابعة أن المسلات قديمة قدم التاريخ ذاته، وأكثر. عندنا أدلة على حدوث مواسم من عشرة وخمسة عشر بل وحتى عشرين ألف سنة مضت، والمسلات أقدم منها. لا يُستبعد أن تكون أقدم حتى من الانشقاق».

أول المواسم، ذلك الذي كاد يقتل العالم كله. لا يتحدث عنه سوى القوالون، والجامعة السابعة أنكرت أكثر حكاياتهم. تقولين على سبيل الجدل: «ربما لم يكن هناك انشقاق، ربما كانت المواسم الخامسة تحدث طوال الوقت».

«ربما»، تهز تونكي كتفيها، لعلها لأنها أدركت أنك تعترضين لمجرد الجدل أو لعلها لا تهتم، والأرجح أنها لا تهتم، «مجرد ذكر الانشقاق كان وسيلة ممتازة لبدء خمس ساعات من الجدل في أي مؤتمر. إنهم عصبية من العجائز الحمقى»، وتبتسم لنفسها، وتذكر، ثم تتجههم فجأة. تفهمين،

إن ديارس، المدينة التي تستضيف الجامعة، في المنطقة الاستوائية، غرب
يومينس بقليل.

تقول تونكي عندما تستفيق بعد لحظة: «لكني لا أصدق أن المواسم
الخامسة كانت تحدث طوال الوقت».

«لم لا؟».

«بسببنا»، وتبتسم، «أعني الحياة، ليست غريبة بما يكفي».

«ماذا؟».

تميل تونكي إلى الأمام. إنها ليست بذات حماسها السابق عن
المسلات، لكن من الجلي أن الحديث عن أي علم خفي يستثيرها.
للحظة، بين ثنايا وجهها المشرق المنفتح فتمتلئ الخدين، ترين بينوف، ثم
تحدث فتعود تونكي الجيومستية مرة أخرى. «لا شيء يبقى على حاله
في الموسم، صح؟ لكن ليس بما يكفي. فكري في الأمر معي، كل ما ينمو
أو يمشي على الأرض يتنفس هواء هذا العالم ويأكل طعامه وينجو من
تبدلات مناخه العادية، لسنا مضطرين إلى التغيير كي نفعل هذه الأشياء،
بل لدينا كل ما نحتاجه بالضبط، لأن هكذا يعمل العالم، أليس كذلك؟
ربما البشر أسوأ الكائنات في هذا، لأننا مضطرون إلى استخدام أيدينا
لصنع المعاطف بدلاً من أن ينمو لنا الفرو... لكننا مع ذلك نستطيع أن
نصنع المعاطف. لقد صُممنا كي نفعل ذلك، بأيادينا الماهرة القادرة على
الحياكة وعقولنا القادرة على فهم كيف نصطاد أو نربي الحيوانات من
أجل أصوافها. لكننا مع ذلك لم نُصمم على نحو يسمح لنا بفلتره الرماد
كي لا يدخل رئائنا ويتحول داخلها إلى أسمنت...».

«بعض الحيوانات تفعل ذلك».

ترميك تونكي بنظرة قبيحة. «توقفي عن المقاطعة، عيب».

تنهدين وتشيرين إليها كي تتابع، فتومئ وقد هدأت: «طيب، صحيح أن بعض الحيوانات تنمو لها مرشحات في رئاتها خلال المواسم، أو تبدأ في التنفس في المياه وتنزل المحيطات لأنها أمان، أو تدفن نفسها وتدخل في سبات، أو غير ذلك. ونحن لم نتعلم فقط صنع المعاطف، بل وبيوت الأحراز والحوائط وقول الصخر... لكن كل هذه، استدراكات»، تحرك يدها بجنون، وكأنها تصطاد الكلمات من الهواء، «مثل... مثلما عندما ينكسر قضيب في عجلة عربتك الخشبية في منتصف الطريق بين الكومونات، ماذا تفعلين؟ ترتجلين، تضعين عصًا أو حتى قطعة معدن حيثما كان القضيب المكسور، من أجل دعم العجلة بما يكفي حتى تصلي إلى صانع عجلات. هذا ما يحدث عندما تبدأ الكيركوزات في استحسان مذاق اللحم خلال الموسم. لماذا لا تأكل اللحم طوال الوقت؟ لماذا لم تأكل اللحم منذ البداية؟ لأن الكيركوزات لم تُصمم لأكل اللحم، بل لغير ذلك، ولا تزال أفضل في أكل غير ذلك، وأكل اللحم خلال المواسم ليس إلا ترقيعًا، تعديل في آخر لحظة لحماية الكيركوزات من الانقراض».

«هذا...». تُذهلين. يبدو هذا جنونًا لكن له إحساس الحقيقة بشكل ما. لا تستطيعين إيجاد أي ثغرة في النظرية كي تشيرى إليها، ولست متأكدة إن كنت تريدان هذا، فتونكي ليست بالشخص الذي تودين مناظرته بالمنطق.

تومئ تونكي، «لذلك أنا لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير في المسلات. إنها من صنع البشر، ما يعني أننا جنس قديم قدم المسلات على الأقل، وذلك وقت كافٍ جدًا للانهار والبدء من جديد ثم الانهار من جديد. أو، لو أن قصص القيايين حقيقية، لعله وقت كافٍ لترقيع ممكن المشكلة، حلها حلًا ارتجاليًا مؤقتًا حتى يحين وقت الإصلاحات الحقيقية».

ينقلب وجهك، «ثانية واحدة، أتحسب القيادة اليوميانية أن المسلات، التي هي مخلفات من حضارات ميتة، هي الحل؟».

«بالضبط. القصص تقول إن المسلات هي ما يحافظ على ترابط العالم في حين يفترض به الانهار، وتلمح إلى أن ربما تكون هناك وسيلة ذات يوم لإنهاء المواسم تتضمن المسلات».

لإنهاء كل المواسم؟ يصعب عليك حتى مجرد تخيل ذلك. لن تعود ثمة حاجة إلى مخلاة هروب أو بيوت أحرار، ستدوم الكومونات إلى الأبد، وتنمو إلى الأبد. ستصبح كل المدن يوميانية. تتممين: «سيكون هذا رائعًا».

ترميك تونكي بنظرة حادة، تقول: «أعلمين، ربما يكون الأوروبيون أيضًا نوعًا من الحل، وعندما تنتهي المواسم لن تعود هناك حاجة إليكم». تقطين وجهك نحوها، لست متأكدة إن كان يجب أن يطمئنك هذا أو يقلقك، إلى أن تبدأ تونكي في تمشيط ما تبقى من شعرها بأصابعها، وتدرकिन أنك لم يعد لديك ما تقولينه.

هوا غائب. لا تعلمين بالضبط أين هو. لقد تركته خلفك في العيادة
يحدق إلى ياقوتية الشعر، وعدت بدونه إلى الشقة كي تحاولي أن تنامي
بضع ساعات أخرى، ولم يكن بجوارك عندما استيقظت. لفة صخوره
الصغيرة لا تزال في الغرفة بجوار فراشك، أي إنه عائدٌ لا محالة. على
الأرجح لا يوجد أي خطب، لكنك تشعرين بفقد غريب من دون
حضوره المبهم غير الملحوظ. لكن لعل هذا أفضل، لأنك تحتاجين إلى
القيام بزيارة قد تكون أسهل بغير... عدوانية.

توجهين إلى العيادة مجددًا، بهدوء. تظنين أن الوقت أول المساء،
يصعب تحديد ذلك في كاستريما السفلية، لكن جسدك لا يزال مضبوطًا
على إيقاع السطح، وهذا يكفيك الآن. يحدجك البعض بنظرات جانبية
على المنصات والممرات لدى مرورك وسطهم، من الواضح أن للنميمة
نصيبًا غير قليل من وقت هذه الكومونة. لا يهم. كل ما يهم هو هل
حظي ألابستر بوقت كافٍ للشفاء أم لا، تحتاجين إلى الكلام معه.

ليس هناك أثر لجثة الصياد الذي مات في الصباح، تم تنظيف كل
شيء. لِرنا هناك، يرتدي ملابس نظيفة، ويرنو إليك حالما تدخلين.
تلاحظين أنه لا يزال في وجهه بعض الجمود، لكنه يقابل نظرتك بمثلها
للحظة، ثم يومئ ويعود إلى ما كان يفعله بأشياء تبدو وكأنها أدوات
جراحية. ثمة رجل آخر بالقرب منه، ينقل سائلًا ما إلى مجموعة من
القوارير الزجاجية. لا يرفع الرجل حتى عينه نحوك. إنها عيادة عامة،
في وسع أي شخص الدخول.

وما إن تقطعي منتصف الطريق في العيادة، في الممر المركزي بين

صفوف الأسرة، حتى تبدئي في إدراك ذلك الصوت الذي كنت تسمعيه بلا وعي طوال الوقت: مهمة من نوع ما. تبدو في البداية أحادية النبرة، لكن ما إن تركزي فيها حتى تميزي نبرات مختلفة، متناغمة، إيقاعًا هادئًا. موسيقى؟ موسيقى شديدة الغرابة، يتعذر تحليلها إلى حد يجعلك غير متأكدة إن كانت الكلمة تصفها فعلاً. يشق عليك في البداية معرفة مصدرها. لا يزال ألابستر حيث رأيته هذا الصباح، فوق كومة من الوسائد والأغطية على الأرض، وعلى منضدة قريبة منه أوعية وبكرة ضمادات نظيفة ومقص ومرهم في إناء ومرحاض فراش، غير مستخدم لحسن الحظ منذ تنظيفه آخر مرة، وإن كان لا يزال يعبق بالروائح.

تدركين وأنت تفرصين على الأرض بجواره أن الموسيقى قادمة من آكلة الصخر. تجلس أنتيموني معقودة الساقين بالقرب من «عش» ألابستر، ساكنة تمامًا، تبدو وكأن أحدهم تكبد عناء نحت تمثال على هيئة امرأة جالسة معقودة الساقين ترفع إحدى يديها. ألابستر نائم في وضع غريب شبه جالس، إلى أن تفطني إلى أنه مستند بظهره إلى يد أنتيموني. ربما ذلك الوضع هو الوحيد الذي ينام فيه بارتياح؟ ثمة ضمادات جديدة على ذراعيه اليوم تلمع بالمرهم، ولا يرتدي أي قميص، ما يساعدك على رؤية أنه ليس متضررًا إلى الحد الذي حسبتيه في البداية. هناك بقع صخرية على صدره وبطنه، ولا توجد حروق إلا قليلًا حول كتفيه، أغلبها شفي. لكنه أقرب إلى هيكل عظمي، ولا تكاد تكون هناك أي عضلات، وأضلعه بارزة، وبطنه مثل حفرة متقعرة. وأيضًا، ذراعه اليمنى أقصر مما كانت هذا الصباح.

ترفعين نظرك إلى أنتموني. تصدح الموسيقى من مكان ما بداخلها،
وعينها السوداء مركزة فيه. لم يحرك مجيئك أيهما. إن هذه الموسيقى الغربية
مطمئنة، وألا بستر يبدو مستريحًا.

تقولين: «أنت لم ترعيه كما ينبغي»، تنظرين إلى أضلعه البارزة،
وتذكرين الأمسية التي لا حصر لها التي وضعت فيها الطعام أمامه
وحدقت فيه بينما يأكل على مضض، بالتآمر مع إينون كي تجعله يأكل في
الوجبات الجماعية. كان يأكل أكثر دومًا تحت أنظار الآخرين. «إن كنت
تنوين سلبه منا، فلتجعليه على الأقل يأكل جيدًا. فلتسمنيه قبل أن تأكله
أو مثل ذلك».

تستمر الموسيقى. يصدر عنها صوت باهت جدًا أشبه بصوت
جرش الصخر بينما تستدير عيناها الكابوشونيتان نحوك أخيرًا. كم هما
غريبتان، رغم تشابههما السطحي مع أعين البشر. لا ترين أية عروق أو
بقع في المادة الجافة المنطفئة التي يتشكل منها بياض عينيها، أو أي من
الإصفرار الباهت الذي قد يشير إلى إرهاق أو قلق أو أي شيء بشري
آخر، بل ولا يسعك تمييز أي بؤبؤ وسط سواد قزحيتها، إنها لا ترى
من خلالها بحسب ما تعرفين، وتستخدم مرفقيها كي تحدد وجودك
واتجاهك.

تقابلين هذه العيون وتدركين، فجأة، أن قدرتك على الخوف أمست
أقل القليل.

«أخذتني منا ولم نستطع فعل شيء بدونه». لا، هذه كذبة قوامها
النقصان. إينون كان بريًا، لا أمل له في مواجهة الوصاة وأوروچينيو

المرتکز، لكن أنت؟ أنت من أفسد كل شيء. «أنا لم أستطع فعل شيء بدونه، لو كان ألابستر هناك لكان... كم كرهتك. أقسمت بعدها، وأنا أتوه في الأرض، أقسمت أن أجذك وأقتلك، وأن أضعك في مسلة مثل ذلك الآخر وأدفنها في المحيط، أعمق مما يستطيع أي شخص استخراجها».

تراقبك من دون أن ترد. لا يمكنك حتى استقراء سرعة تنفسها، لأنها لا تتنفس. لكن الموسيقى تتوقف، تموت في دوامة الصمت. هذا على الأقل رد فعل.

لا فائدة من هذا في الواقع. لكن الصمت أثقل وطأة، وأنت لا تزالين حانقة نوعاً، فتضيفين: «خسارة، كانت الموسيقى جميلة».

(لاحقاً، وأنت في فراشك تتفكرين في أخطاء اليوم، ستفكرين لقد صرت مجنونة بقدر ما كان ألابستر من قبل).

بعد وهلة يتحرك ألابستر، يرفع رأسه ويصدر أنيناً هادئاً يعيد عقلك وقلبك عشرة أعوام إلى الوراء ثم يستديران ويعودان. يرمش نحوك مرتبكاً للحظة، وتدرकिन أنه لم يتعرف عليك بشعر أطول من ذي قبل مرتين وبشرة تحمل علامات الزمن وملابس أبهتها الموسم. ثم يرمش مجدداً، وتزفرين زفيراً عميقاً، وتعودان مرة أخرى إلى هنا والآن.

يقول: «الأونيكية؟»، صوته لا يزال أجشاً من النوم. لا تستغربين أنه قد عرف. «لطالما كنت تقضمين أكثر مما تستطيعين مضغه يا ساين».

لا تبالين بتصحيح الاسم. «لقد قلت لي أن أستدعي مسلة».

«بل قلت التوبازية الصدئة. لكن إن كنت قد تمكنت من استدعاء الأونيكسية، فيبدو أنني قللت من تقدير تطورك»، تميل رأسه جانباً ويبدو عليه عمق التفكير، «ما الذي كنت تفعلينه في السنوات الماضية وشحذ تحكمك إلى هذا الحد؟».

في البداية لا تستطيعين التفكير في أي شيء، ثم تذكرين، «أنجبت طفلين». منعك المستمر لطفلين أوروچينيين من تدمير كل شيء حولهما استهلك من طاقتك الكثير في تلك الأيام. تعلمت النوم بعين مفتوحة، وسسبينا مستعدة لالتقاط أدنى لحظة خوف أو غضب تتاب الرضيع، أو ما هو أسوأ، هزة محلية قد تستفز ردة فعل أي من الطفلين. كم أخذت من كوارث خلال تلك الليالي.

يومي، وتذكرين متأخراً كم مرة استيقظت ليلاً في ميوف، لتجدين الأباستر نصف مستيقظ يراقب كورندم، وتذكرين كم كنت تشاكسينه بأنه يقلق أكثر من اللازم، وأن كورو ليس خطراً على أحد.

يا نار الأرض! تكرهين فهم الأمور بعد فوات الأوان.

يقول كما لو أنه يحدث نفسه: «لقد تركوني مع أمي بضع سنوات بعد أن ولدت». لقد خمنت هذا بالفعل من حقيقة أنه يتحدث لغة الساحليين. أما لغز كيف تكلمت أمه المستولدة بالمرتکز تلك اللغة، فليس إلى حله سبيل أبداً. «أخذوني منها فقط بعدما كبرت بها يكفي للانصياع إلى التهديد، أما قبل ذلك، فيبدو أنها منعتني من تجميد يومين بضع مرات. لا أظن أننا يفترض بنا أن يربينا راكدون». يتوقف، نظرته تشرد. «قابلتها بالصدفة بعد سنوات. لم أعرف عليها، لكنها عرفتني

بشكل ما. أظنها في -أو كانت في- مجلس المشرفين الأعلى، ولبست عشر خواتم بحسب ما أذكر». ثم يخرّ صامتًا للحظة. لعله يتأمل في حقيقة أنه قتل أمه أيضًا، أو ربما يحاول أن يتذكر شيئًا عنها غير مقابلة متعجلة بين غريبين في عمر.

يعود تركيزه المنجرف بغتة إلى الحاضر وإليك، «أظنك الآن في مقام تسعة خواتم».

لا يسعك منع نفسك من المفاجأة والسرور، حتى وأنت تخفيها وراء قناع اللامبالاة. «حسبت أن هذه الأشياء لم تعد ذات أهمية».

«صحيح، لقد حرصت على مسح المرتكز بالكامل عندما مزقت يومينس إربًا. ربما لا تزال هناك بعض المباني في المدينة، على حواف الشق، ما لم تنهَر بدورها. لكن الجدران السبجية باتت الآن هشيمًا، وتأكدت من أن المبنى الرئيسي هو أول ما وقع في الحفرة»، تجدين في صوته لذة عميقة ووحشية، يبدو مثلك قبل عدة سنوات، عندما حلمت بقتل آكلة الصخر.

(تنظرين إلى أنتيموني؛ لقد عادت إلى مراقبة ألابستر، يدها لا تزال تدعم ظهره. كنت لتحسين أنها تفعل ذلك بدافع من الإخلاص أو الطيبة، لو لم تكوني تعلمين أن يديه وقدميه وساعده الآن في أيّ كان ما يمكن اعتباره معدتها).

«أنا لا أذكر هذا إلا لكي يكون لديك نقطة ما للمقارنة»، يتحرك ألابستر كي يعتدل في مجلسه، ثم، وكأنه سمع أفكارك، يمدّ ذراعه اليمنى القصيرة ذات الرأس الحجرية، «انظري داخل هذه وأخبريني ماذا ترين».

«ألن تخبرني ما الذي يحدث يا ألابستر؟»، لكنه لا يرد، ويستمر في النظر إليك. تتنهدين. حسنًا.

تنظرين إلى ذراعه التي تنتهي الآن عند المرفق، وتتساءلين ماذا يعني بأن تنظري داخله. ثم تراودك فجأة بغير دعوة ذكرى تلك الليلة، عندما أجبر السم على الخروج من خلايا جسده. لكنه احتاج إلى مساعدة كي يفعل ذلك. تتجهمين، وتنظرين غريزيًا نحو ذلك الشيء الوردي غريب الشكل خلفه، الشيء الذي يبدو مثل سكين شديد الطول ضخمة المقبض، والذي هو، بشكل ما، مسلة، يسميها الإسبينية.

تنظرين إليه، لا بد أنه رأى ذلك في عينك. لا يتحرك، ولا أدنى اختلاجة في وجهه المحترق ذي القشرة الصخرية، ولا رمشة في جفونه عديمة الرموش. حسنًا، ليكن ما يكون، ما دمت تفعلين ما يطلبه.

تنظرين إلى ذراعه. لا تريد أن تخاطري بالنظر إلى الإسبينية، لا سبيل إلى معرفة ماذا قد يحدث حينها. بدلًا من ذلك تحاولين أولًا أن تدعي وعيك يدخل في ذراعه. تشعرين بعبث ما تفعلين، لقد قضيت حياتك كلها تسسبنين الأرض على عمق أميال. لكنك تتفاجئين بأن وعيك يتمكن فعلاً من استيعاب ذراعه. تبدو صغيرة وغريبة، قريبة جدًا وضيئلة جدًا، لكنها هناك، لأن الطبقة الخارجية منها على الأقل صخرية؛ كالسيوم وكاربون وشذرات من الحديد المؤكسد الذي لا بد أنه كان في دمه و...

تتوقفين، تعبسين، وتفتحين عينيك (لا تتذكرين أنك أغلقتيهما)، «ما هذا؟».

«ماذا تعنين بـ هذا؟»، جانب فمه الذي لم يفسده الحريق يتحرك في ابتسامة متهكمة.

تجهمين، «ثمة شيء في الأشياء التي...»، التي تتحول إليها، «... الأشياء الصخرية، لكنها ليست... لا أعرف، إنها صخرية وليست صخرية في نفس الوقت».

«أيمكنك أن تسسبني أعمق في لحم الذراع؟».

يفترض بك ألا يمكنك، لكنك تضيقين تركيزك إلى أدق حد ممكن، وعندما تضيقين عينيك وتضغطين لسانك إلى سقف حلقك وتنكمش أنفك، تجدين... كريات ضخمة لزجة تتقاذف وتتصادم فيما بينها... تنسحبين فورًا متقرزة. على الأقل الصخر نظيف.

«أنظري مجددًا يا ساين، لا تكوني جبانة».

كنت لتتزعجي منه لكنك كبرت على هذا الهراء. تضيقين فكك وتأخذين نفسًا عميقًا كي تقاومي الغثيان. كل شيء في داخله مبلل، وهذا البلل ليس محصورًا حتى بين طبقات من الوحل أو...

تتوقفين، تشدين تركيزك أكثر. تسسبنين فجأة بين الكريات المتحركة بسرعة، نفس الأشياء التي وجدتها في صخر ذراعه، تتحرك أيضًا لكن أبطأ وعلى نحو غير عضوي. هذا شيء آخر، لا هو باللحم ولا بالصخر، شيء غير مادي، ومع ذلك يحيط به إدراكك. يلمع كخيوط مشدودة بين أعضائه، وتتقاطع خيوطه في شبك، تتحرك باستمرار. أتلک طاقة؟ جهد؟ خيوط توتر تلمع وتجري بلا توقف.

تهزّين رأسك، تخرجين كي تستطيعي التركيز معه. «ما هذا؟».

هذه المرة يجيب، «إنها مادة الأوروجينية»، يجعل صوته درامياً لما كان عاجزاً عن تغيير تعبيرات وجهه بما يكفي، «أخبرتكَ من قبل أن ما نفعله لا يخضع للمنطق. نحن نضع شيئاً من ذواتنا في نظام الأرض كي نجعله يتحرك، فنتنتج أشياء مختلفة بالمرّة. لقد كان هناك دوماً شيئاً يربط هذا بذلك، وهذا هو». تكفهرين، يميل إلى الأمام وقد زاده حماسه حيوية، بالضبط مثلما كان يحدث في الأيام الخوالي... لكنه الآن يصدر عنه صوت صرير، ويجفل من الألم. يعتدل مرة أخرى ليستند إلى يد أنثيموني من جديد.

لكنك تسمعيه، وهو محق. لم يكن هناك قط أي معنى لفكرة عمل الأوروجينية، لا ينبغي أبداً أن يستطيع أحد بقوة الإرادة والتركيز الشديد أن يحرك الجبال. لا يوجد شيء مثل هذا في العالم كله. إن الناس لا يستطيعون إيقاف الانهيارات الجليدية بالرقص المتقن ولا إثارة الرياح بإصغاء السمع. وأنت لطالما علمت، على أحد المستويات، بوجود هذا الذي يجسد قوة إرادتك في العالم، هذا الـ...

لطالما كان ألابستر قادراً على قراءتك مثل كتاب مفتوح. يقول مشيراً إلى ما تفكرين فيه: «إن الحضارة التي صنعت المسلات كانت عندها كلمة تعبر عن هذا الشيء. وأظن أن افتقارنا إلى كلمة له ليس بلا سبب، لأن أحداً على مدى أجيال لا حصر لها لم يرغب في أن يفهم الأوروجينيين ما الذي يفعلونه، بل عليهم فعله فقط من دون فهم».

تومئين ببطء، «بعدما حدث في آليا، أفهم لماذا لم يرغب أحد في أن نتعلم كيف نتحكم في المسلات».

«الصدأ على المسلات. بل هم لم يريدوننا أن نفعل ما هو أفضل، أو أسوأ». يأخذ نفسًا عميقًا بحذر، «سنتوقف عن التلاعب بالصخر من الآن فصاعدًا يا إيسون. عليك أن تتعلمي التحكم في هذا الشيء الذي رأيته بداخلي، أن تدركي وجوده أينما كان. إن المسلات مصنوعة منه، وتفعل ما تفعله به فقط. علينا أن نجعلك قادرة على هذه الأفعال أيضًا، علينا أن نجعلك ذات عشرة خواتم على الأقل».

على الأقل؟ بهذه البساطة؟ «لماذا؟ ألا بستر، لقد ذكرت من قبل شيئًا يدعى قمرًا، تونكي ليست لديها أدنى فكرة عن ماهيته. ولا أفهم أيضًا كل تلك الأشياء التي قلتها، عن تسببك في الصدع، وأنت تريد مني فعل شيء أسوأ...». يتحرك شيء ما في إطار رؤيتك الخارجية. ترفعين عينك فتجدين أن الشخص الذي كان يساعد لِرنا قادم يحمل وعاء في يديه. عشاء ألا بستر. تخفضين صوتك، «وأنا بالمناسبة لن أساعدك في زيادة الأمور سوءًا. ألم تفعل أنت ما يكفي؟».

يقول بخفوت بينما يراقب الممرض القادم: «كان العالم يمتلك شيئًا يدعى القمر يا إيسون، جسم في السماء، أقرب بكثير من النجوم»، لا ينفك يتنقل بين مناداتك باسم وبآخر، هذا مُشتت للانتباه، «وخسارة القمر كانت جزءًا مما بدأ المواسم».

يقول القوالون: لم يكن الأب الأرض يكره الحياة. إنما هو يكرهها لأنه لا يساعدها على إضاعة طفله الوحيد.

لكن القوالين يقولون أيضًا إن المسلات عديمة الأذى.

«كيف لك أن تعرف...»، لكنك تتوقفين، لأن الرجل قد وصل،

فتسندين ظهرك إلى فراش قريب، وتهضمين ما سمعت بينما يطعم
المريض الألبستر بالملعقة طعامًا مهروسًا شبه سائل من نوع ما. يجلس
الألبستر في مكانه ويفتح فمه للطعام مثل طفل، عدا أن عينيه تظلان
عليك طوال الوقت، لا تهتزان، حتى أنك في النهاية تشيحين بنظرك. إن
بعض ما تغير بينكما، لا تستطيعين تحمله.

أخيرًا ينتهي الرجل، ويمشي وهو يرمقك بنظرة مسطحة، لكنها
توصل رأيه بأنك من كان ينبغي عليه مناولة الألبستر الطعام. لكنك
عندما تعتدلين وتفتحين فمك لإلقاء مزيد من الأسئلة، يقول الألبستر:
«أنا غالبًا سأحتاج إلى استخدام مرحاض الفراش قريبًا، لم أعد قادرًا على
التحكم في أمعائي جيدًا، لكنها على الأقل لا تزال تعمل»، يبتسم عندما
يرى النظرة على وجهك، ابتسامة لا تخلو من مرارة، «لا أريدك أن تري
هذا بقدر ما لا تريد أن أنت رؤيته، لذا، دعينا نقول إن عليك أن تعودى
لاحقًا؟ لنقل عند الظهر مثلاً، أظنه وقتًا لا يتعارض مع أي من وظائفى
الطبيعية المقررة».

هذا ليس عدلاً. لكن، بصراحة، بل هو عدل، وأنت تستحقين
لومه، لكن إن كان لا بد من اللوم فليكن متبادلاً. «لماذا فعلت هذا
بنفسك؟»، تشيرين نحو ذراعه وجسده المهترئ، «أنا لا...»، ربما كنت
لتتقبلي هذا أكثر لو فهمته.

«إنها عاقبة ما فعلت في يومينس»، يهز رأسه، «وهو ما عليك أن
تذكره يا ساين عندما تتخذين قراراتك الخاصة في المستقبل: لبعض
الأفعال ثمن بشع، وإن كان في بعض الأوقات يستحق الدفع».

لا يمكنك فهم كيف له أن يرى هذا الموت البطيء الشنيع ثمناً يستحق دفعه مقابل أي شيء، ناهيك عما أدى إليه ما فعله، أي دمار العالم. ولا زلت لا تفهمين ما علاقة أي من هذا بأكلي الصخر أو القمر أو المسلات أو أي شيء آخر.

«ألم يكن من الأفضل أن»، لا يسعك إلا قول، «أن... تعيش في سلام فقط؟»، لا يسعك قول: أن تعود، أن تعيش مع ساين ما تيسر من حياة متبقية، بأي شكل، بعد ميوف لكن قبل أن تجد هي تيريمو وجيجا وتحاول أن تبني نسخة أدنى من الأسرة التي فقدتها، قبل أن تصبح أنت.

وتجدين إجابتك في الطريقة التي تموت بها نظرته. تلك كانت النظرة على وجهه عندما كان في محطة التوصيل، يقف إلى جوار الجثة المتهكة لأحد أبنائه، وربما كانت نفس نظرته عندما علم بموت إينون، وقد كانت بكل تأكيد النظرة على وجهك بعد موت أوتشي. وعندها ما عدت في حاجة إلى إجابة على هذا السؤال. ثمة حدود لما يستطيع أن يخسره المرء، ولقد خسرتما الكثير، خسرتما وخسرتما وخسرتما، حتى لم يعد لدى أي منكما غير الأمل، وأنت قد تخلّيت عن هذا الأمل لأنه مؤلم جداً، مؤلم حد أنك أمسيت تفضلين الموت، أو القتل، أو التخلي بالكامل عن كل الروابط، عوضاً عن أن تخسري أي شيء آخر.

تفكرين في الشعور الذي كان في قلبك عندما وضعت يدك على أنف وفم كورندم، تفكرين في الشعور لا في الفكرة. الفكرة كانت بسيطة ومتوقعة: الموت أفضل من أن يعيش عبداً. لكن ما شعرت به

ساعتها كان حبًا باردًا وحشيًا، عزماً على الحفاظ على جمال ولطف حياة ابنك، مثلما كانت حتى ذلك اليوم، حتى لو كان معنى هذا هو إنهاءها مبكرًا.

لا يرد ألابستر على سؤالك، وأنت لم تعود في حاجة إلى إجابة. تنهضين كي تغادري، حتى يتمكن على الأقل من حفظ كرامته أمامك، فهذا في الواقع كل ما يمكنك منحه إياه، حبك واحترامك لم يعد لهما قيمة عند أي أحد.

وربما كان تفكيرك في الكرامة هو ما دفعك إلى إلقاء سؤال أخير، كي لا ينتهي حديثكما بغصة اليأس. هذه أيضًا طريقتك في تقديم غصن زيتون، وطريقتك في إخباره بأنك قررت أن تتعلمي ما يود تعليمك إياه. أنت لست مهتمة بجعل الموسم أسوأ أو أيًا ما في الأمر، لكن من الواضح أنه يحتاج إلى ذلك على نحو ما. الابن الذي أنجبه منك مات، والعائلة التي بنيتها فقدت أهم أركانها، بيد أنه يظل مرشدك، حتى لو لم يعد غير ذلك.

(ويضيف أيضًا الجزء الساخر الدفين فيك أنك أيضًا في حاجة إلى ذلك. إنها في الواقع مقايضة بائسة، ألابستر مقابل ناسون، هدف ألابستر مقابل هدف الأم الثكلى، تلك الألباز السخيفة مقابل اللغز الأهم والأوضح: لماذا قتل جيجا ابنه. لكنك، من دون ناسون حافزًا لك، في حاجة إلى أي شيء يثبتك على المتابعة، أي شيء).

لذا تقولين له وظهرك لا يزال موجهًا نحوه: «ماذا أطلقوا عليه؟».

«نعم؟».

«بناء المسلات. قلت إنهم كانت عندهم كلمة تصف ذاك الشيء في المسلات»، الأشياء الفضية التي تسري بين خلايا جسد الألبستر، ومركزة ومضغوطة في الأجزاء الصخرية منه، «أو مادة الأوروجينية. وبما أننا لم تعد لدينا كلمة له، ماذا كانت كلمتهم؟».

«أوه»، يتزحزح، لعله يتجهز لمراحض السرير، «الكلمة لا تهم يا إيسون، اخترعي كلمة لو أحببت، كل ما أنت في حاجة إلى معرفته هو أن هذا الشيء موجود».

«أريد أن أعرف ماذا كانوا يسمونه». فهذه قطعة صغيرة من الأحجية التي يريد أن يحشرها في فمك حشراً. تريد أن تلفي أصابعك عليها، أن تتحكمي في هضمها، وأن تتذوقي ولو بعضها على الأقل. لعلها كانت حماقة منهم، وشرّاً أيضاً، لأنهم بهذا تسببوا كما هو واضح في ابتلاء أحفادهم بالمواسم، هذا لو كانوا هم فعلاً من سببوا ذلك. لكنها في النهاية قوة. ولعل في معرفة الاسم قوة لك بشكل ما.

يبدأ في هزّ رأسه، يجفل حين يوجعه ذلك، فيكتفي بالتنهد، «كلمتهم لهذا الشيء كانت: السحر».

لا معنى لذلك، مجرد كلمة. لكن لعلك قادرة على إعطاء الكلمة معنى بطريقة ما. تكررنيها: «السحر»، تحفظينها. ثم تومئين إليه مودعة، وتغادرينه دون أن تنظري خلفك.

عرف آكلو الصخر أنني كنت هناك، أنا متأكد من ذلك، لكنهم لم يهتموا. لقد راقبتهم لساعات قضاها واقفين بلا حراك، والأصوات تتردد بلا

مصدر واضح. كانت اللغة التي يتحدثون بها... غريبة. لعلها أركتيكية؟ إحدى اللغات الساحلية مثلاً؟ لم أسمع مثلها قط. مع ذلك، أعتزف بأنني بعد حوالي عشر ساعات وقعت في النوم. ثم استيقظت على صوت انسحاق هائل وهشيم جبار حد أنني حسبت موسم الانشقاق نفسه قد حلّ من جديد. وعندما تجاسرت على فتح عيني، كان أحد آكلي الصخر متناثرًا على الأرض، والبقية واقفين مثلما كانوا من قبل، باستثناء ابتسامة مشرقة لامعة، موجهة نحوي.

مذكرات أوس مبتكر (شديد سابقًا) تيكاستريس

جيو ميستي هاو

(مرفوضة من الجامعة الخامسة)

ناسّون تجد القمر

طالت رحلة ناسّون وأبيها جنوبًا عليهما وشقّت. قطعاً أكثر الرحلة بالعربة ذات الحصانين، ما يعني أنهما تحركا أسرع من إيّسون، التي كانت خلفهما على قدميها. عرض جيّجا على المسافرين الركوب معهما مقابل الطعام أو المتاع، ما منحهما مزيداً من السرعة، إذ لم يعودا مضطرين إلى الوقوف من أجل المقايضة كثيراً. بسبب تلك السرعة أيضاً لم تلحق بهما أسوأ التغيرات المناخية؛ هطول الرماد وتوحش الكيركوزات والغلايات وغيرها من الشرور التي تستيقظ في الأماكن التي تجاوزاها. انطلقا بسرعة حتى أنهما لما مرّا على كاستريما السطحية لم تشعر ناسّون باستدعاء إيكا إلا بالكاد، إلا في حلمها. حلمت بها تشدّها إلى الأسفل، إلى حيث دفء الأرض ونور الكريستالات الأبيض. لكن حتى حلمها هذا كان بعدما تجاوزا كاستريما بعشرة أميال، لأن جيّجا يومها قرر أن في وسعهما الاستمرار أكثر قليلاً قبل التّرجل والتخييم، وبهذا أفلتا من فخ المباني الخاوية المغربية للعابرين.

عندما يضطّران إلى التوقف في كومونات، يجدانها في حالة إغلاق

فقط، ولم تعلن بعد الأحكام الموسمية، أملاً في أن الموسم لن يبلغ الجنوب البعيد، إذ نادراً ما تؤثر المواسم في القارة كلها في نفس الوقت. ناسون لا تذكر حقيقتها أمام الأغراب أبداً، لكنها لو كانت تستطيع ذلك، لأخبرتهم بأن لا يوجد مكان آمن من هذا الموسم. ربما لن تعاني بعض أصقاع السكون من آثاره الكاملة مثل البقية، لكنه في النهاية سيضر الجميع.

بعض الكومونات التي يحلان بها تدعوهم إلى البقاء. مع أن جيغا ليس شاباً، لكنه صحيح معافى، ولحرفته وطائفة استخدامه قيمة كبيرة، وناسون صغيرة بما يكفي للتدرب على أي مهارة مطلوبة، وتبدو عليها صحة الجسد، وقامتها أطول من عمرها، إذ بدأت بالفعل تبدي علامات على أنها ستصل إلى قمة أمها الأوسطية القوية. تشعر ناسون في بعض الكومونات التي يتوقفون فيها، القوية منها ذات المخازن العامرة والأشخاص الودودة، بالرغبة في البقاء، لكن جيغا يرفض، لأن له وجهة يبطنها.

بعض الكومونات التي يمران عليها تحاول قتلها. هذا غير منطقي، إذ إن قافلة من رجل وطفلة لا يمكن أن يكون في حوزتهما مقتنيات قيمة إلى حد يستدعي قتلها. لكن في الموسم لا مكان للمنطق. يركضان من بعض الكومونات، وفي أحدها يرفع جيغا سكينه على رأس رجل كي يخرجهما من الكومونة بعدما اصطحبهما عبر بوابتها ثم حاول أن يحاصرهما فيها. يخسران عربتهما والحصانين، وهما على الأرجح كل ما أرادته الكومونة منهما، لكن جيغا وناسون يهربان، وهو كل ما يهم. من الآن فصاعداً سيسافران على الأقدام، أبطأ، لكن أحياء.

في كومونة أخرى، حيث لم يكثر أهلها بتحذيرها حتى قبل
تصويب أقواسهم المستعرضة نحوهما، ناسون هي من تنقذهما. تفعل
ذلك بلفّ ذراعيها حول أبيها ونشب أنياب أوروچينيتها في الأرض
وسحب الحياة والحرارة والحركة حتى آخر ذرة من الكومونة برمتها،
حتى تصبح كعكة ثلجية لامعة ضخمة من الحوائط الجليدية الفضية
والأجساد المتيسية.

(لن تفعل ذلك مجددًا أبدًا، ليس بعد نظرة جيغا إليها بعدها).

يظلان في الكومونة الميتة بضعة أيام، يرتاحان في بيوتهم الخاوية
ويتزودان من مؤونتها. لا يزعجهما أحد، لأن ناسون تحافظ على الأسوار
مثلجة كعلامة (احذر، هنا خطر) لا تخفى على أحد. لكنهما بالطبع لا
يمكنهما إطالة المكوث، في النهاية ستجتمع بقية كومونات المنطقة
وتأتي لقتل الروچا الذي سيفترضون أنه يهددهم جميعًا. إن هي إلا أيام
قليلة من الماء الدافئ والطعام الطازج - يطهو جيغا إحدى دجاجات
الكومونة الثلجة فيحسن طهوها - ويذهبان، قبل أن تذوب الأجساد
وتبدأ في التعفن.

على هذا النحو تمضي الأمور: قطاع طرق ونصابون وهبة غاز
شبه مميتة وشجرة ترمي شظايا خشبية حارقة حالما تقترب منها أجساد
دافئة، وينجوان من هذا كله. ناسون تكبر كثيرًا، مع أنها جائعة على
الدوام ونادرًا ما تأكل حتى الشبع. بحلول الوقت الذي يبلغان فيه
المكان الذي سمع عنه جيغا، تكون أطول بثلاث بوصات، وانقضى
من الزمن عام.

أخيراً باتا خارج الجنوب الأوسط، وعلى حافة الأنتاركتيكا. بدأت ناسون ترتاب في أن جيغا ينوي أخذها إلى نايف، إحدى مدن إقليم أنتاركتيكا القليلة، التي يُقال إن مرتكز الأنتاركتيكا يقع قريباً منها. لكنه ينحرف بهما إلى طريق نايف-بيلاستين الإمبراطوري ويتوجهان شرقاً، ويتوقفان من حين إلى حين حتى يتشاور جيغا مع السكان على طول الطريق ليرى إن كانا على الطريق الصحيح. وكان في إحدى تلك المحادثات، التي تجري همساً، مع أشخاص يستقرو فيهم جيغا الحصافة بعد بضع ساعات من الدردشة ومشاركة الطعام، أن عرفت ناسون أخيراً إلى أين هما ذاهبين. تسمع جيغا يهمس إلى امرأة خرجت للاستكشاف لصالح كومونتها المحلية، بعدما شاركتها وجبتها من اللحم حول نار أشعلها جيغا: «أخبريني، أسمعت من قبل عن القمر؟».

لا تفهم ناسون من ذلك شيئاً، لا السؤال ولا الكلمة في آخره. فتنصح المرأة جيغا باتخاذ الطريق الإقليمي المتجه نحو الجنوب الشرقي بدلاً من الطريق الإمبراطوري، ثم الاعتدال نحو الجنوب الصريح عندما ينعطف النهر الذي سيبلغانه عما قريب. بعد ذلك تتظاهر ناسون بالنوم، لأنها تحسّ بنظرة المرأة تطبق عليها. في النهاية، يعرض جيغا على المرأة بخجل أن يساعدها في تدفئة فراشها القابل للطي. تسمع بعدها ناسون والدها يعمل على جعل المرأة تنن وتشهق مقابل الطعام، ولكي يجعلها تنسى أن ناسون هنا. يذهبان في الصباح قبل أن تستيقظ المرأة، كيلا تتبعهما وتحاول إيذاء ناسون.

ينحرفان إلى الجنوب بعد أيام عندما ينعطف النهر ويدخلان غابة،

عبر عمر تظلله الأشجار لا يكاد يكون أكثر من شريط ممدد شاحب وسط دغل من الفروع والشجيرات المتشابكة. السماء في هذه الناحية من العالم لم تختفِ تمامًا خلف الرماد، وكثير من الأشجار لا تزال تحفها الأوراق، بل إن ناسون تسمع أحيانًا إبان مرورهما تقافز وركض الحيوانات وتغريد الطيور. لا يوجد غيرهما على هذا الطريق، وإن كان قد شهد مرور البعض قبل وقت قريب على الأرجح، وإلا كانت ستغشاها النباتات أكثر مما هو بالفعل. تتذكر أنها قرأت في الكتب - في حياة أخرى - أن الأنتاركتيكا جزء قاسٍ شحيح السكان من العالم. كوموناته قليلة، طرقه الإمبراطورية أقل، شتاؤه صعب حتى في غير الموسم، والسفر عبر أرباعه يستغرق الأسابيع. مساحات ضخمة من الأنتاركتيكا ليست إلا سهولا جليدية، والحافة الجنوبية لها يقال إنها ستغدو جليدًا صلبًا يمتد إلى البحر البعيد. وقرأت أيضًا أن سماء الليل هناك، إن كانت رؤيتها ممكنة عبر الغيوم، تعجّ أحيانًا بأضواء ملونة مترقصة غريبة.

لكن الهواء في تلك الناحية من الأنتاركتيكا مشبع بالبخار رغم البرودة الخفيفة. وتستطيع ناسون أن تتسببن تحت قدميهما ممخضة ثقيلة مكبوتة لبركان درعي نشط، بل ناثر، لكنه يثور ببطء شديد، يبصق الحمم نقطة نقطة على امتداد الجنوب. وعلى طبوغرافيا وعيها، تميز فتحات بضعة منافس غاز ونقاط غليان تبلغ السطح على هيئة نبع ساخن أو فوارة حارة. تلك الرطوبة والتربة الدافئة هما ما يحافظان على الأشجار خضراء.

ثم تنفرج الأشجار، ويلوح أمامهما شيء لم تر له ناسون مثيلاً من قبل. يبدو لها تشكيلاً صخرياً، لكنه يتكون من عشرات الأعمدة الطويلة من صخر بين البني والرمادي، تتموج صعوداً مثل منحدر، وتعلو حتى يمكن اعتبارها جبلاً صغيراً أو تلا مرتفعاً. يتوج هذا النهر الصخري هضبة تغطيها مظلة من الأشجار الخضراء الكثيفة. فوق تلك الهضبة تستطيع ناسون أن تلمح عبر الأشجار شيئاً قد يكون سقفاً مقعراً أو برج بيت أحراز. لعلها مستعمرة من نوع ما. لكنها لا ترى أي سبيل للوصول إلى هناك غير تسلق تلك الأعمدة الصخرية، ما يبدو خطيراً.

إلا... إلا. تنبثق فكرة من أعماق وعيها، حكة صغيرة تتحول إلى ضغط، تعلو حتى اليقين. تنظر إلى أبيها الذي يحدق إلى النهر الصخري أيضاً. في الشهور التي أعقبت موت أوتشي باتت أقدر على فهم جيغا أكثر من أي وقت سابق في حياتها، لأن حياتها تعتمد على ذلك. صارت تفهم أنه هش، هش رغم قوته البادية ورباطة جأشه. صار مشروخاً، شروخه جديدة لكنها خطيرة، مثل حواف الصفائح التكتونية، مضطربة دائماً لا تستقر أبداً، أدنى احتكاك كفيل بأن يطلق منها مقدار دهور من الطاقة المكبوتة فتدمر كل شيء قريب.

لكن لو أنك تعرف الطريقة، فكم يسهل التحكم في الزلازل. هكذا تقول ناسون وهي تراقبه بحذر: «هذا من صنع الأوروجينيين يا بابا».

خمنت أنه سيتوتر، وقد فعل. خمنت أنه سيحتاج إلى أخذ نفس عميق ليهدئ نفسه، وقد فعل. إن مجرد التفكير في الأوروجينيين يثير فيه ما كان

يثيره في ماما رؤية النبيذ الأحمر: أنفاس متهدجة وأيد مرتعشة وركب رخوة أو أحياناً متجمدة. لهذا لم يكن في وسع بابا أن يأتي إلى البيت بأي شيء لونه خمري، لكنه وقتما كان ينسى ويفعل، لم يكن هناك أي سبيل للتفاهم مع ماما حتى ينتهي ارتعاشها وتسارع نفسها وانقباض يدها.

(بل فرك يدها. ناسون لم تلاحظ الفارق، لكن إيسون كانت تفرك إحدى يديها، حيث يكمن الألم القديم في العظام).

وما إن هدأ جيغا بما يكفي، حتى أضافت ناسون: «وأظن أن أحدًا لا يستطيع صعود هذا المنحدر غير الأوروچينيين». في الواقع هي متأكدة من ذلك. إن تلك الأعمدة الصخرية تتحرك، على نحو غير محسوس. إن المنطقة كلها بركان يثور ببطء بالغ، وهنا، يبصق البركان سيلاً مستمرًا ومتزايدًا من الحمم التي تستغرق أعوامًا حتى تبرد، وعندها تنكمش وتنفصل بعضها في قضبان سداسية مثل تلك الأشياء. يسهل على أي أوروچيني، حتى لو كان غير مدرب، أن يدفع ذلك الضغط المتنامي، وأن يتذوق بعض تلك الحرارة التي تبرد ببطء، ويرفع عمودًا جديدًا، ويركبه صعودًا قمة الهضبة. إن كثيرًا من تلك الشرائط الصخرية أمامهما رمادية شاحبة، وأكثر طزاجة وحدة من البقية. ثمة من رفعهم في وقت قريب.

ثم يفاجئها بابا بهزّ رأسه بتشنج، «هناك... يفترض أن يكون هناك آخرون مثلك». إنه لا ينطق أبدًا بكلمة حرف الألف، أو حتى كلمة حرف الراء، بل يقول دائمًا مثلك أو من نوعك وما إلى ذلك. «لهذا جئت بك إلى هنا يا حبيبتي».

«أهذا هو مرتكز الانتاركتيكا؟»، لعلها أخطأت في تقدير موقعه.

«لا»، تتكور شفته، «بل أفضل».

إنها أول مرة يبدي استعدادًا للتحدث عن هذا. تنفسه أيضًا لا يتسارع ولا يحدق فيها مثلما كان يفعل عادة عندما كان يتعذر عليه تذكر أنها ابنته. تقرر ناسّون أن تجرب قليلًا، أن تختبر تماسكه: «أفضل؟».

«أفضل»، ينظر إليها، ولأول مرة منذ وقت تشعر أنه من قديم الأزل، يبتسم لها مثلما اعتاد أن يفعل، مثلما يبتسم أب لابنته، «إنهم قادرون على علاجك يا ناسّون، هذا ما تقوله الحكايات».

تكاد تسأل علاجي من ماذا؟ ثم تتدخل غريزة البقاء وتعض لسانها قبل أن تتفوه بتلك الحماقة. ثمة مرض واحد فقط يشوبها في نظره، سم واحد هو على استعداد للسفر عبر نصف العالم كي يخرجها من ابنته الصغيرة.

علاج، علاج للأوروبيّة؟ يشقّ عليها حتى مجرد التفكير في هذا. أيمن أن تكون غير... نفسها؟ أن تكون طبيعية؟ أهذا ممكن؟

تُصعق حينها تدرك أنها غفلت عن مراقبة أبيها للحظة، وعندما تتذكر ترتجف، لأنه من كان يراقبها. غير أنه يومئ راضيًا عندما يرى النظرة على وجهها، هذا ما أراد أن يراه، المفاجأة، أو ربما الدهشة، أو السرور. كانت استجاباته لتصبح أسوأ لو رأى على وجهها الانزعاج أو الخوف.

تسأله: «كيف؟»، الفضول لن يزعجه.

«لا أدري، سمعت عنه من أحد المسافرين من قبل»، بالضبط

مثلها لكلمة «أمثالك» معنى واحد عنده، لا تعني «من قبل» سوى شيء واحد، لكليهما، «يقولون إن هذا المكان ظهر منذ خمسة أو عشر أعوام». «لكن ماذا عن المرتكز؟»، تهز رأسها بارتباك، لقد حسبت أن...
يلتوي وجه بابا. «إن الحيوانات المدربة المقيدة تظل حيوانات»، يدير وجهه نحو نهر الصخور المرتفع، «أريد أن استعيد ابنتي الصغيرة». «وأنا لم أذهب بعيداً قط، تفكر ناسون في هذا لكنها أذكى من التفوه به.

لا يوجد أي طريق واضح للذهاب، ولا علامات تشير إلى أي شيء عمّا قريب. قد يرجع هذا إلى الدفاعات الموسمية، لقد رأيا بضع كومونات لا تكتفي فقط بحماية نفسها بالأسوار، بل وأيضاً بعوائق لا تُقهر وتمويهات لا تُكشف. لا شك أن أعضاء الكومونة يعرفون سبيلاً سرّياً ما للصعود، لكن من دون تلك المعرفة لا يبقى لجيجا وناسون غير أحجية في حاجة إلى حل. لا يوجد طريق سهل للطلوع؛ لعلهم يجدون طريقاً أو سلماً لو التفتاً حوله، لكن هذا قد يستغرق أياماً.

تجلس ناسون على جذع شجرة قريب، بعد أن تتأكد من خلوه من الحشرات أو غيرها من المخلوقات التي قد تنقلب عدوانية في الموسم (تعلمت ناسون أن تعامل الطبيعة وأباها بنفس الحذر القلق). تراقب جيجا يخطو ذهاباً وإياباً، متوقفاً بين حين وحين ليركل أحد الشرائط الصخرية في منبعه. يدمدم بينه وبين نفسه. سيحتاج إلى بعض الوقت حتى يقرّ بماذا ينبغي أن يحدث.

في النهاية يلتفت نحوها. «أستطيعين فعلها؟».

تنهض. يتراجع متعثراً وكأنها فوجئ بحركتها المباغته، ثم يقف ويحدق إليها. إنها تقف مكانها لا أكثر، كي يرى كم يؤلمها رؤية أنه يخشاها. تلتوي عضلة في فكه، يتحول بعض غضبه إلى حزن (وليس أكثر من البعض). «هل ستضطرين إلى قتل هذه الغابة كي تفعلوها؟».

أوه. صارت تفهم بعضاً من قلقه الآن. إن ذلك أول مكان أخضر يريانه منذ عام. تقول: «لا يا بابا. ثمة بركان»، وتشير إلى تحت أقدامهما. يجفل مجدداً وهو ينظر إلى الأرض، بنفس البغض الصافي الذي ينظر به أحياناً إليها. لكن كره الأب الأرض مثله مثل تمنى أن تنتهي المواسم، بلا طائل.

يأخذ نفساً عميقاً ويفتح فمه، وتتوقع ناسون منه أن يقول حسناً، حتى أنها تبدأ في رسم الابتسامة التي سيحتاج إليها كي يطمئن، وبهذا باغتهما على حين غفلة صوت القعقة العالي الذي تردد في الغابة حولهما، دافعاً إلى السماء سرباً من الطيور لم تعلم أنهم كانوا موجودين. يرتطم شيء ما بالأرض عمماً قريب، فتجفل ناسون من الصدى الباهت للصدمة في طبقات الأرض. شيء صغير، لكن قوته هائلة. ثم يصرخ جيغا.

كان رد فعل ناسون على الأحداث المباغته من قبل هو الجمود الكامل، نتيجة لتدريبات ماما. لكن بعضاً من تلك التهيئة المسبقة خفت عبر السنة المنقضية، والآن، رغم أنها تتجمد في مكانها، ترمي وعيها في الأرض مع ذلك... وإن كان لعدة أقدام فقط. لكنها تتجمد تجمداً آخر لما ترى السهم المعدني الثقيل الضخم الشائك، الذي اخترق ربله ساق أبيها. «بابا!».

جيجا واقع على ركبة واحدة، يحتضن ساقه ويصدر من بين أسنانه صوتًا أقل من الصراخ، لكنه لا يقل عنه ألمًا. هذا الشيء ضخيم، طوله عدة أقدام ومحيطه بوستان. ترى ناسون كيف أنه مزق اللحم في طريقه عبر ساقه. طرف السهم منغرس في الأرض في الناحية الأخرى، تثبت جيجا في مكانه. هذا ليس سهم قوس مستعرض، بل حربونًا، وثمة سلسلة رفيعة تخرج من طرفه الآخر.

سلسلة؟ تدور ناسون وهي تتبع السلسلة بنظرها. ثمة من يحملها من طرفها الآخر. هناك عدة أقدام تدوس الأرض بالقرب منهما، تطحن أوراق الشجر في طريقها. تلمع ظلال مارقة بين جذوع الأشجار وتختفي، تسمع نداءً بلغة أركتيكية سمعت مثلها من قبل لكن لا تفهمها. إنهم قطاع طرق، وهم قادمون.

تنظر مجددًا إلى أبيها الذي يحاول أن يتنفس بعمق. شحب وجهه، ونزف دمًا كثيرًا، لكنه يرفع نظره نحوها بأعين متسعة وبيضاء من الألم، فتذكر فجأة الكومونة التي حاول أهلها قتلها، الكومونة التي ثلجتها، وكيف نظر إليها بعدها.

إنهم قطاع طرق، اقتليهم، تعلم أن عليها فعل ذلك، ولو لم تفعل سيقتلونها.

لكن أباهما يرغب في طفلة صغيرة، لا حيوان.

تقف مكانها وتراقب وتلهث ولا تستطيع التوقف عن المراقبة، ولا تستطيع أن تفكر، أن تصرف، لا تستطيع فعل شيء غير الوقوف في مكانها والارتجاف وتسارع التنفس، ممزقة بين النجاة وبين أن تكون ابنة صالحة.

ثم يقفز أحدهم من فوق أبراج الحمام المتجمدة، يتقافز بين شريط صخري وآخر بسرعة ورشاقة غير مفهومين. ترمقه ناسون، إن أحداً لا يقدر على فعل ذلك. لكن الرجل ينزل ويحيط مقرضاً على التربة الحصوية عند سفح التل بصوت ثقيل مهيب. إنه ذو بنية قوية، تستطيع ناسون رؤية أنه ضخيم حتى وهو يحافظ على انحنائه وهو ينهض، مركزاً نظره على شيء في الأشجار خلف ناسون، ويستل سكيناً سبجياً طويلاً مخيفاً (ومع ذلك، لا تسسبن ثقل وقوعه على الأرض. ما الذي يعنيه هذا؟ وهناك أيضاً... تهزّ رأسها، تفكر في أن هذه غالباً حشرة، مع أن تلك الزنة الغريبة إحساس وليست صوتاً).

ثم ينطلق الرجل راكضاً نحو الدغل، تدفع قدماه الأرض بقوة تثير الغبار. يتدلى فم ناسون مفتوحاً وهي تلتفت كي تتابعه، وتفقد أثره وسط الخضار، لكن تتردد صيحة بتلك اللغة مجدداً... ثم، ومن تلك الناحية التي رأت الرجل يركض إليها، تسمع صوتاً حلقياً خافتاً، صوت من تلقى لتوه ضربة قاسية. تتوقف الظلال المتحركة بين الأشجار. ترى ناسون امرأة أركتيكية تقف متجمدة في فجوة واضحة بين كرمة وصخرة قديمة متهالكة. تلتفت المرأة، وتشهق كي تنادي أحدهم، وفي لمح البصر يصبح الرجل خلفها، يلكمها في ظهرها. لا، لا، بل يغرس سكينه... ثم يختفي قبل أن تقع المرأة. كم العنف والسرعة في الهجوم مذهل.

يقول جيغا: «نا... ناسون»، فتجفل ناسون مجدداً. لقد نسيت تماماً. تذهب إليه، تنحني وتضع قدمها على السلسلة كي تمنع أي شخص من استخدامها لأذيته أكثر. يقبض على ذراعها بقسوة، «عليك أن.. تركضي».

«لا يا بابا». تحاول أن تفهم كيف تتصل السلسلة بالحربون. إن ذراع السلاح أملس، لو تمكنت من فك السلسلة أو قص الجزء المسنن، سيتمكنان من تحرير ساق بابا منه. لكن ماذا يفعلان بعدها؟ إن جرحه رهيب. هل سينزف حتى الموت؟ لا تعلم ماذا يجب أن تفعل.

يثن جيغا بينما تحرك هي السلسلة على سبيل التجريب، لترى إن كان في وسعها ثنيها حتى تنفك. «لا أعتقد أن... أظن العظام نفسها...»، يتلوى جيغا، وتفكر ناسون في أن ابيضاض شفثيه نذير شؤم. «اذهبي!». تتجاهله. إن السلسلة ملحومة في نهاية الذراع. الآن وقد تحررت من جمودها إثر ظهور الرجل الغريب (وإن كانت يدها لا تزال ترتجف. تأخذ نفسًا عميقًا في محاولة للتغلب على خوفها. في مكان ما بين الأشجار ثمة غرغرة رقبة منحورة وصرخة غضب)، تتحسس السلسلة وتحس بقسوتها. تعلم أن جيغا في حوزته أدوات كسر الحجر، لكن الحربون معدن. لكن... المعادن تنكسر لو كانت باردة بما يكفي، أليس كذلك؟ أيمكنها مثلًا من خلال نطاق قوة شديد النخافة أن...؟

إنها لم تفعل هذا من قبل قط. لو أخطأت ستثلج قدمه. لكنها بشكل ما، غريزيًا، تشعر بأن هذا ممكن. إن الطريقة التي علمتها لها ماما، أي أن تفكر في الأوروجينية وكأنها حرارة وحركة تؤخذ من هنا وتُدفع هناك، لم تبدُ لها أبدًا مناسبة. صحيح أن بها حقيقة ما، فهي تعمل، تعلم ذلك من التجربة. لكن بها شيئًا... غير مضبوط. لطالما كانت تفكر فيها فقط لو أنني لم أتعامل معها على أنها حرارة، بل... دون أن تكمل تلك الفكرة إكمالًا مشمرًا قط.

ماما ليست هنا، على عكس الموت، وأبوها هو آخر شخص يحبها في العالم، حتى لو كان حبه مغمورًا بالآلم.

هكذا تضع يدها على طرف الحربون. «لا تتحرك يا بابا».

«ما...ماذا؟»، جيغا يرتجف، ويفقد المزيد من قوته بمرور كل لحظة. جيد، في وسع ناسون الآن التركيز بلا مقاطعة. تضع يدها الحرة على ساقه - لأن أوروچينييتها كانت دومًا تنأى عن تجميد نفسها، حتى عندما كانت غير قادرة على التحكم فيها بالكامل - وتغلق عينيها.

ثمة شيء تحت حرارة البركان، خيوط لامعة تتخلل موجات الحركة التي ترقص في قلب الأرض. إن التلاعب بالموجات والحرارة سهل، لكن مجرد إدراك هذا الشيء الآخر صعب، ولعل هذا سبب أن ماما علمت ناسون أن تبحث عن الموجات والحرارة بدلًا منه. لكن لو أنها تتمكن من القبض على هذا الشيء الآخر، الذي هو أنحف وأرهف من الحرارة والموجات، وأدق منهما أيضًا... لو أنها تتمكن من تشكيله ببيئة حافة حادة، وشحذه إلى درجة دقة لا متناهية، وتمزق به ذراع الحربون مثل... مثل...

هسيس سريع حاد يتردد بينما يثور الهواء بينها وبين جيغا، ثم تقع الناحية المربوطة بالسلسلة من الحربون. الحافة المقطوعة للمعدن ملساء لامعة مثل مرآة في نور الظهيرة.

تزفر ناسون في ارتياح وتفتح عينيها. فتجد جيغا مشدودًا ويحدق إلى ما وراءها بتعبير يمتزج فيه الرعب بالعدوانية. تلتفت ناسون مرتبكة، فترى الرجل ذا السكين خلفها.

شعره أسود وأملس مثل الأركتيكيين، وطويل بما يكفي للتدلي تحت وسطه. إن الرجل طويل حتى أنها تكاد تقع على مؤخرتها عندما ترفع نظرها إليه. أم أن هذا لأنها منهكة؟ لا تعرف بالضبط. يتنفس الرجل بصعوبة، وملابسه -رداء منزلي الصنع وبنطال قديم لكن أنيق وذو ثنية- ترقطها الدماء، وتغمر بخاصة سكينه السبجي في يمينه. ينظر إليها من عليائه بأعين تلمع كالمعدن الذي قطعتة للتو، وبابتسامة لا تقل عن حافته حدة.

يقول الرجل بينما تحديق فيه ناسون: «أهلاً أهلاً يا صغيرة، تلك كانت حركة رائعة».

يحاول جيغا أن يتحرك، مزحزحاً رجله مع ذراع الحربون، وكم كان ذلك مريعاً. يتردد صوت مكتوم لصرير احتكاك العظم بالمعدن، فيسعل أنيناً وصراخاً أليماً، وتبحث يده المتشنجة عن ناسون. تمسك ناسون بكتفه، لكنه ثقيل، وهي متعبة، وتدرك في رعب مفاجئ أنها تفتقر إلى القدرة على مقاتلة الرجل ذي السكين لو تطلب الأمر. يرتجف كتف جيغا في يدها، وترتجف بدورها بنفس القدر تقريباً. لعل هذا سر أن أحداً لا يستخدم تلك الخيوط الكامنة تحت الحرارة. والآن، ستدفع هي وأبوها ثمن حماقتها.

لكن الرجل أسود الشعر ينحني، برشاقة وبطء شديد مقارنة بما أبداه من وحشية وسرعة فائقة قبل لحظات. يقول: «لا تخافي»، يرمش، ثم شيء يخفق ويتردد في نظرتة، «هل أنا أعرفك؟».

لم ترَ ناسون هذا العملاق أبيض العينين وسكينه السبجي الأطول

في العالم من قبل قط. لا يزال السكين في يده، وإن كان الآن يتدلى بجواره، ينقط. تهز رأسها، بقوة وسرعة أكثر من اللازم.

يرمش الرجل، يختفي التردد وتعود الابتسامة. «لقد مات الأشرار، لقد جئت لإنقاذك، أليس كذلك؟»، ثم شيء غريب في هذا السؤال. إنه يسأل كما لو أنه يسعى إلى التأكيد: ألم أفعل؟ إنه سؤال شديد الإخلاص، وكأنه قادم من القلب مباشرة بشكل ما. ثم يقول: «لن أدع أحدًا يؤذيك».

ربما كان انزلاق عينه إلى وجه أبيها بعد قول ذلك محض صدفة، لكن شيئًا مع ذلك في ناسون يلين، قليلًا فقط.

ثم يحاول جيغا أن يتحرك من جديد، ويصدر صوتًا موجوعًا آخر، وعندها تحتد نظرة الرجل. «يا للهول. دعني أساعدك...»، ويضع سكينه أرضًا ويتجه نحو جيغا.

ينفجر جيغا: «ابق مكانك بحق الصدا...»، محاولًا التراجع ونفض الألم الناجم عن ذلك. إنه يلهث أيضًا ويتعرق، «من أنت؟ هل أنت...»، وتدور عيناه نحو نهر الأعمدة الصخرية السداسية، «... من هناك؟».

الرجل، الذي بُهت من رد فعل جيغا، يتبع نظره، «أوه، نعم، لقد رآكم حراس الكومونة تقتربان على الطريق، ثم رأينا قطاع الطرق يهجمون، فجئت كي أساعد. لقد واجهنا المشاكل من تلك العصبة من قبل، وتلك كانت فرصة مناسبة لإنهاء خطرهم»، تقفز عينه نحو ناسون من جديد، بعد أن تمر على الحربون المبتور في طريقها. لم يتوقف عن الابتسام قط. «لكن لم يكن ينبغي أن يصيبكما منهم أي مشكلة».

إنه يعلم بحقيقة ناسون. تلتصق بأبيها، مع أنها تعلم أنه ليس بالملجأ الآمن، لكنها عادة.

يشد أبوها، يتسارع نفسه حد الهيجان، «هل أنت...»، يزدرد لعبه، «إننا نبحث عن القمر».

تتسع ابتسامة الرجل. إن لهجته ذات طابع استوائي. لطالما كان للاستوائيين أسنان قوية بيضاء مثل هذه. يقول: «فعلاً؟ ها قد وجدته». يقبع جيجاً في ارتياح، إلى الحد الذي تسمع به ساقه. «أوه...أوه، يا شر الأرض، أخيراً».

لا تستطيع ناسون التحمل أكثر من ذلك. «ما هو القمر؟».

«القمر الجديد»، يومئ الرجل برأسه، «هذا هو اسم كومونتتا، وهي مكان خاص جداً للناس الخاصين جداً»، ثم يغمد سكينه ويمد يداً مرحبة، «اسمي شافا».

اليد مقدمة إلى ناسون وحدها، ولا تعلم ناسون لذلك سبباً. ربما لأنه يعرف حقيقتها؟ ربما لأن يدها ليست ملوثة بالدماء مثلها يدا جيجاً ملوثتان؟ تزدرد لعبها وتأخذ يده التي تقبض على كفها فوراً وبحزم. تتمكن من قول: «أنا ناسون، وهذا أبي»، ترفع ذقنها، «ناسون مقاومة تيريمو». تعلم ناسون أن أمها تدربت في المرتكز، ما يعني أنها لم تكن مقاومة قط، وناسون لا تزال في العاشرة فقط من عمرها الآن، أي أصغر من أن تعترف بها تيريمو وتمنحها اسمها حتى ولو كانت لا تزال تعيش هناك. لكن الرجل مع ذلك يحني رأسه بخطورة، وكأن ما قالته ليست كذبة. يقول: «تعالى إذن، لنر إن كنا معاً نستطيع تحرير رجل أبيك».

يرفع رأسه، ويسحبها معه نحو جيغا. تفكر في أن بوجود جيغا هنا سيتمكنان معًا من نزع جيغا عن الجزء المغروس في الأرض، ولو أنها تمكنا من فعل ذلك بسرعة كافية ربما لن يتألم كثيرًا. لكنها قبل أن تفتح فمها لتقول ذلك يضغط شافا بإصبعيه على مؤخرة رقبتها. تجفل وتلتفت إليه على نحوه دفاعي، فيرفع كلتا يديه ويهزّ أصابعه ليظهر أنه لا يزال غير مسلح. لكنها تشعر بشيء من الرطوبة على عنقها، لعلها لطخت بالدماء.

يقول: «الواجب أولًا».

«ماذا؟».

يومي إلى أبيها. «أستطيع أن أرفعه، وحركي أنت ساقه».

ترمش ناسون من جديد. يذهب الرجل إلى جيغا. صراخ أبيها المتألم لما يحركانه حتى يتحرر يشتم انتباهها عن التساؤل عن تلك اللمسة الغريبة.

لكنها لاحقًا، بعد وقت طويل، ستتذكر اللحظة التي تبعت اللمسة، عندما لمعت أصابع الرجل مثل حافة الحربون المبتورة. بدا لها أن خيطًا رقيقًا من النور الكامن تحت الحرارة لمع بينها وبينه. ستتذكر أيضًا أن ذلك الخيط تسبب في إضاءة خيوط أخرى، شبكة من الخيوط الحادة تنتشر في جسده كله مثل شبكة الشروخ التي تتشكل بعد صدمة حادة في الزجاج. مكان الصدمة، أي مركز الشبكة، كان في مكان ما بالقرب من مؤخرة رأسه. ستتذكر ناسون أنها فكرت للحظة: إنه ليس وحده في الداخل.

أما الآن فهذا لا يهم. لقد انتهت رحلتها. ناسّون على ما يبدو
صارت في البيت.

لا يتحدث الوصاة أبدًا عن وارانث، المكان الذي فيه صُنِعوا. لا أحد
يعرف موقعه، وعندما يُسألون عنه، يردون بالابتسام.
من حكاوي الوصاة، «حكاية ٧٥٩»، في ربيع تشارتا،
كومونة إيدين، سجلها: ميل قوال الحجر الجوال

أنت، تم تحذيرك

تسمعين أول الهمسات وأنت في طابور تحصيل تموين بيتك الأسبوعي .
لم تكن الهمسة موجهة إليك، ولم يُقصد بها أن تصل إلى مسامعك، لكنك
مع ذلك تسمعينها، لأن انزعاج المتحدث أنساه التزام الهدوء . يقول رجل
متقدم في العمر لآخر أصغر منه: «باتوا كثيرين جدًا بحق نار الأرض»،
وينتزعك هذا من غمار أفكارك كي تحلي الكلمات، «لا مشكلة في إيكا،
لقد استحققت مكانها، هناك بلا شك قلة منهم جيدون. لكن ما الداعي
إلى وجود البقية؟ لا نحتاج إلا إلى واحد...».

يصمت الرجل فور أن ينهره رفيقه. تثبتين نظرك على مجموعة
من الناس يحاولون نقل سلال الرخام القادم من المناجم عبر المغارة
باستخدام بكرات الحبال المعلقة، بهذا إن نظر الرجل الأصغر حوله فلن
يراك تنظرين إليهما. لكنك لن تنسين ما سمعت.

فات أسبوع منذ حادثة الغلايات، وتشعرين كما لو أنه شهر. لا
يرجع هذا فقط إلى فقدان الإحساس بالليل والنهار، بل إن بعض تمدد
الوقت الغريب هذا يعود إلى ضياع ناسون، وافتقارك إلى إلحاحية الهدف.

أنت بغير هدف تشعرين بالوهن والارتقاء، بالضيق كإبرة بوصلة في موسم التيه. لقد قررت أن تحاولي الاستقرار، أن تركز في وعيك في مكان آخر، وأن تستكشفي حدودك الجديدة، لكن هذا لا يساعد كثيرًا. إن جيود كاستريا يتحدى الإحساس بالمكان كما يتحدى الإحساس بالزمان. تشعرين بالتشوش عندما تقفين بالقرب من أحد حوائطه، حيث تعيق رؤيتك للجانب الآخر عشرات الأسطوانات الكريستالية المسننة المتقاطعة. تشعرين بالخواء عندما تمرين على كريستالات كاملة تزخر بالشقق غير المسكونة، وتدركين أن هذا المكان بُني ليأوي عددًا أكبر بكثير ممن فيه الآن. إن المركز التجاري على السطح كان أصغر من تريممو، لكنك مع ذلك تبدئين في استيعاب أن جهود إيكا الاستقطابية كانت ناجحة نجاحًا فائقًا. إن نصف من تقابلينهم في الكومونة هنا وافدون جدد مثلك (لا عجب أنها أرادت أشخاصًا جددًا في مجلسها الاستشاري المرتجل، إن الحداثة صفة جماعية هنا). قابلت قوال حديد متوتر وثلاثة كسارين لا يشبهون جيجا في شيء وبيومستي يعمل مع لِرنا يومين في الأسبوع وامرأة كانت تقف من بيع الحلبي الفنية الجلدية البارعة، صارت الآن تقضي أيامها في صباغة الجلود التي يجلبها الصيادون.

بعض من هؤلاء الجدد نظراتهم مريرة، لأنهم مثل لِرنا، لم ينضموا إلى كاستريا باختيارهم، وإنما قررت إيكا أو غيرها أنهم مفيدون لهذا المجتمع الذي كان يتكون ذات يوم فقط من التجار وعمال المناجم، وكان معنى ذلك باختصار نهاية رحلتهم. لكن هناك بعض آخر يظهر بوضوح عزمه المحموم على المساهمة في الدفاع عن الكومونة. أولئك من ليس

لهم مكان آخر يذهبون إليه، كوموناتهم هلكت في التصدع أو الهزات التابعة. ليسوا جميعًا من ذوي المهارات المفيدة، وأكثرهم صغار نوعًا، وهذا منطقي، لأن أكثر الكومونات لن تستقبل الكبار من الناس أو العاجزين خلال الموسم إلا لو كانوا ذوي مهارات مرغوبة جدًا، ولأن، وهذا ما عرفته من الحديث معهم، إيكا تصر على إلقاء سؤال خاص جدًا على أكثر الوافدين الجدد: هل تمنع أن تعيش مع أوروچينيين؟ من يقول نعم يُسمح له بالدخول، وأكثر من يستطيعون قول نعم هم الأصغر.

(وتفهمين دون حاجة إلى السؤال، أن من يقولون لا، لا يسمح لهم بمتابعة السفر، إذ ربما ينضمون إلى كومونات أو جماعات أغيار قد تهجم على المكان المعروف بإيواء الأوروچينيين. ثمة محجر جبس جيد ليس بعيدًا عن هنا على ما يبدو، ما يساعد في جذب نابشي الفضلات عن كاستريما السطحية أيضًا).

وهناك أيضًا السكان الأصليون، أولئك الذين كانوا جزءًا من كاستريما من قبل الموسم بكثير. لا يحب العديد منهم الإضافات الجديدة، حتى وهم يعلمون كما الجميع أن الكومونة لم تكن لتنجو لو استمرت كما كانت، فقد كانت ببساطة صغيرة جدًا. قبل لِرنا لم يكن هناك أي طيب، بل رجل واحد كان يقوم بدور القابلة والجراح الميداني ويعالج الماشية كوظيفة بيطارية جانبية. ولم يكن لديهم سوى أوروچينيين، إيكا وكاتر، وإن كان الثاني على ما يبدو لم تُعرف حقيقته حتى بدأ الموسم، وتلك قصة تودين سماعها ذات يوم. كاستريما السفلية بغير الأوروچينيين تصبح فخًا مميّتا، ما يجعل أكثر السكان الأصليين مستعدين على مضض

لتقبل مجهودات إيكّا في اجتذاب المزيد من بني نوعها. لذا ينظر إليك الكاستريميون القدامى بريبة، لكن الشيء الجيد أنهم ينظرون إلى جميع الوافدين بنفس الطريقة. ليس كونك أوروچينية هو ما يزعجهم، بل أنك لم تثبتي نفسك بعد.

(تُدْهشين من مدى الانتعاش الذي يتتابك من فكرة أن قبورك من عدمه مرده إلى أفعالك وليس إلى طبيعتك).

كنت مؤخرًا تقضين الصباح مع طاقم عمل البستنة المائة: توزعين البذور على أطباق القماش المبتل، ثم تنقلين الشتلات النابتة إلى أحواض المياه والكيماويات التي صنعها البيومستيون للإنبات. تجدين في هذا العمل السكينة، ويذكرك بعملك في حديقتك المنزلية في تيريمو (أوتشي يجلس بين نباتات السراخس القابلة للأكل، يتقرّز وجهه عندما يقضم حفنة من التراب قبل أن تتمكني من منعه. تبسمين من تلك الذكرى قبل أن يمسح الألم البسمة من وجهك. لا زلت حتى الآن لا تستطيعين الابتسام من ذكرى الأشياء التي فعلها كورندم، وقد مضى عليه عشرة -لا، أحد عشر- أعوام).

وفي المساء تذهبين إلى إيكّا، لتحدثي معها ومع لِرنا وهياركا وكاتر في شؤون الكومونة، ما يتضمن البت في عقاب جيفر مبتكر كاستريما على بيع المراوح (لما كانت ممارسة اقتصاديات السوق محظورة في الموسم بحسب القانون الإمبراطوري)، والبحث عن وسيلة لمنع العجوز كري (الذي ليس عجوزًا جدًّا) من الشكوى مجددًا من أن مياه الحمامات العمومية أبرد من اللازم، فقد صار يسبب التوتر للجميع، وللتفكير

فيمن سيقف في وجه أونتراج، صانعة الخزف، ليمنعها من مواصلة تحطيم الخزف السيئ الذي يصنعه المتدربون لديها. تلك كانت الطريقة التي تعلمت بها أونتراج حرفتها، لكنها أيضًا الطريقة التي تُعلم بها من يرغبون في تعلم الخزف. ما كان أحد ليتلمذ على يد أونتراج لولا أن إيكّا أمرت شخصين بتعلم حرفة المرأة العجوز قبل أن تموت، ولو استمر الحال على ما هو عليه، فربما سيقتلانها بنفسيهما.

كلها أمور سخيفة عادية ومضجرة جدًا، وأنت... تحبينها. لماذا؟ من يعلم، ربما لأنها تشبه النقاشات التي خضتها في المرتين اللتين كنت فيهما جزءًا من أسرة؟ أنت تذكرين الجدال مع إينون عن وجوب تعليم كورندم اللغة السانزية مبكرًا، كي لا تصبح عنده لكنة، أم لاحقًا، فقط إن أراد كورو أن يغادر ميوف. والجدال مع جيغا لرفضه وضع الفاكهة في بيت الأحراز البارد لأنه يفسد طعامها، وأنت لا تبالين طالما أن هذا يطيل عمرها. إن النقاشات التي تخوضينها مع بقية المستشارين أهم، فالقرارات المنتجة تؤثر في أكثر من ألف شخص الآن، لكن لها نفس الشعور المتحذلق السخيف. إن الحذلة السخيفة رفاهية نادرًا ما أُتيح لك الاستمتاع بها في حياتك.

والآن أنت على السطح مجددًا، تقفين صامته في شرفة البيت تحت الرماد المتساقط. تبدو السماء مختلفة قليلًا اليوم، غيومها خفيفة بين الرمادي والأصفر بدلًا من السميكة بين الرمادي والأحمر، ولها نمط طويل موجي بدلًا من السلاسل الخرزية التي كنت ترينها منذ التصدع. يقول أحد الحراس الأشداء وهو ينظر إلى أعلى: «لعل الأمور تتحسن».

يكاد صفار الغيوم يبدو كضوء الشمس، بل وتمكنين من رؤية الشمس بين حين وحين، قرص شاحب واهن تؤطره المنحنيات الرقيقة الهائمة. لا تخبرين الحارس بما تسبنين؛ أن تلك الغيوم الصفراء تحوي كبريتاً أكثر من المعتاد. ولا تخبرينه بما تعرفين؛ أن السماء لو أمطرت الآن ستموت الغابة المحيطة بكاستريما، تلك التي توفر للكومونة جزءاً كبيراً من احتياجاتها الغذائية. لا بد أن الصدع الذي شقّه الألبستر في الشمال قد تجشأ هبة غاز محترمة من جيب تحت أرضي دفين. كاتر، الذي صعد معك ومع هياركا، ينظر إليك، بوجه خاوي عمداً. إنه أيضاً يعرف ولا يقول، وتعتقدين أنك تعرفين السبب: الأمل الحزين الذي يشعر به الحارس في تحسن الأمور. تحطيم هذا الأمل قبل أن يتلاشى وحده قسوة بلا داع. يروق لك كاتر أكثر في لحظة العطف المشترك تلك.

ثم تلفين رأسك قليلاً فيتلاشى الشعور. ثمة آكل صخر آخر قريب، يتلصقاً في ظلال بيت غير بعيد. له هيئة رخامية بلون الزبدة الصفراء ذات عروق بنية، ويعتمر دوامة من الشعر النحاسي. إنه لا ينظر إلى أحد بعينه، ولا يتحرك، وما كنت لتلاحظينه لولا لمعان شعره المعدني اللافت وسط الضباب. تتساءلين للمرة الثالثة أو الرابعة، لماذا تحتشد تلك الكائنات حول كاستريما؟ أهم يحاولون المساعدة، مثلما يساعدك هو؟ أيتوقعون أن يتحول المزيد منكم إلى صخر لذيذ ومغذٍّ؟ أم هم فقط ضجرون؟ لست قادرة على التفكير في تلك الكائنات الآن. تشيحين ببصرك وتزيحين الرخامي الأصفر من تفكيرك، ولاحقاً، عندما تستعدين للانطلاق وتنظرين حيثما كان، لن تجديه.

ثلاثتكم هنا بناءً على طلب الصيادين، الذين يريدونكم أن تتبعوهم عبر الغابة لرؤية شيء ما. إيكّا ليست معكم لأنها مشغولة بالتوسط في خلاف ما بين الأشداء والمقاومين بخصوص ورديات العمل أو شيء مشابه، ولرنا لم يأتِ لأنه بدأ في تدريس فصول عن رعاية الجروح لمن يرغب في الحضور، وهو الم يأتِ لأنه لا يزال غائبًا، مثلما كان طوال الأسبوع المنقضي. لكنك مع سبعة من أشداء كاستريما واثنين من الصيادين، والسيدة الشقراء البيضاء التي قابلتها أول يوم لك في كاستريما، وعرفت لاحقًا أن اسمها إزني. كانت قد قُبِلت في طائفة الأشداء بالكومنة، رغم أن وزنها لا يكاد يتجاوز الخمسين كيلو وشاحبة أكثر من الرماد. اتضح أنها كانت على رأس عشيرة من الرعاة قبل التصدع، ما يعني أنها تعرف كيف تصرع حيوانًا ضخمًا أو إنسانًا يعاني من تضخم الإيجو. انضمت هي وقومها طوعية إلى كاستريما لأنها كانت أقرب إلى كومونتهم الأصلية في الأنتاركتيكا. اللحم المجفف بالهواء والمعالج بالملح المتبقي من آخر قطعانهم هو مخزون كاستريما الوحيد من اللحم منذ التصدع.

لا أحد يتحدث خلال المسيرة. صمت الغابة - باستثناء خشخشة المخلوقات الصغيرة التي تنمو بين النباتات الصغيرة والتكتكة الخشبية المتقطعة الناجمة عن الحيوانات نقارة الخشب من بعيد - يفرض نفسه على الجميع. إن الغابة تتغير، ترين ذلك وأنت تدين على أرضها. فقدت الأشجار الطويلة أوراقها منذ شهور، بعدما تراجعت عصارتها إلى الجذور كي تحميها من هجمات البرد وارتفاع نسبة الكبريت في التربة. لكن في المقابل، ازدادت كثافة أوراق الشجيرات الصغيرة والأشجار المتوسطة،

كي تمتص الضوء القليل الذي يصلها، وأحيانًا ما تضم أوراقها حولها ليلاً لتحميها من الرماد المتساقط، ما أدى إلى قلة الرماد على الطريق إلى حد سمح لك برؤية تراب الأرض.

وهذا في الواقع جيد، لأنه يجعل الأجزاء الجديدة من المشهد أوضح للناظرين: الروابي. كل ربوة منهم ترتفع حوالي ثلاثة أو أربعة أقدام، بُنيت من أسمنت الرماد الممزوج بالفروع والأوراق، ويسهل تمييز كل منها في الأيام المشرقة مثل اليوم لأنها يتصاعد منها بخار خافت. ترين أحيانًا عظامًا صغيرة أو بقايا مخالب وذيول، تبرز من قاعدة كل ربوة. إنها أعشاش غلايات. ليست كثيرة، لكنك لا تذكرين وجود أي منها عندما مررت بتلك الناحية من الغابة قبل أسبوع (كنت لتسبنين الحرارة). تلك تذكرك بأن بينما تعاني أغلب النباتات والحيوانات كي تنجو خلال الموسم، تفعل قلة قليلة منهم ما هو أكثر، عندما ينعدم وجود أعدائهم الطبيعيين وتتوفر لهم الظروف المثالية، يزدهرون ويتكاثرون بتوحش أينما وجدوا مصدر طعام، ويعتمدون على الكثرة لضمان استمرار وجودهم. وهذا ليس جيدًا. تجدين نفسك تتفحصين حذاءك باستمرار، وتلاحظين أن الآخرين يفعلون نفس الشيء.

ثم تبلغون قمة نتوء صخري يشرف على حوض الغابة المتسع. من الواضح أن ذلك الحوض يقع خارج نطاق حماية أوروچينيو كاستريما، لأن توابع التصدع قد سوت بالأرض مساحات شاسعة منها. كنتِ لترين مئات الأميال أمامك لولا الرماد، لكن لما كان هذا اليوم مشرقًا قليل الرماد، ترين حتى عشرات الأميال فقط، وهذا يكفي.

لأنك ترين خلال الضوء الذهبي الغائم شيئًا يعلو فوق الغابة المسطحة، مجموعة من شجيرات جُردت من حولتها أو أفرع طويلة غُرست في الأرض بغرض الانتصاب، وإن كان بعضها يميل إلى جانب أو آخر. على قمة كل منهم ترفرف قطعة قماش سوداء أو حمراء بغرض جذب الانتباه. يتعذر عليك تمييز إن كان الأحمر صبغة أو غير ذلك، لأن على كل من هؤلاء جثة مخوزقة، ويبرز طرف الخازوق من فم الجثة أو جزء آخر منها.

تقول هياركا: «هؤلاء ليسوا منا». إنها تنظر عبر نظارة معظمة وتضبط فيها بينما يحوم بالقرب منها أحد الصيادين، يده نصف مرفوعة استعدادًا لالتقاط الأداة الثمينة حال وقعت من هياركا أو، مثلما يتوقع منها من يعرفها، حال رمتها. «أعني... يصعب عليّ تمييزهم من تلك المسافة، لكنني لا أتعرف على أي منهم، وأنا لا أعتقد أننا أرسلنا أحدًا من قبل كل هذه المسافة. زائد أنهم قدرون، لعلهم قطاع طرق أغيار مثلاً».

يدمد أحد الصيادين: «قطاع طرق قضموا أكثر مما يسعهم مضغه».

تقول إزني وهي تطوي ذراعيها: «جميع أفراد دورياتنا مسجلين بعناية. أنا لا أسجل سوى نشاطات الأشداء، لكن الصيادين أيضًا يحصون أفرادهم... لا تفوتنا شاردة ولا واردة». كانت قد درست الجثث بالفعل عبر النظارة المعظمة، وكانت هي من قررت استدعاء أعضاء قيادة الكومونة إلى السطح كي يروا بأنفسهم. «أظن أن الجناة مجموعة مسافرين تأخروا ويحاولون العودة إلى كومونتهم، وكانوا أفضل تسليحًا من الأغيار الذين هاجموهم، وأوفر حظًا».

يقول كاتر بهدوء: «لا يفعل المسافرون هذا». إنه هادئ دومًا، هياركا هي الشخص الذي تتوقعين منه الصعوبة، لكنها في الواقع متوقعة ويسهل التعامل معها رغم ما توحى به شراستها الظاهرية. أما كاتر فيعارض تقريبًا كل ما تقترحينه أنت أو إيكّا أو أي شخص آخر، إنه عنيد صديّ تحت واجهة السلوك الهادئ. «أقصد الخوزقة. لا يوجد ما يدعوهم إلى التوقف كل ذلك الوقت. هناك من قضى وقتًا في قطع تلك الأوتاد وشحذها وحفر الحفر اللازمة لنصبها، وتثبيتها حيث يراها الجميع من أميال. أما المسافرون... يسافرون».

وتلاحظين الآن أيضًا أن كاتر يستعصي على القراءة أكثر من هياركا. إن هياركا امرأة لم تستطع أبدًا أن تخفي عنفوان وسعة شخصيتها، لذا لم تتكبد عناء المحاولة، أما كاتر فشخص قضى حياته يخفي قوة الجبال خلف قشرة من الوداعة. صرت الآن تعرفين كيف يبدو هذا من الخارج. لكنه في الواقع محق.

«ما رأيك إذن؟»، ترمين حجرًا في الظلام، «جماعة أغيار أخرى؟». «لا أظن ذلك أيضًا، فمثلهم الآن لا يضيع جثة».

تجفلين، وترين بعض الآخرين حولك يتنهدون أو يتمللملون. لكنه محق. صحيح أنه لا تزال هناك حيوانات للصيد، لكن الحيوانات التي لم تدخل في سبات شرسة كفاية أو مدرعة كفاية أو سامة كفاية كي تصبح فريسة مكلفة جدًا على أيّ من كان سوى الصيادين المستعدين جدًا. نادرًا ما يمتلك الأغيار أقواسًا مستعرضة جيدة وتعمل، واليائس يصعب عليه التسلل خفية، ومثلها أوضحت الغلايات، المنافسة على الجثث الآن

مخدمة. وكاستريما بالطبع لو لم تجد مصدرًا جديدًا للحم قريبًا، أنت والآخرين لن تضيعوا الجثث أيضًا. كان لجفلك أكثر من سبب.

تحفض هياركا النظارة أخيرًا، «نعم»، وتنهردًا على كاتر، «اللعنة». «ماذا؟»، تشعرين فجأة بالغباء، وكأن الجميع بدءوا فجأة في الحديث بلغة أخرى.

«أحدهم يحدد نطاق نفوذه»، تشير هياركا بالنظارة المعظمة وهي تهز كتفيها، ويتزعها الصياد من يدها بخفة، «هذا بغرض التحذير، لكنه ليس تحذيرًا لأغيار آخرين، فهو لاء لن يأبهوا وغالبًا سينزلون الأجساد لعشائهم، بل تحذيرًا لنا، كي نعرف أن هذا ما سيحدث لنا لو عبرنا تلك الحدود».

يقول أحد الصيادين: «الكومونة الوحيدة في ذلك الاتجاه هي تيتيهي، وهي كومونة مسالمة، كانت كذلك منذ أعوام، ونحن لا نشكل تهديدًا لهم. ولا يوجد ماء كافٍ في تلك الناحية لتعتمد عليه كومونة أخرى، فالنهر ينحرف شمالًا هناك».

شمالًا. هذا يزعجك، ولا تعلمين لذلك سببًا. ليس ثمة داعٍ إلى قول ذلك للآخرين، لكن مع ذلك... «متى كانت آخر مرة سمعتم فيها من تيتيهي؟». يهيمن الصمت، فتتظرين حولك لتجدي أنظار الجميع شاخصة. طيب، هذا يرد على سؤالك. «نحتاج إذن إلى إرسال أحدهم إلى تيتيهي».

«نرسل أحدهم ليتتبع به الحال على خازوق؟»، تحدق هياركا فيك، «كومونتنا لا ترمي أبناءها إلى التهلكة أيتها الوافدة الجديدة».

إنها أول مرة تثيرين فيها حفيظتها، وبإلحاحها، وبالإضافة إلى أسنانها المسننة هناك حملتها الشرسة سوداء العين. لكنها تذكرك، بشكل ما، بإينون، لذا تأتي إجابتك محملة بكل شيء إلا الغضب.

«كنا في حاجة إلى إرسال بعثة مقايضة على أي حال»، تقولينها بأقصى رفق تقدرين عليه، ما يجعلها ترمش. تلك كانت النتيجة الحتمية لكل النقاشات التي خضتموها بشأن النقص المتزايد لمخزون الكومونة من اللحم. «ولعلنا أيضًا نستفيد من هذا التحذير ونجعل بعثتنا مسلحة، وضخمة بما يكفي لجعل الهجوم عليهم ليس بلا ثمن».

«وماذا لو كان من فعل هذا جماعة أكبر وأحسن سلاحًا؟».

لا تحسب الأمور بالقوة فقط خلال الموسم. أنت تعرفين هذا، كما تعرفه هياركا، لكنك تقولين: «لنرسل معهم أوروچينيًا».

ترمش في مفاجأة صادقة، ثم ترفع حاجبًا، «كي يقتل نصف بعثتنا وهو يحاول حمايتهم؟».

تلتفتين عنها وترفعين يدك. لا يتراجع أي منهم، لأن ليس من بينهم أحد جاء من كومونة كبيرة كفاية لتشهد زيارات متكررة من أوروچيني إمبراطوري، أي لا يعرفون ما الذي تعنيه تلك الإيلاءة. لكنهم يشهقون ويتراجعون ويتمتمون فيما بينهم عندما تحيكن نطاق قدرة عرضه خمسة أقدام في الدغل الذي يبعد عدة أقدام. يثور الرماد وأوراق الشجر الميتة في دوامة هوائية تلتهم بالثلج في ضوء العصر الكبريتي. أنت غير مضطرة إلى جعل الدوامة تدور بتلك السرعة، لكنها في صالح الدراما.

ثم تستخدمين ما سحبته من نطاق القدرة وتلتفين، تتوجهين نحو مجموعة الخوازيق في الحوض بالأسفل. يصعب في البداية تمييز ما يحدث من كل تلك المسافة، لكن أشجار المنطقة تبدأ في الارتعاش والأوتاد تبدأ في الاهتزاز بجنون. بعد لحظة ينفتح شرح، فترمين فيه الخوازيق وزخارفها الدموية المحيطة بها على الأرض. تضمين يديك ببطء كي لا توترى أحداً، فتتوقف الأشجار عن الارتجاف. لكن بعد لحظة يشعر الجميع باهتزاز واهن على التواء الذي تقفون عليه، لأنك سمحت لشيء من الهزة الارتدادية أن يصل إلى هنا. أنت غير مضطرة أيضاً إلى ذلك، وإنما فقط تريدين توضيح شيء.

تلتفتين نحو هياركا عندما تفتحين عينيك، فتجدينها منبهرة وليست متوترة. تقول: «جميل. أنت إذن قادرة على تثليج أحدهم من دون قتل كل من حولك. لكن ليس كل روجا قادراً على ذلك، وإلا ما كان الناس ليكرهوا الروجات».

كم تكرهين تلك الكلمة الصدئة، مهما كان رأي إيكّا فيها.

وأنت لست مؤيدة تماماً لتقدير هياركا، إن الناس يكرهون الروجات لأسباب عدة لا علاقة لها بالأوروبيية. تفتحين فمك كي تردي... ثم تتوقفين. لأنك ترين الآن الفخ الذي أعدته لك هياركا، ثمّة نتيجة واحدة ستنتهي إليها تلك المحادثة، وأنت لا تريدينها، لكن لا سبيل لتفاديها. يا للجنة الصدئة.

وذلك كان كيف انتهى بك الحال مسؤولة عن مرتكز جديد.

يقول ألابستر: «غبية».

تتنهدين، «أعرف».

وهذا في اليوم التالي، وتلك محادثة أخرى عن مبادئ المحال؛ عن كيف تعمل المسلات، وكيف تحاكي بنيتها الكريستالية روابط القوة الغريبة بين خلايا الكائنات الحية، وكيف أن هنالك نظريات عن وجود أشياء أصغر حتى من الخلايا، رغم أن أحدًا لم يتمكن من رؤيتها أو إثبات وجودها.

تخوضين تلك المحادثات مع ألابستر كل يوم، بين أعمال الصباح وسياسة المساء، بسبب تعجله الشديد النابع من هلاكه الوشيك. لا تدوم الجلسات طويلًا لأن طاقة ألابستر محدودة، والمحادثات حتى الآن يصعب وصفها بالثمرة، إذ أن ألابستر معلم بشع؛ يلقي الأوامر والمحاضرات ولا يرد أبدًا على أسئلتك، صبره نافذ ومزاجه نزق، ومع أن بعض هذا يمكن عزوه إلى الألم الذي يعصف به، فإن أكثره يعود إلى أن تلك طبيعته. لم يتغير ألابستر في الواقع قط.

تدهشين مرارًا من اكتشافك كم تشاقين إلى هذا الوغد العجوز الغضوب. ولهذا تكبحين أعصابك... لبعض الوقت على الأقل.

تقولين: «الصغار في حاجة إلى من يعلمهم في جميع الأحوال». إن أكثر أوروبيي الكومونة أطفال أو يافعون، وهذا لأن أكثر البرين لا يتجاوزون الطفولة أحياء. تبادرت إليك شائعات أن بعض الأوروبيين الكبار يعلمونهم، ويساعدونهم على عدم تثليج الأشياء عندما يخبطون أصابع أقدامهم الصغيرة، وذلك ساعد على استقرار كاستريا مثلما كانت

الكومونات الاستوائية من قبل. لكن هذا لا يعدو تدريب بريين لبرين. «ولو أنني فشلت في فعل أيّ ما كان تريد مني فعله...».

«لا يساوي أيهم قدر صداً. كنت لتسببن ذلك بنفسك لو كلفت نفسك عناء الانتباه إليهم. ليس الأمر كله مهارة، بل الموهبة الطبيعية مهمة أيضًا؛ ولذلك كانوا في المرتكز يرغموننا على الاستيلاد يا إيّسون. أكثر هؤلاء لن يستطيع أن يتجاوز إعادة توزيع الطاقة»، ذلك كان التعبير الذي اتفقتما على تسمية أوروچينية الحرارة وطاقة الوضع به، أي طريقة المرتكز. أما ما يحاول ألابستر أن يعلمك إياه، وما تعانين كي تتعلميه لأنه يعتمد على أشياء ليس لها معنى على الإطلاق، هو شيء بدأتما تسميانه إعادة توزيع السحر. هذا أيضًا مسمى خاطئ، لأنه ليس إعادة توزيع، لكنه يفي بالغرض حتى تفهميه أكثر.

لا يترك ألابستر موضوع تدريسك الأوروچينية للأطفال. «إن تدريبهم مضيعة للوقت».

حديثه القاطع غير المنطقي بدأ ينخر قدرتك على الصبر، «تعليم الآخرين لم يكن أبدًا مضيعة للوقت».

«تحدثين كمدرسة حضانة بسيطة... آه، صحيح».

تلك إهانة رخيصة، تحطّ من المهنة التي منحتها سنوات التمويه في حياتك. يجدر بك تجاوزها، لكنها تؤلم كملح على جرح، فتنفجرين: «توقف عن هذا».

ألابستر يرمش، ثم يعبس بأقصى درجة يستطيعها. «ليس عندي وقت أضيعه في التدليل يا ساين...».

«بل إيسون»، لا يمكنك تفويتها هذه المرة، «ولا يهمني حتى لو كنت تموت، لا أسمح لك بأن تتكلم معي بهذه الطريقة»، وتنهضين، لأنك فجأة تشعرين بأنك انتهيت من هذا.

يحدق ألابستر فيك. أنتيموني موجودة كالعادة، تدعمه في صمت، وتتحرك عيناها نحوك للحظة. تظنين أنك ترين في عينيها المفاجأة، لكن هذا على الأرجح مجرد إسقاط. «لا يهmk أن أموت؟».

«لا، لماذا أهتم بحق الصدا؟ أنت لا تهتم بموت أي منا، وأنت من فعل كل هذا». لِرنا موجود في الناحية الأخرى من المكان، يرفع عينه ويعبس، فتتذكرين أن تخففي صوتك، «أنت ستموت قريبًا، موتًا أسهل من بقيتنا. أما نحن فسنجوع حتى الموت بعدما تصبح أنت ترابًا في رماد. وإن كنت غير قادر على إزعاج نفسك بتعليمي شيئًا كما ينبغي، فلتذهب في داهية، سأجد طريقة لإصلاح الأمور بنفسي».

وبينما أنت في منتصف الطريق نحو باب العيادة، خطواتك حاسمة ويداك مقبوضتان إلى جانبك، ينفجر: «لو خرجت من هذا الباب ستجوعين حتى الموت، ولو بقيت سيظل لديك فرصة».

تتابعين المشي وتصيحين من فوق كتفك: «وأنت لا تفصح عنها». «استغرقت عشرة أعوام كي أفهم هذا، وأنت برأسك الصديق اللعين الناشف وقلبك المعدني...».

يرتج الجيود. ليس فقط مبنى العيادة، بل المكان برمته. تسمعين صيحات الذعر في الخارج، فيتكفل هذا بجعلك تقفين وتطبقين قبضتيك، وترمين نطاق قدرة على التركيز الذي وضعه تحت كاستريها. لا يرحزحه

هذا أنملة، لا زلت غير قادرة كفاية على ذلك، وغضبك على كل حال يمنعك من أن تحاولي بشدة. عدا أن الهزة تتوقف، ولا تأبهين إن كان هذا لأنك أوقفتها أو لأنه فوجئ بما فعلته إلى درجة أنه من أوقفها.

تلتفتين، وتنفجرين فيه بسخط هائل حتى أن أنتموني تختفي من مكانها وتظهر فجأة واقفة بجواره، في حراسة صامته محذرة. لا تأبهين بها، ولا تأبهين بأن الأستر منحني مجدداً، يصدر صوت صغير متألم خافت، ولا بأي شيء آخر.

تزجرين لكن وأنت منحنية على نحو لا يسمح لأحد بسماعكما غير آكلة الصخر: «اسمعي أيها الوغد الأناني»، بستر يرتجف بألم واضح، وذلك كان كفيلاً بإيقافك أمس، أما الآن فغضبك يطغى على شفقتك، «أنا مضطرة إلى العيش هنا حتى لو كنت تنتظر الموت، ولو جعلت هؤلاء الناس يكرهونا فقط لأنك غير قادر على كبح جماحك...».

ثانية واحدة! تتشتتين. هذه المرة ترين التغيير وهو يحدث في ذراعه... الأيسر، الذي كان أطول. يزحف صخره عليه ببطء، بثبات، بهسيس مكتوم بينما يتحول اللحم إلى شيء آخر. ورغماً عنك تقريباً تنقلين نظرك مثلما علمك وتبحثين بين كريات الدموية عن تلك الوصلات الخيطية المراوغة، وترينها فجأة وهي تزداد سطوعاً، مثل معدن فضي، وتترابط في أشكال جديدة بمحاذاة بعضها بعضاً، على نحو لم تري مثله من قبل.

يزجر من بين أسنانه: «إنك لمغرورة صدئة»، وهذا يخرجك من ذهولك مما يحدث في ذراعه، ويستبدل به مهانة أن ينعتك هو من بين جميع الناس بالغرور. «إيسون، إنك تتصرفين وكأنك الوحيدة التي ارتكبت

الأخطاء، الوحيدة التي ماتت من داخلها واضطرت رغم ذلك أن تتابع.
إنك لا تعرفين شيئاً، ولا تصغين إلى شيء...».

«لأنك لا تخبرني بشيء مفيد! تتوقع مني الإنصات لكنك لا تشارك،
بل تأمر وتنهى و... وأنا لست طفلة! بل إنني، وشر الأرض، لا أتحدث
حتى إلى طفلة بهذا النحو!».

(يهمس جزء خائن منك في داخلك: لكنك فعلت، كنت تتحدثين
مع ناسون بهذا الشكل. فيرد عليه الجزء المخلص منك صائحاً: لأنها لم
تكن لتفهم، ما كانت لتصبح آمنة لو كنت معها رقيقة أو هينة، بل كان
هذا المصلحتها، و...).

ينفعل ألابستر: «هذا لمصلحتك الصدئة». يتوقف تقدم الصخر
على ذراعه، لم يتجاوز البوصة تقريباً هذه المرة. لحسن الحظ. «أنا أحاول
مساعدتك بحق الأرض».

تتوقفين، تحديقين فيه، ويسود الصمت.

صوت شيء ثقيل معدني يتردد من خلفك، تنظرين إلى الخلف
فتجدين لِرنا، ينظر إليك ويطوي ذراعيه بعدما وضع طبق ألابستر.
أكثر الناس في كاسترييا، حتى الأوروچينيون، لا يعرفون ماذا كان سبب
تلك الهزة، لكنه يعلم، فقد رأى لغة جسديكما، وعليك الآن أن تفسري
له الأمور، قبل أن يمزج طبق عصيدة ألابستر القادم بشيء سام.

تلك تذكرة لك بأن هذه لم تعد كأيام زمان، ولم يعد في وسعك
الاستجابة للأمور بالطريقة القديمة. لو أن ألابستر لم يتغير، فالأمر
منوط بك، لأنك تغيرت.

هكذا تعتدلين وتأخذين نفسًا عميقًا. «إنك لم تعلم أحدًا شيئًا من قبل، أليس كذلك؟».

يرمش، وترتسم على وجهه الريبة من تغير نبرتك المباغت: «علمتك أنت».

«لا يا ألابستر. أيامها كنت تفعل المستحيل وأنا كنت أراقبك وأحاول ألا أموت وأنا أقلدك. لكنك لم تحاول قط بنية مخلصنة أن تحلل المعلومات وتنقلها إلى شخص ناضج آخر، أليس كذلك؟»، تعلمين الإجابة حتى إن لم يقلها، لكن من المهم أن يقلها. هذا شيء يحتاج أن يتعلمه. تلتوي عضلة في فكه. «حاولت أن أفعل».

تضحكين. تخبرك النبرة الدفاعية في صوته بكل شيء. بعد لحظة تفكير أخرى -ونفس عميق كي تمسكي زمام تحكمك- تجلسين. هذا يترك أتيمنوني تلوح فوق كليكما، لكنك تحاولين تجاهلها. تقولين: «اسمع، أنت في حاجة إلى إعطائي سببًا كي أثق بك». تضيق عيناه. «ألا تثقين بي الآن؟».

«لقد دمرت العالم يا ألابستر، وقلت لي إنك تريدني أن أزيده سوءًا. أنا لا أسمع هنا شيئًا يجعلني أطيع «اسمعي كلامي دون سؤال»».

يتسع منخراه. يبدو أن ألم التصخر قد تراجع، حتى وهو غارق في العرق ولا يزال يتنفس بصعوبة. لكن شيئًا في حياه يتبدل أيضًا، وبعد لحظة ينحني إلى الدرجة التي يسمح بها جسده.

يغمغم مشيحًا ببصره: «لقد تركته يموت... لك الحق في ألا تثقي بي».

«لا يا ألابستر، بل الوصاة هم من قتلوا إينون».

يرد بنصف ابتسامة، «وكورندم أيضًا».

ثم تفهمين. عدت عشرة أعوام إلى الخلف وكأن زمنًا ما انقضى. تقولين مرة أخرى: «لا»، لكن بصوت أخفت، عديم القوة. لقد قال إنه لن يغفر لك مقتل كورندم... لكن لعلك لست الوحيدة التي لن يغفر لها.

صمت طويل.

يقول في النهاية: «طيب»، صوته خافت جدًا، «سأخبرك».

«بماذا؟».

«بأين كنت في السنوات العشر المنقضية»، ينظر إلى أنثيموني التي لا تزال تحوم فوقكما، «بحقيقة كل شيء».

تقول آكلة الصخر: «إنها ليست مستعدة»، تقفز من صوتها.

يحاول ألابستر أن يهز كتفيه، ويجفل عندما يوخزه شيء في جسده، فيتنهد، «ولا أنا كنت مستعدًا».

تحقق فيكما أنثيموني. لا تختلف نظرتها في الواقع كثيرًا عن طريقة تحديقها إليك منذ جئت، لكنها الآن تبدو مكتومة أكثر. لعل هذا مجرد إسقاط. لكنها فجأة تختفي. ترين هذا يحدث هذه المرة؛ هيئتها تنطمس، تصبح شفافة، غير مادية، ثم تسقط في الأرض فجأة بالكامل، وكأنها انفتحت تحتها هوة. وتختفي.

ألابستر يتنهد. يقول: «تعالى اجلسي بجواري».

تعبيين فوراً. «لماذا؟».

«كي ننام معاً! ماذا تظنين بحق الصدأ؟».

لقد أحبيته ذات يوم، وغالبًا لا تزالين تحبينه. تنهدين وتتحركين نحو الحائط. تجلسين وتستندين إلى الحائط على نحو مريح، ثم بحذر شديد، مع أن ظهره غير محروق، تسندين ظهره بيدك مثلما تفعل أنتيموني عادة.

يسكت ألابستر للحظة، ثم يقول: «شكرًا لك».

ثم... يخبرك بكل شيء.

لا تتنفس الرمادة الناعمة، لا تشرب المياه القاتمة، لا تمشي على التربة الدافئة.

اللوحة الأولى - «عن النجاة» - البيت السابع

مكتبة
t.me/soramnqraa

ناسّون، والحاجة إليها

لأنك إيّسون، لست في حاجة إلى تذكيرك بأن كل ما عرفته ناسّون قبل القمر الجديد كان تيريمو، وعالم الطرق المغشية بالرماد خلال موسم خامس. أنت تعرفين ابتتك، أليس كذلك؟ لذا ينبغي أن يكون واضحًا لك أن القمر الجديد أصبح لها شيئًا لم تظن أنها حظيت بمثله من قبل: بيت حقيقي.

إنها ليست كومونة جديدة. يقع القمر الجديد في قرية تُدعى جيكتي، وتلك كانت مدينة كبرى قبل موسم الاختناق منذ مئات السنين. غطى بركان أكوك حينها الأنتاركتيكا بالرماد، لكن هذا ليس ما كاد يقتل جيكتي، فقد كان للمدينة مخازن ضخمة عامرة وحوائط صلبة من الخشب والأردواز. بل ماتت مدينة جيكتي جراء تراكم الأخطاء البشرية. سكب طفل الزيت من فانوس مشتعل، فأوقد حريقًا التهم الجانب الغربي من الكومونة وحرق ثلث مواطنيها قبل أن يتمكنوا من السيطرة عليه. مات قائد الكومونة في الحريق، فتقدم ثلاثة مرشحين ليحلوا محله، وأدت الفرقة والنزاعات الداخلية إلى عدم بناء الجزء المحترق من السور

بالسرعة المطلوبة، فاجتاحت الأرائيب -وهي كائنات فروية صغيرة تهجم أسرابًا كما النمل عندما يندر الطعام- الكومونة وتكفلت بكل من لم يتمكن من النهوض عن الأرض بسرعة... وبالمستويات الأرضية من بيوت الأحراز. عاش الناجون لفترة على ما تبقى، ثم أخذوا في التضور جوعًا. وعندما راقى السماء بعد خمس سنوات، كان قد تبقى أقل من خمسة آلاف روح من أصل مئة ألف قبل بدء الموسم.

وجيكتي الآن أصغر حتى من ذلك. لا تزال الإصلاحات الخرقاء البائسة التي تمت في السور خلال الاختناق في مكانها، ومع أن بيوت الأحراز رُفعت عن الأرض وجُددت على المعايير الإمبراطورية، يظل هذا على الورق فقط، إذ لم تحسن الكومونة تدوير بيوت الأحراز القديمة المتضررة وإقامة الجديدة. نادرًا ما كان الأغراب يسألون الانضمام إلى جيكتي عبر السنين، حتى بالمقاييس الانتاركتيكية، إذ باتت يُنظر إليها وكأنها محكوم عليها بالهلاك. ولطالما كان صغارها يغادرونها كي ينضموا بالإقناع أو المصاهرة إلى مجتمعات أخرى مزدهرة حيث الوظائف أكثر وذكريات المعاناة لا تدوم. عندما وجد شافا تلك الكومونة النائمة الزراعية قبل عشرة أعوام، وأقنع قائدها مييت بالسماح له بإقامة منشأة وصاة خاصة داخل أسوار الكومونة، أملت مييت أن تكون هذه بداية حقبة جديدة من التغيير في وطنها. الوصاة كانوا دائمًا إضافة صحية إلى أي مجتمع، أليس كذلك؟ وبالفعل غدا الآن في جيكتي ثلاثة وصاة بمن فيهم شافا، برفقة تسعة أطفال من أعمار متفاوتة. كانوا عشرة، لكن أحد الأطفال سبب زلزالًا قويًا وجيزًا في ساعة غضب ذات مساء، ثم

اختفى. لم تُلقِ مييت الأسئلة. من الجيد أن تعرف أن الوصاة يقومون بعملهم.

ناسون وأبوها لم يعرفا كل هذا عندما انتقلا إلى الكومونة، مع أنهم سيعرفونه من الآخرين في النهاية. قضى المعالجان - وهما طبيب عجوز ومعالج بأعشاب الغابة - سبعة أيام حتى أخرجوا جيغا من الخطر، إذ أصابته الحمى بعد إجراء الجراحة على إصابته. ظلت ناسون بجواره كل هذا الوقت. لكن عندما بات واضحًا أنه سينجو، قدمها شافا إلى مييت، التي سرت أيما سرور لما علمت أن جيغا كسار صخور. تفتقر الكومونة إلى الكسارين منذ عقود طويلة، وكان أهلها يرسلون طلباتهم إلى الكسارين في كومونة ديفيتيريس التي تبعد عشرين ميلا. ثمة بيت قديم خاوٍ في جيكتي به فرن تنور، ومع أن جيغا كان يفضل مصهر، فإنه يخبرها بأنه سيكفي. تنتظر مييت شهرًا لتأكد من قرارها، وتنصت إلى الناس الذين يخبرونها كم أن جيغا مهذب وودود وعاقِل، وقوي الجسد أيضًا، خاصة أنه قد نجا من الطريق بلا رفيق سوى طفلة. ويلاحظ الجميع كذلك حسن سلوك وإخلاص ابنته أيضًا، وهو ليس ما يتوقعه المرء أبدًا من روچا. وهكذا، ومع نهاية الشهر، يتلقى جيغا اسم «جيغا مقاوم جيكتي». استقبلوه في مراسم لم يرَ أكثر أهل الكومونة مثلها قط، فقد مضى الكثير على انضمام شخص جديد إلى الكومونة. مييت نفسها اضطرت إلى البحث عن تفاصيل المراسم في كتاب قول قديم. ثم أقاموا بعد ذلك حفلًا لطيفًا جدًّا، وأخبرهم جيغا بأنه يتشرف بالانضمام.

أما ناسون فتظل ناسونًا. لا يدعوها أحد ناسون مقاومة تيريمو، مع أنها لم تنفك تقدم نفسها بهذا الاسم عندما تقابل أشخاصًا جدًّا. اهتمام شافا بها ملحوظ، لكنها لا تثير أي مشاكل، فيعاملها الجيكتيون بنفس لطفهم تجاه جيغا، وإن كان على نحو أكثر حذرًا.

أما غيرها من الأطفال الأوروبيين فهم من يتلقونها بانفتاح وقبول كامل.

أكبرهم شاب ساحلي اسمه إيتز، يتحدث بلهجة متقطعة تثير عجب ناسون. إنه في الثامنة عشرة، طويل القامة والوجه، وحتى الظل الدائم في تعبير وجهه لا يفسد جماله في عين ناسون. هو من يرحب بناسون في أول يوم بعدما غدا جليًّا أن جيغا سينجو. «القمر الجديد هو بيتنا»، يقودها بصوت عميق يجعل قلب ناسون يتسارع، ويقودها إلى مجمع سكني صغير بنته جماعة جيغا فوق تل قريب من أضعف حوائط جيكتي. يقودها إيتز نحو بوابة من دفتين تنفتحان عندما يقتربان. «يومينس لها مرتكزها، وجيكتي لها هذا: مكان يسمح لك أن تكوني نفسك، وأن تكوني آمنة. تذكرني أن شافا والوصيين الآخرين هنا من أجلنا، وكل هذا لنا».

للقمر الجديد أسوار خاصة به، تتكون من الأعمدة الصخرية التي تتميز بها المنطقة، لكن هذه الأعمدة ذات حجم موحد وشكل متماثل. لا تحتاج ناسون إلى سسبتهم كي تعرف أنهم صنيعة أوروبية. ثمة عدد من المباني الصغيرة داخل المجمع، بعضها جديد لكن أكثرها مباني جيكتية قديمة هُجرت بعدما تقلص عدد السكان، جُهزت من جديد

بغض النظر عن استخدامها القديم كي تصبح سكنًا للوصاة، وقاعةً للطعام، ومساحة تدريب واسعة مبلطة، ومخازن في مستوى الأرض، ومهجعًا للأطفال.

تُفتن ناسون ببقية الأطفال أيضًا؛ اثنتان من الساحل الغربي، ضئيلتان وذواتا شعر أسود وأعين ملائكية، يظهر بوضوح أنها شقيقتان، اسماهما أويجين وينجين. لم ترَ ناسون أي ساحل-غربيين من قبل، فتحدق فيها حتى تدرك أنها أيضًا تحدقان فيها، ثم تطلبان منها أن يلمسن شعرها، فتطلب أن تلمس شعريهما أيضًا، فيجعلهما هذا تدركان مدى غرابة وسخافة طلبهما، فتضحكان ويصبحن جميعًا أصدقاء من دون أن تلمس واحدة شعر أخرى. وهناك أيضًا بايدو، جنوب أوسطي آخر، يبدو وكأن فيه شيئًا من الأنتاركتكية لأن شعره أصفر مشرق وبشرته بيضاء جدًا حتى تكاد تضيء. يسخر منه البقية لذلك، لكن ناسون تخبره أنها أيضًا تحترق تحت الشمس -لكنها تتجنب ذكر أن هذا يستغرق منها اليوم بطوله وليس دقائق قليلة- فيشرق وجهه.

بقية الأطفال من كومونات جنوب أوسطية منخفضة، وبهم جميعًا لمسات سانزية. ديشاتي كانت تتدرب كي تصبح كسّارة صخور قبل أن يجدها الوصاة، وتسأل ناسون شتى الأسئلة عن أبيها (وتحذرهما ناسون من التحدث مباشرة مع جييجا، فتفهم ديشاتي فورًا، وإن كان بحزن). ووديه يمرض عندما يأكل أنواعًا معينة من الحبوب، وجسده ضئيل جدًا وهش لأنه لا يأكل بما يكفي، مع أن أوروچينيته أقوى من البقية. لاشار تنظر إلى ناسون ببرود وتسخر من لهجتها، مع أن ناسون لا تجد فرقًا بين

كلامها وكلام لاشار. يخبرها الآخرون أن جد لاشار كان استوائيًا وأمها قيادية كومونة محلية، لكن لاشار للأسف أوروبية، بالتالي لم يعد أي من هذا يفرق... لكن نشأتها تقول الكثير.

أما المتهربة فهذا ليس اسمها، لكنها لا تفصح عن اسمها الحقيقي، فبدءوا يطلقون عليها المتهربة بعدما حاولت التهرب من أحد واجباتها ذات مساء (لم تعد تفعل ذلك، لكن الاسم علق). والمكسوفة أيضًا لا تُنادى إلا بلقبها، لأنها شديدة الخجل وتقضي أغلب الوقت مختبئة خلف غيرها. إن لها عينًا واحدة، وتشق جانب وجهها ندبة مريعة، حيث حاولت جدتها طعنها، وذلك بحسب همسات الآخرين عندما تغيب المكسوفة. اسمها الحقيقي إكزيف.

ناسون تصبح العاشرة، ويريدون أن يعرفوا كل شيء عنها فورًا؛ من أين هي، وما طعامها المفضل، وكيف هي الحياة في تيريمو، وهل حملت من قبل كيركوزًا صغيرًا وعرفت كم يكون ناعمًا. وفور اتضح أنها المفضلة لدى شافا، يسألونها همسًا عن أشياء أخرى؛ ماذا فعلت يوم التصدع؟ وكيف صارت بتلك المهارة الأوروبية؟ وتلك كانت اللحظة التي عرفت فيها أن بني نوعها قلما يولدون لوالد أوروبية. ووديه أقرب شيء إليها، لأن عمته أدركت حقيقته وعلمته سرًا ما استطاعت، لكن أقصى ما لديها كان تعليمه عدم تثليج أحدهم دون قصد. بعض الآخرين لم يتعلموا هذا الدرس إلا بالطريقة الصعبة، وتلزم أويجين الصمت خلال تلك المحادثة. ديشاتي لم تعلم في الواقع أنها أوروبية حتى التصدع، ما يصعب على ناسون استيعابه. إنها الشخص

الذي يلقي أكثر الأسئلة، لكن بخفوت، عندما لا يكون الآخرون حولها، بنبرة خزي.

وتكتشف ناسون أيضًا أنها أفضل بكثير جدًا جدًا من أيهم. ليس الأمر مسألة تدريب، فقد حظي إيتز بسنوات تدريب أكثر منها، ومع ذلك أوروچينيته واهنة وهشة مثل جسد ووديه. يتحكم إيتز في قدرته بما يكفي لئلا يتسبب في أذى، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا جيدًا أيضًا، مثل إيجاد قطع الألماس أو صنع بقعة باردة في الأرض ليقف عليها في يوم حار أو قطع حربون نصفين. يحدق الآخرون في ناسون بينما تحاول شرح الأخير بالذات، ثم يأتي شافا من وراء حائط مبنى قريب (هناك دومًا وصي قريب عندما يجتمعون للتدريب أو اللعب) ويصطحبها للتمشية.

يقول شافا وهو يضع يده على كتفها بينما يمشون: «ما لا تفهمينه هو أن المهارة الأوروچينية ليست فقط مسألة تدريب، لكنها أيضًا قدرة كامنة. كثيرة هي الأمور التي فعلت بهدف دفع موهبتكم إلى الانقراض»، يتنهد قليلًا، على نحو شبه محبط، «قليلون جدًا من يولدون بقدرة فائقة».

تقول ناسون: «قتل أبي أخي لهذا السبب. كان في أوتشي أوروچينية أكثر مني، وكل ما فعله بها كان الإنصات، وقول أشياء غريبة في بعض الأوقات. كان يجعلني أضحك».

تحافظ على صوته منخفضًا لأنها أمور لا يزال قولها مؤلمًا، ولأنها نادرًا ما تصرح بها. جيجا لم يحب أن يسمعها قط، لذا لم يكن لديها من كان يمكنها مناقشة أحزانها معه، حتى الآن. إنها الآن على الشرفات الجنوبية لجيكتي، مدرجات صخرية متعاقبة فوق أرضية وادي اللحم.

لا تزال مزروعة بكثافة بالخضرة والحبوب، لكن بعض النباتات بدأت تميل إلى الصفرة بسبب ضعف ضوء الشمس. الحصاد القادم سيكون الأخير غالبًا قبل أن تزداد سماء غيوم الرماد.

«نعم، وتلك هي المأساة يا صغيرة، أنا آسف. أعتقد أن إخواني أحسنوا القيام بدورهم في تحذير الناس من خطر الأوروجينيين غير المدربين أكثر من اللازم. ليس الأمر وكأن كثرة التحذير خطأ، لكنها فقط... ربما مبالغ فيها»، يهز كتفيه. تشعر بوخزة غضب من تلك المبالغة، التي هي السبب في الكراهية التي ينظر بها أبوها إليها أحيانًا. لكنه غضب مبهم، غير موجه؛ إنها لا تكره شخصًا بعينه وإنما العالم بأسره. هذا كم ضخّم من الكراهية. تجد نفسها تقول: «إنه يعتقد أنني شريرة».

يتأملها شافا لبرهة. ثمة شيء مرتبك في نظرتة للحظة، تجهّم متعجب من نوع ما يتتابه بين الحين والحين. تسسبنة ناسون في لحظة عابرة بغير قصد، و... نعم، تلك الخيوط الفضية الغريبة تتوهج بداخله من جديد، تلتف حول لحمه وتشدّ عقله من مكان ما في مؤخرة رأسه. تتوقف لما يرتخي تعبيره، لأن حساسيته بالغة فيما يتعلق باستخدام الأوروجينية، ولا يحبها أن تفعل أي شيء بغير إذنه. لكن عندما تشدّ الخيوط المتوهجة لا يلاحظ الكثير.

يقول بحسم: «أنت لست شريرة، بل أنت بالضبط كما صنعتك الطبيعة، وهذا شيء مميز يا ناسون، أنت مميزة وقوية على نحو فوق العادي حتى بالنسبة إلى بني نوعك. لو كنا في المرتكز كنت لترتدي الخواتم الآن، ربما أربعة أو حتى خمسة، وهذا بالنسبة إلى عمرك مذهل».

تسعد ناسون بهذا حتى وهي لا تفهمه بالكامل. «يقول ووديه إن الخواتم في المرتكز تصل إلى عشرة؟». إن ووديه تحت إشراف نيدا عقيقية العيون، أكثر الوصاة ثرثرة من بين الثلاثة. تقول نيدا أحيانًا أمورًا بلا معنى، لكنها تشارك بقية الوقت حكمة مفيدة، هكذا تعلم الأطفال الإنصات إليها وغربة الهراء.

«نعم، عشرة»، ولسبب ما يبدو شافا منزعجًا من هذا، «لكننا لسنا في المرتكز يا ناسون، هنا عليك أن تدري نفسك، فليس هناك أوروچينيون كبار ليدربوك. وهذا جيد، لأن هناك أشياء... في وسعك فعلها»، يختلج وجهه، تتوهج الخيوط الفضية عبر جسده، ثم تهدأ، «أشياء ثمة حاجة إليك كي تفعلها، ولا يستطيع المرتكز تدريبك عليها».

تفكر ناسون في كلامه وتتجاهل الفضة للحظة، «أشياء مثل جعل الأوروچينية تذهب تمامًا؟»، تعلم أن أباه طلب هذا من شافا.

«يمكن تحقيق هذا لو بلغت درجة معينة من التطور، لكن الوصول إلى هذه النقطة يستلزم أن تتعلمي استخدام قواك بغير تصورات مسبقة». ينظر إليها؛ تعبيره غير ملزم، لكنها تعلم بشكل ما أنه لا يريد أن تصبح راكدة، حتى لو بات هذا ممكنًا. «أنت محظوظة لأنك ولدت لأوروچينية ماهرة بما يكفي للتحكم فيك وأنت طفلة. لا بد أنك كنت شديدة الخطورة وأنت رضيعة وفي الأعوام التالية».

والآن هو دور ناسون لهرّكتها. تخفض نظرتها وتجرجر قدميها فوق الحشائش التي شقت طريقها بين عمودين من البازلت. «ربما».

تحدد نظرتة. أيا كان خطبه - وثمة خطب في جميع وصاة القمر الجديد بالتأكيد - فهو يختفي كلما حاولت أن تداري شيئاً عنه، وكأنه يستطيع سسبنة التشويش. «أخبريني عن أمك».

لا تريد ناسون أن تتحدث عن أمها. «إنها غالباً ميتة»، يبدو ذلك مرجحاً، عدا أنها تذكر الشعور بمحاولة أمها لإزاحة التصدع عن تريممو. لكن الناس كانوا ليلاحظون ذلك، لطالما حذرت ماما ناسون من ممارسة الأوروچينية خلال الهزّات، فأكثر الأوروچينيين يُكتشفون بهذه الطريقة. وأوتشي هو ما يحدث للأوروچينيين عندما ينفضحون.

«ربما»، يطوح رأسه مثل الطيور، «لقد رأيت آثار تدريب المرتكز فيك. إنك... دقيقة، وتلك سمة غير معتادة في الحصى...»، يتوقف، يبدو مرتبكاً للحظة، ثم يتسّم، «...في طفل من سنك. كيف كانت تدريبك؟». تهزّ ناسون كتفيها من جديد وتدفع يديها إلى جيوبها. سيكرهاها لو أخبرته، ولو لم يكرهاها ستقل في نظره، ولعله يتخلّى عنها.

يتحرك شافا كي يجلس على حائط قريب، ويتابع مراقبتها والابتسام بهذيب، والانتظار. ما يجعل ناسون تفكر في احتمال ثالث وأسوأ: ماذا لو رفضت أن تجربها، فغضب وطردها هي وأباها من القمر الجديد؟ عندها لن يبقى لها أحد سوى جيجا.

و... تختلس نظرة أخرى إلى شافا. يقطب حاجبيه قليلاً، ليس استياءً بل اهتماماً. لا يبدو اهتمامه زائفاً، إنه مهتم بها. لم يبد أحد أي اهتمام بها منذ عام.

أخيراً تقول ناسون: «كنا نذهب إلى مكان قريب من آخر الوادي،

بعيداً عن تيريمو. كانت تقول لبابا إنها تأخذني للبحث عن الأعشاب»، شافا يومئذ، إن هذا شيء يتعلمه الأطفال في الكومونات عادة خارج شبكة التوصيل الاستوائية، وإنها مهارة مفيدة في المواسم. «كانت تسمي هذا «وقت البنات»، وبابا يضحك».

«وكنتم تمارسين الأوروچينية هناك؟».

ناسون تومئذ، وتنظر إلى يديها. «وكانت تتكلم معي عنها عندما يغيب بابا عن البيت، كلام بنات»، أي مناقشة الموجات والميكانيكا والحساب، واختبارات بلا نهاية، والغضب عندما لا ترد ناسون بسرعة أو بدقة، «لكن عند الحافة، أي المكان الذي كانت تأخذني إليه، كنا نتدرب فقط. كانت ترسم على الأرض الدوائر، وعليّ أن أحرك صخرة ما من دون أن يتخطى نطاق قوتي الدائرة الخامسة، ثم الثالثة، وأحياناً كانت ترمي الصخور نحوي»، والرعب من صخرة وزنها ثلاثة أطنان تتدحرج نحوها، والتساؤل: لو لم أتمكن من صدها، هل كانت ماما لتوقفها؟

كانت تتمكن، لذا يظل هذا السؤال بغير إجابة.

شافا يضحك، «مذهل»، ويضيف أمام نظرة ناسون الحائرة، «هذا بالضبط كيف يتدرب - كان يتدرب - الأطفال الأوروچينيون في المرتكز، لكن يبدو أن تدريبك كان مكثفًا تكثيفًا هائلًا»، يميل برأسه متأملًا، «ما دمت كنت تتمرنين في أحيان قليلة، لإخفاء ذلك عن أهلك...».

ناسون تومئذ، تنقبض قبضتها اليسرى وتفتح مجدداً، وكأنها تتصرف من تلقاء نفسها. «قالت إن ليس هناك وقت لتعليمي بالطريقة الرقيقة، وإنني كنت قوية جداً، وعليها أن تفعل ما يتوجب عليها».

«أرى ذلك»، لكنها تشعر به لا يزال يراقبها، وينتظر. إنه يعلم أن هناك المزيد. يبادر: «لا بد أنها كانت أيامًا شاقة».

ناسون تومى، تهز كتفها. «لقد كرهتها، وذات مرة صرخت فيها، قلت لها إنها شريرة، وإنني أكرهها، وأنها لن ترغبني على فعل شيء».

عندما لا تتقطع الأضواء الفضية داخل شافا أو تتوهج، يكون تنفسه منتظمًا انتظامًا ملحوظًا. لقد فكرت من قبل أن تنفسه ثابت مثل النائمين، والإنصات إليه يبعث على السكينة حتى لو لم يكن نائمًا.

«عندها هدأت إلى حد بعيد ثم قالت: «هل أنت متأكدة أنك قادرة على التحكم في نفسك؟»، ثم أخذت يدي»، بدأت ناسون تعض شفتيها، «وكسرتها».

للحظة يتوقف تنفس شافا، «كسرت يدك؟».

تومى. ترسم خطأً على راحة يدها، حيث لا تزال نقاط التقاء عظام الرسغ الطويلة بالأصابع تؤلمها أحيانًا عندما يشتد البرد. عندما لا يعلق تتابع: «قالت إن كراهيتي لها لا تهم، وعدم رغبتى في التحسن في الأوروچينية لا تهم، ثم أخذت يدي وأمرتني ألا أثلج أي شيء. كان معها حجر مستدير، ضربت به يدي». صوت الحجر يضرب اللحم، صوت تشقق العظام عندما تضربها أمها، صوتها تصرخ، صوت أمها يغطي على تدفق الدماء في آذانها: أنت نارية ناسون، أنت برق، مصدر خطر لو لم تحتوه الأسلاك. لكن ما دمت قادرة على التحكم في نفسك خلال الألم، ستكونين آمنة. «ولم أثلج أي شيء».

وبعد ذلك عادت بها أمها إلى البيت وقالت لجيجا إن ناسون وقعت

وقعة سيئة. ومن بعدها التزمت بوعدها ولم ترغم ناسون على الذهاب إلى الحافة مجددًا. لاحقًا علق جيغا على هدوء ناسون البالغ في تلك السنة، وقالت ماما هذا ما يحدث للبنات عندما تكبر.

لا. ما دام بابا قد صار جيغا، فماما يجب أن تصبح إيسون.

بات شافا شديد الهدوء، لكنه الآن صار يعلم حقيقتها؛ طفلة عنيدة حد أن أمها كسرت يدها لترغمها على شيء، بنت لم تحبها أمها، بل صقلتها، وأبوها لن يحبها مجددًا إلا لو فعلت المستحيل وغدت شيئًا غير نفسها.

يقول شافا: «كان هذا خطأ». صوته خافت جدًا حتى أنها لا تكاد تسمعه. تنظر إليه متفاجئة، إنه يحدق إلى الأرض، وثمة نظرة غريبة على وجهه. ليست النظرة الحائرة المرتبكة التي تتابعه أحيانًا، بل هو يتذكر شيئًا، والتعبير على وجهه... ذنب؟ حزن، حسرة. «إيذاء من نحبهم خطأ يا ناسون».

تحقق فيه ناسون. يتوقف تنفسها، ولا تدرك ذلك حتى يؤلمها صدرها وتضطر إلى شهق الهواء. إيذاء من نحبهم خطأ. خطأ، خطأ، خطأ، وكان دومًا خطأ.

ثم يرفع شافا يده إليها، تأخذها، فيجذبها، وتذهب إليه بمحض إرادته، ثم تصبح بين ذراعيه اللذين يحيطان بها بقوة وشدة، على النحو الذي لم يعد أبوها يحتضنها بها منذ قتل أوتشي. في تلك اللحظة لم تعد تأبه بأن شافا لا يمكن أن يكون حبه لها حقًا، فهو لم يعرفها إلا منذ أسابيع قليلة. إنها تحبه، تحتاج إليه، وستفعل أي شيء من أجله.

بوجه مهندس في كتف شافا، تسسبن ناسون تذبذب الفضة في داخله مرة أخرى، ولما كانت هذه المرة متصلة به تشعر أيضًا بعضلاته تجفل. ليس هذا أكثر من اختلاج، وقد يكون سببه أي شيء، عضّة حشرة أو ارتجاف جراء نسيم مسائي بارد. غير أنها تدرك على نحو ما أن هذا ألم حقيقي. تقطب ناسون وهي ملتصقة بزيه الرسمي وتتوجه نحو ذلك المكان في مؤخرة رأسه، مصدر الخيوط الفضية. إن تلك الخيوط جائعة! وبشكل ما عندما تقترب ناسون منها، تلعقها الخيوط، تسعى إلى شيء ما. تلمسهم ناسون بفضول، وتسسبن... شدة ضعيفة، ثم تشعر بالتعب.

يجفل شافا مجددًا ويتراجع، ويفرد ذراعيه على اتساعهما. «ما الذي تفعلينه؟».

تهزّ كتفيه، «أنت في حاجة إلى ذلك، كنت تتألم».

يدير شافا رأسه ببطء من ناحية إلى أخرى، ليس نفيًا، بل وكأنه يبحث عن شيء يتوقع وجوده، لكنه ذهب الآن. «أنا أتألم دومًا يا صغيرة، هذا جزء من حياة الوصاة، لكن...»، تعبيره حائر، ومن هذا تعرف ناسون أن الألم قد ذهب، على الأقل الآن.

«تألم دومًا؟»، تتجهّم، «أهذا من الشيء في رأسك؟».

ترتد نظرتة إليها فورًا. إنها لم تخش عيني بياض الثلج تلكما قط، ولا حتى الآن وهما تزددان بردًا على برد. «ماذا؟».

تشير نحو ظهر جمجمته، حيث تقع السسبينا، مثلما تعلمت في حصص اليومستري في المدرسة. «ثمة شيء صغير فيك، هنا، لا أعرف

ما هو، لكنني سسبته عندما قابلتك، عندما لمست عنقي»، ترمش في تفهم، «أخذت مني شيئاً حينها خفف من إزعاجه لك».

«صحيح»، وبدأ يمد يده إلى ما وراء رأسها، ويضع إصبعين على قمة عمودها الفقري، تحت الحافة الخلفية لجمجمتها. لمسته ليست مرتخية مثلما كانت لمساته الأخرى لها. إصبعاه مشدودتان، ويرفعهما كما لو أنه يحاكي سكيناً.

عدا أنها تدرك أنه لا يحاكي شيئاً. تتذكر اليوم الذي بلغا فيه القمر الجديد وهاجمها قطاع الطرق في الغابة. إن شافا لشديد القوة، إلى حد يكفيه معه إصبعاه ليخترق العظام والعضلات وكأنها أوراق. لم يكن ليحتاج إلى حجر كي يكسر يدها.

تتمعن فيها عين شافا ويدرك أنها تفهم جيداً ما يفكر في فعله. «أنت لست خائفة».

تهزّ كتفيها.

«أخبريني لم أنت غير خائفة». صوته لا يترك مساحة لعصيان أمره. «أنا فقط...»، لا تستطيع مقاومة هزّ كتفيها من جديد. إنها غير قادرة على صياغة ما تريد قوله، «أنا... أعني، هل عندك سبب جيد؟». «ليس لديك أدنى فكرة عن أسبابي يا صغيرة».

«أعلم»، تقولها بانزعاج ناجم عن إحباط أكثر من أي شيء آخر. ثم يخطر لها تفسير، «لم يكن عند بابا أي سبب عندما قتل أخي الصغير»، أو عندما رماها من العربة، أو في كل تلك المرات التي نظر فيها إليها وفكر في قتلها بوضوح لا يخفى حتى عن ذات عشرة أعوام.

ترمش عين بياض الثلج. وما يحدث معه كان مذهلاً: بالتدريج ارتحى تعبير شافا من التفكير في القتل إلى الحيرة من جديد، وإلى أسى عميق حد أنه أثار غصة في حلق ناسون. «أي إنك شهدت كمًا هائلًا من المعاناة العبيثة، إلى حد يجعل من فكرة أن تُقتلي لسبب جيد مقبولة؟».

إنه يتحدث أفضل بكثير منها. تومئ مؤكدة.

شافا يتنهد. تشعر بإصبعيه يترددان. «لكن هذا شيء لا يجب أن يعرفه أحد خارج جماعتنا. ذات مرة تركت طفلاً رأى ما رأيت، يعيش، وما كان ينبغي أن افعل. وفي النهاية عانيت أنا وهو الأمرين نتيجة لتعاطفي. أذكر هذا جيدًا».

تقول ناسون: «أنا لا أريد أية معاناة». تضع يدها على صدره، تسمح للفضة المتوهجة داخله أن تأخذ منها أكثر، تبدأ الخيوط تتلوى نحوها. «أتؤلمك دائماً؟ هذا لا يبدو صحيحًا».

«ثمة أشياء عديدة تخفف الألم. الابتسام مثلاً يطلق إندروفين معيناً...»، ثم ينتفض ويزيح يده من مؤخرة عنقها وينتزع يدها بعيداً عنه حالماً تبدأ الخيوط الفضية تجدها. إنه قلق بحق. «هذا سيقتلك!».

«وأنت ستقتلني في جميع الأحوال»، يبدو لها هذا منطقياً.

يرمقها. «يا آباء وأمهات الأرض»، لكنه مع ذلك يبدأ توتر القتل فيه يرتخي، وبعد لحظة يتنهد. «لا تتحدثي عن... ما سببتيه في، إلى أي أحد. لو عرف الوصاة الآخرون أنك تعرفين، ربما لن أستطيع حمايتك». ناسون تومئ. «لن أفعل. هل ستخبرني إذن ما هذا؟».

«ربما، ذات يوم». ينهض على قدميه. تثبث ناسون بيده عندما يحاول شدّها منها. يتجهّم قليلاً، مستغرباً، ثم يبتسم ويطوح يده قليلاً، وبعد لحظة يهزّ رأسه. ثم يعودان معاً نحو المجمع.

وكان ذلك أول يوم تشعر فيه ناسون بأنها في البيت.

هات الأوروبيني من مهده. ابحث عن مركز الدائرة، هناك ستجد [غير مقروء].

اللوّح الثّاني - «الحقيقة الناقصة» - البيت الخامس

أنت، مهمة كبيرة تنتظرك

وصمته بالجنون مرات عديدة، وأخبرت نفسك بأنك تحتقرينه حتى وحبك له ينمو في داخلك. لماذا؟ لعل السبب أنك فهمت من البداية أنه يمثل ما قد تصبحينه ذات يوم. أنت على الأرجح خمنت أنه لم يكن مجنوناً من قبل حتى أن تفقديه وتجديه من جديد. في النهاية، الكل يعتبر الروجات مجانين، أفسدهم الوقت الطويل الذي يقضونه مع الصخر، وتحالفهم الظاهري مع الأرض الشرير، وحقيقة أنهم ليسوا بشراً كفاية. لكن...

الجنون أيضاً هو الصفة التي يرمي بها الروجات المنصاعين الروجات العصاة. وأنت كنت من المنصاعين ذات يوم، لأنك حسبت هذا سيجعل حياتك آمنة. لكنه أظهر لك -مراراً وتكراراً، دون كلل أو ملل، دون أن يترك لك مساحة للتظاهر بالعكس - أن ما دام الانصياع لا يحمي المرء من الوصاة ولا محطات التوصيل ولا قسوة الجماهير ولا الاستيلاء ولا الازدراء، فما الفائدة منه إذن؟ إن اللعبة فاسدة من البداية، فلا جدوى من تكبد عناء لعبها.

لقد تظاهرت بکراهيته لأنك كنت جبانة. عدا أنك أحبيته في النهاية،
والآن هو جزء منك، لأنك صرت مع الوقت شجاعة.

يقول ألابستر: «قاومت أنتيموني طوال الطريق إلى باطن الأرض.
كان هذا غباءً، فلو ارتخت قبضتها عليّ، لو تذبذب تركيزها للحظة،
لصرت جزءاً من الصخر. لم أكن حتى لأتحطم، بل كنت لأمتزج
بالأرض تمامًا». يرفع ذراعه المبتورة، وأنت تعرفينه بما يكفي لإدراك أنه
كان ليلاعب أصابعه، لو كانت لا تزال عنده أصابع. يتنهد، دون حتى
أن يلاحظ. «كنا في الوشاح^(١) تقريباً لحظة موت إينون».

صوته خافت. لقد أُمست العيادة هادئة. تنظرين حولك؛ ذهب
لرنا، وأحد مساعديه نائم على سرير خاوٍ ويغطّ غطيّاً واهناً. تتحدثين
أنت أيضاً بخفوت، فهذه محادثة لاثنين فقط.

أنت مضطرة إلى السؤال، مع أن مجرد التفكير في ذلك يؤلمك.
«أتعرف كيف...؟».

«نعم، لقد سسبنت موته». يختر صامتاً للحظة. يتردد فيك حزنه
وحزنك. «لم أستطع منع نفسي من سسبنة ذلك. إن ما يفعله الوصاة
سحر أيضاً، لكنه... خطأ، ملوث، مثله مثل كل شيء في جنسهم. عندما
يمزقون شخصاً بهذه الطريقة، لو كنت منسجمة مع هذا الشخص
ستشعرين بذلك مثل هزة من الدرجة التاسعة».

(١) الوشاح The Mantle: ثاني طبقات الأرض بعد القشرة The Crust. [المترجم]

وكلاهما كان بالطبع منسجماً مع إينون. كان جزءاً منك. ترتجفين، لأنه يحاول جعلك منسجمة أكثر، مع الأرض ومع الأوروجينية ومع النظرية الجامعة للسحر، لكنك لا تريدين أن تمرى بهذا مرة أخرى. رؤية ذلك من قبل مرة كان سيئاً كفاية، ومعرفة أن الرعب الناجم كان ذات يومًا جسدًا احتضنته وأحببته، كان عليك أسوأ من هزة من الدرجة التاسعة. «لم أستطع منع ما حدث».

«أعرف». أنت تجلسين خلفه، تدعمين ظهره بيد واحدة. كان منذ بدأ حكايته شاردًا بنظره عنك، ينظر إلى مكان ما على مسافة متوسطة. لا يلتفت الآن لينظر إليك من فوق كتفه، غالبًا لأن هذا ليس في استطاعته بغير تألم، لكن ربما ثمة طمأنة في صوته.

يتابع: «لا أعلم كيف تلاعبت أنتيموني بالضغط والحرارة كي لا أموت منهما، ولا أعلم كيف لم أجن لما عرفت أين أنا حينها، ومن رغبتى في العودة إليك، وإدراكي لعجزي التام، وشعوري بالاختناق. وعندما سسبنت ما فعلتيه بكورو، انغلقت تمامًا. لا أتذكر بقية الرحلة، أو لا أريد أن أتذكر. لا بد أننا... لا أعرف»، يرتجف بينما يحاول أن يتذكر. تشعرين باختلاج عضلاته من ظهره.

«عندما أفقت وجدت أنني على السطح من جديد، في مكان...»، يتردد، يطول صمته بما يكفي لأن توخزك بشرتك. (هذا ليس خطأ ألابستر، لقد كنت هناك، وأعلم أنه مكان يتعذر وصفه).

يقول أخيرًا: «هناك مدينة في الناحية الأخرى من العالم».

ليس لتلك الكلمات معنى. إن الناحية الأخرى من العالم في عقلك ليست إلا امتدادًا عظيمًا من الخواء غير المطروق، خريطة بلا شيء غير المحيط. «على... على جزيرة؟ أهنا لك يابسة؟».

«نوعًا ما»: إنه غير قادر على الابتسام بسهولة، لكنك تسمعينها في صوته. «يوجد هناك بركان درعي هائل تحت المحيط، أكبر بركان سسبته على الإطلاق، يمكنك أن تضعي الأتاركتيكا كلها فيه. تستقر المدينة فوقه بالضبط، فوق المحيط. لا يوجد حولها أي شيء مرئي، لا أراضي مزروعة، ولا جبال لكسر التسونامي، ولا ميناء ولا أرصفة للقوارب، بل فقط... مبانٍ. نمت بعض الأشجار والنباتات التي لم أرَ مثلها من قبل فيها نمو جامح، لكنها لم تصبح غابة، بل تضافرت مع المدينة بشكل ما، لا أعلم كيف يمكن وصف هذا. وبدا أن البنية التحتية المسؤولة عن الحفاظ على المدينة كلها لا تزال مستقرة وتعمل، لكنها غريبة تمامًا، أنابيب وبلورات وأشياء تبدو وكأنها حية. لم أستطع تخمين كيف تعمل ولو عشر تلك الأشياء. وفي مركز المدينة هنالك... حفرة».

«حفرة؟»، تحاولين تخيلها، «للسباحة؟».

«لا، ليس بها ماء. إنها حفرة إلى داخل البركان، و... أبعد»، يأخذ نفسًا عميقًا، «إن المدينة موجودة كي تخدم الحفرة، كل ما فيها بُني لتلك الغاية، بل وحتى اسمها، الذي أخبرني به أكلو الصخر، يقرّ بذلك: كوربوينت. إنها أطلال يا إيسون، أطلال حضارة ميتة مثل غيرها، عدا أنها سليمة. الشوارع لم تتفتت، والمباني خاوية لكنها تحتوي على أثاث لا يزال قابلاً للاستعمال، مصنوعًا من مواد غير طبيعية لا تتحلل. في

وسعك أن تعيشي فيها إن أردت»، يتوقف للحظة، «أنا عشت في بعضها عندما أخذتني أنتيموني إلى هناك. لم يكن هناك مكان آخر للذهاب إليه، ولا أحد آخر للحديث معه غير آكلي الصخر. هناك العشرات منهم يا إيسون، وربما المئات. يقولون إنهم لم يبنوا المدينة، لكنها صارت مدينتهم منذ عشرات ألوف الأعوام».

أنت تراعين كراهيته للمقاطعة، لكنه يتوقف مع ذلك. ربما يتوقع تعليقاً، أو لعله يمنحك وقتاً لاستيعاب كلامه. بيد أنك لا تفعلين شيئاً سوى التحديق إلى رأسه من الخلف. طال ما تبقى من شعره كثيراً، سيتعين عليك طلب مقص ومشط من لِرنا قريباً. ليس في رأسك أية فكرة مناسبة أخرى غير هذه.

«ثمة أمر لا يسعنا عدم التفكير فيه»، يبدو صوته منهكاً. قلما دامت دروسكما أكثر من ساعة، ولقد مر بالفعل أكثر من ذلك. كنت لتشعري بالذنب لو كان لا يزال فيك أي مشاعر الآن غير الصدمة. «إن المسلات تلمح إليه، لكنها...»، تشعرين به يحاول هزّ كتفيه، فتفهمين، «...ليست بالشيء الذي يمكنك لمسه أو المشي عبره. أما المدينة... إن التاريخ المسجل يعود إلى... عشرة آلاف سنة؟ خمسة وعشرون لو حسبنا المواسم التي لا تزال الجامعة تشك في وجودها؟ لكن وجود الناس يعود إلى أقدم من ذلك بكثير. من يعلم متى بالضبط زحف أول أجدادنا خروجاً من الرماد وبدءوا يتكلمون؟ منذ ثلاثين ألف سنة؟ أربعين؟ مضى زمن طويل قبل أن نصبح كما نحن الآن، كائنات مثيرة للشفقة، ننكمش خلف أسوارنا ونجمع كل ذكائنا ومعارفنا نحو غاية

واحدة، وهي البقاء أحياء. هذا كل ما نفعله الآن: نبحث عن طرق جديدة لإجراء الجراحات الميدانية بأدوات مرتجلة، وكيماويات أفضل كي نستطيع إنبات مزيد من الحبوب بضوء أقل. لقد كنا ذات يوم أكثر من ذلك بكثير»، يخرّ صامتاً من جديد، للحظة طويلة. «لقد بكيتك أنت وإينون وكورو ثلاثة أيام هناك، في مدينة أسلافنا الغابرين».

تألمين من أنه ضمنك في حزنه. لا تستحقين هذا.

«أنا كنت... جاءوني بطعام»، يتجاوز ألابستر ما كان سيقوله بسلاسة شديدة حتى أن جملته في البداية لا يبدو لها معنى، «أكلته، ثم حاولت أن أقتلهم»، يصطبغ صوته بالتهكم، «استغرقت بعض الوقت في الواقع حتى أتوقف عن فعل هذا، لكنهم ظلوا يطعمونني. سألتهم كثيراً لماذا أتوا بي إلى هنا، ولماذا يبقونني حياً. أنتموني كانت الوحيدة التي تتكلم معي في البداية. حسبت أنهم كلفوها بذلك، لكنني فهمت أنهم لا يتحدثون لغتي. بعضهم لم يكن معتاداً على التفاعل مع البشر على الإطلاق. كانوا يحدقون إليّ، حتى أنني اضطررت أحياناً إلى زجرهم عني. كنت مذهلاً بالنسبة إلى بعضهم، ومقرفاً لآخرين. وكان الشعور مشتركاً.

في النهاية تعلمت بعض لغتهم، اضطررت إلى ذلك. بعض أجزاء المدينة كانت تتحدث بتلك اللغة. في وسعك فتح الأبواب وإضاءة الأنوار وجعل المكان أدفاً أو أبرد لو تعرفين الكلمة المناسبة. لم يكن كل شيء لا يزال يعمل، فالمدينة كانت تتداعى، لكن ببطء.

أما الحفرة فكان حولها علامات تتوهج حين تقتربين منها...»، (تذكرين فجأة غرفة في قلب المرتكز، وألواحاً نحيلة طويلة تشتعل

بالترتيب عندما تمشين نحو المقبس، وتتوهج بغير نار ولا فتيل)، «...
وحواجز ضخمة وكأنها مبانٍ، تتوهج أحيانًا في الليل، وتحذيرات
تكتب نفسها بالنار على الهواء أمامك، وصفارات تنطلق لو اقتربت
أكثر من اللازم. رغم كل ذلك أخذتني أنتيموني إلى هناك في أول يوم
صرت فيه... قادرًا على التفاعل. وقفت فوق أحد الحواجز ونظرت إلى
الأسفل، إلى ظلمة عميقة حتى أنها...».

اضطر إلى التوقف. وبعدها يزدرد لعباه يتابع.

«أخبرتني أنها أخذتني من ميوف لأنهم لا يسعهم المخاطرة بموتي،
وهنا، في قلب كوربوينت، قالت لي: «لهذا أنقذتك. هذا هو عدوك،
وأنت الوحيد القادر على مواجهته»».

«ماذا؟»، أنت لست مرتبكة، تعتقدين أنك تفهمين، لكنك لا
تريدين أن تفهمي، فتقرري أنك يجب أن تكوني مرتبكة.

يرد: «هذا ما قالته كلمة بكلمة»، يمسي الآن غاضبًا، لكن ليس
منك، «أذكر ذلك لأنني كنت أفكر حينها في أن إينون وكورو ماتا وأنت
رُميت إلى الكلاب الصدئة، لأن في وقت ما من مؤخرة التاريخ، قرر أحد
أسلافنا الأذكاء جدًّا أن يحفر حفرة إلى قلب العالم بلا أي سبب صدئ.
قالت أنتيموني: «لا، بل من أجل الطاقة». لا أعرف كيف يفترض من
هذا أن يحدث، لكنهم فعلوه، وصنعوا المسلات وغيرها من الأدوات
بغرض حصد تلك الطاقة.

لكن حدث خطب ما. انتابني شعور أن حتى أنتيموني لا تعلم ما هو
بالضبط، أو لعل آكلي الصخر لا يزالون يتجادلون بشأنه ولم يصلوا إلى

اتفاق بعد. ببساطة حدث خطب ما. المسلات... أخفقت. وطار القمر بعيداً عن الكوكب. لعل ذلك هو السبب، أو أدى إليه شيء آخر، لكن أيّاً كان السبب فالنتيجة كانت موسم الانشقاق. لقد حدث الانشقاق فعلاً يا إيسّون، هذا ما بدأ المواسم، تشتد عضلات ظهره قليلاً في يدك، إنه متوتر، «أتفهمين؟ إننا من يستخدم المسلات، أما الراكدون فهي ليست بالنسبة إليهم أكثر من قوالب حجرية كبيرة غريبة. تلك المدينة وكل تلك الأعاجيب... تلك الحضارة الميتة كلها كانت تعمل بالأوروجينية. نحن من دمر العالم مثلما يقولون دومًا أننا من فعل، فعلها/الروحيات».

قال الكلمة الأخيرة بحدة وعنف حتى ارتجف جسده كله معها. تشعرين بجسده يتيبس وهو يقولها. الانفعال يؤذيه، لكنه ينفعل حتى وهو يعرف ذلك.

يتابع بصوت بات منهكاً: «لكن ما أخفقت الحكايات في فهمه هو الولاءات. تقول الحكايات إننا عملاء الأب الأرض، لكن الواقع هو العكس، نحن أعداؤه. إنه يكرهنا أكثر من الراكدين بسبب ما فعلنا. لهذا صنع الوصاة كي يتحكموا فينا، و...».

تهزّين رأسك: «بستر، إنك تتحدث وكأن الكوكب حي وواع. إن كل تلك الأشياء عن الأب الأرض ليست إلا حكايات تحاول تفسير خطب العالم، مثل كل تلك الطوائف الغريبة التي تظهر بين وقت وآخر. لقد سمعت بطائفة تسأل عجوزاً في السماء أن يبقّهم أحياء كل مرة يخلدون فيها إلى النوم. إن الناس يريدون أن يؤمنوا بأن هذا العالم أكثر مما هو عليه بالفعل».

والعالم كله خراء. تفهمين ذلك الآن، بعد خراب حياتك المتكرر وموت اثنين من أطفالك. لا حاجة إلى تخيل الكوكب قوة شريرة تسعى إلى الانتقام، إنه صخرة. هكذا يجب أن تكون الحياة: مريعة ووجيزة وتنتهي - لو كنت محظوظًا - بالنسيان.

يضحك. هذا أيضًا يؤله، لكنها ضحكة توخر الجلد، لأنها نفس ضحكة طريق يومينس - أليا العالي، ضحكة محطة توصيل ميتة. ألابستر لم يكن مجنونًا قط، بل هو نهل من المعرفة نهلاً قد يدفع هشّ الروح إلى الهذيان. وأحيانًا ما تفصح تلك المعرفة عن نفسها في سلوكه، فيتجلى الرعب المتراكم فيه على نحو يجعله يبدو مخبولًا يسيل الزبد من شذقيه. وتعلمين أنه بهذا أيضًا يحذرك أنه على وشك تدمير جزء آخر من سذاجتك. لا يوجد على الإطلاق شيء بسيط كما تريدينه أن يكون.

يقول بعدما تهدأ ضحكته: «هذا غالبًا ما حسبه، أقصد أولئك الذين قرروا أن يحفروا حتى مركز الأرض. لكن مجرد أنك لا ترين شيئًا أو لا تفهمينه، لا يعني أنه لن يؤذيك».

تعرفين أنه محق، لكن الأهم أنك تسمعين المعرفة في صوت ألابستر. هذا يجعلك تتوترين. «ماذا رأيت؟».

«كل شيء».

جلدك يوخزك.

يأخذ نفسًا عميقًا. تجددين نبرته رتيبة عندما يتحدث من جديد، «إن تلك حرب بين ثلاث فرق. هناك أكثر، لكن لا عليك إلا بهؤلاء الثلاثة. يرغب ثلاثتهم في إنهاؤها، لكن المسألة هي كيف تنتهي. نحن المشكلة

يا إيسّون، نحن الناس. طرفان من الثلاثة يحاولان تقرير ماذا ينبغي أن يفعل بنا».

يفسر هذا الكثير. «الأرض و... آكلو الصخر؟»، إنهم دائماً ما يتلكؤون في الأنحاء، يخططون ويريدون أموراً مبهمة.

«لا، إنهم أناس أيضاً، ألم تفهمي ذلك بعد؟ إنهم يريدون أشياء ويحتاجون إلى أشياء ويشعرون بأشياء، مثلنا تماماً، ولقد كانوا يقاتلون في تلك الحرب من قبلنا أنا وأنت بكثير. بل إن بعضهم يرجع إلى البداية المبكرة».

«البداية؟»، أي بداية؟ الانشقاق؟

«نعم، بعضهم قديم إلى هذه الدرجة. أنتموني منهم، والصغير الآخر الذي يمشي وراءك هذا أيضاً على ما أظن، وهناك آخرون. إنهم لا يستطيعون أن يموتوا، لذا... نعم، بعضهم شهد حدوث كل شيء». تذهلين إلى حد يمنعك من الاستيعاب. هوّ الذي يبدو في السابعة من عمره يكاد يقترب من الثلاثين ألف؟ هوّا؟

يقول ألابستر: «إحدى الفرق تريد موتنا، أي نحن الناس. أعتقد أنها طريقة فعالة لحسم الأمور. وفرقة أخرى تريد تحييد الناس. أحياء لكن غير مؤذيين، أي مثل آكلي الصخر أنفسهم؛ حاول الأرض تحويلهم إلى شيء يشبهه، يعتمد عليه»، يتنهد، «أظن أن معرفة أن حتى الكوكب نفسه يخطئ أحياناً مطمئنة نوعاً ما».

تتأخر قشعريرتك لأنك لا زلت مشغولة بهوا. تتمتمين: «أي إنه كان بشرياً». نعم، والآن هو تنكر لا أكثر، زي قديم مُهمَل لُبس من

جديد مثل تذكّار من زمن مضى، لكنه ذات يوم، كان صبيًا من لحم ودم يبدو بتلك الهيئة. إنه ليس سانسزياً إذن، لأن السانسزيين لم يكونوا موجودين أصلاً في زمنه.

«كلهم كانوا كذلك»، بات متعباً جداً، ولعل هذا سبب خفوت حديثه المتزايد، «أنا لا أذكر ما حدث معي منذ خمسين سنة إلا بالكاد، تخيلي إذن محاولة تذكر ما حدث منذ خمسة آلاف سنة؟ عشرة؟ عشرين؟ تخيلي أن تنسي اسمك نفسه؟ لهذا لا يجيبون أبداً عندما نسألهم عن أسمائهم»، تشهقين من هذا الإدراك، «لا أظن ما يجعل آكلي الصخر مختلفين إلى هذا الحد هو ماهيتهم، بل أظن أن لا أحد يمكنه أن يعيش كل هذا الوقت من دون أن يتحول إلى شيء مختلف تماماً».

يقول تخيلي وأنت لا تقدرين على التخيل، وكيف تتخيلين؟ لكنك تفكرين في هوا في تلك اللحظة، هوا المدهوش من الصابون، المتكور إلى جوارك كي ينام، وحزنه عندما توقفت عن معاملته كإنسان. لقد كان يحاول بشدة، بأقصى طاقته، وفشل في النهاية.

تقولين: «قلت إن هناك ثلاث فرق». تحاولين التركيز في ما يسعك، بدلاً من الأسى على ما لا يسعك. يبدأ ألابستر يتحدّب، ينحني أكثر نحو يدك. إنه في حاجة إلى الراحة.

يصمت ألابستر طويلاً حتى تحسببينه نام، ثم يقول: «تسللت ذات ليلة لم تكن فيها أنتميموني موجودة. كان قد مر على وجودي هناك... عدة سنوات؟ فقدت الإحساس بالوقت مع مروره. لم يكن هناك أحد للكلام معه غيرهم، وكانوا ينسون أحياناً أن الناس يحتاجون إلى الكلام.

ولا شيء في الأرض أنصت إليه غير تلمل البركان. حتى النجوم كانت مختلفة في تلك الناحية من العالم...»، يشرّد للحظة، يفقد الإحساس بالوقت مرة أخرى، «كنت أنظر في مخططات المسلات، أحاول أن أفهم ماذا أراد بهم صانعوهم. رأسي أوجعتني، علمت أنك حية، واشتقت إليك كثيرًا حتى أعياني الاشتياق. انتابتنى فجأة فكرة جاححة نصف صدئة: لعلني أستطيع الوصول إليك عبر هذه الحفرة».

ليته بقيت له يد يمكنك أخذها. بدلا من ذلك تحتلج أصابعك على ظهره، وهذا ليس نفس الشيء.

«هكذا ركضت نحو الحفرة وقفزت. ليس هذا انتحارًا ما دمت لم أقصد الموت، هذا ما قلته لنفسى»، تشعرين بابتسامة أخرى، «لكنه لم يكن... إن تلك الأشياء حول الحفرة ليست فقط للتحذير، وإنما هي ميكانيزمات من نوع ما. لا بد من أنني قدحت شيئًا ما، أو لعل هذا هو عملها الأساسي؛ صرت أنزل لكنى لا أسقط، بل أتدلى تدليًا متحكم به بطريقة ما. بسرعة لكن بثبات. كان ينبغي أن أموت، من ضغط الهواء والحرارة ونفس الأشياء التي أخذتني أنتيموني عبرها لكن من دون صخر، لكن أنتيموني لم تكن موجودة وكان ينبغي أن أموت. رأيت أضواءً على الطريق بين حين وحين، أظنها نوافذ. كان هناك أناس يعيشون بالأسفل هنا! لكن الأغلب لم يكن إلا ظلامًا.

في النهاية، بعد ساعات أو أيام... قلّت السرعة. لقد بلغت...».

يتوقف. تشعرين بالوخز من جديد على جلدك.

«إن الأرض حي»، يصبح صوته خشنًا أجشًا، هستيريًا على نحو

خافت، «أنت محقة في أن بعض الحكايات القديمة مجرد حكايات، لكن ليست هذه. فهمت حينها ما كان يحاول أكلو الصخر أن يخبروني به، عرفت لماذا عليّ أن أستخدم المسلات لصنع الصدع. لقد كنا في حرب مع العالم لزمان طويل حتى أننا نسينا ذلك يا إيّسون، لكن العالم لم ينسَ، وسيكون علينا إنهاؤها قريبًا، وإلا...».

ألابستر يتوقف فجأة، لوهلة طويلة مضنية. تريدين أن تسأليه ماذا سيحدث لو لم تنتهِ الحرب القديمة قريبًا، تريدين أن تسأليه ما الذي حدث له بالأسفل في قلب الأرض، ماذا رأى أو ما الذي مر به وهزّه على هذا النحو الجلي. لكنك لا تسألين. إنك امرأة شجاعة، لكنك تعرفين حدود تحملك.

يهمس: «لا تدفنوني عندما أموت».

«ما...»

«أعطوني لأنتيموني».

وكانما سمعت اسمها، تظهر أنتيموني من جديد واقفة أمامكما. ترمقنيها وأنت تدركين أن هذا يعني أن ألابستر بلغ أقصى طاقته ويجب أن تنتهي المحادثة. يجعلك هذا تلعين ضعفه وتكرهين أنه يموت، وتبحثين عن كبش فداء لتلك الكراهية.

تقولين وأنت تنظرين إليها: «لا، لقد أخذتك مني مرة، ولن تأخذك ثانيًا».

يضحك، ضحكة شديدة التعب حتى أن سخطك يتفتت. «إما هي وإما الأرض الشرير يا إيّسون. أرجوك».

يبدأ يميل جانبًا، ويبدو أنك لست متوحشة إلى الحد الذي تحسبينه، لأنك تستسلمين وتنهضين. تمرق أنتيموني بطريقة آكلي الصخر تلك، ببطء شديد إلا عندما تقرر العكس، وتصبح فجأة مقرضة بجواره، تحمله وتسند به بكتلتا يديها بينما يروح في النوم.

تنظرين إلى أنتيموني. لقد اعتبرتها عدوًا كل ذلك الوقت، لكن لو أن ما يقوله ألابستر صحيح...

تنفجرين: «لا». أنت لا تقولين هذا في الواقع لها، لكن كلامك يصلح في كلتا الحالتين، «أنا لست مستعدة لاعتبارك حليفًا بعد»، وربما ليس أبدًا.

يقول الصوت من داخل صدر آكلة الصخر: «وحتى لو فعلت، فأنا حليفته هو، لا أنت».

هم أناس مثلنا، برغبات واحتياجات. تريدان أن ترفضى هذا أيضًا، لكن معرفة أنها أيضًا لا تحبك يريحك راحة غريبة. «قال ألابستر إنه فهم لماذا فعلت أنت ما فعلت، لكنني لا أفهم لماذا فعل هو ما فعل، أو ماذا يريد الآن. قال إنها حرب بين ثلاث فرق، ما الفرقة الثالثة؟ وفي أي فرقة هو؟ وكيف يساعد الصدع؟».

مهما حاولت لا يسعك أبدًا تخيل أنتيموني بشرًا أبدًا، أشياء كثيرة تمنعك من هذا: ثبات وجهها، صوتها القادم من غير موضع، حقيقة أنك تكرهينها. «إن بوابة المسلة تضخم الطاقة بنوعيتها؛ الفيزيائي والسحري. لا توجد نقطة واحدة على السطح تصدر أيًا من الطائفتين بكم كافٍ. الصدع مصدر طاقة ضخمة ويعتمد عليه».

ما يعني... تتوترين. «أتقولين أني لو استخدمت الصدع كمصدر طاقة محيطة، ومررت طاقته عبر نطاق قدرتي...». «لا، هذا ببساطة سيقتلك».

«طيب، شكرًا على التحذير». لكنك بدأت تفهمين. إنها نفس المشكلة التي لا تنفك تواجهك مع كل دروس ألابستر، الحرارة والضغط والحركة ليست القوى الوحيدة المتفاعلة هنا. «أتقولين إن الأرض أيضًا فيه سحر؟ ولو أنني دفعت هذا السحر في مسلة...»، ترمشين وتذكرين كلماتها، «بوابة المسلة؟».

نظرة أنيمنى كانت مثبتة على ألابستر، أما الآن فعيناها السوداءوان المسطحتان تنزلقان حتى تقابلا عينيك. «مئتان وستون مسلة متصلة معًا عبر كابوشون التحكم»، وبينما أنت واقفة مكانك تتساءلين عما يكون هذا الكابوشون الصديء، وتتعجبين من أن هناك أكثر من مئتين من تلك الأشياء اللعينة، تضيف، «استخدام هذا لسحب الطاقة من الصدع يفترض أن يكون كافيًا». «كافيًا لماذا؟».

تسمعين لأول مرة في صوتها نغمة من شعور، شعور بالانزعاج. «لفرض التوازن على نظام الأرض-القمر». ماذا! «قال ألابستر إن القمر طار بعيدًا».

«إلى مدار تدهوري قطع ناقص بعيد»، وعندما تحدقن فيها بخواء تتحدث بلغتك مجددًا، «إنه قادم».

أوه، يا للأرض، يا للصدأ، لا! «أتريديني أن أمسك القمر؟».

لا تفعل أنتيموني شيئاً سوى التحديق إليك، وتدرकिन متأخراً أنك كنت تصيحين. ترمين ألابستر بنظرة مذنبه، لكنه لم يستيقظ، ولم يستيقظ أيضاً الممرض الغافي على الفراش البعيد. تقول أنتيموني بعدما ترى أنك هدأت: «هذا خيار»، ثم تضيف فيما يشبه الاستدراك: «لقد قام ألابستر بأحد تعديلي المسار المطلوبين للقمر، أبطأ سرعته وغير مسار الدورة التي كان سيمر فيها حول الكوكب مجدداً. يجب أن يقوم شخص آخر بالتصحيح الثاني، ويعيد القمر إلى مدار مستقر واتساق سحري. إن عاد التوازن مجدداً، من المرجح أن المواسم سوف تنتهي، أو تضمحل إلى حد الندرة البالغة، ما يعني الأمر نفسه لبنني نوعك».

تشهقين، لكنك تفهمين الأمر برمته الآن. ردوا للأب الأرض ابنه الضائع عسى أن يسترضي هذا غضبه. تلك هي الفرقة الثالثة إذن: أولئك الذين يرغبون في هدنة، في أن يوافق الأب الأرض والناس على تحمل بعضهما بعضاً، حتى لو كان ذلك يعني خلق صدع وقتل الملايين من أجل تلك الغاية. أي التعايش السلمي بأي ثمن.

نهاية المواسم! يتعذر مجرد تخيل هذا. لطالما كانت المواسم موجودة، عدا أنك الآن تعلمين أن هذه ليست حقيقة.

تقولين أخيراً: «إما إنهاء المواسم أو رؤية كل شيء يموت بينما يصل الموسم ويجول إلى الأبد؟ هذا ليس خياراً. أنا سوف...»، تبدو لك أمسك القمر سخيفة، «... أفعل ما تريدون يا معشر آكلي الصخور». «هناك دوماً اختيارات»، نظرتها، مع كل غرابتها، تبدل فجأة على نحو غير ملحوظ، أو أنك من صرت تحسنين قراءتها. أمست فجأة تبدو

بشرية، ومستاءة أشد الاستياء، «وليس كل أفراد نوعي يريدون الشيء نفسه».

تعبسين من قولها لكنها لا تزيد عليه.

تريدين إلقاء مزيد من الأسئلة أملاً في الفهم أكثر، لكنها كانت محقة: أنت لست جاهزة لهذا. تدور رأسك، والكلمات العالقة فيها تبدأ تتداخل وتذوب بعضها في بعض. هنالك الكثير مما تحتاجين إلى التعامل معه.

رغبات واحتياجات. تزدردين لعابك. «هل في وسعي البقاء هنا؟». لا ترد، وتفترضين أن السؤال لم يكن ضرورياً. تنهضين وتتجهين إلى أقرب فراش. رأس الفراش جهة الحائط، ما يجعل رأسك خلف الأستر وأنتيموني، وأنت لا تشعرين برغبة في التحديق إلى ظهر آكلة الصخر طوال الليل. لذا تأخذين الوسادة وتتكورين بحيث تكون رأسك عند قدم السرير، فيكون وجه الأستر أمامك. ذات يوم كانت رؤيته على امتداد كتفي إينون تجعلك تنامين أفضل. هذا لا يمنح نفس الطمأنينة... لكنه ليس لا شيء.

بعد فترة تبدأ أنتيموني تغني من جديد، وتجدين في هذا راحة غريبة. تنامين أفضل مما نمت منذ أشهر.

ابحث عن تراجع الـ [غير مقروء] في سماء الجنوب، وعندما يكبر سوف [غير مقروء].

اللوحة الثاني - «الحقيقة الناقصة» - البيت السادس

شافا، ممدداً

هو مجدداً. أتمنى لو لم يفعل فيك كل هذا، فأنت لا تحبين أنه جزء منك بأي درجة، وستكرهين أكثر معرفة أنه جزء من ناسون... لكن دعينا نتجنب التفكير في ذلك الآن.

الرجل الذي لا يزال يحمل اسم شافا، مع أنه الشخص نفسه بالكاد، يحلم بشذرات من نفسه.

لا يحلم الوصاة بسهولة. الشيء المزروع في أعماق الفص الأيسر من بسبينة شافا يتدخل في دورة النوم والصحيان، فلا يحتاج إلى النوم كثيراً، وعندما ينام لا يدخل جسده غالباً النوم العميق الذي يسمح بالأحلام (يجنّ الناس العاديون إن حُرِّموا من النوم والأحلام، أما الوصاة فعندهم مناعة من هذا النوع من الجنون... أو لعلهم مجانين طوال الوقت). يعلم شافا أن أحلامه المتكررة هذه الأيام مؤشر سيئ، لكن لا يسعه فعل شيء، فقد اختار أن يدفع الثمن.

هكذا يتمدد شافا على سرير في كابينة الوصاة ويئن، ويرتجف على

نحو متقطع، بينما يتخبط عقله بين الصور. أحلامه فقيرة لأن عقله غير معتاد على الحلم، ولأنه لم يعد فيه إلا القليل من المادة التي لعلها المسؤولة عن بناء الأحلام. لاحقًا سيتحدث بهذا إلى نفسه بصوت عالٍ بينما يمسك رأسه ويحاول للملئة شتات هويته القليلة المتبعثرة معًا، وبهذا سأعرف ما الذي يعذبه. سوف أعلم أنه بينما يتخبط، يحلم بـ...

... بشخصين، والمدهش أن ملاحظتهما جلية في ذاكرته تمامًا مع أن كل شيء عدا ذلك، أسماءهما وعلاقتهما به وسبب تذكره لهما، ممسوح تمامًا. يستطيع أن يخمن، من أعين بياض الثلج لدى المرأة والرموش السوداء الكثيفة التي تتوجهها أنها أمه. أما الرجل فيبدو عاديًا. عاديًا أكثر من اللازم، عاديًا بحذر، بطريقة تثير الريبة الفورية في عقل شافا الوصي. إن البريين يسعون بجذ إلى أن يبدوا عاديين. أما كيف أنجباه، وكيف تركهما، فأمور أكلها الأرض. لكن وجهيهما على الأقل مثيران للاهتمام.

... بـوارانت، وبغرفة حوائطها سوداء منحوتة في صخرة بركانية متعددة الطبقات. وبأيذريقة وأصوات مشفقة. لا يتذكر شافا أصحاب الأيدي والأصوات. ساعده أحدهم كي يعتلي كرسي أسلاك (لم تكن محطات التوصيل أول من استخدم تلك الأشياء). إنه كرسي معقد، مؤتمت، يعمل بسلاسة مع أنه بدا لشافا عتيقًا. يترّ الكرسي وينقلب ويدور به حتى يصبح معلقًا وجهه إلى أسفل، تحت الأضواء الصناعية البراقة، ووجهه عالق بين قضيين قاسيين، وقفاه عارٍ أمام العالم. شعره قصير. يسمع من فوقه وخلفه آليات تدنو منه، أشياء مبهمة وغريبة حتى أن اسمها الأصلي وغاية وجودها ضاعا من الذاكرة (يتذكر أنه عرف في

وقت قريب من هذا أن غرضها الأصلي يمكن تحريفه بسهولة). يسمع حوله أصوات شهقات وتوسلات آخرين جُلبوا معه إلى هذا المكان... شهقات وتوسلات أطفال. يدرك أنه طفل في هذه الذكرى. ثم يسمع صراخ بقية الأطفال، وتمتزج به أصوات أزيز وتقطيع. وهناك أيضًا همهمة مائية منخفضة لن يسمعها بعد ذلك مطلقًا (ومع ذلك سيكون هذا الصوت مألوفًا لك ولأي أوروبيني يقترب من مسلة)، لأنه من الآن فصاعدًا ستتغير سسبينته، ولن تعود حساسة تجاه اضطرابات الأرض، بل تجاه أي أوروبية تحدث بالقرب منه.

يتذكر شافا مقاومته، وأنه حتى في طفولته كان أقوى من غيره. يتمكن من تحرير رأسه وتقريبًا نصف جسده العلوي قبل أن تصله الآلة، ولذلك تخطئه الآلة وتمزق رقبتة في مكان أدنى من حيث كان ينبغي أن تفعل، فيكاد هذا أن يقتله. تعدل الآلة من وضعها بلا كلل، يشعر ببرودة الجسم المعدني الغريب الذي تدسه فيه، يشعر باستيقاظ هذا الوجود المثلج الجديد فيه فورًا. يخيط أحدهم جرحه. الألم مريع، ولن ينتهي أبدًا، وإن كان سيتعلم أن يخففه بما يكفي لممارسة حياته. كل من ينجو من عملية الزرع يتعلم ذلك. الابتسام يفرز الإندروفين، والإندروفين يخفف الألم.

... بالمرتکز، وبغرفة عالية السقف في قلب المبنى الرئيسي، وأضواء صناعية مألوفة تتجه نحو وحول هوة متشابكة تتوهج حوائطها بلمعان المعدن. هو وأحد الوصاة يحدقان معًا إلى جسد صغير ممزق مكوم في قاع الحفرة. يكتشف الأطفال هذا المكان بين حين وحين، يا

لهم من كائنات صغيرة مسكينة. ألا يفهمون؟ إن الأرض فعلاً شرير، وقاسٍ، وشافا كان ليحميمهم جميعاً منه لو كان في وسعه. أحدهم نجا، إحدى الأطفال تحت وصاية ليشيت. ترتجف الطفلة بينما تقترب منها ليشيت، لكن شافا يعلم أن ليشيت ستركها تعيش. لطالما كانت ليشيت أكثر رفقا وطيبة مما ينبغي أن تكون، وأطفالها سيعانون جراء ذلك...

... بالطريق، وبأعين غريبة لا حصر لها تجفل أمام قزحيته البيضاء كالثلج وابتسامته التي لا تهتز، ويعلم أصحابها أن به خطباً ما مع أنهم لا يعلمون ما هو بالضبط. كانت هناك امرأة ذات ليلة، في حانة، حاولت أن تُفتن به بدلاً من أن تذعر. حذرنا شافا، لكنها ألحت، ولم يستطع منع نفسه من التفكير في أن لعل المتعة تقيه من الألم عدة ساعات، وربما الليلة كلها. من الجيد أن يشعر أنه إنسان لبعض الوقت. لكن رغم أنه حذرنا، عندما عاد به تجواله هنا بعد بعض شهر، وجدنا وفي بطنها طفل تقسم إنه ليس منه. ليست لديه رفاة السباح بعدم اليقين. استخدم خنجره الزجاجي الأسود، وهو شيء وارانتي الصنع. ولأنها كانت لطيفة معه استهدف الطفل فقط، أملاً في أنها ستنبذ جثته وتعيش. عدا أنها ذعرت، وغضبت، وصرخت طلباً للمساعدة، وأخرجت سكيناً بدورها وهي تقاوم. يعتزم على ألا ينسى بعدها أبداً ذبحه لهم جميعاً؛ عائلتها كلها، وحفنة من العابرين، ونصف أهل المدينة الذين هاجموا بأعداد غفيرة. لن ينسى بعدها أبداً أنه ليس، ولم يكن قط، إنساناً.

... بـليشيت مجدداً. بالكاد يتعرفها هذه المرة؛ شعرها كله أبيض، ووجهها الذي كان يوماً ناعماً تملؤه التجاعيد والبشرة المتهدلة.

تبدو أضال، عظامها التي تزداد هشاشة منضغطة حتى التحذب، مثلما يحدث عادة للأركتيكيين عندما يشيخون. لكن ليشيت شهدت من القرون أكثر من شافا. لا يفترض أن يعني كبر السن للوصاة الوهن والانكماش والشيخوخة (وبها سعادة وابتسامة تعني ما هو غير تخفيف الألم، وهي أشياء لا يفترض بهم أن يعرفوها أيضًا). يحدق إلى ابتسامتها العريضة المرحبة وهي تعرج نحوه قادمة من الكوخ الذي تتبعها إليه. إنه ممتلئ برعب خافت وتقرز متنام، لا يعي بأي منهما حتى تقف أمامه، ويكسر عنقها بحركة غريزية.

... بالبنت. واحدة من بين عشرات، من بين مئات. يتداخلون في بعض على مر سنوات بلا عدد... لكن ليس تلك البنت. يجدها في حظيرة، شيء مذعور مسكين، تحبه في لحظة. ويحبها أيضًا، ويتمنى لو كان أطيب معها. وقد كان معها ألطف ما يمكن وهو يدر بها على الطاعة بالعظام المكسورة والتهديدات المحبة والفرص التي لم ينبغ أن يعطيها. هل أصابته عدوى الرقة من ليشيت؟ ربما، ربما... لكن وجهها، عيناها... ثمة شيء ما فيها. لا يتفاجأ بعدها عندما يبلغه نبأ تورطها في قيام مسلة في آليا. إنها مميزة، ولا يصدق أنها ميتة بعد ذلك. يملؤه الفخر وهو ذاهب لاستعادتها، ويصلي للصوت داخل رأسه أنها لا ترغمه على قتلها. بالبنت...

... التي يجعله وجهها يستيقظ وهو يصيح بخفوت. البنت.

ينظر إليه الوصيان الآخرون بعين الأرض المرتابة. إنها ملوثان مثله، وأكثر. ثلاثتهما يمثلون كل ما حذر منه نظام الوصاة. إنه يتذكر

اسمه، لكنها لا يتذكران اسميهما، وهذا هو الفارق الوحيد الحقيقي بينه وبينهما... أليس كذلك؟ رغم هذا يبدو أن *أقل* منه بكثير بشكل ما. لا بهم. يدفع نفسه إلى القيام من الفراش، ويفرك وجهه، ويتجه إلى الخارج.

إلى مهجع الأطفال. يقول لنفسه إن وقت الاطمئنان عليهم قد حان، عدا أنه يتجه مباشرة نحو فراش ناسون. يجدها نائمة عندما يرفع المصباح ليفحص وجهها. نعم، إنها في عينيها وربما في عظام وجنتيها، تداعب عقله. أخيراً تجتمع شذرات الذاكرة وتشكل صورة واضحة لوجهها، دامايا، دامايته، الطفلة التي لم تمت، بل وُلدت من جديد.

يتذكر أنه كسر يد دامايا ويحفل من الذكرى. لماذا ارتكب مثل هذا الفعل؟ لماذا ارتكب أيّاً من الأفعال المريعة التي ارتكبتها في هذه الأيام؟ رقبة ليشيت، ورقبة تياي، وعائلة إيتز، وغيرهم الكثير، مدن برمتها. لماذا؟

تقلب ناسون في نومها، تدمدم بخفوت. يتجه إليها شافا بحركة آلية ويداعب وجهها، فتهدأ فوراً. ثمة ألم خافت في صدره، لعله حب. يتذكر أنه أحب ليشيت ودامايا وآخرين، ومع ذلك فعل بهم ما فعل. تقلب ناسون قليلاً، تستيقظ نوعاً، ترمش من نور المصباح. «شافا؟».

يقول: «لا شيء هناك يا صغيرة، أنا آسف»، آسف على عدة مستويات. لكن الخوف وجد في قلبه مكاناً، ولا يزال الحلم يتلصقاً، ولا يملك إلا أن يحاول محوه. يقول أخيراً: «ناسون، هل أنت خائفة مني؟».

ترمش، صاحبة بالكاد، ثم تبتسم، ويفك هذا شيئاً ما في داخله.
«أبدًا».

أبدًا. يزدرد لعبه، حلقه يضيق فجأة. «جيد، عودي إلى النوم».
تنجرف فوراً، ولعلها لم تستيقظ أصلاً من البداية. لكنه يتلأأ
بالقرب منها، يتابع مراقبتها حتى تتذبذب جفونها وتعود إلى الحلم مجدداً.
أبدًا.

يهمس: «ليس بعد الآن»، يرتجف من الذكرى، ثم يتغير الشعور
ويعقد عزيمته. لا يهم ما حدث من قبل، شافا القديم راح، والآن عنده
فرصة جديدة. ولو أن تحوله إلى نسخة أقل من نفسه يعني أنه أقل من
الوحش الذي كانه، فليس هناك داعٍ إلى الندم.

صاعقة من الألم تضرب على طول عموده الفقري، أسرع من أن
يتحملها بالابتسام. هناك من يعترض على عزيمته الجديدة. يتوجه
غريزياً نحو مؤخرة رقبة ناسون... ثم يوقف نفسه. لا، إنها الآن بالنسبة
إليه أكثر من مهدئ للآلام.

يأمره الصوت: استخدمها، إنها عنيدة مثل أمها، دربها حتى تصبح
مطبعة.

يرد شافا بالتفكير: لا، ويجهز نفسه لتلقي سياط الانتقام. إنه ألم لا
أكثر.

ثم يرتب الفراش حول ناسون، يقبل جبهتها، ويغلق المصباح
ويذهب. يتجه إلى الحافة التي تطل على المدينة، ويقف هناك بقية الليلة
يجزّ على أسنانه ويحاول نسيان آخر ما تبقى ممن كان من قبل ويعد نفسه

بمستقبل أفضل. في النهاية يخرج الوصيان الآخرين من كابيتتهم أيضًا،
لكنه يتجاهل ثقل نظراتهم على ظهره.

ناسّون، تقم إلى فوق

أكرر، أكثر هذا تخمينًا. أنت تعرفين عن ناسّون، وناسّون جزء منك، لكنك لا يمكنك أن تكوني ناسّون... وأعتقد أننا قد أوضحنا أنك لا تعرفينها بقدر ما تظنين نفسك فاعلة (وهذا في الواقع ينطبق على كل والد وابن). صارت مهمة الإحاطة بوجود ناسّون تقع على عاتق غيرك. لكنك تحبينها، وهذا يعني أن جزءًا مني لا يسعه إلا أن يحبها أيضًا.

الحب إذن هو طريقنا للتفهم.

بوعي راسخ في أعماق الأرض، ناسّون تنصت.

في البداية لا تجد إلا التعديات العادية على السسونا المحيطة؛ أي التمدد والانكماش الدقيق لطبقات الأرض، والتمخض الهادئ نسبيًا في البركان تحت جيكتي، والاحتكاك اللانهائي بين الأعمدة البازلتيّة التي ترتفع وتبرد. اعتادت كل ذلك. تحب ناسّون أنها تستطيع الإنصات الآن كما تحب وقتما تريد، بدلًا من الاضطرار إلى انتظار ظلمة الليل،

والتمدد مستيقظة بعدما يخلد والداها إلى النوم. هنا، في القمر الجديد، يسمح شافا لناسون باستخدام بوتقة التدريب وقتما ترغب، بقدر ما ترغب. لا تحاول ناسون أن تحتكر البوتقة، لأن الآخرين أيضًا يحتاجون إلى التعلم... لكنهم لا يستمتعون بالأوروبية مثلاً. أكثرهم يبدون غير مكترئين بقواهم، أو بالأعاجيب التي في وسعهم استكشافها لو تمكنوا منها، بل إن حتى بعضهم يخشاها، وهو شيء لا تستطيع ناسون أن تفهمه. لكنها أيضًا غدت لا تستطيع أن تفهم أنها كانت ذات يوم تود أن تصبح قوالة، وقد نالت الآن الحرية كي تصبح نفسها بالكامل، ولم تعد تخشى تلك النفس. صار عندها شخص يؤمن بها، يثق بها، يقاتل من أجلها، دون أن تغير من نفسها شيئاً. لذا لن تكون غير حقيقتها.

تركب ناسون الآن دوامة هواء داخل بقعة جيكتي الساخنة، وتتوازن بكفاءة تامة بين ضغط التيارات المتضاربة، ولا يخطر لها حتى أن تخاف. إنها لا تدرك أن هذا شيء يشقّ على ذي أربعة خواتم مركزي أن يفعله، لكنها أيضًا لا تفعله بطريقة المركزي ذي الخواتم الأربعة، أي بالتحكم في الحركة والحرارة ومحاولة تمرير كليهما عبر نفسه. صحيح أنها تتوجه مثله، لكنها تتوجه بحواسها فقط وليس بنطاق استهلاكها. لكن بينما كان مدرب المركز ليحذرهما أنها لن تستطيع التأثير في أي شيء بتلك الطريقة، تتبع ناسون ما تمليه عليها غريزتها. عندما تستقر ناسون في الدوامة وتخلق معها، تستطيع أن تسترخي بما يكفي لغرلة الاحتكاك والضغط حتى تصل إلى ما تحتها: الفضة.

تلك هي الكلمة التي قررت أن تسمي بها تلك الأشياء، بعدما

سألت شافا والآخرين، وأدركت أنهم لا يعلمون ماهيتها أيضًا. الأطفال الأوروبيون الآخرون لا يستطيعون حتى تمييزها؛ حسب إيتز أنه قادر على سسبنة شيء ذات مرة، عندما حاولت بخجل أن تطلب منه التركيز في شافا بدلًا من الأرض، لأن الفضة تسهل رؤيتها في الأشخاص أكثر من الأرض (أكثر تركيزًا، أكثر قوة وعزمًا)، لكن شافا تيبس وصدق فيه في اللحظة التالية، فجفل إيتز وبدأ أكثر شعورًا بالذنب والذعر من أي وقت مضى، فشعرت ناسون بالسوء لأنها تسببت في أذاه، ولم تطلب منه المحاولة مجددًا قط.

أما البقية فلا يقدرّون حتى على ذلك. أكثر من ساعدها فعلاً كان الوصيان الآخران، نيدا وأومبر. تبدأ نيدا الحديث وتجهز ناسون نفسها، لأن ما إن تبدأ نيدا في الحديث حتى لا يعلم أحد متى ستنتهي: «هذا هو الشيء الذي كنا في المرتكز نلغي من يجده، من يسمع نداءه، من ينصت عن قرب. إن استخدام التسامي بدلًا من التحكم في المباني خطر، مصيبة، نذير سوء. من المهم إبقاء البعض لأغراض بحثية، لكن أكثر هؤلاء الأطفال نوجههم إلى خدمة المحطات. والآخرون يُقطعون قطعًا قطعًا قطعًا، لأن التوجه إلى السماء ممنوع». والغريب أنها تسكت بعد ذلك. تتساءل ناسون ما دخل السماء في الأمر، لكنها تلتزم الصمت، وإلا بدأت نيدا مرة أخرى.

لكن أومبر، الذي يعوض سرعة نيدا ببطئه، يومى، ويترجم لها: «نحن نسمح للبعض بالتطور، من أجل الاستيلاد وإشباع الفضول، ومن أجل فخر المرتكز، لكن ليس أكثر من ذلك».

فتفهم ناسون عدة أشياء ما إن تغربل المعنى من بين الهراء. إن نيدا وأومبر وشافا لم يعودوا وصاة كاملين؛ لقد تركوا عن عقيدة جماعتهم، واختاروا أن يتخلوا عن الطرق القديمة. يبدو إذن أن استخدام الفضة أمر يسبب قلقًا بالغًا للوصي العادي... لكن لماذا؟ ما دام يُسمح لقليل من أوروچيني المرتكز باستخدام تلك المهارة، و«التطور»، ما الخطر في أن يفعل ذلك الكثيرون؟ ولماذا يسمح لها هؤلاء الوصاة السابقون، الذين كانوا «يلغون» من لديهم تلك القدرة، باستخدامها بغير قيود الآن؟

تلاحظ أن شافا كان موجودًا خلال تلك المحادثة، لكنه لم ينطق، بل كان بالكاد يراقب، يبتسم ويختلج من حين إلى آخر بينما تلتهم الفضة بداخله وتشده. كان هذا يحدث له كثيرًا في الآونة الأخيرة، ولا تعلم ناسون لهذا سببًا.

تعود ناسون إلى البيت كل مساء بعد أيامها في القمر الجديد. لقد استقر جيغا في منزله الجديد بجيكتي، وكل مرة تعود إليه تجد لمسات حميمية جديدة تحبها: طلاء أزرق عميقًا على الباب الخشبي القديم، مزروعات جديدة في حديقة المنزل الصغيرة، وإن كانت تنمو بصعوبة مع تكثف الرماد في السماء فوقهم، وبساط قايضه مقابل سكين سبجي في الغرفة الصغيرة المخصصة لها. إنها ليست كبيرة مثل غرفتها القديمة في تريممو، لكن بها نافذة تطل على الغابة ناحية هضبة جيكتي، وبعد الغابة، لو كان الهواء نقيًا بما يكفي، تستطيع أحيانًا رؤية الساحل مثل خط بعيد أبيض بعد خضرة الغابة، وبعد ذلك يمتد الأزرق على نحو يبهرها، مع أنها لا ترى من هنا سوى شريحة من اللون. إنها لم ترَ البحر عن قرب

من قبل، وإيتز يحكي لها عنه أشياء مبهرة؛ أنه له رائحة الملح والكائنات الغريبة، وأنه على حافته غبار من نوع غريب يدعى «رمال» يلمع قليلاً بسبب الملح، وأنه تخرج منه أحياناً كائنات غريبة مثل السرطان والحبار وعضاض الرمل، وإن كان الأخير يقال إنه لا يأتي إلا في الموسم. وثمة خطر بالغ هناك من التعرض لتسونامي، ولهذا لا يعيش بالقرب من البحر من يسعه تجنب ذلك. وبالفعل، بعد أيام قليلة من وصول جيغا وناسون إلى جيكتي، سسبنت بقايا هزة ضخمة داخل البحر في الشرق البعيد، وسسبنت أيضاً توابع تلك الهزة التي أدت إلى ترحزح شيء ما شاسع ثم تحطمه على الساحل. عندها امتنت لأول مرة أنها بعيدة جداً. يظل مع ذلك من اللطيف أن تكون في البيت من جديد. عاد إليها الشعور بعادية الحياة لأول مرة منذ زمن طويل. وذات ليلة خلال العشاء، تخبر ناسون أباهما بما قاله إيتز عن البحر. يبدو مرتاباً، ثم يسألها أين سمعت هذه الأمور. تخبره عن إيتز، فيصمت تماماً.

يقول بعد وهلة: «إيتز هذا روجا؟».

ناسون، التي تطلق غريزتها أخيراً أجراس التحذير - لأن عادة الاحتراس من تقلبات جيغا المزاجية لديها تراجعت - تصمت، لكن لأنه سيغضب أكثر لو لم تتحدث، تومئ أخيراً.

«أيهم؟».

تعض ناسون شفتها. لكن إيتز تحت رعاية شافا، وتعلم أن شافا لن يسمح بتعرض أي من أوروچينينه لأي أذى، فتقول: «أكبر واحد، الطويل الأسود ذو الوجه الطويل».

يتابع جيغا الأكل، لكن ناسون ترى عضلات تتلوى في فكه ليست لها علاقة بالمضغ. «الولد الساحلي؟ رأيته من قبل. لا أريدك أن تتكلمي معه مرة أخرى».

تزدرد ناسون لعابها، وتخاطر: «أنا مضطرة إلى الحديث مع الآخرين كلهم يا بابا، هكذا نتعلم».

«تعلمون؟»، يرفع جيغا عينه. غضبه مكبوت، محكوم، لكنه متأجج. «كم عمر هذا الفتى؟ عشرون؟ خمسة وعشرون؟ ولا يزال روچا؟ كان ينبغي أن يكون قد شفى نفسه في هذه السن».

ناسون ترتبك للحظة، لأن الشفاء من الأوروجينية آخر شيء تفكر فيه وهي في دروسها. قال شافا إن هذا ممكن، و... آه، وإيتز -الذي لا يزال في الثامنة عشرة لكن من الواضح أنه أكبر من ذلك في عين جيغا- يعد كبيرًا جدًا ومع ذلك لم يتتفع بالعلاج، هذا لو كان سيُعالج. تدرك ناسون مع لسعة برد أن جيغا بدأ يشك في ادعاء شافا أن إزالة الأوروجينية أمر ممكن. ماذا قد يفعل لو أدرك أن ناسون لم تعد ترغب في أن تشفى؟

لن يفعل طيب. تقول: «صحيح يا بابا».

هذا يهدئه، مثلما يهدئه عادة. «لا أريدك أن تغضبي الوصاة منك، لا بأس بالحديث معه طالما داخل الدرس، لكن لا تتحدثي معه خارجه»، يتنهد، «لا يعجبني قضاؤك كل هذا الوقت هناك».

يتابع التذمر بشأن هذا حتى آخر الوجبة، لكنه لا يقول شيئًا أسوأ، هكذا تهدأ ناسون في النهاية.

في الصباح التالي، في القمر الجديد، تقول لشافا: «أريد ان أتعلم كيف أخفي حقيقتي بشكل أفضل».

كان شافا في نفس الوقت الذي تقول فيه هذا يصعد الهضبة نحو مجمع مباني القمر الجديد وهو يحمل زكيتين ثقيلتين. حتى مع قوته البالغة، يشقّ عليه التنفس وهو يفعل ذلك، لذا لا تلح عليه كي يرد عليها بينما يمشي. وعندما يبلغان أحد أكواخ تخزين المجمع الصغيرة، يضع حملته ويلتقط أنفاسه. إن تخزين المتاع هنا بغرض أمور مثل إطعام الأطفال، أسهل من الاضطرار إلى الذهاب إلى بيت الأكل الجماعي أو إلى بيوت أحرار جيكتي من أجل التموين ذهابًا وعودة. يسألها عندها، بهدوء: «هل أنت آمنة؟». لهذا تحبه.

تومئ، وتعض شفتها السفلية، لأن اضطرارها إلى التساؤل عن مثل هذا بخصوص أبيها خطأ. ينظر إليها للحظة طويلة صعبة، ويبدو عليه تعبير بارد ينبئ أنه بدأ يفكر في حل بسيط لمشكلتها. تقول: «لا تفعل».

يرفع حاجبًا. يتساءل: «لا أفعل...؟».

لقد عاشت ناسون عامًا من البشاعة. على الأقل وحشية شافا نظيفة وبلا تعقيد. هذا يسهل عليها عقد عزمها ورفع ذقنها، «لا تقتل أبي».

يبتسم، لكن تظل عيناه باردتين. «إن هذا نابع من شيء يا ناسون، شيء لا علاقة له بك أو بأخيك أو بأكاذيب أمك. أيًا كان هذا الشيء فقد ترك جرحًا في أبيك، جرحًا متقيحًا كما هو واضح. سينفجر أبوك في أي شيء يلمس هذا الجرح العفن القديم... مثلما رأيت»، فتفكر في أوتشي، وتومئ، «لا يمكن التفاهم مع هذا بالمنطق».

تندفع: «أستطيع أن أفهمهم معه، لقد فعلت ذلك من قبل، أعلم كيف...»، أتلاعب به، تلك هي الكلمات المناسبة، لكنها بالكاد في عامها العاشر، لذا ما تقوله هو: «أستطيع أن أمنعه من فعل أي شيء سيئ، لطالما فعلت ذلك من قبل»، في الغالب.

«إلى أن تفشلي في منعه مرة واحدة، وهذا يكفي»، ينظر إلى عينيها، «أنا سأقتله لو مسّ منك شعرة يا ناسون، ضعي هذا في ذهنك، واعلمي أن لو كانت حياة أبوك عندك أغلى من حياتك، فهي ليست عندي كذلك»، ثم يستدير ويتجه إلى الكوخ كي يرتب الزكائب، وتلك نهاية المحادثة.

بعد بعض الوقت، تخبر ناسون الآخرين بحديثها مع شافا، فيقترح بايدو الضئيل: «ربما صار عليك أن تتقلّي إلى القمر الجديد معنا».

بالقرب منهما تجلس ينجين والمتهربة ولاشار، يسترخين بعد أمسية قضيتها في دفع الصخور المرقمة المدفونة تحت أرض البوتقة. يومئذ ويتمنن بالكلمات المؤيدة، تقول لاشار بطريقتها المتغطرة: «كلام سليم، لن تكوني أبداً واحدة منا فعلاً ما دمت تعيشين تحت، بينهم».

كانت ناسون قد فكرت في هذا بنفسها، كثيراً، لكن... تقول ملوحة بيديها: «إنه أبي».

لا يثير هذا أي تفهم بينهم، ويرميها البعض بنظرات مشفقة. إن الكثير منهم لا يزال يحمل آثار العنف الذي مارسه ضدهم أقرب الأقربين. تنفجر المتهربة: «إنه راكد»، وتلك نهاية المسألة بالنسبة إلى أكثرهم. تياس ناسون في النهاية من محاولة إقناعهم بغير ذلك.

لا مفر من أن تبدأ تلك الأفكار تؤثر في أوروچينيتها، وكيف لها ألا تتأثر حينما يرغب جزء دفين منها أن ترضي أباه؟ إنها تحتاج إلى كل ما فيها، وإلى ثقتها بنفسها التي تأتي محملة بالنشوة، كي تتصل بالأرض على أكمل وجه. وفي هذا المساء، عندما تحاول أن تلمس خيوط الفضة الملتفة في البقعة الساخنة، تفشل فشلاً ذريعاً حتى أنها تشهق وتجاهد حتى تعود إلى وعيها، فتجد أنها أثلجت دوائر البوتقة العشر كلهم. يدب شافا قدمه في الأرض.

«قُضي الأمر، ستنامين هنا الليلة»، يقولها بعدما مشي على القشرة الثلجية كي يحملها ويعود بها إلى دكة الجلوس، فهي منهكة إلى حد لا يسعها معه المشي، فقد استهلكت كامل طاقتها كيلا تموت. «غداً، عندما تستيقظين، سوف أذهب معك إلى بيتك لجلب متاعك».

تقول لاهثة: «لا أريد ذلك»، حتى وهي تعلم أن شافا لا يجب أن يقول له الأطفال لا.

«لا تهمني رغبتك يا صغيرة، هذا يتعارض مع تدريبك. لهذا كان المرتكز يأخذ الأطفال من ذويهم. إن ما تفعلينه خطير إلى حد لا يمكن السماح معه بأي تشيت، حتى لو كان من أقرب الناس إليك».

«لكن...»، ليس بها طاقة كافية لاعتراض أقوى. يضمّها في حجره محاولاً تدفئتها، لأن حافة نطاق قدرتها لم يكن أبعد من بوصة عن بشرتها. شافا يتنهد، ولبعض الوقت لا ينس بشيء، باستثناء الصياح كي يأتي أحدهم ببطانية؛ إيتز هو من يأتي بها، بعدما كان قد ذهب بالفعل لإحضارها حالما رأى ما حدث (الكل رأى ما حدث، وكم أن هذا

مخرج، فناسون، مثلما اكتشفت أنت منذ طفولتها المبكرة، بنت ذات كبرياء). وعندما تتوقف ناسون أخيرًا عن الارتجاف والشعور وكأن سسبيتها قد ضُربت ضربًا مبرحًا، يقول شافا أخيرًا: «إنك تخدمين غاية عليا يا صغيرة، ولست تحت أمر رغبات شخص بعينه، حتى لو كان هذا الشخص أنا. أنت لست مخلوقة لتلك الأشياء التافهة».

تجهم، «لماذا... لماذا خلقت إذن؟».

يهزّ رأسه. تلتهم الفضّة عبره، شبكة من الخيوط التي تحيا وتتحرك حسبما يحيكها الشيء الكامن في سسبيتته ويفرض إرادته، أو يحاول أن يفعل. «لتصحيح خطأ عظيم، خطأ شاركت فيه بنفسي».

هذا مثير للاهتمام إلى حد يصعب الاستسلام للنوم معه، حتى وجسدها يتوسل من أجله. «ماذا كان ذلك الخطأ؟».

«استعباد بني نوعك»، عندما تعتدل ناسون جالسة وتتجهم مرة أخرى، يبتسم مجددًا، لكنها هذه المرة ابتسامة حزينة، «أو لعلّي يجدر بي القول للدقة، إننا يسرنا استعبادهم لأنفسهم تحت راية السانزا القديمة. كان المرتكز عادة يديره أوروچينيون، أوروچينيون جمعناهم وشكلناهم واخترناهم بعناية، كي يطيعوا، كي يعرفوا مكانهم. عندما خيروا بين الموت وأهون درجات القبول، كانوا يائسين، وانتهزنا ذلك. نحن جعلناهم يائسين».

لسبب ما يتوقف هنا، ويتنهد، ويأخذ نفسًا عميقًا، ويخرجه، وابتسم. بهذا تعرف ناسون بغير سسبنة أن الألم الذي يعيش دومًا في رأس شافا بدأ يتوهج من جديد. «وبني نوعي، أي الوصاة الذين كنت

منهم يومًا، كانوا متواطئين في تلك الجريمة. أترين كيف يدق أبوك الصخور؟ يطرقتها حتى يهشم أجزاءها الضعيفة، أو يهشمها كلها لو كانت لا تتحمل الضغط، ويبدأ يعمل بأخرى. هذا ما كنت أفعله سابقًا، لكن مع الأطفال».

تجد ناسون هذا عصيًا على التصديق. صحيح أن شافا عنيف وبلا رحمة، لكن هذا مع أعدائه. السنة التي عاشتها ناسون من الأغيار علمتها ضرورة القسوة. لكنه مع أطفال القمر الجديد في غاية العطف والرفق. تندفع: «حتى أنا؟»، وهذا سؤال ليس شديد الدقة، لكنه يفهم ما تقصد: حتى أنا لو كنت وجدتني حينها؟

يلمس رأسها، ويمسك يده فوقها، حتى تستقر أنامله على مؤخرة عنقها. لا يأخذ منها أي شيء هذه المرة، لكن لعل هذه الحركة تطمئنه، فهو يبدو حزينًا. «حتى أنت يا ناسون. لقد آذيت أطفالًا كثيرين من قبل».

هذا مؤسف. تقرر ناسون أنه لم يقصد وقتها، حتى لو كان فعل شيئًا سيئًا.

«معاملة بني نوعك بهذه الطريقة كانت خطأ بالغًا، ما فعلناه بكم، تحويلكم إلى أدوات، كان خطأ. إن ما نحتاج إليه بالفعل أكثر من أي شيء آخر في تلك الأيام المظلمة، هو حلفاء».

إن ناسون ستفعل أي شيء يطلبه شافا. لكنك تحتاج الحلفاء من أجل أمور معينة، والحليف ليس بصديق. تعلمت على الطريق أيضًا القدرة على التمييز بين هذا وذاك. «ما الذي تحتاج تحالفنا من أجله؟».

تشرّد نظرة شافا في الأفق، وتضطرب. «من أجل إصلاح شيء مكسور منذ زمن بعيد يا صغيرة، وتسوية عداوة تعود أصولها إلى ماضي سحيق حتى أن أكثرنا نسي كيف بدأت، وإلا استمرت العداوة». يرفع يده ويلمس مؤخرة رأسه. «عندما تخلّيت عن أساليبي القديمة، وهبت نفسي لتلك القضية والمساعدة في إنهاؤها».

هذا ما في الأمر إذن. تقول ناسون: «أكره أنك تتألم من هذا»، وتحقق إلى تلك البقعة على خريطة الفضة في داخله. إنها صغيرة جدًا، أصغر حتى من الإبر التي يستخدمها أبوها أحيانًا في ترقيع ثقوب الملابس. إنها مساحة سلبية أمام خلفية براقّة، لا تظهر إلا كسيلويت، وتتجلى بالأحرى في تأثيرها أكثر من نفسها. مثل عنكبوت لا يتحرك في قلب شبكة مرتجفة محملة بالندى. عدا أن العناكب تلجأ إلى السبات خلال الموسم، أما الشيء داخل شافا فلا يتوقف عن تعذيبه. «لماذا يؤلمك ما دمت تفعل ما يريد؟».

شافا يرمش، يحتضنها برفق، ويبتسم. «لأنني لا أرغمك على فعل ما يريد، بل أقدم إليك رغباته كاختيار، وسألتزم برغبتك إن رفضت. إنه... ليس شديد الثقة ببني نوعك، وبصراحة عنده أسبابه»، يهزّ رأسه، «يمكننا أن نتكلم في هذا لاحقًا، أما الآن فلتدعي سسبيتك ترتاح». تحمد نفسها فورًا، وإن كانت لم تقصد أن تسسبته، ولم تكن واعية بأنها تفعل. لقد أصبحت السسبنة المستمرة طبيعة دائمة لديها. «أعتقد أنك في حاجة إلى بعض النوم».

يحملها إلى أحد مباني المهاجع ويمددها على فراش ليس له صاحب.

تتكور داخل البطانية وكأنها شرنقة، وتنجرف إلى النوم مع الصوت الذي يطلب من بقية الأطفال ألا يقلقونها.

تستيقظ في الصباح التالي على صدى صراخها وشهيقها فيما تجاهد كي تخرج من البطانية. أحدهم يشدها بذراعها وهذا شيء لا ينبغي أن يحدث، ليس الآن، وليس معها، ليس ما تريده، وليس ما تتحمله. تندفع نحو الأرض، وما يرد نداءها ليس الحرارة ولا الضغط، بل خيوط النور الفضية التي تصرخ وتتصدى مثلها بقوة لا صوت لها، تصرخ بصدى يتردد عبر الأرض، وليس فقط في خيوط، بل وفي موجات، وليس فقط عبر الأرض، بل وعبر الماء والهواء، و

ثم

ثم

يستجيب لها شيء. شيء في السماء.

إنها لا تقصد فعل ذلك. وإيتز بالتأكيد لم يقصد أن يحدث ما يحدث نتيجة لمحاولته أن يوقظها من كابوسها. إنه يحب ناسون، يراها فتاة لطيفة. وحتى مع أنه لم يعد ساذجًا مثلما كان، وقد خطر له في السنوات التي تلت مغادرته لبيته الساحلي أن شافا ابتسم كثيرًا يومها وكانت تفوح منه رائحة دماء خافتة، حتى مع ذلك يفهم ما الذي يعنيه تعلق شافا الشديد بناسون؛ لقد كان الوصاة يبحثون عن شيء كل هذا الوقت، وبرغم كل شيء، فإيتز يحب شافا حتى أنه يتمنى أن يجد مراده.

لعل هذا يعزيك قليلًا، مع أنه لن يعزي ناسون، التي في خضم رعبها وتلويحها المشوش، حولت إيتز إلى حجر.

هذا ليس مثلما يحدث بعيداً وتحت الأرض لألا بستر، فذلك أبطأ وأقسى، وإن كان أدق وأنظف، مثل فن. أما ما يصيب إيتز فكارثة: ضربة مطرقة تدك ترتيب الذرات دكاً، وتعيد ترتيبها على نحو ليس بالعشوائي تماماً. البُنى التي كان ينبغي أن تتشكل على نحو طبيعي تستسلم للفوضى. يبدأ التحول من صدره، حيث كانت يد ناسون تحاول دفعه عنها، ثم يتسع في وقت أقل من الذي يستغرقه تدلي أفواه الأطفال الموجودين في زهول. يمتد على جلده، تزداد شدة لونه البني ويكتسب لمعة مثل عين النمر، ثم في لحمه، وإن كان أحد لن يرى الياقوت داخله إلا لو كسروه. يموت إيتز على الفور تقريباً، عندما يتحجر قلبه إلى كتلة من الخرز الكوارتزي الأصفر والعقيق الأحمر والأبيض، مع تحول العروق إلى خيوط من العقيق الأزرق. إنه مصيبة بديعة. يحدث له هذا بسرعة بالغة حتى أنه لا يجد وقتاً للخوف. لعل هذا قد يعزي ناسون لاحقاً لو لم تجد العزاء في غيره.

لكن في تلك اللحظة، في الثواني التالية لما حدث، بينما تجاهد ناسون وتحاول أن تشد عقلها من وقوعه المستمر إلى أعلى عبر نور أزرق مائي، وبينما تتحول شهقة ديشاتي إلى صرخة (تشجع الآخرين على المشاركة)، وتتقدم المكسوفة إلى الأمام وتحرق بفم مفتوح إلى النسخة طبق الأصل اللامعة البراقة التي تحول إليها إيتز، يحدث عدد من الأشياء في الوقت نفسه في مكان آخر.

بعض من تلك الأشياء كنت لتخمينه. على بعد ربما يصل إلى مئات الأميال، تومض مسلة من الياقوت الأزرق وتظهر بوضوح للحظة، ثم تختفي وتعود إلى الشفافية قبل أن تبدأ تنجرف بسرعة نحو جيكتي.

وعلى بعد أميال عديدة أخرى في اتجاه مختلف، في مكان ما داخل عرق من الصخر الناري السماقي، جسد له هيئة توحى بالبشرية يلتفت، ينتبه وقد ثار اهتمامه.

وحدث شيء آخر ربما ما كنت لتخمينه، أو ربما تفعلين، لأنك تعرفين جيغا أكثر مني. لكن في نفس اللحظة التي كانت ابنته تمزق بروتونات الولد تمزيقًا، كان جيغا ينتهي من تسلقه المنهك للهضبة التي تأوي مباني القمر الجديد، يمنعه من الكياسة غضب مضطرم إثر ليلة من الغليان، ويصبح طلبًا لابنته.

ناسون لا تسمعه، فهي تتشنج في مهجعها. يلتفت جيغا نحو المبنى الذي يأويها لما سمع صراخ الأطفال، لكن قبل أن يشرع في التوجه نحوه، يظهر اثنان من الأوصياء من مبناهم ويمضون عبر طرقات مجمع المباني. يتجه أومبر نحو المهجع بخطى حثيثة، وينحرف شافا كي يقطع طريق جيغا. ستسمع ناسون عن هذا لاحقًا من الأطفال الذين يشهدونه (وكذا سأفعل أنا).

يقول جيغا عندما يوقفه شافا: «لماذا لم ترجع ابنتي إلى البيت أمس؟». انتبه جيغا لصراخ الأطفال، لكنه لم يتأثر كثيرًا، أيًا كان شكل الجنون الذي يحدث في المهاجع، فهو لا يتوقع ما هو أفضل في دار الفجور هذه. فمه معقود وهو يواجه جيغا على نحو كنتِ بلا شك ستذكرين مثله من مناسبات أخرى حسب فيها نفسه صاحب الحق المطلق، ولهذا هو غير مستعد للتراجع.

يقول شافا: «ناسون ستظل هنا. لقد وجدنا أن عودتها إلى بيتك في

الأمسيات يتعارض مع تدريبها. بما إن ساقك كما يبدو شفيت بما يكفي، هلا تكرمت وجلبت متاعها اليوم في وقت لاحق؟».

«إنها...»، يعلو الصراخ للحظة بينما يفتح أومبر الباب ويدخل، لكنه يغلقه خلفه فيتراجع. يعبس جيغا من هذا، لكنه يهز رأسه كي يركز في المهم. «إنها لن تبقى هنا بحق الصدأ! أنا لا أريدها أن تقضي مزيداً من الوقت مع هؤلاء ال...»، يتوقف قبل أن يتفوه بالبذاءة، «إنها ليست منهم».

شافا يميل رأسه للحظة، وكأنه يصغي إلى شيء لا يسمعه غيره. «ليست منهم؟»، نبرته تأملية.

يحقق فيه جيغا، يغلبه ارتباك لحظة فيسكت، ثم يلعن ويحاول أن يتجاوز شافا. إن ساق جيغا شفيت بالفعل إلى حد بعيد منذ وصوله إلى جيكتي، لكنه لا يزال يعرج بشدة، فالأوتار والأعصاب التي مزقتها الحروبون تستغرق الكثير حتى تشفى، هذا لو شفيت بالكامل. غير أن حتى لو كان جيغا قادراً على الحركة بسهولة، لم يكن أبداً ليتفادى اليد التي جاءت من العدم فجأة لتغطي وجهه.

إنها يد شافا، تتحرك فوق وجهه بسرعة فائقة تجعل رؤيتها ضبابية، قبل أن تستقر فوق عينه وأنفه وفمه، وترفعه بالكامل ثم ترمي به أرضاً على ظهره. يرمش جيغا المتمدد على الأرض بعينه، دائخاً إلى حد يمنعه من التساؤل عما حدث فوراً، ومصعوقاً إلى حد يمنعه من الألم. ثم ترتفع اليد، ومن وجهة نظر جيغا يتجلى وجه الوصي أمامه مباشرة، يكاد أنفاهما يتلامسان.

يقول شافا برفق: «ناسون ليس لها أب»، (سيتذكر جيغا لاحقًا أن شافا كان يبتسم وقتما قال هذا)، «ولا تحتاج إلى أب ولا أم. إنها لا تعرف ذلك بعد، لكنها ستتعلم ذات يوم. أتريدني أن أعلمها مبكرًا كيف تعيش من دونك؟». ويضع إصبعين تحت فك جيغا بالضبط، ويضغط بشرته الرقيقة بقوة كافية لجعل جيغا يفهم أن حياته تعتمد على إجابته.

يسكن جيغا تمامًا ويحكم نفسه لوقت طويل. لا يخطر له شيء يستحق الذكر، ولو على سبيل التخمين. لا يقول شيئًا، وإن كان يصدر صوتًا. عندما سيحكي الأطفال فيما بعد عن هذا المشهد، ستفوتهم تلك التفصيـلة: الأنين الخافت المخنوق الذي يصدر عن رجل يحاول ألا يفقد التحكم في مثانته وأمعائه، ولا يستطيع التفكير في أي شيء غير موته الوشيك. إنه صوت أنفي، مصدره مؤخرة الحلق، ويجعل جيغا يرغب في السعال.

ويبدو أن شافا يعد أنين جيغا إجابة، فتتسع ابتسامته للحظة؛ ابتسامة حقيقية قلبية، من النوع الذي يكشف عن اللثة ويجعل ركن العين يتجعد. إنه سعيد لأنه ليس مضطرًا إلى قتل أبو ناسون بيده العارية. يرفع عندئذ يده من تحت فك جيغا بتأن شديد، محركًا أصابعه أمام عيني جيغا حتى يرمش هذا الأخير.

يقول شافا: «جميل، الآن صار في وسعنا التصرف مثل المتحضرين مرة أخرى». يعتدل، ويلتفت نحو المهجع، أمسى من الواضح أنه نسي جيغا بالفعل، لكنه يضيف مستدركًا: «لا تنس أرجوك أن تجلب أشياءها». ثم ينهض، ويخطو من فوق جيغا، ويتجه إلى المهجع.

ولا أحد يكثر بجيجا بعد ذلك. لقد تحول ولد إلى حجر وأظهرت بنت قوة غريبة ومرعبة حتى بالنسبة إلى روجا. تلك هي الأشياء التي سيتذكرها الجميع عن هذا اليوم.

الكل، على ما أظن، إلا جيجا، الذي يعرج في صمت عائداً إلى بيته بعد الموقعة.

في المهجع، كانت ناسون أخيراً قد تمكنت من استعادة وعيها من عمود النور الأبيض المائي الذي كاد أن يستهلكه. إن هذه مآثرة عظيمة، عدا أنها لا تعلم ذلك. كل ما تعلمه، وهي تفيق أخيراً من النوبة وتجد شافا منحنيًا فوقها، أن أمرًا مخيفًا قد وقع، وشافا هنا ليعتني بها بعد ما وقع.

(إنها، في أعماقها، ابتكت. ليس لي الحق في الحكم عليها، لكن... آه، إنها منك إلى درجة مذهلة).

يقول شافا: «أخبريني». إنه يجلس على حافة فراشها، قريبًا جدًا، على نحو يتعمد حجب مشهد إيتز عنها. أومبر يقود بقية الأطفال إلى الخارج، والمكسوفة تبكي بكاءً هستريًا، والبقية يغشاهم صمت مصدوم. ناسون لا تلاحظ أيًا من هذا، فعندها صدمتها الخاصة التي تحتاج إلى التعامل معها الآن.

تبدأ: «كان هناك...». تتنفس بإفراط. يكور شافا يده الضخمة ويضعها فوق فمها وأنفها، وبعد لحظات يبدأ تنفسها يهدأ. ما إن تصبح أقرب إلى الوضع العادي، يرفع يده ويومئ لها كي تتابع. «كان هناك... شيء أزرق، مضيء... كنت أقع إلى فوق يا شافا، أقع إلى فوق»، تتجههم،

ترتبك من هلعها، «كان عليّ أن أخرج من هناك، فقد كان يوجعني...
كان سريع جدًا، ويحرقني، وخفت بشدة».

يومئ وكان لأي من هذا معنى، «لكنك نجوت، وهذا ممتاز». تشرق من المديح، مع أنها لا تملك أدنى فكرة عما يعني. يفكر للحظة، «هل سببت أي شيء آخر وأنت متصلة؟».

(لن تتساءل بشأن هذه الكلمة، «متصلة»، إلا بعد وقت طويل).
«ثمة مكان، في الشمال... خطوط، تجري على الأرض في كل مكان»،
تعني كل مكان في السكون. يحرك شافا رأسه باهتمام، ما يشجعها على متابعة الهذي، «كنت أسمع أنا سأ يتحدثون حيث تتلامس الخطوط،
هناك أشخاص عند العقد، عند نقط تقاطع الخطوط. لكنني لم أستطع
تمييز كلام أحدهم».

يثبت شافا تمامًا. «أشخاص في العقد؟ أوروچينيون؟».

«نعم؟»، في الواقع تشقّ عليها إجابة هذا السؤال. إن قبضة هؤلاء
الأوروچينيين البعيدين كانت قوية جدًا، بعضهم أقوى حتى من ناسون
نفسها. مع ذلك كان هناك إحساس بنعومة منتظمة غريبة هؤلاء الأقوياء،
وكانك تمرر أصابعك على حجر مصقول؛ ليس هناك أي ملمس سطحي
يمكن التشبث به. وهؤلاء أيضًا كانوا المتناثرين على أبعد المسافات،
بعضهم أبعد في الشمال عن تيريمو ذاتها، بعيدًا حتى المكان الذي يصبح
العالم فيه أحمر وملتهب.

يقول شافا بتمعن: «شبكة التوصيل. هممم، ثمة من يحافظ على
بعض الموصلين أحياء، قلت في الشمال؟ مثير للاهتمام».

هناك أكثر، لذا تتابع ناسون الهذي: «وعما قريب، هناك الكثير منهم. منا». شعرت بهذا وكأنه القمر الجديد، أوروچينيتهم بدت لها متوهجة ومندفة مثل أسماك، سيل من الكلمات التي تتردد وتتصدى على طول الخيوط الفضية التي تصل بعضهم ببعض؛ أحاديث، همسات، ضحكات. يقترح عليها عقلها أن هذه كومونة، مجتمع من نوع ما، مجتمع من الأوروچينيين.

(وهذه ليست كاستريما، لو كنت تتسألين عن هذا).

«كم عددهم؟»، صوت شافا أمسى منخفضًا جدًا.

لا يسعها أن تحزر هذه الأمور. «أنا فقط سمعت أناسًا كثيرين يتكلمون، مثل بيت عامر بهم».

شافا يدير وجهه. ترى من جانبه أن شفتيه قد كشفتنا عن أسنانه، وهذه، لأول مرة، ليست ابتسامة. «إنه مرتكز الأنتاركتيكا».

نيدا، التي كانت قد دخلت الغرفة بهدوء في تلك الأثناء، تقول من عند الباب: «ألم يتم تطهيرهم؟».

«لا، على ما يبدو»، لا يوجد أدنى تغيير في صوت شافا، «واكتشافهم لنا مسألة وقت».

«نعم»، ثم تضحك نيدا برفق. تسسبن ناسون تلوي خيوط الفضة داخل شافا. لقد قال إن الابتسام يخفف ألمه. يبدو أن الوصاة كلما ابتسموا وضحكوا أكثر، كان شيء ما يعصف بهم أكثر. «إلا...»، تضحك نيدا مرة أخرى، وهذه المرة يبتسم شافا أيضًا.

ثم يلتفت إلى ناسون مرة أخرى، ويزيح شعرها من أمام وجهها.

«أحتاجك أن تهدئي»، ثم ينهض، ويتحرك جانباً كي تستطيع رؤية جثة إيتز.

وبعدما تنتهي من الصراخ والبكاء والارتجاف بين ذراعي شافا، يذهب أومبر ونيدا كي يرفعا تمثال إيتز ويأخذانه بعيداً. من الواضح أنه أثقل مما كان إيتز نفسه، لكن الوصاة أقوىاء جداً. لا تعرف ناسون إلى أين يأخذان ابن البحر الجميل ذا الابتسامة الحزينة والعيون الطيبة، ولن تعلم أبداً أي شيء عن مصيره النهائي سوى أنها قتلتها، ما يجعلها وحشاً.

يقول لها شافا بعدما تنبس الكلمات بين دموعها، «ربما»، يحملها في حضنه مجدداً، ويمسد ضفائرها السميكة، «لكنك وحشي أنا». وقد كانت في أسوأ درجات الذعر والتعاسة، حد أن هذا القول في الواقع واساها.

الحجر يدوم، لا يتبدل. لا تُبدل أبداً ما كُتب على الحجر.

اللوحة الثالث - «البنيان» - البيت الأول

مكتبة
t.me/soramnqraa

أنت، بين الآثار

بدأت تشعرين كما لو أنك عشت في كاستريا حياتك كلها. هذا لا يصح، إنها مجرد كومونة أخرى، اسم آخر، بداية جديدة أخرى، أو على الأقل بداية جديدة جزئياً. ستنتهي على الأرجح مثل البقية. لكن... ما يفرق معك هنا أن الكل يعرف طبيعتك. كانت تلك الميزة الوحيدة في المرتكز، وميوف، وفي كونك سيانيت؛ كان في وسعك أن تكوني نفسك. تلك رفاهية تتعلمين من جديد استطاعها.

أنت على السطح مجدداً، في كاستريا السطحية مثلما يحبون أن يسموها، تقفين فيما كان من قبل خضرة المدينة. إن التربة حول كاستريا قلوية ورملية، ولقد سمعت إيكاً مرة تتمنى هطول بعض المطر الحمضي لتحسين التربة. لكنك تظنين أن التربة على الأرجح تحتاج مزيداً من المواد العضوية كي تتحسن فعلاً... ولا يبدو أن هذا ممكن، خاصة وقد رأيت ثلاثة روابي غلايات في الطريق إلى هنا.

الخبر الجيد أن تلك الروابي يسهل اكتشافها، حتى وهي لا تعلو عن الرماد الذي يغطي الأرض إلا قليلاً. إن الحشرات التي تسكنها

تداعب وعيك، مصدر جاهز للضغط والحرارة من أجل أوروچينيتك. لقد علمت الصغار في طريقك إلى هنا كيف يسسبنون الفرق الكامن بينهم وبين المحيط الأكثر هدوءًا وبرودة. عمل الصغار من هذا لعبة، وأخذوا يشهقون ويشيرون كلما أحسوا بربوة، وتنافسوا فيمن يكتشفهم أكثر من الآخر.

الخبر السيئ أن هناك غلايات هذا الأسبوع أكثر من الأسبوع السابق. هذا ليس جيدًا على الأرجح، لكنك لا تدعين قلقك يظهر للصغار. إنهم سبعة عشر طفلًا، حصيلة مخزون كاستريما من الأوروچينيين. اثنان منهم في عمر المراهقة، لكن أكثرهم أصغر، أحدهم في الخامسة. أكثرهم يتامى، أو مثل اليتامى، وهذا لا يفاجئك على الإطلاق. ما يفاجئك أن أكثرهم يتمتع بتحكم جيد وسرعة بديهة، عدا أن هذا منطقي، وإلا ما كانوا لينجوا من التصدع، فالنجاة تحتاج إلى سسبنة ما هو قادم قبل وقت كافٍ للذهاب إلى مكان معزول، والسماح للغريزة بإنقاذهم، والتعافي، ثم الاتجاه إلى مكان آخر قبل أن يبدأ أحدهم في البحث عن مركز دائرة اللا-دمار. أكثرهم هجناء أوسطيون مثلك، الكثير من البشرة البرنزية غير السانزية، والشعر غير الرمادي، والعيون والأجساد التي تنتمي إلى طيف من الساحلي إلى الأركتيكي. لا فارق كبير بينهم وبين الأطفال الذين اعتدت أن تدرسي لهم في مدرسة تيريمو، لا يختلف سوى موضوع الدرس، وبحكم الضرورة، طرق التدريس.

تقولين: «سسبنوا ما أفعل... سسبنوا فقط، لا تقلدوني الآن». ثم تنسجين نطاق قدرة حولك. تفعلين هذا عدة مرات، كل مرة بطريقة

مختلفة؛ تحيكيه أحيانًا عاليًا وضيّقًا، وأحيانًا ثابتًا لكن واسعًا بما يكفي حتى تقترب حوافه منهم (نصف الأطفال يشهقون ويتراجعون فزعًا، وهذا بالضبط ما يجب عليهم فعله، جيد. غير الجيد هو وقوف البقية في مكانهم بغباء. هذا أمر عليك أن تتعامل معه). «والآن، انتشروا، أنت هنا، وأنتِ هناك، حافظوا على مسافة بين بعضكم وبعض. ما إن يصبح كل في مكانه، فلتنسجوا نطاقات قدرة تبدو مثل الذي أصنعه الآن بالضبط».

تلك ليست طريقة المرتكز في التدريس. هناك، مع توفر الأعوام والحوائط الآمنة والسماء الزرقاء بالأعلى، كان التدريس ليكون هينًا، تدريجيًا، يمنح الأطفال وقتًا للتغلب على مخاوفهم وتجاوز طفوليتهم. لكن لا وقت في الموسم للرفق، ولا مجال للفشل داخل جدران كاستريا المدببة. يترامى إلى مسامعك التذمر وترين النظرات الساخطة عندما تنضمين إلى طواقم عمل من طوائف استخدام أو تتجهين إلى الحمامات العامة. إيكًا تحسب كاستريا مكانًا مميزًا، كومونة يحيا فيها الروجا والراكد في تناغم ويتعاونان على النجاة. وأنت تحسبها ساذجة. يحتاج هؤلاء الأطفال إلى الاستعداد لليوم المحتوم، عندما تنقلب كاستريا عليهم.

هكذا توضحين لهم، وتصحيحين محاكاتهم لك بالكلمات ما كان هذا في وسعك، ومرة بقلب نطاق القدرة وصفع صاحبه به عندما حاك أحد أكبر الأطفال نطاق قدرته أوسع من اللازم مهددًا بتثليج رفاقه. «لا مجال أبدًا للإهمال!». يجلس الفتى على أرضية مثلجة يحدق فيك بأعين واسعة. لقد جعلت الأرضية تحته أيضًا تجيش فانطرح أرضًا، وأنت الآن

تقفين فوقه وتصرخين على نحو مخيف عمداً. لقد كاد أن يقتل طفلاً آخر، حري به أن يخاف. «أقل خطأ يقتل، أهذا ما تريده؟»، هزة رأس مدعورة، «انهض إذن وافعلها مرة أخرى».

تتابعين تعنيفهم طوال التمرين حتى يظهر كل منهم على الأقل الحد الأدنى من القدرة على التحكم في حجم نطاق قدرته. تشعرين بالسوء من تعليمهم هذا فقط من دون أي من النظريات التي ستساعدهم على فهم لماذا وكيف تعمل قواهم، أو أي من تمارين الترسخ المصممة لإتقان الفصل بين غرائزهم وقواهم. لكن عليك أن تعلميهم في أيام ما أتقنته في أعوام؛ حيثما أنت فنانة، سيصبحون في أفضل الأحوال مقلدين متواضعين. يصمتون تماماً خلال طريق العودة إلى كاستريا، وتظنين أن بعضهم أمسى يكرهك. بل في الواقع أنت متأكدة أنهم يكرهونك، لكنهم سوف يفيدون كاستريا أكثر الآن، وفي يوم انقلاب كاستريا عليهم المحتوم، سيكونون جاهزين.

(تتابع الأفكار هذا مألوف. ذات مرة، عندما دربت ناسون، قلت لنفسك إن كرهها لك لن يهم في النهاية، ستعلم أنك كنت تحبينها عندما تنجو. عدا أنك لم تشعر قط بصحة هذا، أليس كذلك؟ لهذا كنت أرق مع أوتشي، ونويت ساعتئذ أن تعتذري لناسون، لاحقاً، عندما تكبر بما يكفي لكي تتفهم... آه، كثرت مواطن الندم فيك وتكاثرت حتى أمست في أعماقك تغلي وتفور، ثقيلة كالحديد المصهور).

«أنت محقة»، قالها ألابستر بينما تجلسين على فراش بالعيادة وتخبرينه بما جرى في الدرس لاحقاً، «لكنك أيضاً مخطئة».

زيارتك اليوم لألا بستر متأخرة عن العادة، ولذلك يبدو عليه في عشه ضيق الصدر وشدة الألم. تأثير العلاج الذي يعطيه إياه لِرنا ينحسر. إن الوجود معه منافسة دائماً بين رغباتك؛ تعلمين أن ليس هناك وقت كافٍ ليعلمك تلك الأشياء، لكنك أيضاً تريدين حياته أن تطول، وكل يوم تنهكينه فيه يقع عليك مثل لوح جليدي. إن التعجل واليأس لا يصلحان معاً. لقد عزمت على أن تكون هذه المرة وجيزة، لكنه يبدو أميل إلى الحديث اليوم، وهو يميل نحو يد أنتيموني ويحافظ على عينيه مغلقتين. لا يسعك إلا أن تعتبري إغلاق عينيه وسيلة للحفاظ على الطاقة، وكأن مجرد رؤيتك استنزافاً.

تندفعين: «مخطئة؟». لعل هناك ما يشبه النبذة التحذيرية في صوتك. لطالما كنت حريصة على تلاميذك، أياً من كانوا.

«لإضاعة وقتك أولاً، فهم لن يمتلكوا من الدقة ما يجعلهم أكثر من مجرد محركي صخور». صوت ألابستر يعبق بالازدراء.

تنفجرين: «إينون كان محرك صخور». تلتوي عضلة في فكه، ثم يتوقف للحظة. «لذا لعل من الجيد أنك تعلمينهم تحريك الصخور بأمان، حتى ولو بخشونة». ذهب الازدراء منه الآن، هذا أقرب شيء إلى الاعتذار يمكن أن تحصيلي عليه منه. «لكني مصر على رأيي للسبب الآخر: أنت مخطئة في تعليمك لهم أي شيء على الإطلاق، لأن دروسهم تقف في طريق دروسك». «ماذا؟».

يجعلك تسسبنين جدعته مجدداً، و... أوه، أووووه. فجأة بات

من الصعب إدراك تلك الأشياء بين الخلايا. يستغرق وعيك أكثر كي يتكيف، وعندما يتكيف، يظل يعاني من ردة فعل ارتدادية إلى النزوع الأصلي لملاحظة الحرارة والحركة فقط بين الجزيئات الصغيرة. أمسية واحدة من التدريس كانت كفيلة بإعادة تدريبك أسبوعًا أو أكثر إلى الوراثة.

أخيرًا، بعدما تتراجعين وتفكرين عينيك وتحاربين الإحباط، يفسر: «ثمة سبب لاختيار المرتكز تلك الطريقة بعينها لتدريبك»، صارت عيناه الآن مفتوحتين، «أساليب المرتكز تعتمد إلى تهيتك نحو أوروبية إعادة توزيع الطاقة لا السحر. حتى نطاق القدرة ليس ضروريًا، ثمة طرق لا حصر لها لجمع الطاقة المحيطة، لكنه طريقتهم في توجيه وعيك هدفها أن تستخدم الأوروجينية إلى تحت، وليس أبدًا إلى فوق. لا شيء فوق يهم، لا عليك إلا بمحيطك الوشيك، وليس أبعد من ذلك»، يهز رأسه إلى أقصى درجة يستطيعها. «والمدهش، إن فكرت في الأمر، أن كل من في السكون كذلك. لا عليك بما في البحر، لا عليك بما في السماء، لا تنظر إلى الأفق وتتساءل عما وراءه. لقرون طويلة كنا نسخر من الفلكيين ونظرياتهم الحمقاء، لكن المذهل فعلاً أنهم اهتموا بما يكفي للنظر إلى فوق ووضع تلك النظريات».

كدت تنسين هذا الجزء منه؛ الحالم، الثائر، الذي لا يني يسائل الأوضاع القائمة لأنها لعلها ما كان ينبغي أن تقوم في المقام الأول. وهو محق أيضًا. إن الحياة في السكون تشني عن إعادة النظر وتبديل مركز التوجيه. الحكمة، في النهاية، منحوتة في الحجر، لهذا لا يثق أحد بتبدلات

الحديد. كان ألابستر القلب المغناطيسي لعائلتك الصغيرة، عندما كانت موجودة، لسبب وجيه.

تَبًّا، تعصف النوستالجيا بك اليوم. يحملك هذا على قول: «أعتقد أنك لست مجرد ذي عشرة خواتم»، يرمش متفاجئًا، «إنك دائم التفكير. لذا أنت عبقرى أيضًا، بيد أنك عبقرى في أمر لا يحترمه أحد».

يصدق فيك ألابستر للحظة، ويضيق عينيه. «هل أنت ثملة؟».

«أنا لست...»، يأشر الأرض، كفاكي ذكريات وحينًا، «هلا تابعت درسك الصدى».

يبدو مرتاحًا لتغيير الموضوع أكثر منك. «هذا إذن ما يفعله بك تدريب المرتكز، تتعلمين أن الأوروجينية مسألة مجهود بينما هي في الواقع ... منظور، وإدراك».

تعرفين من صدمة اسمها آليًا لماذا لا يريد المرتكز من كل بري أن يتوجه إلى المسلات القريبة. لكنك تستغرقين لحظة كي تستوعبي الفارق الذي يشرحه. إن استخدام الطاقة فعلًا أمر مختلف تمامًا عن استخدام السحر. طريقة المرتكز تجعل الأوروجينية معاناة لتحريك الأشياء الثقيلة هنا وهناك، فقط باستخدام الإرادة الحرة عوضًا عن الرافعات. أما السحر فممارسته بلا مجهود تقريبًا، على الأقل في أثنائها، التعب يأتي لاحقًا، أما في لحظتها، فهو ليس أكثر من إدراك وجوده، تدريب النفس على رؤيته.

تقولين وأنت تقللين أصابعك على الحشية في تفكير: «أنا لا أفهم لم فعلوا ذلك». إن المرتكز بناء أوروجينيون، ولا شك أن بعضهم في الماضي كان يسسبن السحر. لكن.. ترتعدين عندما تفهمين. نعم. أقوى

الأوروبيين، أولئك الذين يدركون السحر بسهولة، لا يتمكنون جراء ذلك من إعادة توزيع الطاقة جيدًا، لذا ينتهي بهم الحال في محطات التوصيل.

يفكر ألابستر في الصورة الأوسع. يقول: «أعتقد أنهم فهموا الخطر. ليست المشكلة فقط في الروجات الذين يفتقرون للتحكم المثالي ويموتون إن اتصلوا بالمسلات، بل هي في البعض الذين قد ينجحون في ذلك... لكن لأسباب خاطئة».

تحاولين التفكير في أي سبب سليم لتنشيط شبكة من ماكينات الموت القديمة. يقرأ ألابستر وجهك. «أشك أني أول روچا فكر في تحويل المرتكز إلى حفرة حمم».

«نقطة وجيهة».

«ولا تنسين الحرب أيضًا. إن الوصاة الذين يعملون مع المرتكز يمكن اعتبارهم من إحدى الفرق التي أخبرتك عنها. إنهم الذين يرغبون في إبقاء الوضع القائم، أي الحفاظ على الروجات مفيدتين وغير خطيرين. يقوم الراكدون بعمل كل شيء ويحسبون أنهم أصحاب الحل والعقد، بينما الوصاة هم المسؤولون الفعليون عن كل شيء؛ هم من يتحكمون فيمن يتحكمون في الكوارث الطبيعية».

يفاجئك هذا. لا، بل يفاجئك أنك لم تفكري في هذا بنفسك. لكنك أيضًا لم تبذلي وقتًا كثيرًا في التفكير في الوصاة ما دام محيطك المباشر خاليًا منهم. لعل هذا نوع آخر من تجنب التفكير الذي دربت عليه: لا تنظري إلى أعلى، ولا تفكري في تلك الابتسامات اللعينة.

تقررين أن تجعلي نفسك تفكرين فيهم الآن. «لكن الوصاة يموتون خلال الموسم...»، اللعنة، «بل هم يقولون إنهم يموتون...»، اللعنة، «لكنهم طبعًا لا يموتون».

يصدر ألابستر صوتًا صديًا لعله ضحك. «إني لذو تأثير سيئ في الآخرين». ولطالما كان كذلك. لا يسعك إلا الابتسام، وإن كانت ابتسامة لا تدوم نظرًا إلى طبيعة المحادثة. «لكنهم مع ذلك لا ينضمون إلى الكومونات. لا بد من أنهم يذهبون إلى مكان آخر حتى ينتهي الموسم». «ربما، ربما ذلك المكان الذي يسمونه وارانث، ولا أحد على ما يبدو يعرف أين هو»، يتوقف، يبدو عليه التفكير، «أعتقد أنني كان عليّ أن أسأل عنه وصيتي قبل أن أتركها».

لا أحد يترك وصيه. «قلت إنك لم تقتلها».

يرمش من الذكريات. «لا، بل شفيتها، بشكل ما. أنت تعرفين هذا الشيء في رؤوسهم»، نعم، الدماء، والجرح في باطن يدك، وشافا يعطي شيئًا مغطى بالدماء لوصي آخر بحذر بالغ. تومثين. «إنه ما يمنحهم قدراتهم، لكنه أيضًا يلوّثهم، يغيرهم. كان كبار المرتكز يتحدثون عنه همسًا. ثمة درجات لهذا التلوث...». يعقد فكه، يبدو أنه يأخذ مسار الكلام بعيدًا عن هذا الموضوع. في وسعك أن تخمني السبب، فهو بشكل ما قد يؤدي إلى الوصي عاري الجزع الذي يقتل بمجرد اللمس. «على أي حال، لقد نزعنا هذا الشيء من وصيتي».

تزدردن لعابك. «لقد رأيت وصيًا يقتل آخر ذات مرة، ويستخرج هذا الشيء».

«نعم. حالما يزداد التلوث أكثر من اللازم، يصبح خطرًا حتى على الوصاة الآخرين، ويجب أن يُطهر. سمعت أنهم لم يتَّسموا بالرفق في فعل ذلك. متوحشون حتى فيما بينهم».

إنه غاضب، ويستعد للعودة. هذا ما قالته الوصية تيهاي، قبل أن يقتلها شافا. إن الذكرى جلية في عقلك، لأن هذا حدث في نفس يوم وجدت أنت وتونكي - بينوف - المقبس، يوم اختبار أول خاتم، مبكرًا جدًا وحياتك على المحك. لن تنسي أبدًا أي شيء حيال هذا اليوم. والآن... «إنه الأرض».

«ماذا؟».

«هذا الشيء في الوصاة... ما يلوئهم»، لقد غير من أولئك القادرين على التحكم فيه، كبلهم، ربط مصيرهم بمصيره، «لقد كانت تتحدث بصوت الأرض!».

ترين أنه المتفاجئ منك هذه المرة. «إذن...»، يتفكر للحظة، «أرى ذلك. هذا إذن عندما يبدلون الفرق. يتوقفون عن العمل لصالح الوضع القائم ومصالح الوصاة، ويبدؤون في العمل لصالح الأرض. لا عجب أن الوصاة الآخرين يقتلونهم».

هذا ما أنت في حاجة إلى فهمه. «ما الذي يريده الأرض؟».

نظرة ألابستر ثقيلة، ثقيلة جدًا. «ما الذي يريده أي كائن حي يواجه عدوًا قاسيًا إلى درجة أنه أخذ منه طفله؟».

فكك يضيق. الانتقام.

تنتقلين من الفراش إلى الأرض، وتستندين بظهرك إلى إطار الفراش.
«أخبرني عن بوابة المسلة».

«نعم، حسبت أن هذا سيثير اهتمامك». يعود صوت ألابستر إلى الارتحاء مجددًا، لكن في وجهه نظرة تجعلك تفكرين: هكذا كان يبدو يوم صنع الصدع. «أتذكرين المبدأ الأساسي للجبر المتوازي؟ ربط حيوانين معًا في العربة بدلًا من واحد، ووجان معًا يستطيعان أن يفعلوا ما لا يقدر عليه أيُّ منهما وحده. نفس الشيء أيضًا مع المسلات، لكن... بمعدل أسي. مصفوفة لا مجرد نير. ديناميكية متكاملة».

طيب، أنت تفهمينه حتى الآن. «أنا إذن في حاجة إلى فهم كيف أربطهم جميعًا معًا».

يومئ إليك مؤكدًا، «وستحتاجين إلى وسادة، على الأقل في البداية. عندما فتحت البوابة في يومينيس، استخدمت عشرات الموصلين لهذا الغرض».

عشرات الروجات المكبوتين المقيدتين المحولين إلى أسلحة بلا عقول... وألابستر بشكل ما قلبهم ضد أصحابهم. كم أن هذا أمر ألابستري، كم يليق به. «وسادة؟».

«لتخفيف الصدمة، ل... لتنعيم سريان الاتصال...»، يتلعثم، يتنهد، «لا أعلم كيف أشرح لك هذا. ستفهمين عندما تجربين».

متى. إنه يفترض أكثر من اللازم. «هل ما فعلته قتل الموصلين؟».
«ليس بالضبط. أنا استخدمتهم لفتح البوابة وشق الصدع... ثم بعدها حاولوا إيقاف الهزة وتهدة الأرض، أي ما صُنِعوا كي يفعلوه».

تتجهمين، تفهمين. حتى أنت في أقصى تطرفك لم تكوني غبية بما يكفي لمحاولة إيقاف الصدمة عندما بلغت تيريمو، الشيء الوحيد الآمن هو محاولة صرفها إلى مكان آخر. لكن الموصلين يفتقرون إلى العقل أو التحكم المطلوبين لفعل الخيار الآمن.

يقول ألابستر: «أنا لم أستخدمهم جميعًا. من كانوا في الغرب وفي الأنتاركتيكا والأركتيكا كانوا خارج نطاق وصولي. مات أكثرهم منذ هذا الوقت، لم يعد هناك من يقيهم أحياء. لكنني لا زلت أسسبن بعض المحطات النشيطة في أماكن قليلة، بقايا الشبكة، في الجنوب، وبالقرب من المرتكز الأنتاركتيكي، وفي الشمال بالقرب من رينانيس».

إن لم يستطع هو أن يسسبن المسافة حتى أنتاركتيكا، فمن يستطيع؟ أنت بالكاد قادرة على السسبنة حتى بضع مئات الأميال من كاستريما، ولا تبلغين كل تلك المسافة إلا بشق الأنفس. ليس من المستبعد أن يكون روجات المرتكز الأنتاركتيكي قد تمكنوا من النجاة على نحو ما، وقرروا أن يعتنوا بأشقائهم الأقل حظًا في المحطات، لكن... «رينانيس؟»، لا يمكن. إنها مدينة استوائية. ربما هي أكثر غربًا وجنوبًا من بقية المدن الاستوائية، حتى أن اليومينسيين كانوا يعدونها تبعد خطوة واحدة عن البراري الجنوب أوسطية، لكنها مع ذلك استوائية إلى حد يضمن دمارها.

«إن الصدع ينحرف إلى الشمال الغربي، على طول خط صدع قديم وجدته. هكذا انحرف بضع مئات الأميال عن رينانيس... أظن هذا سمح للموصلين بفعل شيء ما. لا بد من أنه قتل أكثرهم، والبقية يجب

أن يكونوا قد ماتوا جراء الإهمال بعدما هجرهم المكلفون بهم، لكن لا أعرف...».

يخّر صامتًا، وربما منهكًا. صوته اليوم أجش، وعينه محترقتان بالدم إثر عدوى جديدة. يقول لِرنا إنه لا ينفك يصاب بالأمراض المعدية لأن البقع المحروقة على جسده لا تشفى، ونقص أدوية تثبيط الألم لا يساعده.

تحاولين هضم ما أخبرك به، وما أخبرتك به أنتيموني، وما تعلمته من التجربة والمعاناة. لعل الأرقام مهمة؛ مئتان وستون مسلة، وعدد لا يُحصى من الأوروبيين كوسادة، وأنت، والسحر يربط الثلاثة معًا... بشكل ما. كل هذا معًا يصنع شبكة لاصطياد القمر اللعين، عليه نار الأرض.

لا يقول ألابستر شيئًا وأنت تتفكرين، وفي النهاية تنظرين إليه لتري إن كان راح في النوم، فتجدينه يقطأ، عيناه ضيقتان وهو يراقبك. تعبين: «ماذا؟»، بلهجة دفاعية كعادتك.

يبتسم ربع ابتسامة بنصف فمه الذي لم يحترق. «أنت لم تتغيري أبدًا. لو طلبت منك المساعدة تقولين لي اذهب في داهية ومت، ولو لم أنطق بكلمة، تفعلين المعجزات من أجلي»، يتنهد، «آه، كم افتقدتك وشر الأرض».

هذا... يؤلم، بشكل غير متوقع. تدركين السبب: لأن أحداً لم يقل لك شيئًا مشابهاً منذ زمن طويل. جيجا كان حنونًا، لكنه لم يكن من النوع الذي يبدي حنانه. إينون كان يستخدم المزاح والسرير لإظهار عطفه. أما

ألابستر... فتلك كانت طريقته على الدوام، الحركات المفاجئة، الإطراء الملتوي الذي يمكنك أن تعتبره مداعبة أو إهانة. لقد قسوت كثيرًا من دون هذا، من دونه. تبدين الآن قوية وبصحة، لكنك بالداخل مثلما هو بالخارج، لا شيء سوى الصخور الهشة والندوب، على وشك الانكسار لو اثنتيت أكثر من اللازم.

تحاولين الابتسام، وتفشلين، وهو لا يحاول حتى. تنظران أحدهما إلى الآخر. هذا لا شيء، وكل شيء في نفس الوقت.

وطبعًا هذا لا يدوم. يدخل أحدهم العيادة ويقرب منك، وتتفاجئين حالما تدركين أنها إيكا. ومن ورائها هياركا، تمشي بتمهل وتبدو ضجرة بالطريقة السانزية، تسلك أسنانها المدببة بشذرة من الخشب المصقول، ويدها الأخرى على فخذه المنحوت، وشعرها الرماد براكيني في فوضى أسوأ من المعتاد، ويبدو مسطحًا بوضوح على أحد جانبيه، الذي كانت تنام عليه واستيقظت من فورها.

«آسفة على المقاطعة»، قالتها إيكا بصوت لا يحمل أسفًا، «لكن عندنا مشكلة».

بدأت تكرهين هذه الكلمة، لكنه على أي حال وقت إنهاء الدرس. هكذا تومئين إلى ألابستر وتنهضين. «ماذا الآن؟».

«صاحبك المتكاسلة»، تونكي التي لم تنضم إلى طواقم عمل طائفة المبتكرين، ولا تكلف نفسها عناء الحصول على حصة تموين بيتكم عندما يحين دورها، والتي تختفي تمامًا عندما يحين موعد اجتماع طائفتها. في أي كومونة أخرى كانوا ليطردوها جراء تلك الأفعال، لكنها هنا يُغض

البصر عنها لكونها من مرافقي ثاني أقوى أوروپينية في كاستريما. لكن حتى هذا لا يدوم، وإيكا تبدو مستاءة جدًا.

تقول إيكا: «لقد وجدت غرفة التحكم، وحبست نفسها بداخلها». «غرفة ال...»، ماذا؟، «التحكم في ماذا؟».

«كاستريما»، تبدو إيكا منزوعة من اضطرارها إلى التوضيح، «أخبرتكم عندما جئت أن هناك ميكانيزمات تتحكم في وظائف هذا المكان، في النور والهواء وما إلى ذلك. إننا نبقى أمرها سرًا حال جن أحدهم وأراد تكسير الأشياء، فهذا قد يقتلنا. لكن صاحبك المجنونة الآن هناك تفعل ما لا يعرفه سوى الأرض الشرير وحده، وأنا جئت أطلب منك السماح لي بقتلها، لأنني غاضبة إلى هذه الدرجة الآن».

يقول ألابستر: «لن تستطيع أن تضر أي شيء مهم». هذا يربكمها، يربكم لأنك لم تعتادي رؤيته يتفاعل مع أي شخص آخر، ويربك إيكا لأنها تعدّه على الأرجح مضیعة للدواء وليس شخصًا. وهو أيضًا لا يراها شخصًا جديرًا بالاهتمام. عيناه مغلقتان مرة أخرى. «إن تسببت في أي أذى سيكون على الأرجح لنفسها لا غيرها».

تقول إيكا: «هذا جيد»، عدا أنها تنظر إليه بارتياب، «كنت لأطمئن أكثر لو لم تكن تتحدث من مؤخرتك، فكيف لك أن تعرف أي شيء يتجاوز العيادة؟ لكن شكرًا على الفكرة على أي حال».

يصدر شخيرًا متهمكًا. «أنا عرفت كل ما احتجت معرفته عن تلك الأطلال القديمة لدى وصولي هنا، ولو كان أحد منكم غير إيستون عنده أدنى فرصة لتحقيق الإمكانيات الحقيقية للمكان، ما كنت لأبقى

هنا لحظة واحدة». تحديقان فيه أنت وإيكا. يتنهد بعمق، وتلاحظين خشخشة خافتة في تنهده، تذكرين نفسك بأن تسألني لِرنا عنها لاحقاً. لا يزيد القول، وأخيراً ترميك إيكا بنظرة لقد سئمت فعلاً من أصدقاتك، ثم تشير إليك كي تتبعيها.

يطول التسلق نحو غرفة التحكم هذه ويشقّ. تتنفس هياركا بصعوبة بعد صف السلام الأول، لكن تنفسها يتخذ نمطاً بعد ذلك. إيكا أفضل حالاً، لكنها تظل تتعرق بعد عشر دقائق. أنت لم تفقدي تكييفك على حياة الطريق، فلا يزعجك التسلق كثيراً في البداية، لكن بعد ثلاثة أدوار من الدرجات، وسلم متنقل، وسلم شرفة حلزوني يلتف حول أحد الكريستالات المسطحة، تصبحين مستعدة لبدء أي حوار قصير ليشتتك عن ابتعاد الأرض أكثر وأكثر بالأسفل. «ما هي إجراءاتك التأديبية الاعتيادية للمتهرين من واجبات طائفتهم؟».

«الحذاء، ماذا هناك غيره؟»، تهزّ إيكا كتفيها، «لكن لا يمكننا أن نكتفي برميهم إلى الرماد في الخارج، يجب أن نقتلهم حفاظاً على السرية. لكن هناك إجراءات قبل ذلك، تحذيراً، ثم لجنة استماع. إن مورات -المتحدثة باسم المبتكرين- لم تتقدم بشكوى رسمية. طلبت منها أن تفعل لكنها رفضت، قالت إن صديقتك منحتهم أداة اختبار الماء المحمولة، التي قد تساعد في إنقاذ الصيادين في الخارج».

تصدر هياركا ضحكة صدئة. تهزّين رأسك باستمتاع. «تلك رشوة ممتازة، إن تونكي لمحترفة نجاة حتى لو لم تكن غير ذلك».

تقلب إيكا عينيها. «ربما، لكن تجنب شخص ما للانضمام إلى طواقم

العمل بغير عقاب، حتى لو كان يخترع أشياء مفيدة خارج وقت العمل، يصدر انطباعًا سيئًا. ماذا أفعل عندما يحذو حذوها آخرون؟».

تقترحين: «اللق من لم يخترعوا شيئًا إلى الرماد». ثم تقطعين كلامك لما تجددين إيكا توقفت. تفكرين في أن لعلها منزعة مما قلت، لكنها تنظر حولها، تستوعب امتداد الكومونة. فتتوقفين أيضًا. على هذا الارتفاع، صرتم فوق المستوى المسكون الأساسي للكومونة. يردد الجيود صدى النداءات، وأحدهم يدق شيئًا، وأحد طواقم العمل يردد أغنية إيقاعية. تغامرین بالنظر من فوق أقرب حاجز، وترين أن هناك من صنع رافعة باستخدام حبل بسيط وبالته خشبية على ارتفاع متوسط، لكن من دون ثقل موازن، الطريقة الوحيدة إذن لنقل حمولة ثقيلة هي لعب شد الحبل معه. وهذا ما يفعله عشرون شخصًا الآن. والمفاجيء أن هذا يبدو ممتعًا. تقول هياركا: «لقد كنت محقة بشأن الاستقطاب». صوتها ناعم فيما هي أيضًا تتأمل حياة كاستريما الصاخبة. «لم يكن في وسعنا أن نقيم هذا المكان بغير المزيد من الناس. حسبتك حمقاء تمامًا، لكنك لست كذلك».

إيكا تنهده. «حتى الآن»، ثم تنظر إلى هياركا، «لكنك لم تقولي إنك لم تحبي هذه الفكرة من قبل».

تهزّ هياركا كتفيها، «لقد غادرت كومونتي لأنني لم أحب عبء القيادة، ولا أريدها هنا أيضًا».

«أنت لست في حاجة إلى مقاتلتي بالنصال من أجل لقب القائدة كي تقولي رأيك بحق الأرض».

«عندما يكون الموسم في الطريق وأنا القيادية الوحيدة بالكومونة، من الأحسن لي أن أحاذر حتى في آرائي»، تهز كتفيها، ثم تبتسم لإيكا ببعض العاطفة، «لا يغادرني شعور أنك ستقتليني في أية لحظة».

تضحك إيكا مرة واحدة. «أهذا ما كنت لتفعله لو كنت مكاني؟»، تسمعين في صوتها حدة.

«نعم، هذا ما يقوله كتيب الإرشادات الذي علموني اتباعه، لكني سأكون غبية لو فعلت هذا هنا. إن الموسم الحالي ليس له مثيل... ولا هذه الكومونة»، ترمقك هياركا وهي ترمي المثال الأخير عن غرابة كاستريما، «إن اتباع التقاليد في موقف مثل هذا سوف يصدئ كل شيء. من الأفضل أن تكون هناك قائدة لا تعرف ما الذي ينبغي أن تكون عليه الأمور، بل تعرف فقط كيف تريد الأمور أن تكون. قائدة مستعدة لكل كل المؤخرات المطلوبة لتحقيق رؤيتها».

تستوعب إيكا هذا في صمت لبضع لحظات. من الواضح أن أيًا كان ما فعلته تونكي لم يكن مستعجلًا أو مريعًا إلى حد بعيد. ثم تستدير وتبدأ في الصعود من جديد، وقد قررت على ما يبدو أن الاستراحة انتهت. تنهدين أنت وهياركا وتتبعانها.

تقول إيكا وهي تتابع التسلق: «أعتقد أن من بنوا هذا المكان في الأصل لم يفكروا فيه كما ينبغي. إنه في منتهى انعدام الكفاءة، ومنتهى الاعتماد على آلات يمكن أن تعطل أو تصدأ، ناهيك عن استخدام الأوروجينية مصدر طاقة، وهي أقل المصادر موثوقية على الإطلاق. لكني أحيانًا أظن أنهم لم يبنوه عمدًا بهذا الشكل، لعل شيئًا ما دفعهم إلى

اللجوء إلى تحت الأرض بسرعة، فوجدوا هذا الجيود، وفعلوا أقصى ما في وسعهم». تمرر يدها على الحاجز وهي تمشي. إنه أحد الهياكل المعدنية الأصلية المنتشرة في الجيود. كل المعادن المستخدمة فوق المستوى العامر من الكومونة عتيقة. «يجعلني هذا دومًا أفكر في أنهم بلا شك الأسلاف الأصليون لكاستريما. فقد كانوا يحترمون الاجتهاد في العمل ويتكيفون تحت الضغط، مثلنا».

«ألا يفعل هذا الجميع؟»، عدا تونكي.

«البعض يفعل»، لا تلتقط الطعم الواضح، «أنا كشفت حقيقتي للجميع عندما كنت في الخامسة عشرة. كان هناك حريق في جنوب الغابة، في وقت جفاف. الدخان وحده كان يقتل المسنين والرضع في الكومونة. في النهاية ذهبت إلى حافة الحريق، حيث كان حفنة من أهل الكومونة يحاولون بناء حاجز للنار. مات منهم ستة خلال ذلك»، تهزّ رأسها، «ولم تكن تلك المحاولة لتنجح، الحريق كان هائلًا. لكن هكذا كان قومي كما ترين».

تومئين. يبدو هذا فعلًا مثل الكاستريميين كما عرفتهم. ويبدو أيضًا مثل التيريميين والميوفيين والآليين واليومينسين. لم يكن أيُّ من أهل السكون لينجو حتى الآن لو لم يكونوا في منتهى التماسك. لكن إيكًا تحتاج أن تشعر أن كاستريما حالة استثنائية، وهي في الواقع حالة استثنائية، بطريقتها الخاصة الغريبة. لذا تلتزمين بحكمة إحكام غلق الفم.

تقول: «أخذت النار. قمت بتثليج الجزء المحترق من الغابة

واستخدمته لصنع هضبة جنوبية لتكسر حدة الرياح حال قام حريق جديد. رأني الجميع أفعل ذلك وعرفوا حقيقتي حينها».

توقفين عن المشي وتحدين فيها. تلتفت بنصف ابتسامة، «قلت لهم إنني سأرحل إن أرادوا مني ذلك، ولو أرادوا استدعاء الوصاة وشحني للمركز، أو حتى لو فضلوا تعليقي من رقبتني، وعدتهم أنني لن أثلج أحداً. بدلاً من ذلك أخذوا يتجادلون بشأن الأمر كله لثلاثة أيام. حسبت أنهم يحاولون أن يقرروا كيف سيقتلونني»، تهزّ كتفيها، «فذهبت إلى البيت، وتعشيت مع والديّ، اللذين كانا يعرفان بما يحدث ومذعورين مما قد يحدث لي. لكنني أقنعتهم بالعدول عن محاولة تهريبي من القرية في عربة. وفي اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة كما هي العادة. في النهاية وجدت أن القوم كانوا لا يزالون يتجادلون، في كيف يوفرون لي تدريباً جيداً من دون علم المرتكز، أترين؟».

يتدلى فمك مفتوحاً. لقد رأيت والديّ إيّكاً، لا يزالان صحيحين عفين وتحفهما هالة من الصلابة السانزية، لا يصعب تصديق هذا عنهما. لكن أن يحدث هذا مع البقية أيضاً؟ طيب، لعل كاستريا استثنائية فعلاً. تقول هياركا: «هم، كيف تدربت إذن؟».

«أنت تعلمين كيف هي الكومونات الأوسطية. كانوا لا يزالون يتناقشون في الأمر يوم حدث التصدع. لقد دربت نفسي بنفسني»، تضحك، وهياركا تنهد، «هكذا هم قومي أيضاً، رؤوس صدئة، وقلوب طيبة».

تفكرين، رغماً عنك: آه، لو كنت فقط جئت بأوتشي وناسون هنا ما إن ولدا.

تندفعين، وكأنها تدحضين تفكيرك ذاته: «لا يرحب جميع قومك بوجودنا هنا».

«صحيح، بلغتني الثروة. لهذا أنا سعيدة بتدريبك للأطفال، ولأن الجميع رأوك تنزعين الغلايات عن ترتيس»، تتأثر للحظة، «ترتيس المسكين! لكنك أثبت مجدداً أن وجود أمثالنا في المكان أفضل من قتلنا أو طردنا. إن الكاستريميين قوم عمليون يا إيسي»، تكرهين هذا اللقب فوراً، «عمليتهم تمنعهم من فعل شيء فقط لأن الجميع غيرهم يقولون ذلك».

وبهذا تتابع التسلق، وبعد لحظة تلحقين بها أنت وهياركا.

إنك معتادة على بياض كاستريما الباهر، كريستالات / مبانٍ قليلة فقط ينتاب لونها لمسات من البنفسج الجمشتي أو الكوارتزي الدخاني. لكن سقف الجيود هنا مغطى بمادة ملساء زجاجية بلون الأخضر الزمردي العميق، وهو لون صادم في الواقع. آخر صف سلام متجه إلى أعلى يتسع لخمسة أشخاص يصعدون متجاورين، هكذا لا تتفاجئين من وجود اثنين من أشداء كاستريما يحيطان بباب مثل أبواب العليات المنزلقة، مصنوع من نفس مادة السقف الخضراء. إحدى الشديدين تحمل في يدها سكين زجاجي صغير متعدد الاستخدامات، بينما ليس مع الآخر سوى ذراعيه الضخمتين المعقودتين.

يقول الآخر: «حتى الآن لم يحدث شيء. لا زلنا نسمع أصواتاً من الداخل؛ نقرات وأزيز وأحياناً تصيح بأشياء، لكن الباب ما زال موثقاً».

تسأل هياركا: «تصيح بأشياء؟».

يهز كتفيه، «أشياء مثل «كنت أعرف!» أو «لهذا إذن!»».

يبدو هذا مثل تونكي. تسألين: «منذ متى والباب مغلق؟»، تهزّ الشديدة ذات السكين كتفيها. إنها مثل الصورة النمطية للأشداء، عضلات منفوخة وعقول خاوية، لكن قليل منهم يجسد النمط أكثر مما ينبغي.

إيكا ترميك بنظرة أخرى من نوع هذا كله خطأك. تهزين رأسك ثم تصعدين السلم حتى آخر درجة، وتطرقين الباب. «تونكي، عليك الصدا، افتحي الباب».

تمر لحظة صمت، ثم تسمعين قعقة خافتة، تتمم تونكي من مكان ما خلف الباب: «أهذا أنت؟ اللعنة، انتظري لحظة ولا تثلجي شيئاً».

بعض لحظة يتردد صوت شيء يخشخش على الناحية الأخرى من الباب، ثم ينزلق الباب مفتوحاً. تصعدون فوراً أنت وإيكا وهياركا والشديدان، عدا أنكم جميعاً باستثناء إيكا تتوقفون وتحملقون إلى المكان، فيترك هذا إيكا وحدها تقف وتعقد ذراعيها وترمي تونكي بالنظرة الحانقة التي تستحقها.

يؤدي الباب إلى قاعة تعلوه. السقف الأخضر يشكل أرضية القاعة، والقاعة نفسها مصبوبة مثل بقية الكريستالات البيضاء العادية التي تبرز من أرضية الجيود الصخرية بالأسفل، وسقفها رمادي مخضر عادي، يرتفع حوالي خمسة عشر قدماً فوق رأسك. ما يجعلك تتوقفين ويتدلى فمك مفتوحاً ويتبدل عقلك من الانزعاج إلى الصمت، هو أن

الكريستالات في تلك الناحية من الحاجز الأخضر تلمع وتذبذب،
وتتحول عشوائيًا من الصور الومضة غير الحقيقية إلى الحالة الصلبة
وبالعكس. إن أعمدة وأطراف تلك الكريستالات تبرز من الناحية
الأخرى من الأرضية، لكنها لا تتصرف بهذا النحو في الخارج، ولا
أي من كريستالات كاستريا الأخرى، بل إن كريستالات كاستريا لا
تختلف عن أي كريستالات كوارتزية أخرى (إلا في توهجها، ما يعني
بصراحة أنها ليست مجرد صخور)، أما هنا... تدركين فجأة ما قصده
الابستر بخصوص إمكانيات كاستريا. حقيقة كاستريا بدت لك فجأة
واضحة وضوحًا مرعبًا، إن هذا الجيود ليس مترعًا بكريستالات عادية،
وإنما مسلات محتملة.

تقول المرأة الشديدة بصوت متهدج: «يا للصدأ المتقشر»، وهذا في
الواقع يتحدث نيابة عنك أيضًا.

نفايات تونكي تملأ المكان: أدوات غريبة وصفائح وقصاصات
جلدية تغطيها المخططات، وبالة خشبية في ركن الغرفة، تفسر سر عدم
نومها في الشقة أخيرًا (كم كنت تشعرين بالوحدة من دونها ومن دون
هوا، لكنك تترفعين عن الإقرار بذلك). تمشي تونكي مبتعدة عنك،
وتحدجك بنظرة جليلة الاستياء من مجيئك. تقول: «لا تلمسي شيئًا
بحق الصدأ، من يعلم ما الذي قد يفعله أوروچيني بمستواك في هذه
الأشياء».

تقلب إيكا عينيها. «بل أنت من ينبغي ألا يلمس شيئًا، تعلمين أنك
غير مسموح لك أن تكوني هنا. اذهبي».

«لا»، وتقرّص تونكي بالقرب من قاعدة منخفضة غريبة في منتصف الغرفة. تبدو مثل عمود كريستالة بُتر من منتصفه، وترين النور الوماض غير الحقيقي ينزل من السقف بالأعلى، والقاعدة (المتذبذبة معه بالتزامن) هي امتداده حتى الأسفل، عدا أن هناك فراغ من خمسة أقدام بينهما. سطح القاعدة مصقول تمامًا حتى أنه يلمع مثل مرآة، وصلب تمامًا، مع أن بقية القاعدة تتذبذب. في البداية تعتقدين أن سطح القاعدة ليس عليه شيء، لكن تونكي تنظر إليه بإمعان يدفعك إلى الذهاب والانضمام إليها. عندما تراحمها لترى أفضل، ترفع نظرها فتقابل عينيك، وتصدّمك النشوة الجلّية في عينيها. أنت لست مصدومة من هذا في الواقع، فأنت صرت تعرفينها جيدًا الآن، وإنما يصدّمك أن تلك النشوة، بالإضافة إلى شعرها القصير النظيف غير المتكرر والملابس المناسبة، قد أعادوا إليها بوضوح نسخة قديمة من بينوف، حتى أنك تذهلين مرة أخرى أنك لم ترينها من أول مرة.

غير أن هذا ليس المهم. تركزين على القاعدة، حتى وهناك أعاجيب أخرى تشد الأنظار: قاعدة أخرى أطول من هذه بالقرب من مؤخرة الغرفة، فوقها تطفو مسلة مصغرة طولها قدم واحد؛ لها نفس اللون الأرضية الزمردى، وقاعدة ثالثة تدعم قطعة صخر مستطيلة، تطفو أيضًا؛ سلسلة من المربعات على أحد الحوائط، عليها عدد من المخططات الغريبة لمعدات من نوع ما، وتحتهم سلسلة من اللوحات، عليها وحدات قياس تقيس شيئًا بأرقام غير معروفة يتعذر عليك تفسيرها.

لكن على تلك القاعدة أكثر الأشياء إثارة للفضول في الغرفة:

ست شظايا معدنية صغيرة، كلها بسمك الإبرة وليست أطول من عقلة إبهامك. ليست تلك الشظايا من نفس المعدن الفضي المصنوعة منه بقية الهياكل المعدنية العتيقة في كاسترييا، وإنما هو معدن مظلم قاتم اللون مرقط بخفة بالأحمر، هذا حديد. عجيب أنه لم يتأكسد رغم مرور كل هذه الأعوام على كاسترييا. إلا... تسألين تونكي: «هل أنت من وضع تلك الأشياء هنا؟».

تسخط فوراً: «أه، طبعاً، ما إن أصل عادة إلى قلب غرفة تحكم عتيقة من حضارة ميتة، حتى أحب أن أبحث عن أكثر أجهزتها خطورة وأرمي عليه شظايا معدنية صدئة».

«لا تكوني وغدة إذا سمحت»، وإن كنت تستحقين ذلك نوعاً ما، وأنت مستثارة إلى حد يمنعك من الانزعاج، «لماذا تعتقدين أن هذا أخطر شيء هنا؟».

تشير تونكي إلى الحافة المشطوفة للقاعدة. تنظرين عن كثب، فترمشين. إن سطحها ليس أملس مثل بقية جسم الكريستالة، بل إن حافتها منقوشة بالرموز والكتابة بكثافة. وهناك نفس نوع الكتابة على اللوحات كافة... أوه، وكل تلك الكتابات تتوهج بالأحمر، يبدو اللون وكأنها يطفو ويتردد على السطح.

تقول تونكي: «وهذا»، وترفع يدها وتحركها نحو سطح القاعدة والشظايا المعدنية، وعندها، فجأة، تقفز الحروف الحمراء في الهواء... لا تجددين طريقة أفضل لوصف ما حدث غير ذلك. كبرت الحروف في لحظة والتفتت كي تواجهكما، تشتعل في الهواء في مستوى العيون فيما لا شك أنه

تحذير من نوع ما. إن الأحمر هو لون أحواض الحمم، لون البحيرة عندما يموت كل ما فيها إلا الطحالب السامة، وهي علامة على ثورة بركانية وشيكة. يغمرك اليقين أن بعض الأشياء لا تتغير مع الزمان أو الثقافات. (وأنت مخطئة في هذا عمومًا، لكن في تلك الحالة بعينها، محقة).

الكل ينظر مشدوهاً. تقترب هياركا وتمد يدها كي تلمس الحروف الطافية، تمرر أصابعها عبرها. إيّاك تدور حول القاعدة، مذهولة رغمًا عنها. «لقد لاحظت هذه الأشياء من قبل، لكنني لم ألق لها في الواقع بالاً. إن الحروف تدور معي».

عدا أنها لا تتحرك. لكنك تميلين جانبًا، فتجدينها بالفعل تدور حول محورها قليلاً كي تظل تواجهك.

تسحب تونكي يدها بنفاد صبر وتزيح يد هياركا عن الطريق، فتتكمش الحروف وتعود بهدوء إلى حافة القاعدة. «لا توجد حواجز. عادة عندما تكون هناك آثار خطيرة بحق من حضارة ميتة - أو للدقة من تلك الحضارة الميتة - تكون مغلقة بإحكام، إما بحاجز مادي، وإما بدليل على أنه كان هنا حاجز مادي ما. لكن لا يوجد هنا حاجز مادي أو دليل على وجود واحد تعطل مع الزمن. لو أنهم أرادوا منعك من لمس شيء، فأنت إما لا تستطيعين لمسه أبدًا وإما عليك أن تجاهدي كي تفعلي. أما هذا فمجرد تحذير، ولا أعلم ما الذي يعنيه».

«هل لمس هذه الأشياء ممكن فعلاً؟»، تمدّين يدك نحو إحدى الشظايا الحديدية متجاهلة حروف التحذير التي انتفضت أمامك. تزجر تونكي بحدة فترتدين مثل طفلة ضُبطت متلبسة بأمر لا ينبغي اقترافه.

«قلت لا تلمسي شيئًا بحق الصدأ. ما خطبك؟». تجزّين على أسنانك، لكنك استحققت ذلك أيضًا، والأم التي فيك تمنعك من إنكار هذا. تقرّص إيكّا إلى جوار بالة نوم تونكي. «منذ متى وأنت تأتين إلى هنا؟».

تحدّق تونكي في الشظايا المعدنية، وتحسببها في البداية لم تسمع إيكّا، فهي لا ترد لوهلة تطول. ثمة نظرة على وجهها بدأت تنفرين منها. لم يعد في وسعك أن تقولي إنك تعرفينها جيدًا أكثر مما كان في وسعك ذلك وأنت حصة، لكنك تعرفين على الأقل أنها ليست من النوع المتجهّم، وهي متجهمة الآن، العضلات المشدودة في فكها تبرز ذلك أكثر مما تعرفين أنها قد تحب، وتلك علامة سيئة جدًا. إنها تضرر شيئًا. تقول لإيكّا: «أسبوع، لكنني لم أنتقل إلى هنا إلا منذ ثلاثة أيام، على ما أظن، لقد فقدت إحساسي بالوقت»، تفرك عينيها، «لم أنم كثيرًا أخيرًا».

تهز إيكّا رأسها وتنهض، «من الجيد أنك لم تدمري الكومونة الصدئة حتى الآن. أخبريني إذن، ماذا اكتشفت؟».

تلتفت تونكي كي تواجهها بحذر. «تلك اللوحات على الحائط، تتحكم في مضخات المياه وأنظمة تدوير الهواء وعمليات التبريد. لكنكم تعرفون هذا بالفعل».

«نعم، بما إننا لسنا ميتين»، تنفض إيكّا عن يدها التراب من حيث لمست الأرض، وتقرب من تونكي بطريقة رصينة ومتوعةدة في نفس الوقت بشكل غير مباشر. إنها ليست امرأة ضخمة مثل أغلب السانزين، بل هي حتى أقصر من هياركا بقدم. خطورتها ليست جليلة مثل الآخرين،

لكنك تشعرين بالاستعداد البطيء لأوروجينيتها الآن، لقد كانت مستعدة تمامًا للتحطيم أو التثليج كي تقتحم المكان. يقترب الشديدان قليلاً أيضاً، لدعم تهديدها غير المنطوق.

تتابع: «ما أود معرفته هو كيف علمت بذلك»، تتوقف، في مواجهة تونكي، «نحن عرفنا ذلك في أول أيامنا هنا بالتجربة والخطأ. إن لمست هذا الشيء تزيد البرودة، وإن لمست ذاك يصبح ماء الحمام العمومي أسخن. لكننا لم نلاحظ أي تغيير في الأسبوع الماضي».

تتنهد تونكي قليلاً. «لقد تعلمت بمرور السنين كيف أفك شفرة بعض هذه الرموز. جربي أن تقضي وقتاً كافياً في أطلال مشابهة، وستجدين نفس الأشياء تتكرر باستمرار».

تفكر إيكا في هذا، ثم تشير إلى نص التحذير على حافة القاعدة، «ماذا يقول هذا؟».

«لا أعلم. قلت أفك لا أقرأ، الرموز لا اللغة»، تتجه تونكي إلى أحد اللوحات على الحائط وتشير إلى تصميم بارز في أعلى اليمين. ثمة رمز أخضر، مثل سهم لكنه متعرج نوعاً، يشير إلى أسفل. ليس بالشيء السهل تفسيره. «رأيت ذلك الرمز كلما كانت هناك حداثق مائية. أظنه يتعلق بجودة وقوة الضوء الذي يصل إلى تلك الحداثق»، ثم ترمق إيكا، «بل هو في الواقع عن الضوء الذي يصل إليها».

ترفع إيكا ذقنها قليلاً، بما يكفي لتعرفي أن تونكي أحسنت التخمين. «هذا المكان إذن لا يختلف عن الأطلال الأخرى التي رأيته؟ هل توجد فيهم كريستالات مثل تلك؟».

«لا، لم أر شيئاً مثل كاستريما من قبل، إلا...»، ترميك بنظرة ثم تشيح عنك، «ليس مثل كاستريما تماماً».

تندفعين: «هذا الذي كان في المرتكز ليس مثل كاستريما أبداً». لقد مر أكثر من عشرين سنة، لكنك لم تنسي شيئاً عن هذا المكان. ذلك كان ثقباً، وكاستريما صخرة فيها حفرة. لا دليل على أن كليهما من صنع نفس الناس لأغراض متشابهة. مكتبة سر من قرأ

«بل بصراحة هو كذلك». تعود تونكي إلى القاعدة وتلوح كي تحث التحذير على الظهور. تشير هذه المرة إلى رمز وسط النص المتوهج: دائرة سوداء مصمتة يحيط بها ثمانية أضلاع بيضاء. لا تعلمين كيف فاتتك رؤيته من قبل، فهو يبرز عن اللون الأحمر السائد.

«أنا رأيت تلك العلامة في المرتكز، مرسومة على أحد ألواح النور. وأنت كنت مشغولة بالتحديق في الثقب، فلا أظنك رأيته. لكني منذ هذا الحين زرت حوالي نصف دسنة مواقع بناء مسلات، وتلك العلامة كانت دائماً بالقرب من أي شيء خطير»، تراقبك عن كئيب، «وأحياناً كنت أجد جثثاً بالقرب منها».

تفكرين رغماً عنك في الوصية تيماي. مع أنها لم يُعثر على جثتها، إلا أنها ميتة بكل تأكيد، وأنت كدت تنضمين إليها حينها. ثم تتذكرين تلك اللحظة في القاعة عديمة الأبواب، بالقرب من الهوة المتثابثة، تتذكرين التواءات الشبيهة بالإبر البارزة من حوائط الثقب... التي هي بالضبط مثل شظايا الحديد تلك. تتمتمين: «المقبس»، هذا ما كانت الوصية تطلق عليه، «التلوث». تتاب مؤخرة عنقك القشعريرة. ترميك تونكي بنظرة حادة.

بينما تقفين وتحديقن إلى الشظايا الصدئة، تقول هياركا بانزعاج:
«الأشياء الخطرة قد يكون لها أكثر من تفسير صدئ».

«ليس في حالتنا هذه»، تونكي ترمق هياركا شذراً، وهو أمر مذهل
في حد ذاته، «فتلك كانت علامة عدوهم».

اللعة. تفهمين. اللعة، اللعة، اللعة.

تسأل إيكا: «ماذا؟ ما الذي تتحدثين عنه بحق شر الأرض؟».

«عدوهم»، تستند تونكي إلى حافة القاعدة، بحذر، لكن بشدة،
«لقد كانوا في حالة حرب، أنفهمين؟ كان ذلك عندما كانت حضارتهم
على حافة الزوال. كل أطلالهم وما بقي منهم من هذه الفترة كان
لأغراض دفاعية، موجهة نحو النجاة. بالضبط مثل كومونات اليوم،
عدا أنهم كانوا يملكون ما هو أكثر من الحوائط الصخرية لحماية أنفسهم،
كانوا يملكون أشياء مثل جيودات صدئة ضخمة تحت الأرض. لقد
اختبئوا في تلك الأماكن لدراسة عدوهم، ولعلمهم بنوا فيها أسلحة
أيضاً للقتال»، تلتفت وتشير إلى أعلى، إلى النصف العلوي من القاعدة
الكريستالية، فتتذبذب وتومض، مثل المسلات.

تردين بشكل آلي: «لا». ينظر الجميع إليك، فترتجفين. «أعني...»، تبأً،
لكنك تكلمت بالفعل، «إن المسلات ليست...»، لا تعرفين كيف تقولينها
من دون أن تحكي القصة كلها، وأنت مترددة في فعل ذلك. لا تعرفين لماذا،
ربما لنفس السبب الذي قالته أنتيموني عندما بدأ ألابستر يحكي لك: إنهم
ليسوا جاهزين. الآن بات عليك أن تختمي كلامك على نحو لا يدفعهم إلى
مزيد من التعليقات. «لا أعتقد أنها دفاعية، ولا هي سلاح من أي نوع».

لا تقول تونكي شيئاً لوقت طويل. «ما هي إذن؟».

«لا أدري»، هذه ليست كذبة، فأنت لا تعرفين يقيناً، «لعلها أداة، قد تكون خطيرة لو استُخدمت على نحو خاطئ، لكنها لا يُقصد بها القتل».

يبدو على تونكي أنها تُجهز نفسها. «أنا أعلم ما حدث في آليا يا إيسون».

ضربة غير متوقعة، تربكك شعورياً. لكنك لحسن الحظ قضيت عمرك في التدريب على تشتيت ردود فعلك على الضربات غير المتوقعة بنحو آمن. تقولين: «إن المسلات ليست مصنوعة من أجل هذا، تلك كانت حادثة».

«كيف لك أن...».

«لأنني كنت متصلة بهذا الشيء الصديء عندما احترقت». تقولينها بثورة مباغته حتى أن صوتك يتردد في الغرفة، ويربكك اكتشاف إلى أي مدى أنت غاضبة. المرأة الشديدة تشهق، وشيء ما في نظرتها يتبدل، وهذا يجعلك تتذكرين مرة واحدة الأشداء في تيريمو، الذين نظروا إليك بهذا النحو عندما طلب منهم راسك أن يسمحوا بمرورك من البوابة. حتى إيكّا تراقبك بطريقة تقول بغير كلام/إنك تخيفين السكان، اهدئي بحق الصدا. فتأخذين نفساً عميقاً، وتصمتين.

(ولن يحدث إلا لاحقاً أن تتذكري الكلمة التي قتلها في تلك المحادثة، احترقت. ستتساءلين لماذا قتلها، وماذا قصدت بها، ولن تجدي إجابة).

تزفر تونكي بعمق وحذر، تقول: «أظن أن من غير المستبعد أني افترضت افتراضات خاطئة». ويبدو أن هذا يتحدث نيابة عن كل من في الغرفة.

تمرر إيكا يدها على شعرها فيصبح مسطحًا للحظة، يجعلها هذا تبدو أضال حتى يرتد عائداً. «طيب. نحن نعلم بالفعل أن كاستريما كانت تُستخدم ككومونة من قبل، وربما أكثر من مرة. لو أنك سألتني، بدلاً من القدوم إلى هنا واللعب مثل طفلة صدئة، كنت لأخبرك بهذا. كنت لأخبرك بكل ما أعرف، لأنني أرغب في فهم هذا المكان بقدر ما ترغبين...».

تصدر تونكي نهيقاً ضاحكاً، «لا يوجد بينكم من يتمتع بالذكاء الكافي لهذا».

«... لكنك بفعلك ما فعلت جعلتني لا أثق بك، وأنا لا أدع الناس الذين لا أثق بهم يفعلون ما قد يؤذي من أحب. لذا، أريدك أن تخرجني من هنا إلى الأبد».

هياركا تعبس. «بيك، أليس هذا قاسياً نوعاً؟».

تونكي تتوتر فوراً، تجحظ عيناها رعباً وألماً. «لا يمكنك أن تخرجيني من هنا، لا أحد في تلك الكومونة الصدئة لديه أدنى فكرة عن...».

تقول إيكا: «لا أحد غيرك في تلك الكومونة الصدئة...»، ينظر الشديدان إلى إيكا باضطراب، لأنها شبه تصرخ، «... مستعد لإحراقنا جميعاً عن بكرة أبينا ليدرس قوماً ماتوا جميعاً منذ كان العالم في مهده. وهو شيء يخامرني، انطباع أنك لن تتورعي عنه».

تندفع تونكي: «ماذا عن زيارات تحت إشراف؟»، تبدو الآن يائسة. تخطو إيكّا نحوها حتى تواجهها تمامًا، فتصمت تونكي فورًا. تقول إيكّا بهدوء وبرود متوحشين: «أنا أفضل ألا أفهم شيئًا عن هذا المكان، عن المخاطرة بتدميره. هل تستطيعين قول الشيء نفسه؟».

تحقق تونكي إليها وهي ترتجف ولا تنبس بحرف. لكن الإجابة واضحة، أليس كذلك؟ إن تونكي مثل هياركا؛ وُلدت ونشأت قيادية، تعلمت أن تضع احتياجات الآخرين قبل نفسها، واختارت أن تتبع سبيلا أكثر أنانية. إن هذا ليس حتى محل تساؤل.

ولهذا، لاحقًا، عندما تسترجعين ما حدث بعد ذلك، لا تُدهشين.

تدور تونكي وتندفع، فيتوهج التحذير الأحمر، لكنها كانت قد قبضت بالفعل على إحدى الشظايا الحديدية. وعندما تتمين أخيرًا استيعاب ما تكون في منتصف اندفاعها تريد بلوغ باب السلم، هياركا تشهق، وإيكّا تقف في مكانها مشدوهة ومنصعقة، والشديدان يحملقان بحيرة قبل أن ينطلقا متأخرين يحاولان اللحاق بتونكي. لكن بعد لحظة، تونكي تشهق وتتعثّر وتقف. يمسك الرجل الشديد بذراعها، قبل أن يتركه ما إن تبدأ تونكي تصرخ.

تتحركين قبل حتى أن تفكري، إن تونكي تنتمي إليك بشكل ما، مثلها مثل هوّا، ولرنا وألابستر. وكأنك في غياب أطفالك تحاولين تبني كل من يلمسك شعوريًا ولو لثانية. إنك حتى لا تحبين تونكي، لكنك مع ذلك تنقبض معدتك عندما تقبضين على رسغها فتجدين الدماء تلطخ يدها. «ما الذي...».

تونكي تنظر إليك بذعر مباغت حيواني، ثم تنتفض وتصرخ من جديد. تكادين تركينها لأن شيئاً ما يتحرك تحت إصبعك.

تصيح إيكّا: «ماذا هناك بحق الصدأ؟». تنطبق يد هياركا أيضًا على ذراع تونكي، تساعدك، لأن تونكي صارت أقوى في هلعها. تسيطرين على نفورك العاتي المتعذر تفسيره، وتحركين بدلًا من ذلك إصبعك وقبضتك على رسغ تونكي على نحو يسمح لك برؤيته أفضل. نعم، هناك شيء يتحرك تحت جلدها. ينحرف ويتعثر، لكنه يتابع التحرك بلا هوادة إلى أعلى. شيء بنفس حجم الشظية الحديدية.

تقول هياركا: «يا شر الأرض»، وترمي نظرة قلقلة على وجه تونكي. تقاومين الانفجار في ضحكة هستيرية من المفارقة غير المقصودة في قَسَم هياركا.

تقولين بدلًا من ذلك: «أريد سكينًا». يتردد صوتك في أذنك هادئًا هدوءًا ملحوظًا. تنحني إيكّا فترى ما رأيت، فتتلفظ باللعنة.

تأوه تونكي: «آه، اللعنة، الصدأ، الخراء. أخرجوه مني، أخرجوه مني ولن آتي إلى هنا أبدًا». هذه كذبة، لكن لعلها تعنيها الآن.

تنظر إليك هياركا، «أستطيع أن أخرج به بأسناني». إن أسنانها حادة مثل شفرات صغيرة.

تقولين: «لا»، وأنت متيقنة أنه سيدخل في هياركا حينها ويفعل الشيء نفسه. وشقّ الأذرع أيسر من شقّ الألسنة.

إيكّا تصيح في الشديدين: «سكين!». تخرج المرأة سكينها الزجاجي متعدد الاستخدامات. إنه سكين حاد لكنه صغير، مخصص لقطع الحبال

لا ليكون سلاحًا، كي تقتلي أحدهم به تحتاجين إلى طعنه مليون مرة ما لم تصيبه في عضو حيوي. لكنه الوحيد المتاح. تتمسكين برسغ تونكي لأنها تتلوى وتعوي كالحیوانات. يضع أحدهم السكين في يدك بيد مرتجفة من ناحية النصل، تشعرين أنك ستستغرقين العمر كله كي تعدي وضعه في يدك، لكنك تحافظين على نظرك مثبتًا على الكتلة المتحركة المتفضة تحت بشرة تونكي البنية. إلى أين هو ذاهب بحق الصدأ؟ يمنعك رعبك الهادئ من التخمين.

لكنه قبل أن تدبي السكين لإخراج هذا الشيء، يخنفي تمامًا. تصرخ تونكي مجددًا، صوتها يصبح مرعبًا. لقد دخل في أعماق لحمها. تقطعين ذراعها بعمق فوق المرفق أملًا أن تسبقي هذا الشيء، فتأوه تونكي، «أقطعي أعمق، أنا أشعر به».

أعمق من هذا استصيين العظام، لكنك تجزين على أسنانك وتقطعين أعمق. يتناثر الدم في كل مكان. تتجاهلين عويل تونكي وتهدج تنفسها وتحاولين استكشاف وجود هذا الشيء بالسكين، حتى وأنت تضميرين الرعب من أنك ستجدينه وتستخرجينه فيدخل في لحمك أنت.

تهتف تونكي بين لهائها: «لقد دخل الشريان»، إنها تنتفض، تلفظ كلماتها صراخًا من بين أسنانها، «مثل طريق سريع صديء نحو السِسا... آآه، اللعنة!». تقبض على النصف السفلي من عضدها؛ لقد صار أعلى مما حسبت، يتحرك بسرعة كي يصل إلى الشرايين الأوسع.

السِسا... تنظرين إلى تونكي للحظة، يصعقك إدراكك المباغت أنها كانت تحاول أن تقول السِسينا. تذهب إيكًا وتلف يدها حول ذراع

تونكي تحت العضلة الدالية مباشرة، وتعتصر بإحكام. تنظر إليك، وتفهمين أن لم يعد هناك ما يمكن فعله سوى شيء واحد، ولن تتمكني من فعله بمثل هذا السكين الصغير... لكنك لديك أسلحة أخرى.

«أمسكا الذراع جيدًا». ودون أن تنتظري لتري إلى أي مدى التزمت إيكًا وهياركا بالأمر، تقبضين على كتف تونكي. إن ما تفكرين فيه هو خدعة ألابستر، نطاق قوة محلي صغير منسوج بدقة، مثل الذي استخدمته لقتل الغلايات. ستستخدمينه هذه المرة لبر ذراع تونكي وتثليج الشظية المعدنية الصغيرة، أو هكذا تتمنين. تمدين وعيك وتغلقين عينيك كي تركز، ويتحرك شيء ما.

تغوصين في أعماق حرارة تونكي، تبحثين عن التكوين الحديدي للشظية، وتحاولين أن تسبني الفرق بينها وبين الحديد في دمها، ثم... يتلأأ السحر.

لم تتوقعي أن تجدي هذا، هنا، بين الدماء والخلايا. إن تونكي لا تحول إلى صخر مثل ألابستر، وأنت لم تسبني السحر في أي كائن حي غيره. لكن مع ذلك ثمة ما يتلأأ بثبات هنا داخل تونكي، شيء فضي يشبه الخيوط، يتصاعد عبر قدميها - من أين؟ لا يهم - وينتهي عند الشظية الحديدية. لا عجب إذن أنها تتحرك بهذه السرعة، فثمة ما يغذيها بالوقود. باستخدام هذا الوقود تمدّ الشظية أهدابًا وتغرسها في لحم تونكي كي تشدّ نفسها إلى الأمام. لهذا تتألم، لأن كل خلية تلمسها الأهداب ترتعد وكأنها احترقت، ثم تموت. وتنمو الأهداب أيضًا مع كل اتصال تحقّقه، إن ذلك الشيء اللعين ينمو في داخل تونكي، يتغذى عليها على نحو ميكروي

دقيق. ثمة هذب أمامي يتحسس الطريق ويتوجه باستمرار إلى سسبينة
تونكي، وتعلمين غريزياً أن تركه يصل هناك سيكون سيئاً.

تحاولين أن تشدي أحد الأهداب الجذرية، اعتقاداً منك أن هذا
سيعطله أو يحرمه من قوته، لكن

أوه

لا

ثمة كراهية و

إننا نفعل ما علينا فعله

و ثمة غضب و

آه، أهلاً، أيها العدو الصغير

«أين أنت؟»، تتردد صيحة هياركا في أذنك، «استيقظي»، تنتفضين
خارجة من الضباب الذي كنت تنجرفين إليه بغير إدراكك. حسنًا.
عليك ألا تقتربي من الخيط الجذري، وإلا سيتتابك أيًا كان ما يغذي هذا
الشيء. لكن بصراحة كانت تلك اللحظة من التواصل تستحق، لأنك
الآن صرت تعرفين ما عليك فعله.

تتخيلين مقصات ذات حواف لا متناهية الصغر ونصلاً فضية
لامعة. تقصّين الهدب الأمامي، وتقصّين البقية كي لا ينمو من جديد.
تقصّين مصدر التلوث قبل أن يغرس نفسه أكثر في أعماقها. تفكرين في
تونكي وأنت تفعلين كل ذلك، تريدان إنقاذ حياتها. لكن تونكي ليست
بتونكي بالنسبة إليك الآن، وإنما هي لك الآن مجموعة من الجزيئات
والمواد. تقصّين.

إن هذا ليس خطأك. أعلم أنك لن تصدقي هذا أبدًا، لكنه ليس بخطئك.

وعندما تتمكنين من إرخاء سسبيتك وتعيدين وعيك إلى المستوى الماكروي، تجدين نفسك مغطاة بالدماء بالكامل، فتذهلين. لا تفهمين لماذا تونكي على الأرض تشهق، محاطة ببركة دماء تتسع، بينما تصيح هياركا في أحد الشديدين كي يمنحها حزامه الآن، الآن. تشعرين بانتفاضة الشظية الحديدية عمًا قريب، فتجفلين، لأنك أصبحت تعلمين الآن ما الذي تحاول تلك الأشياء أن تفعله. لكن عندما تلتفتين كي تنظري نحو الشظية، ترتبكين، لأن كل ما ترينه هو البشرة البرنزية الملطخة بالدماء وقصاصات من رداء مألوف. ثمة حركة مرتجفة من نوع ما، وتشعرين رويدًا بثقل ما تحملينه في يدك، و... و... إنك تحملين ذراع تونكي المبتورة.

ترمينها بعنف من صدمتك. تقع خلف إيكا والشديدين المتجمعين حول تونكي كي يفعلوا شيئًا ما، لعلهم يريدون إنقاذ حياتها. لا تتمكنين حتى من التفكير في هذا، لأنك ترين النهاية المبتورة في ذراع تونكي، قطع عرضي ممتاز وإن كان مائلًا قليلًا، لا يزال ينزف ويختلج لأنك قطعت الذراع لتوك، لكن... ثانية، لا، ليس هذا السبب الوحيد.

من ثقب صغير قريب من العظم، ثمة شيء يتلوى خروجًا. الثقب هو الشريان المفتوح، والشيء هو الشظية المعدنية، التي تقع على الأرض الملساء الخضراء، وتستقر وسط الدماء المتناثرة، وكأنها ليست إلا قطعة حديد بريئة.

أهلاً، أيها العدو الصغير.

فاصلة

هنالك أمر لن تريه يحدث، لكنه مع ذلك سيؤثر فيما تبقى من حياتك. تخيليه. تخيليني. أنت تعرفيني، تحسبن أنك تعرفيني، بعقلك المفكر وبالجزء الحيواني الغريزي منك. ترين جسداً حجرياً يرتدي اللحم، فتظنين أنني طفل، حتى وأنت لم تصدقي قط في الواقع أنني بشر. ولا زلت تظنينني كذلك، حتى مع أن الألبستر أخبرك بالحقيقة، أنني لم أكن طفلاً من قبل حتى أن توجد لفتك. علي لم أكن طفلاً قط. لكن سماع هذا وتصديقه أمران مختلفان.

عليك أن تتخيليني مثلما أنا بالفعل بين بني نوعي، قديماً وقوياً، يهابني الجميع. أسطورة. وحش.

عليك أن تتخيلي...

كاستريما، مثل بيضة، يغشاها التراب، ملقاة بين الحجارة. إن البيض جائزة ممتازة لنباشي الفضلات، ويسهل التهامها لو ظلت بلا حماية. وبيضة كاستريما تلتهم الآن، وإن كان أهلها لا يدرون عن ذلك شيئاً (أعتقد أن إيكّا وحدها تشعر، لكنها تستريب لا أكثر). مثل تلك الوليمة الفاخرة ليست بالشيء الذي يدركه بنو نوعك، إننا قوم شديدو البطء. لكنها في النهاية، فور أن يتم الالتهام، ستصبح فخاً مميئاً.

غير أن ثمة ما أوقف الالتهام، الأنياب مكشوفة لكنها لا تنغرز. هناك واحدة أخرى من القدامى الأقوياء، تسمونها أنتيموني. إنها ليست مهمة بحماية البيضة، مع أنها تستطيع لو قررت ذلك، وستفعل لو أنهم حاولوا الاقتراب من ألبسترها. البقية يعلمون ذلك، ويخشونها، مع أن لا داعي إلى الخوف منها.

حري بهم أن يخافوني أنا.

دمرتُ ثلاثة منهم يوم غادرتك أول مرة. بينما كنت تتبادلين التدخين مع إيكّا، كنت أمزق أكلة صخر إيكّا، ذات الشعر الأحمر التي كانت تسمي نفسها لاستر وأنت سميتها ياقوتية الشعر. طفيلية قذرة، تتلأأ في الأنحاء لتأخذ فقط ولا تعطي شيئاً في المقابل. إنني أحترها. يفترض بنا أن نكون أفضل. ثم قضيت على اثنين كانا يتعقبان ألابستر، أملأ في الانقضااض لو تشتت انتباه أنثيموني. هذا ليس لأن أنثيموني تحتاج إلى مساعدة، بل لأن نوعنا لا يتحمل وجود هذا القدر من الغباء. ألغيتهم من أجل صالحنا العام.

(إنهم ليسوا ميتين لو أن هذا يقلقك. إننا لا نموت. بعد عشرة آلاف سنة أو عشرة ملايين، سوف يُركبون أنفسهم مرة أخرى من الذرات الجزيئية التي مزقتها. وهذا وقت كافٍ للتفكير في حماقاتهم، كي يحسنوا التصرف المرة القادمة).

تلك المذبحة المبدئية تكفي لحث الآخرين على الهروب، إن النباشين ضعاف القلوب. لكنهم لا يبتعدون كثيراً. ومن بين من ظلوا عن قرب يحاول البعض المساومة. يقولون إن هناك ما يكفي لنا جميعاً، ولو أن واحداً فقط لديه الإمكانية فـ... لكنني ضبطت بعضهم يراقبونك أنت لا ألابستر.

عندما أحاصرهم، وأتظاهر بأنني قد أرحمهم، يتحدثون عن واحد آخر من القدامى، واحد أعرفه جيداً وبيننا صراعات منذ قديم الأزل. إنه أيضاً ذو رؤية لبني نوعنا، رؤية مضادة لرؤيتي. ويعرفك يا إيسون، وسيقتلك لو استطاع، لأنك تنوين أن تتابعي ما بدأه ألابستر. إنه لا يستطيع أن يصل إليك وأنا في طريقه، لكنه يستطيع أن يدفعك إلى تدمير نفسك. بل هو حتى وجد لنفسه حلفاء بشراً طماعين من الشمال سيساعدونه على فعل ذلك.

كم هي سخيفة حربنا هذه. بسهولة فائقة نستخدم بني نوعك. حتى أنت، يا إيسوني، يا كنزي، يا بيدقي. أتمنى أن تسامحيني ذات يوم.

أنت مدعوة

مر من الشهور ستة تحت نور ملجأ النجاة العتيق الأبيض الذي وقوده السحر هذا. صرت تربطين قطعة قماش حول عينيك عندما تتعبين، لتخلقي لنفسك دورة ليل ونهار خاصة، فتصبح أقل وطأة.

تنجوتونكي من عملية إعادة وصل الذراع، وإن كانت تصيبها عدوى سيئة في مرحلة ما تقف أمامها مضادات لِرنا الحيوية عاجزة. لكنها تنجو، وإن كانت بعد أن تذهب الحمى وتبهت خطوط العدوى، تفقد أصابعها بعضاً من دقة حركتها ويتتاب ذراعها بعض التنميل الشبحي. يعتقد لِرنا أن هذا سيدوم. تتمم تونكي بالشتائم عن هذا كلما قابلتها وهي منغمسة في أخذ العينات أو أي ما كانت تفعله وترغمينها على الذهاب للقاء عميدة طائفة المبتكرين. لكن عندما تبالغ في شتائم «قطاعة-الأذرع»، تذكريها أن أولاً إطلاق سراح قطعة من شر الأرض والسماح لها بالتجول تحت لحمها كان خطأها اللعين، وثانياً، أنت السبب الوحيد لعدم قتل إيكا لها حتى الآن، لذا ربما عليها أن تفكر في أن تخرس. وتخرس بالفعل، لكنها لا تتوقف عن متابعة سخافتها في أي فرصة. لا شيء يتغير أبداً في السكون.

لكن... بعض الأشياء تتغير.

لِرنا يسامحك على أنك وحش. أو ليس بالضبط. لا زلتما غير قادرين على الحديث عن تيريمو بسهولة، لكنه سمع بشجارك الغاضب مع إيكا خلال جراحته التي أجراها على ذراع تونكي، وكان هذا يعني له شيئًا. أرادت إيكا أن تُترك تونكي للموت على طاولة الجراحة، وأنت جادلت من أجل حياتها، وفزت. بات لِرنا يعلم من هذا أنك لست جلابة للموت فقط. أنت لست متأكدة من صحة تقييمه، لكن من المريح استعادة بعض من صداقتكما القديمة.

وتبدأ هياركا في خطب ود تونكي. لا تحب تونكي هذا في البداية. ترتبك في الأغلب من كل تلك الهدايا من الحيوانات الميتة والكتب التي تبدأ في الظهور في شقتكما، مع تعليق عابر من هياركا: «إذ ربما يحتاج عقلك الكبير هذا إلى شيء يتسلى به»، وغمزة. أنت التي تشرح لـتونكي أن هياركا، بفضل أيّ ما كان يدور في داخل تلك المرأة الضخمة، قررت أن جيو مستية من الأغيار سابقًا عندها مهارات اجتماعية مثل صخرة خير رفيق لها. عندها أبدت تونكي استياءها الشديد، وتذمرت من «التشتيت» و«ضحالة الملهيّات» والحاجة إلى «نزع المركزية عن اللحم»، وأنت تجاهلت الأمر برمته.

والكتب هي ما حسمت المسألة. هياركا على ما يبدو كانت تختارهم من مدى تعقيد الكلمات على أغلفتهم، لكنك عدت إلى البيت أكثر من مرة لتجدي تونكي مغمورة فيهم. في النهاية عدت إلى البيت لتجدي ستائر غرفة تونكي منسدلة ومعها هياركا. لم يكن في ظنك أن هذا ممكن

بذراع علية. هم. لعل إحساس تونكي الجديد بالصلة بكاستريا هو ما دفعها إلى بدء محاولة إثبات قيمتها لإيكا (أو لعل هذا فقط بدافع من كبريائها، فتونكي اشتعلت عندما قالت إيكا ذات مرة إن الأشداء المخلصين في عملهم أفيد للكومونة منها). أيًا كان السبب، فقد أدى إلى أن تونكي قدمت إلى المجلس الاستشاري نموذجًا توقعيًا جديدًا وضعته بنفسها: إن لم تجد كاستريا مصدر بروتين حيواني مستدام جديد، ستبدأ أعراض النقص في الظهور على بعض أفراد الكومونة خلال عام. تقول: «ستبدأ مع غياب اللحم، أي شيوع النسيان والإنهاك وأمور صغيرة مثل هذه. لكن هذا نوع من الأنيميا، ولو استمر فسيؤدي إلى الخرف وتضرر الأعصاب، ويمكنكم تخمين البقية».

تعجّ حكايات القوالين بتفاصيل ما قد يحدث لكومونة بغير لحم. يجعل هذا الناس ضعافًا ويصيبهم بجنون الاضطهاد، ويصبح المجتمع عرضة للمهاجمين. وتوضح تونكي أن الخيار الوحيد لتجنب هذه النتيجة، هو الكانيبالية. زراعة مزيد من البقوليات لن يكفي.

تضمن التقرير معلومات مهمة، لكن أحدًا في الواقع ما كان يرغب في سماعها، ولم يجعل مشاركة التقرير إيكا تحب تونكي أكثر. تشكرين تونكي بعد الاجتماع بما أن أحدًا غيرك لم يشكرها. يبرز فمها السفلي قليلًا وهي ترد، «أنا عمومًا لن يعود في وسعي متابعة دراساتي جيدًا لو بدأنا في قتل وأكل بعضنا بعضًا».

تُرحلن مسؤولية دروس الأوروچينية للصغار إلى تيميل، وهو أوروچيني ناضج آخر في الكومونة. يشتكي الأطفال من أنه ليس جيدًا

بما يكفي، لا يتمتع بدقتك، وحتى مع أنه أرفق بهم منك، لا يتعلمون منه الكثير (من الجميل أن تحظي بالتقدير، حتى لو متأخرًا). وتبدئين في تدريب كاتر بدلًا من ذلك، بعدما طلب منك أن تريه كيف بترقي ذراع تونكي. تشكين أنه سيقدر على إدراك السحر أو تحريك مسلة، لكنه على الأقل في مستوى أول خاتم، وتودين أن تعرفي إن كان في وسعك جعله في مستوى خاتمين أو ثلاثة. ويبدو أن التدريس للمستويات الأعلى لا يتعارض مع ما تعلمينه من الألبستر، أو أن بستر على الأقل لا يشتكي منه. كم تفتقدين التدريس.

(تعرضين على إيكا تبادل الخبرات، لما كانت لا تظهر أي اهتمام بالدروس. تريدين أن تعرفي كيف تفعل الأشياء التي تفعلها. تقول: «لا»، وتغمز لك غمزة غير خبيثة، «عليّ أن أحفظ ببعض الخدع في جرابي حال أردت أن تثلجيني»).

تتجه بعثة تجارية قوامها الكامل من المتطوعين شمالًا تريد كومونة تيتيهي، ولا تعود. تلغي إيكا كل البعثات المستقبلية، ولا تعرضين على هذا، فقد كان أحد تلاميذك الأوروبيين السابقين من بين البعثة المفقودة.

لكن بعيدًا عن مسألة نقص الغذاء، تزدهر كاستريما في تلك الشهور الستة. تحبل امرأة ذات يوم بغير إذن، وتلك مشكلة كبيرة، فالأطفال لا يقدمون شيئًا إلى الكومونة لأعوام، ولا تستطيع أي كومونة تحمل الكثير من عديمي الفائدة خلال الموسم. تقرر إيكا أن بيت المرأة، الذي يأوي زوجين وزوجتين، لن يتلقى حصة إضافية إلا عندما يموت أحد المسنين

أو الضعاف ليفسح الطريق لطفل غير مصرح به. تخوضين شجارًا آخر معها لأنك تعلمين يقينًا أنها تعني ألا بستر عندما تضيف للمرأة: «وهذا لن يطول». لا تحاول إيكًا أن تعتذر، لقد قصدت بالفعل ألا بستر وتتمنى موته عمًا قريب، لأن الرضيع على الأقل له فائدة مستقبلية.

ينتج من هذا الخلاف نتيجتان طيبتان: أن الكل يثق بك عندما يرونك تصيحين بأعلى صوتك في منتصف القمة المسطحة دون أن تتسببي في هزة، وأن طائفة المستولدين تقرر أن تطالب بالمولود القادم لتحل النزاع. ستخصص الطائفة إحدى حصص الأطفال المخصصة لهم للعائلة، نظرًا إلى أنهم من سلالات محببة، في مقابل أن يؤول الطفل إلى طائفتهم لو وُلد سليماً. يقولون إن قضاء المولود لأعوامه الخصبة في تقديم الأطفال إلى الكومونة والطائفة ليس بالثمن السيئ مقابل الحق في الولادة. والأم توافق.

لا تشارك إيكًا أزمة البروتين مع الطائفة بالطبع، وإلا ما طالب المستولدون بأحد (وتفترض تونكي هذا وحدها بالطبع). لا تريد إيكًا أن تخبر أحداً إلا لو ظهر بوضوح أن لا أمل في حل بديل في الأفق. توافقين أنت وبقيّة المجلس الاستشاري على مضض. لا يزال أمامكم عام. لكن بسبب صمت إيكًا، يزورك أحد المستولدين بعد أيام قليلة من عودة تونكي إلى البيت كي تتعافى. كان المستولد ذا شعر رماد براكينى وواسع الكتفين وداكن العينين، وأبدى اهتماماً كبيراً بك عندما عرف أنك أنجبت ثلاثة أطفال أصحاء أوروچينيين أقوياء. يطريك بذكر طولك وقوتك، وتحملك الارتحال على الطريق لأشهر طويلة بأقل

المؤمن، ويلمح أن عمرك ثلاثة وأربعون عامًا «فقط». تضحكين من هذا كله. تشعرين أنك قديمة كالعالم، وهذا الجميل الأحق يحسبك مستعدة لإنجاب طفل جديد.

ترفضين عرضه الضمني بابتسامة، لكن... هذا غريب، ثمة شعور أليف لكن غير طيب يراودك من هذه المحادثة. تفكرين في كورنديم عندما يذهب المستولد، وتصحو تونكي عندما ترمين قدحًا على الحائط وتصرخين من أعماق رئتيك. ثم تذهبين لرؤية الألبستر من أجل درس آخر، ما يتضح أنه عديم الفائدة تمامًا، لأنك تقضين الوقت كله واقفة في مكانك ترتعدين وأنت مليئة بالغضب الصامت. بعد خمس دقائق من هذا، يقول بضجر: «أيًا كان خطبك، فعليك أن تتعاملي معه بنفسك، لم أعد أستطيع إيقافك».

تكرهينه لأنه لم يعد منيعًا مثلما كان، ولكيلا تكرهي نفسك. يعانى الألبستر خلال تلك الشهور الستة من عدوى أخرى بليغة. ينجو منها بأن يحول ما تبقى من ساقه اليسرى عمدًا إلى حجر. تلك الجراحة الذاتية تنهك جسده إلى حد أن نوبات صحوه القليلة تتضاءل إلى نصف ساعة في المرة، تتخللها ساعات طويلة من السبات أو النوم المتقطع. أمسى واهنًا حتى صرت تجاهدين كي تسمعيه، عدا أنه يتحسن لحسن الحظ خلال أسابيع قليلة. وأنت تتطورين، غدوت قادرة على الاتصال بالتوبازية التي وصلت حديثًا بسهولة، وبدأت تفهمين ما الذي فعله كي يحول الإسبينية إلى هذا السلاح الشبيه بالسكين الذي يبقيه قريبًا منه (إن المسلات قنوات توصيل، وأنت تتدفقين خلالها، تتدفقين

معهم، كما يتدفق السحر. إن قاومت تموتي، وإن تمكنت من ضبط ترددك بدقة كافية معهم، أمور كثيرة تصبح ممكنة).

غير أن هذا لا يزال أبعد ما يمكن عن ربط نفسك بعدة مسلات، وأنت تعرفين أنك لا تتعلمين بالسرعة المطلوبة. يفتقر ألابستر إلى القوة الكافية كي يلعن بطئك الشديد في التعلم، لكنه ليس مضطراً إلى ذلك. رؤيته يذبل يوماً بعد يوم هي ما يدفعك إلى ربط نفسك بالمسلة مراراً وتكراراً، وغمر نفسك بنورها المائي حتى عندما يؤلمك رأسك وتنقبض معدتك ولا تعودى تريدين ما هو أكثر من التكور حول نفسك في مكان ما والبكاء. إن النظر إليه يؤلمك جداً، فتنفذين نفسك وتحاولين أكثر أن تصبحي هو.

الشيء الجيد في كل هذا: صار لك هدفاً. مبارك لك.

تبكين على كتف لِرنا ذات مرة. يربت على ظهرك ويقترح أنك لست مضطرة إلى أن تحوذي حزنك وحدك. إن هذا عرض، لكنه عرض نابع من العطف لا العاطفة، فلا تشعرين بالذنب حيال تجاهله. مؤقتاً.

هكذا تصل الأمور إلى نوع من التوازن؛ ليس هذا وقتاً للراحة ولا للمعاناة، بل للنجاة. وفي المواسم، في هذا الموسم، النجاة في حد ذاتها انتصار.

هذا حتى يرجع هواً.

يحدث ذلك في يوم من الأحزان والدانتيل. الأحزان لأن مزيداً من الصيادين قد ماتوا. حدث ذلك في منتصف طريق العودة بغنيمة نادرة،

دب كان أنحف من أن يدخل في السبات الموسمي بأمان، وسهلت إصابته خلال ثورته اليائسة، لكن رفقة الصيادين هوجمت بدورها. مات ثلاثة صيادين تحت وابل من أسهم الأقواس المستعرضة، ونجا اثنان لكنهم لم يتمكنوا من رؤية المعتدين، بدت لهم الأسهم وكأنها تأتي من جميع الاتجاهات. اتخذوا خيار الهروب الحكيم، لكنهما التفا وعادا بعد ساعة أملًا في استعادة جثث رفاقهم وغنيمتهم الثمينة. والمذهل كان أنها وجدوا كل شيء كما هو دون أن يمسّه المعتدون أو النباشون، باستثناء شيء واحد ترك إلى جوار الضحايا: عصًا خشبية مغروسة في الأرض، رُبِطت فيها خرقة مهترئة متسخة، ملفوفة في عقدة سميكة حول شيء ما.

تدخلين غرفة اجتماعات إيكا بينما هي تبدأ في حلّ العقدة، رغم اعتراض كاتر بصوت حاد: «هذا غير آمن على الإطلاق، ليس لدينا أدنى فكرة...».

تغمغم إيكا وهي تركز في العقدة: «لا أهتم». تفكّ العقدة بحذر بالغ، إذ تتجنب الجزء الأكثر سماكة، والذي يحتوي كما هو واضح على شيء ما، لا يسعك تمييز ماهيته، لكنه يبدو مستديرًا وخفيفًا. إن الغرفة أكثر ازدحامًا من المعتاد لأن إحدى الصيادين هنا أيضًا، يغطيها الدم والرماد وعازمة بوضوح على معرفة داعي موت رفاقها. ترفع إيكا عينها إدراكًا لوصولك، ثم تتابع عملها. تقول: «لو فرقع شيء في وجهي، فأنت القائد الجديد يا كاتس».

هذا يربك كاتر ويسكته بما يكفيها لتتابع حل العقدة بغير تشتيت. إن خيوط وحلقات الخرقة الذي كان -يومًا- أبيض من الدانتيل، ولو

أن تخمينك سليم، فهو ذو جودة كانت لتجعل جدتك تبكي فقرها. عندما تنفك العقدة أخيرًا، تكشف عن رقعة جلدية صغيرة مكورة. إنها رسالة.

كُتب عليها بالفحم: أهلاً بكم في رينانيس.

هياركا تلعن. وأنت تقعدين على أريكة لأنها أفضل من الأرض، وأنت في حاجة إلى الجلوس في مكان ما. كاتريبدو غير مصدق. يقول: «إن رينانيس استوائية»، ولهذا يفترض أنها هلكت. نفس رد فعلك عندما أخبرك ألا بستر عنها.

تقول إيكا: «ربما ليست رينانيس الأصلية»، لا تزال تفحص رقعة الجلد، تقلبها، وتحك الفحم بحافة سكين وكأنها تختبر أصالته، «لعلهم فرقة ناجين من تلك المدينة، صاروا أغيارًا لكنهم أفضل قليلًا من قطاع الطرق، وقرروا تسمية أنفسهم مثل أصلهم. أو لعلهم بعض الراغبين في أن يكونوا استوائيين، ويستغلون الفرصة لادعاء شيء لم يكونوا بالغيه قبل أن تحترق المدينة».

تندفع هياركا: «لا يهم، المهم أن هذا تهديد أياً كان مصدره. ماذا نحن فاعلون حياله؟».

ينخرطون في النقاش والتخمين، مع هامش من الهلع يرتفع باطراد. ودون تخطيط تتراجعين وتستندين بظهرك إلى حائط غرفة اجتماعات إيكا، إلى حائط الكريستالة التي تشغلها شقتها، إلى قشرة الجيود التي تنبت منها الكريستالة. إنها ليست بمسلة. حتى الأجزاء المتذبذبة من الكريستالات في غرفة التحكم لا تشعرين منها بالقوة التي تميز المسلات،

حتى لو كانت في نفس حالة المسلات الوماضة غير الواقعية، فهذه نقطة التشابه الوحيدة بينها وبين المسلات الحقيقية.

لكنك أيضًا تتذكرين شيئًا قاله لك ألابستر قبل زمن بعيد، في أمسية ذات صبغة عقيقية بكمومونة ساحلية أمست الآن أطلالا متفحمة. تحدث ألابستر عن المؤامرات والمراقبين وأن لا مكان آمن، سألته حينها أقول أن هناك من قد يسمعنا عبر الحوائط؟ عبر الصخر نفسه؟ ذات يوم، حسبت أن الأشياء التي يقوم بها معجزات.

قال ألابستر إنك الآن في مقام تسعة خواتم. صرت تعلمين أن المعجزات مسألة مجهود، مسألة إدراك، وربما مسألة سحر. إن كاستريما مستقرة داخل صخرة رسوبية عتيقة، يتخللها عروق من غابات ماتت منذ دهور وانقلبت فحما مفتتا، وتستقر الصخرة كلها استقرارا هشا على تقاطع العديد من ندوب صدوع قديمة لم تشف مع الزمن. غير أن الجيود صار له هنا زمنا طويلا، محشور حشرا عجيبا بين طبقات الأرض، حتى أن طبقته الخارجية مندمجة تماما في المناجم المحلية. كل هذا يسمح لك بدفع وعيك بيسر إلى ما يتجاوز كاستريما، من خلال قفزات تدريجية دقيقة مخففة. هذا ليس مثل مد نطاق قدرتك، فنطاق القدرة هو قوتك، أما هذا فأنت تمدين نفسك ذاتها. هذا أصعب، لكن هكذا يمكنك أن تحسني بما لا تستطيع قوتك أن تحسسه،...

«أين أنت؟ استيقظي»، توقظك هياركا وهي تهز كتفيك، ترتدين عائدة وتحديقين إليها.

إيكا تزجر. «ذكريني يا هيار أن أخبرك يوما ما الذي يحدث عادة

عندما يقاطع أحدهم ممارسة أوروبية عالية المستوى. أنت غالبًا في وسعك أن تخمّني، لكن ذكريني أن أصف لك كل التفاصيل الدموية، عسى أن يكون ذلك لك رادعًا.

تعود هياركا إلى جلستها ساخطة: «لقد كانت شاردة في مكانها، وكنتم جميعًا تحدقون فيها».

تقولين: «كنت أحاول أن أسمع الشمال». ينظرون إليك جميعًا كأنك مجنونة. يا شر الأرض، فقط لو كان هنا شخص غيرك ذو تدريب مرتكزي. لكن بصراحة حتى لو كان، فتلک أشياء لن يفهمها سوى المشرفين الكبار فقط على أي حال.

لرنا يتدخل: «تسمعين... الأرض؟ تقصدين أنك تسسبينه؟».

يصعب عليك تفسير الأمر بالكلمات. تفركين عينيك. «لا، أعني أسمع. الذبذبات. أقصد أن كل الأصوات ذبذبات، لكن...»، ترتسم الحيرة على وجوههم، عليك أن تجدي سياقًا ملائمًا. تقولين: «كان ألابستر محققًا، شبكة التوصيل لا تزال موجودة، عندما أحاول أن أسسبنها أجدها في منطقة استوائية لا تزال قائمة في حين أن بقية المناطق الاستوائية كارثة متفحمة. هناك من يحافظ على الموصلين حول رينانيس أحياء...».

يقول كاتر بصوت مهموم: «إذن هم من رينانيس فعلاً. ثمة مدينة استوائية قررت أن تضمنا».

تقول إيكّا: «المدن الاستوائية لا تضم»، يضيق فكها وهي تحدق في قصاصة الجلد بيدها وتتابع: «إنهم من السانزا القديمة، أو ما تبقى منها. حينما كانت السانزا تريد شيئًا، تأخذه».

وبعد لحظة صمت مشدود، يعودون إلى الهلع الهادئ من جديد.
ثرثرة بلا نهاية. تتنهدين، تفركين حلقك وتتمنين لو كنت وحيدة كي
تستطيعي أن تجري من جديد، أو...

ترمشين. تسسبنين الاحتمالات الكامنة في التوبازية، التي تحوم في
السما فوق كاستريها لها ستة أشهر، شبه مختفية وسط غيوم الرماد. يا شر
الأرض. إن الأباستر لا يسسبن ببساطة نصف القارة من مكانه، بل هو
يستخدم الإسبينلية لفعل ذلك. أنت لم تفكري حتى الآن في استخدام
مسلة لد نطاق وصولك، لكنه يفعل هذا بسهولة التنفس.

تقولين بخفوت: «لا تلمسوني، ولا تكلموني»، ودونها انتظار لرؤية
إن كانوا قد فهموا، ترمين نفسك في المسلة.

(لأنك، بصراحة، يريد جزء منك فعل هذا. لك شهور تحلمين
بالوقوع إلى أعلى والقوة الجارفة التي تأتي مع ذلك. إنك في النهاية بشر،
مهما كان ما يقوله عن أمثالك. والبشر يحبون الشعور بالقوة).

وتصبحين في التوبازية، ومن خلالها تتسعين لتحيطي بالعالم تحتك.
لا حاجة إلى الأرض ما دامت التوبازية في الهواء، هي الهواء؛ إنها
تواجد في حالات تتجاوز الحالة الصلبة، وبهذا تستطيعين أنت أيضًا أن
تصبحي متجاوزة، تصبحين أنت الهواء. تنجرفين عبر الغيوم الرمادية
وترين السكون تمتد تحتك، كتل من التضاريس ورقع من الغابات
المحتضرة وخيوط من الطرق، كل هذا يغشاه الرمادي بعد شهور من
حلول الموسم. تبدو لك القارة صغيرة، وتفكرين: أستطيع بلوغ خط
الاستواء في رمشة عين، عدا أن هذه الفكرة تخيفك قليلا، ولا تعلمين

لذلك سببًا. تحاولين تجنب التفكير... لكن إلى أي مدى يختلف هذا عن الانتشاء بالقوة إلى حد استخدامها لتدمير العالم؟ (هل شعر ألابستر بهذا عندما...؟)، لكنك ملتزمة، أنت متصلة بالمسلة، والتناغم تام. تنطلقين إلى الشمال.

ثم تتوقفين على نحو غريب. لأن ثمة شيئًا أقرب من خط الاستواء بكثير شدّ انتباهك. تنصدمين من وقوعك المبالغت من رابطتك بالتوبازية، لكنك في نفس الوقت حسنة الحظ جدًا. في لحظة مربعة تشعرين بالقوة الموهلة للمسلة، وتدركين أنك نجوت فقط بسبب التناغم الدقيق والتخطيط الحذر للمصممين القدامى للمسلة، الذين احتاطوا لأخطاء مثل التي ارتكبتها. ثم تعودين إلى نفسك بشهيق وتثرثرين بأشياء قبل حتى أن تذكرى معناها.

تقولين بلهات: «معسكر، نار». يأتي لِرنا ويقرفص أمامك، يأخذ يدك ويتفحص النبض، تتجاهلينه. هذا مهم. «الحوض!».

تفهمك إيكا فورًا، فتعتدل وينشد فكها. وهياركا أيضًا، فهي ليست غبية، وإلا ما تحملتها تونكي، فتلعن. لِرنا يعبس، وكاتر ينظر إليكم جميعًا بحيرة متنامية. «هل كان لهذا الهراء أي معنى؟».

وغد. تندفعين وأنت تتحسنين: «جيش»، لكن الكلمات ما تزال صعبة، «هنا... هنالك... جيش صديء، في حوض الغابة. لقد سسبنت نيران معسكرهم».

«كم عددهم؟»، تقولها إيكا وهي تنهض وتجلب سكينها الطويل من فوق رف، وتربطه حول فخذها. تنهض هياركا أيضًا وتتجه إلى

باب شقة إيكّا وتفتح الستار. تسمعنيها تصيح منادية على إزني، قائدة الأشداء. أحيانًا ما يقوم الأشداء بالاستطلاع وإعانة الصيادين، لكن في موقف مثل هذا مهمتهم الأساسية هي الدفاع عن الكومونة.

لم يكن في وسعك عدّ كل بقع الحرارة الصغيرة التي انبثقت في وعيك عندما كنت في المسلة، لكنك تحاولين أن تخمني. «ربما مئة؟»، لكن هذا عدد نيران المعسكر. كم عدد المحتشدين حول كل نار؟ ربما ستة أو سبعة؟ هذه ليست قوة ضخمة في الظروف العادية، أي محافظ ربع عادي كان سيتمكن من جمع جيش ميداني أكبر من هذا بعشرة أضعاف في وقت صغير نسبيًا. لكن في الموسم، وبالنسبة إلى كومونة صغيرة مثل كاستريما - التي إجمالي سكانها ليس أكبر بكثير - جيش من خمسمئة أو ستمئة فرد يعدّ خطرًا بالغًا بكل تأكيد.

يقول كاتر بين أنفاسه: «تنتهي». صار شاحبًا أكثر من المعتاد. لكنك تفهمينه. قبل ستة أشهر، كانت الجثث المخوزقة في حوض الغابة تحذيرًا، وكومونة تنتهي تقع وراء هذا الحوض، بالقرب من فم النهر الذي يجري فوق نطاق سلطة كاستريما ويصبّ في إحدى بحيرات الجنوب الأوسط الكبرى. لم يصلكم من تنتهي خبر منذ شهور، والبعثة التجارية التي أرسلتموها إليهم لم ترجع. لا بد أن هذا الجيش هاجم تنتهي في وقت قريب من هذا، ثم تحصن هناك لبعض الوقت، ملء خزائنه وتصلّح أسلحته وعلاج جرحاه، وربما لإرسال بعض الغنائم شمالًا إلى رينانيس. وأرسل الكشافة لرسم نطاق سلطته. الآن، بعدما أتم هضم تنتهي، حان وقت الزحف من جديد.

وهم يعلمون بشكل ما أن كاستريما هنا، ويرسلون تحياتهم.

تتجه إيكا إلى الخارج وتصيح برفقة هياركا، وفي خلال دقائق يدق أحدهم جرس إنذار الهزات وينادي على رؤوس البيوت للجمع على القمة المسطحة. أنت لم تسمعي من قبل قط إنذار هزات كاستريما -وهي كومونة مترعة بالروجات- وتجدينه مزعجًا أكثر مما حسبت، منخفضًا إيقاعيًا ذا طنين. لكنك تفهمين السبب، إن الأجراس الرنانة ليست فكرة حكيمة وسط كل هذه البنايات الكريستالية. تتجهين مع لينا والبقية لاتباع إيكا وهي تمضي بخطوات واسعة على جسر جبلي بين عمودين ضخمين، شفتاها مضمومتان ووجهها قاتم. وعندما تصل إلى القمة المسطحة تجد حشدًا صغيرًا ينتظرها هناك بالفعل، وبينما تصيح كي يوقف أحدهم الجرس الصدى يتوقف الجرس بالفعل. يبدو سطح الكريستالة المتورة مكانًا خطرًا مع كل هذا الجمع من المتوترين المتهاوسين، حتى مع وجود الحاجز. تصيح هياركا في إزني، فتلتفت إزني كي تصيح في الأشداء وسط الحشد، فيشرعون في التحرك بخرق وسط الجمع ليبعدوا الناس عن الحافة، كيلا تحدث مأساة شنيعة تلهي الناس عن المأساة الشنيعة الأسوأ التي تلوح في الأفق.

يصمت الجميع حينما ترفع إيكا يدها طلبًا للانتباه. تبدأ حديثها: «الوضع كالتالي...»، وتدلي بكل شيء في جمل قليلة وجيزة.

تحتزمينها لعدم إخفائها شيئًا، وتحترمين أهل كاستريما أيضًا لامتناعهم عن أي شيء يتجاوز الشهقات أو الهمسات الملتاعة، وتجنبهم الهلع. غير أن هؤلاء جميعًا أهالي كومونات طيبون متبلدون، والهلع كان دومًا سمة

مكروهة في السكون. تعجّ حكايات القوالين بالتحذيرات الشديدة من الذين لا يسيطرون على مخاوفهم، وقليلة هي الكومونات التي قد تمنح أحد من هؤلاء اسمها الكوموني إلا لو كان غنيًا أو مؤثرًا بما يكفي لحثهم على قبوله. مثل هذه الأمور تظهر على حقيقتها عندما يحل الموسم.

تقول إحدى النساء ما إن تتوقف إيكا عن الحديث: «إن رينانيس مدينة كبيرة. نصف حجم يومينس، لكن يظل سكانها بالملايين. أنستطيع محاربة كل هذا؟».

تقول هياركا قبل أن ترد إيكا: «إننا في الموسم»، ترمقها إيكا بغیظ، لكن هياركا تهز كتفيها وتتابع، «ليس لدينا خيار».

تضيف إيكا وهي ترمي هياركا بنظرة إسكات أخيرة: «نستطيع أن نقاتل بفضل طبيعة كاستريا. إنهم لا يستطيعون أن يداهمونا من الخلف، ولو ساءت الأمور نستطيع سد الأنفاق، وعندئذ لن نستطيع أحد الوصول إلينا هنا. وسنتظر حتى يذهبوا».

لكن ليس إلى الأبد، ليس والكومونة في حاجة إلى الصيد والمقايضة كي تدعم بيوت أحرازها وحدائقها المائية. تحترمين إيكا لإخفائها ذلك. تتردد بضعة تنهدات مرتاحة وسط الجمع.

يسأل لِرنا: «هل عندنا وقت كافٍ لإرسال رسول إلى أحد كوموناتنا الحليفة جنوبًا؟»، تشعرين بمحاولته لإبعاد المحادثة عن أزمة الإمداد، «هل بينهم من قد يساعدنا؟».

تضحك إيكا بمرارة من السؤال الأخير، وكذا يفعل عدد من الآخرين، ويرمق القليلون لِرنا بنظرة مشفقة. إننا في الموسم. لكن...

«البعثات التجارية ليست مستبعدة، قد يسمح لنا هذا بملء المخازن بالمؤمن الحيوية والدواء، فنستعد أكثر حال الحصار. إن الوصول من حوض الغابة يستغرق عدة أيام لو كان العدد محدودًا، ولو كانت المجموعة كبيرة فسوف تحتاج إلى أسبوعين مثلاً. ربما أقل لو زحفوا بسرعة، لكن هذا سيكون غباءً في تضاريس لا يألونها. إننا نعرف أن كشافتهم في المنطقة بالفعل، لكن...»، تنظر إليك، «أين بقيتهم بالتحديد؟».

يضربك سؤالها على حين غرة، لكنك تعرفين أن هذا ما تريده. «أكثرهم موجودون ناحية المخوزقين». هذا في منتصف الطريق تقريباً من حوض الغابة.

«أي يمكن أن يصلوا إلينا في أيام»، يقولها أحدهم بصوت حاد قلق، فيحذو حذوه آخرون، ويتنشر اللغط ويبدأ في التعالي. ترفع إيكا يدها مجدداً لكن هذه المرة لا يصمت إلا قليل من المحتشدين، ويتابع البقية التخمين والحساب، وتلمحين بعضهم يذهب إلى الجسور المحيطة، عازمين على ما يبدو على اتباع خططهم الخاصة ولتذهب إيكا إلى الجحيم. لم يصل الحال إلى الفوضى ولا الهلع، لكن رائحة الخوف تبدأ تعبق الهواء. تنهضين تريدين الانضمام إلى إيكا في مركز الحشد، أملاً في إضافة صوتك إلى صوتها الداعي إلى الهدوء.

لكنك تحجمين عن الذهاب، لأن أحدهم يقف بالفعل حيث كنت تنوين الوقوف.

ليس هذا مثل أنتيموني أو ياقوتية الشعر أو أي آكل صخر آخر رأيت من قبل في هذه الكومونة بين وقت وآخر. فهؤلاء كانوا لسبب ما لا

يحبون أن يراهم أحد يتحركون؛ أقصى ما ترينه كان لمعة مبهمة عابرة ثم يصبح فجأة هناك، تمثالًا يراقبك، وكأنه كان في هذا المكان تمثالًا غريبًا طوال الوقت، نحته أحدهم قبل زمن بعيد.

أما أكل الصخر هذا فيلتفت، ويتابع الالتفات على نحو يسمح للجميع برؤية وسماع حركته، ويراقب إدراك الجميع لحضوره، بلحمه الرمادي الجرائتي، ولمعة شعره الحجري غير واضح المعالم، وعينيه اللامعتين أكثر من الشعر بقليل، وفكه المنحوت بعناية ليبيدي طوله وثقله، وجذعه المصقول بدقة في هيئة عضلية ذكورية عوضًا عن الهيئة التي تقترح وجود الملابس التي يتبناها أكثر آكلي الصخر. يبدو أنه يرغب في أن تعتبره ذكرًا، لا بأس، ليكن مذكرًا. إنه رمادي من رأسه إلى أخمص قدميه، وهو أول أكل صخر رأيته لا يبدو أكثر من مجرد تمثال فقط... باستثناء أنه يتحرك، ويتابع التحرك بينما يصمت الجميع تمامًا من المفاجأة. يتلقى انتباهكم جميعًا بابتسامة هزيلة. وثمة شيء في يده.

تحديق في أكل الصخر الرمادي بينما يلتفت، ويستوعب عقلك بالتدرج الشيء الدموي غريب الهيئة الذي يحمله. تميزين كنهه نظرًا إلى خبراتك القرية؛ إنه ذراع صغير، ذراع لا يزال بعضه ملفوفًا في قماش مألوف، قماش معطف اشتريته منذ حياة سابقة على الطريق. اليد البيضاء إلى حد غير بشري الملطخة بالأحمر أيضًا مألوفة، والحجم مألوف، حتى مع بروز حافة العظم المكسور من الحافة الدموية للذراع، عظم زجاجي مصقول بعناية وليس مثل العظام على الإطلاق.

هوا. إنها ذراع هوا.

يقول أكل الصخر الرمادي: «معي رسالة». صوته جميل، صادق. فمه لا يتحرك، تتردد الكلمات من صدره. على الأقل هذا طبيعي، بقدر ما يسعك الإحساس بأي شيء طبيعي وأنت تحديقين في الكارثة التي يحملها. تتململ إيكا للحظة، لعلها تنتزع نفسها من غمار الصدمة أيضًا. «مَن؟».

يستدير ليوواجهها، «من رينانيس»، يستدير مجددًا، تنتقل عيناه من وجهه إلى وجه بين الحشد، مثلما قد يفعل بشري يحاول خلق صلة وتوصيل معلومة. تتخطاك عيناه وكأنك لست موجودة. «إننا لا نضمر لكم أي سوء».

تحديقين في ذراع هوا في يده.

تسأل إيكا بشك: «أتعني الجيش الرابض على عتبة بابنا...؟». يلتفت، ويتجاهل كاتر أيضًا، «لدينا من الطعام الكثير، وحوائطنا قوية، كل هذا لكم لو انضممتم إلى كومونتنا».

تقول إيكا: «لعلنا نحب أن نعيش في كومونتنا الخاصة».

يلتفت، وتستقر عيناه على هياركا التي ترمش. «ليس عندكم لحم، ونطاق سلطتكم يتآكل، وستأكلون بعضكم بعضًا خلال سنة».

يثير هذا اللغظ. تغلق إيكا عينيها للحظة إحباطًا، وتنظر هياركا حولها بغضب، وكأنها تتساءل من الذي خاننا.

يقول كاتر: «هل ستبنوننا جميعًا في كومونتكم؟ بكل طوائف استخدمنا كما هي؟».

تصدر إيكا صوتًا منزعجًا، «لا أظن هذه هي المشكلة يا كاتر...». يرمي كاتر لِرنا بنظرة قاتلة. «إننا لسنا بقادرين على مواجهة مدينة استوائية».

تقول إيكا: «لكنه سؤال غبي». صوتها معتدل اعتدالًا مخادعًا، لكنك تلاحظين -بالجزء الصغير من عقلك الذي لم يُصعق من رؤية الذراع- أنها لم تأخذ صف لِرنا من قبل. لطالما راودك انطباع أنها لا يعجبها لِرنا كثيرًا، ولِرنا يبادلها قلة الاعجاب. إنها بالنسبة إليه باردة، وهو بالنسبة إليها طري. هذا إذن أمر جلل. «لو أنني مكان هؤلاء القوم لكذبت، وأخذتنا جميعًا إلى الشمال، ورميتنا في حفنة أكواخ صفيح لا كومونية في أي داهية بين نبع ساخن حمضي وبحيرة حمم. هذا ليس بالجديد على الكومونات الاستوائية، لا سيما عندما يحتاجون إلى أيد عاملة. ما الذي يدعوننا إلى تصديق أن هذا مختلف؟».

يميل أكل الصخر الرمادي رأسه، وهي إيلاء بشرية جدًا، خاصة وهي تصاحبها ابتسامة صغيرة على شفثيه ونظرة تقول أوه، من هذه اللطيفة؟ يقول: «نحن لسنا مضطرين إلى الكذب». ثم يدع كلماته رقيقة النبرة تتلكأ في الهواء لمدة مناسبة تمامًا. إنه يعرف ما يفعله بالتأكيد. ترين الناس يتبادلون النظرات، وتسمعينهم يتململون بعدم ارتياح، وتشعرين بالصمت الثقيل بينما لا تجد إيكا ردًا حاسمًا على ذلك. لأنه محق.

ثم يرمي رميته الأخرى: «لكن ليس للأوروجينيين مكان بيننا». صمت. سكون صاعق. تكسره إيكا بقول: «يا نار أعماق الأرض!».

كاتر يشيح ببصره، وعينا لِرنا تجحظان بينما يستوعب تداعيات ما فعله
آكل الصخر فورًا.

تسألين في خضم هذا الصمت: «أين هوّا؟». ذلك الشيء الوحيد
الذي يسعك التفكير فيه.

تتحرك عينا آكل الصخر ناحيتك دون أن يلتفت ببقية وجهه.
تلك لغة جسد طبيعية بالنسبة إلى آكل صخر آخر، لكن بالنسبة إلى هذا
بالتحديد، فهذا فعل متكلف. يقول: «مات، بعد أن قادنا إلى هنا».

«أنت كاذب». أنت حتى لا تدركين أنك غاضبة. لا تفكرين فيما
أنت على وشك فعله. بل رد فعلك غريزي تمامًا، مثل دامايا في البوتقات،
مثل سيانيت على الشاطئ. كل شيء في داخلك يمتد ويتبلور، ويُصقل
وعيك حتى يصبح حادًا كحافة شفرة، وتنسجين الخيوط التي بالكاد
لاحظت وجودها، ومثلما حدث مع ذراع تونكي... تبترين يد آكل
الصخر.

تقع يده ومعها ذراع هوّا على الأرض. يشهق الناس. ترتطم ذراع
هوّا بسطح الكريستالة بصوت ارتطام مكتوم واضح -إنها أثقل مما
تبدو- وتصدر يد آكل الصخر صوتًا ثانيًا يتردد أعلى من سابقه، وينفصل
عن الذراع. مكان البتر في رسغه رمادي لا يختلف عن بقيته.

لا يصدر عن آكل الصخر أي رد فعل في البداية، ثم تسسبنين التحام
شيء ما، شيء مثل خطوط السحر الفضية لكن بكم كبير. ترتجف اليد،
ثم تقفز في الهواء، وتعود إلى الرسغ المبتور وكأنها تشدها خيوط خفية.
يترك ذراع هوّا مكانها. ثم يلتفت آكل الصخر، أخيرًا، ليواجهك.

تقولين بصوت يجلجل الأرض: «اذهب قبل أن أمزقك إلى قطع أكثر مما يسعك جمعها».

يبتسم أكل الصخر الرمادي. ابتسامته كاملة، بأعين يتجدد ركنها وشفتين تتراجعان لتكشفاً عن أسنان ماسية، و... أعجوبة الأعاجيب، أنها تبدو فعلاً كابتسامة وليست تهديداً. ثم يختفي في الأرض عبر سطح الكريستالة. ترين للحظة ظلاً رمادياً عبر جسم الكريستالة الشفاف، هيئته مبهمة ولم تعد بشرية، وإن كان ذلك ربما يعود إلى زاوية النظر. ثم، بأسرع مما يسع عينك أو سسبيتك مجاراته، يختفي في الأعماق.

وفي اللحظة المزلزلة التي تعقب ذهابه، تأخذ إيكاً نفساً عميقاً وتزفره. تقول: «طيب»، وتنظر حولها إلى قومها، إلى من تعتقد أنهم قومها، «يبدو أننا نحتاج إلى أن نتكلم». تتردد جلبة متوترة.

أنت لا ترغبين في سماع ذلك. تندفعين وتذهبين لالتقاط ذراع هوا؛ هذا الشيء ثقيل مثل جلمود، يجب عليك أن تركزي الحمل على عضلات ساقيك وإلا خاطرت بإصابة في أسفل الظهر. تستديرين، فيفسح لك الناس الطريق، وتسمعين لِرنا يقول: «إيسون؟»، لكنك لا تريد أن تسمعيه أيضاً.

هناك خيوط، ترينها، خطوط فضية لا يراها غيرك، ترفرف وتتلوى من طرف الذراع المبتورة، لكنها تتحرك وأنت تدورين، تشير نحو اتجاه بعينه لا يتغير مثل بوصلة. تتبعين هذا الاتجاه، ولا يتبعك أحد، ولا تكثرئين بما قد يعنيه هذا. ليس الآن.

تقودك الأهداب إلى شقتك.

تدخلين عبر الستائر ثم تتوقفين. تونكي ليست في البيت، هي إما عند هياركا وإما في الغرفة الخضراء. ثمة عضوان آخران على الأرض أمامك، طرفان مبتوران داميان تبرز منهما عظام ماسية. لا، إنها ليسا على الأرض، إنها في الأرض، شبه مغمورين في الأرضية، أحدهما مغمور حتى الفخذ، والآخر حتى ريلة الساق لا أكثر. لقد علقا، ربما خلال التسلق خروجًا من الأرض. وهناك على البساط المنزلي الذي قايضته مقابل إحدى معدات جيغا القديمة مساري دماء متماثلين، سميكان بما يكفي لإثارة القلق، يتجهان معًا إلى غرفتك، فتتبعينهما. ثم تتركين الذراع تسقط، ولحسن الحظ لا تقع على قدمك.

يزحف ما تبقى من هوانحو الحشية الأرضية التي تعتبرينها فراشك. ذراعه الأخرى أيضًا مفقودة، ولا تعلمين أين هي، وكذلك كتل من شعره. يتوقف عندما تدخلين، ربما سمعك أو سسبنك، ويظل ممددًا في مكانه بينما تدورين حوله، وترين أن فكه السفلي منزوع من مكانه، ولم تعد لديه عينان، وثمرمة... أثر عضة فوق صدغه مباشرة. لهذا إذن بعض شعره مفقود. لقد قضم شيء ما جمجمته مثل تفاحة، منتزعًا قطعة من لحمه والعظام الماسية تحتها. تمنعك الدماء من رؤية ما في داخل رأسه. وهذا جيد.

كان هذا ليفزعك لولا أنك فهمت على الفور. هناك بجوار فراشك الحزمة الصغيرة الملفوفة بالقماش، التي يحملها معه منذ تيريمو. تهرعين إليها، تفتحينها، تأخذينها إلى جسده الممزق، وتنحنين. «هل تستطيع أن تنقلب على ظهرك؟».

يستجيب بفعل ذلك. ترتبكين لوهلة من افتقاره إلى فك سفلي، ثم تفكرين أن اللعنة على ذلك، وتدسين إحدى قطع الحجارة الصغيرة من الحزمة في الحفرة المهترئة التي هي حلقة. تشعرين بلحمه دافئاً وبشرياً وأنت تدفعينها بأصابعك، حتى تستجيب عضلات البلع وتلقفها (عصارة معدتك تصعد، لكنك تتحكمين فيها بقوة إرادتك). تبدئين في إطعامه حجراً آخر، ثم بعد أنفاس قليلة يبدأ جسده كله يرتجف بعنف. لا تدركين أنك كنت تسسبنين السحر طوال الوقت حتى يبدأ جسد هواً فجأة يتوهج بخيوط فضية تتلوى وتتموج مثل الأطراف اللاسعة لوحوش المحيط في حكايات القوالين. مئات الخيوط. تتراجعين قلقاً، لكن هواً يصدر صوتاً حلقياً خشناً، فتظنين أنه يعني المزيد. تدسين حجراً آخر في حلقة، ثم آخر. لم يكن هناك الكثير من البداية، وعندما لا يبقى إلا ثلاثة، تترددين. «أتريدهم كلهم؟».

يتردد هواً أيضاً، ترين ذلك في لغة جسده. أنت لا تفهمين لماذا يحتاجهم من الأساس؛ فباستثناء سياط السحر المتلوية - إنه مصنوع منها بالكامل، كل جزء منه يحيا بتلك الخيوط، إنك لم تري مثل هذا من قبل قط - لا شيء في جسده المنتهك يتحسن. أيمن أن ينجو أحد من دمار بالغ إلى هذا الحد؟ إنه ليس بشرياً بما يكفي لتخمين الإجابة. لكنه في النهاية يصدر صوتاً آخر، أعمق من الصوت السابق. أهو صوت مستسلم؟ أم أن مخيلتك هي ما تضع أنماطاً بشرية على الأصوات الحيوانية الصادرة عن لحمه الحيواني؟ تدسين على أية حال قطع الحجارة الثلاث المتبقية فيه. للحظة، لا يحدث شيء. ثم...

تتورم الأهداب الفضية حوله وتتفخ بسرعة شديدة محمومة، حتى أنك تندفعين إلى الخلف. إنك تعلمين بعض الأشياء التي يفعلها السحر، والسمة التي تميز تلك الأشياء كلها أنها جامحة لا يمكن السيطرة عليها. تملأ الخيوط الغرفة وأنت... ترمشين. إنك لا تسسبنينها فقط، بل ترينها؛ أصبح هوّا يتوهج بنور فضي أبيض بالكامل، يزداد توهجًا بسرعة حتى لا تعودى قادرة على النظر إليه مباشرة. حتى الراكدون في وسعهم رؤية ذلك. تتجهين إلى غرفة المعيشة، عازمة على مراقبة ما يحدث عبر الباب لأن ذلك يبدو آمنًا. في اللحظة التي تفعلين فيها ذلك، ترتجف المادة المصنوعة منها الشقة كلها - فحوائطها وأرضيتها وكل مكان فيها كريستالي - وتصبح شفافة شبه خيالية مثلما تفعل المسلات. يطفو أثاث غرفة نومك ومتعلقاتك هناك وسط الضوء الأبيض المتذبذب. تشعرين بخبطة خلفك تجعلك تقفزين وتدورين، فتجدينها سيقان هوّا وقد خرجت من أرضية غرفة المعيشة وترحف على مساري الدماء إلى غرفتك، والذراع التي أوقعتها أيضًا تتحرك، تندفع نحو كتلة النور التي تحول إليها هوّا، وتتوهج بدورها، ثم تقفز لتنضم إلى جسده، مثلما عادت يد أكل الصخر الرمادي إلى رسغه.

يصعد شيء من الأرضية... لا. بل ترين الأرضية نفسها تصعد إلى أعلى، وكأنها صلصال لا كريستال، وتلف نفسها حول جسده. وينحسر النور أثناء ذلك، وتبدأ مادة الأرضية تتحول إلى شيء قاتم. عندما ترمشين حتى تعتادي أخيرًا على انطفاء النور، ترين شيئًا ضخمًا وغريبًا ومستحيلًا يحتل حيثما كان هوّا.

تعودين إلى غرفة النوم، بحذر، لأن حتى مع أن الأرضية والحوائط قد عادوا إلى الحالة الصلبة، ربما يكون هذا مؤقتًا. الأرضية التي كانت كريستالية ناعمة أمست الآن خشنة تحت قدميك. إلى جوار فراشك غير المرتب الذي صار الآن شبه مغمور في الأرضية، صار الشيء الجديد يحتل أغلب الغرفة. والغرفة ساخنة. تحتك قدمك للحظة بمخللة هروبك نصف الخاوية، التي لحسن الحظ لا تزال سليمة ولم تنغمر في الأرضية. تنحنين وتلتقطينها بسرعة؛ إنها عادات النجاة. الغرفة وحق نار الأرض ساخنة. ربما لم يشتعل الفراش لكن لعل هذا لأنه لا يلمس الشيء الضخم مباشرة. أنت قادرة على سسبنة هذا الشيء، أيًا كان. لا، بل أنت تعلمين ما هو: إنه من العقيق المرقط. كتلة مستطيلة ضخمة من العقيق المرقط الأخضر الرمادي، مثله مثل الطبقة الخارجية للجiodات.

أنت تعلمين ما الذي يحدث، أليس كذلك؟ أخبرتك عن تيريمو بعد التصدع، وما حدث في آخر الوادي، حيث حررت الهزة الناجمة جيودًا فانشق منفتحًا مثل بيضة. تعلمين أن الجيود لم يكن هناك طوال الوقت، إن هذا من قبيل السحر وليس الطبيعة. أو ربما قليل من هذا وذاك، فبالنسبة إلى آكلي الصخر، الفارق بين الاثنين ليس كبيرًا.

وفي الصباح، بعدما تقضين الليلة على مائدة غرفة المعيشة حيث كنت تنوين أن تظلي مستيقظة لتراقبي الكتلة التي يتصاعد منها البخار لكن النوم غلبك، يحدث هذا مجددًا. انشقاق الجيود يتردد عاليًا، متفجرًا وعنيفًا. يدفع الضغط الشديد قطرات البلازما من الداخل لتحرق أو

تذيب كل متعلقاتك في الغرفة، إلا مخلاة الهروب، لأنك أخذتها. كانت غريزتك محقة.

ترتجفين من استيقاظك المباغت. تنهضين ببطء وتقتربين من الغرفة. تجدنيها ساخنة جدًا حتى يتعذر عليك التنفس فيها، مثل فرن. عدا أن هبة الحرارة تدفع ستار مدخل الشقة فينتفح، وتذوي الحرارة تدريجيًا إلى درجة تظل غير مريحة لكنها غير خطيرة. بيد أنك لا تلاحظين ذلك إلا بالكاد، لأن من الجيود المنشق، ينهض بسلاسة شبه بشرية في البداية تتحول بسرعة إلى السكون المتقطع المألوف... ينهض أكل الصخر الذي كان في المسلة الحقيقية.

عاش من شافك!

يستند موقفنا أولاً وأخيرًا إلى رغبتنا في الحفاظ على السلامة الفيزيائية للسكون، سعيًا منا إلى النجاة على المدى البعيد. يعتمد الحفاظ على الأرض اعتمادًا تامًا على التوازن الزلزالي، وقوانين الطبيعة المجحفة لا تسمح إلا للأوروبيين بفعل ذلك. بالتالي أي ضربة لعبوديتهم هي ضربة للكوكب نفسه. عليه، قررنا، رغم تشابههم النسبي معنا نحن ذوي الأصول العريقة، ورغم أنهم يجب إدارتهم بيد حانية من أجل صالح الأحرار والرقيق على حد سواء، قررنا أن امتلاك أي درجة من الأوروبية يجب أن يُعد إلغاءً لشخص حامله، وأن من الحق والواجب أن يُعتبر هؤلاء جنسًا تابعًا أدنى.

الإقرار الثاني لمجلس القول اليومي من
(إعلان حقوق المبتلين بالأوروبيين)

ناسّون، ترفض

لا أذكر من طفولتي سوى الألوان. أخضر في كل مكان، أبيض متقزح، درجات عميقة وحيوية من الأحمر. لا تزال تلك الألوان بعينها تتلّكأ في ذاكرتي، في حين أن كل ما عداها وهن وبهت وشبه ضاع. وهذا ليس بلا سبب.

تجلس ناسّون في مكتبٍ بالمرتكز الأنتاركتيكي، وتفهم فجأة أمها أفضل من أي وقت مضى.

شافا وأومبر يجلسان على يمينها ويسارها، ويحمل ثلاثتهم أقداح الأمان التي قدمها إليهم أصحاب المرتكز. ظلت نيدا في القمر الجديد، لأن يجب أن يظل أحدهم هناك ليرعى الأطفال، ولأنها أكثر من يشقّ عليها منهم محاكاة سلوك البشر العاديين. يلتزم أومبر هدوءًا تامًا يمنع أي شخص من تخمين ما يدور في ذهنه، وشافا هو من يتولى الحديث كله. كانوا قد دُعُوا إلى هنا كي يقابلوا ثلاثة أشخاص يُطلق عليهم «المشرفون الكبار»، أيًا كان ما يعنيه هذا. يرتدي هؤلاء الكبار أزياء رسمية سوداء

بالكامل، معاطف ذات أزرار أنيقة وبناطيل مطوية... أها، لهذا إذن يقال عن الأوروبيين الإمبراطوريين ذوي المعاطف السوداء. تشع هيئاتهم القوة والرعب.

إحداهم أصولها أنتاركتيكية بوضوح، بشعر أحمر ينزع إلى الرمادي وبشرة شديدة البياض إلى حد يبرز خضار العروق تحتها. لديها شفاه جميلة وأسنان بارزة، ولا تستطيع ناسون منع نفسها من التحديق إلى هذا وذاك وهي تتحدث. اسمها سربنتاين^(١)، ما لا يليق بها على الإطلاق.

تقول سربنتاين: «نحن لا يصلنا كما هو واضح أي حصى جديدة»، ولسبب ما تنظر إلى ناسون وهي تتحدث وتفرد ذراعيها. ترتجف أصابعها قليلاً منذ بداية الاجتماع. «وتلك عقبة لم نتوقعها من قبل. ونجم عنها أننا صار لدينا مهاجع حصى غير مستخدمة في وقت تندر فيه الملاجئ الآمنة. لهذا عرضنا على الكومونات القريبة أن نأوي منهم الأطفال الذين خسروا ذويهم وهم في سن أصغر من أن تقبلهم الكومونة. أليس هذا منطقيًا؟ بل وأخذنا أيضًا بضع لاجئين. لهذا لم يكن لدينا خيار سوى فتح باب التفاوض التجاري مع السكان المحليين للحصول على المؤونة وما إلى ذلك، لا سيما أننا فقدنا الإمداد من يومينس...»، يضطرب تعبيرها، «هذا مفهوم، أليس كذلك...؟».

إنها تتذمر، تفعل ذلك بابتسامة مشرقة وسلوك لا تشوبه شائبة، وبرفقة شخصين آخرين يهزان رأسيهما بحكمة معها، لكنها تتذمر.

(١) يعني الاسم «أفعواني» أو يشبه الأفعى، ويستخدم أحيانًا لوصف الشيء الملتوي أو المتعرج. [المترجم]

ناسون ليست متأكدة لماذا تشعر بالانزعاج من هؤلاء الناس إلى هذه الدرجة، لعل هذا له علاقة بتذمرهم، وبزيفهم؛ من الواضح أنهم غير مرتاحين لمجيء الوصاة، وخائفون وغاضبون، لكنهم مع ذلك يتظاهرون بالكياسة. يجعلها ذلك تفكر في أمها، التي كانت تتظاهر باللطف والمحبة في وجود أبيها أو أي شخص، بينما هي باردة وعنيفة سرًا. التفكير في أن المرتكز الأنتاركتيكي مكان يأوي تنوعات عديدة من أمثال أمها، يجعل أسنانها وراحة يديها وسسبييتها يحكونها.

وترى أيضًا من الثبات الجليدي على وجه أومبر، واللطف المحفوف بالجفاف في ابتسامة شافا، أن الوصيين لا يعجبهما ذلك أيضًا. يقول شافا: «مفهوم بالطبع»، يلتفت بكوب الأمان في يده، لقد ظل السائل السحابي في قدحه أبيض كما ينبغي أن يكون، لكنه لم يأخذ ولا رشفة، «لا شك أن الكومونات المحلية ممتنة لإيوائكم وإطعامكم سكانهم الفائضين، وطبيعي أنكم تنتفعون منهم أيضًا، في حماية أسواركم ورعاية حقولكم...»، يتوقف، تتسع ابتسامته أكثر، «أعني حدائقكم».

تردّ سربنتين ابتسامته، ويتململ رفيقاها بعدم ارتياح. هذا شيء لا تستطيع ناسون فهمه؛ إن الموسم لم يشتد بعد في إقليم أنتاركتيكا، لذا من الحكمة أن تزرع أية كومونة أراضيها الخضراء وتضع أشدائها على أسوارها وتجهز لأسوأ الظروف. لكن بشكل ما من غير المقبول أن مرتكز الأنتاركتيكا فعل هذا، ومن غير المقبول أنه قائم في الأساس. تتوقف ناسون عن شرب الأمان الذي أعطوها إياه، حتى مع أنها لم تتناول الأمان في حياتها من قبل سوى مرتين، وهي تُحب أن تُعامل

معاملة الكبار. لكنها عدت عدم شرب شافا تحذيرًا أن الأمان ليس في الواقع آمنًا.

ثاني كبار المرتكز امرأة جنوب أوسطية يسهل اعتبارها من أقارب ناسون؛ طويلة، بشرتها بنية متوسطة، ذات شعر مجعد كثيف، ووسط سميك وخاصة عريضة وفخذين ثقيلتين. نسيت ناسون اسمها مع أنهم قدموها عند البدء، لكن أوروچينيتها هي الأقوى بين الثلاثة، مع أنها الأصغر. في يدها ستة خواتم. وهي من بين ثلاثتهم من تتوقف عن الابتسام وتطوي ذراعيها وترفع ذقنها قليلًا. وهذا السلوك أيضًا يذكرها بأمها، قشرة رقيقة من الوقار يغطي جوهراً من التكبر الماسي. والتكبر هو ما يبدو على المرأة الآن وهي تقول: «أرى أنكما غير سعداء أيها الوصاة».

سربنتاين تجفل. والأوروچيني الثالث، وهو رجل قدم نفسه باسم لامبروففاير، يتنهد. يميل رأسا شافا وأومبر في شبه تناغم، وتتسع ابتسامته شافا باهتمام. يقول: «لسنا غير سعداء». تستطيع ناسون أن تميز سعادته بانتهاء المجاملات، «وإنما متفاجئ قليلًا. فالإجراءات المتبعة عادة هي إغلاق كل المؤسسات المرتكزية حال إعلان موسم».

تسأل ذات الخواتم الستة: «ومن أعلن الموسم؟ حتى مجيئكما لم يظهر أي وصي ليعلن أي شيء من أي نوع. وقيادات الكومونات المحلية اختلفوا، البعض أعلن الأحكام الموسمية، والبعض أعلن الإغلاق فقط، والبعض يتابع الحياة العادية».

«وإن أعلنوا جميعًا الأحكام الموسمية»، يقولها شافا بصوته شديد الخفوت الذي يستخدمه عندما يعرف الإجابة على السؤال مسبقًا

ويريدك فقط أن تقوله بنفسك: «هل كنتم لتقتلون أنفسكم حقاً؟ بما إن كما تلاحظون لا يوجد أي وصاة هنا ليقوموا بالأمر بأنفسهم».

يقتلون أنفسهم؟ تمسك ناسون نفسها قبل أن ترتجف من المفاجأة. لكنها ليست ماهرة بما يكفي للتحكم في أوروچينيته لمنعها من الارتجاف حينها لا تفعل هي. ينظر إليها أوروچينيو المرتكز الثلاثة، وتبتسم سربتائين ابتسامة رفيعة. تقول وهي تنظر إلى ناسون لكنها تتحدث إلى شافا: «حذارٍ أيها الوصي، يبدو أن حيوانتك الأليفة غير مرتاحة لفكرة الإبادة الجماعية بلا سبب».

يقول شافا: «أنا لا أخفي عنها شيئاً»، فتزرد ناسون مفاجأتها بالحب والفخر. ينظر شافا إليها: «لطالما كان المرتكز على مر التاريخ يعيش على حساب معاناة جيرانه، مثلما في اعتماده على أسوار ومصادر الكومونات القريبة. وفي الموسم، مثلهم مثل كل من ليس له فائدة عملية، يُتَوَقَّع من الأوروچينيين الإمبراطوريين أن يزيحوا أنفسهم من المنافسة على المصادر، كي تُتاح للناس الطبيعيين الأصحاء فرص أفضل للنجاة، يتوقف، ثم يتابع، «ولما كان من غير المسموح للأوروچينيين بالتواجد خارج إشراف الوصاة أو المرتكز...»، يفرد ذراعيه.

يقول ثالث الكبار، الذي نسيت ناسون اسمه: «نحن المرتكز أيها الوصي». إنه ساحل غربي، نحيل ومنتصب الشعر وعظام وجنتيه مرتفعان على نحو يجعل وجهه شبه مقعر. أبيض البشرة أيضاً، لكن عينيه قاتمتان وباردتان. لأوروچينيته شعور خفيف ومتعدد الطبقات، مثل معدن الميكا. «ونحن مكتفون ذاتياً. وبالإضافة إلى كوننا أبعد ما نكون عن

استهلاك الموارد، نحن نقدم الخدمات لصالح المجتمعات القريبة. بل إننا عملنا -من دون طلب أو مقابل- على تخفيف الهزات التابعة الناجمة عن التصدع، في المناسبات التي بلغتنا فيها في هذا الجنوب البعيد. نحن سبب أن أكثر كومونات الأنتاركتيكا لم تعانِ أضرارًا بالغة منذ بدأ هذا الموسم».

يقول أومبر: «شيء جدير بالإعجاب، من الذكاء أن تجعلوا لأنفسكم قيمة بالغة. وهو شيء أعتقد أن وصاتكم ما كانوا ليسمحوا به».

يتجمد الأوروبيون الثلاثة للحظة، ثم تقول سربنتاين: «إننا في الأنتاركتيكا أيها الوصي»، تبسم، وإن كانت ابتسامة لا تبلغ عينيها، «إننا لا شيء مقارنة بحجم مرتكز يومينس، لا نزيد على خمسة وعشرين أوروبيًا ذوي خواتم، وحفنة من الحصى أغلبهم ناضجون. لم يحدث قط أن أقام عندنا الكثير من الوصاة بصفة دائمة. أكثر من يزوروننا هم وصاة جوالون، أو يحملون لنا حصى جديدة. ولم يأتِ أحد قط منذ التصدع».

«لم يحدث قط أن أقام عندكم الكثير»، يوافقها شافا، «لكن على ما أذكر كان هناك ثلاثة، عرفت منهم واحدًا»، يتوقف، وللحظة عابرة يبدو شاردًا ومرتبكًا، «أذكر أنني عرفت واحدًا»، يرمش، وابتسامة مجدداً، «ومع ذلك ليس هنا منهم أحد».

سربنتاين تتوتر. يتوتر الكبار الثلاثة على نحو يجعل الحكمة في مؤخرة ذهن ناسون تزداد. تقول سربنتاين: «لقد تعرضنا لثلاث غارات أغيار قبل أن نبني جدارًا في النهاية، ولقد مات ثلاثتهم ببسالة دفاعًا عنا».

هذا كذب مفضوح حتى أن ناسون تحدى إليها بفم مفتوح.

يقول شافا وهو ينزل قذح أمانه بتنهيذة صغيرة: «طيب، أظن أن الأمر مضى كما هو متوقع».

وقبل أن تخمن ناسون ما الذي سيحدث الآن، ومع أنها رأت شافا يتحرك من قبل بتلك السرعة غير البشرية، ومع أن الفضة في داخله وفي داخل أومبر اشتعلت مثل أعواد كبريت وتوهجت عبرهما في اللحظة التي سبقت ما يحدث، تؤخذ على حين غرة عندما يندفع شافا إلى الأمام ويخترق بقبضته وجه سربنتين. تموت قدرة سربنتين الأوروبية بموت صاحبته. لكن الأوروبيين الآخرين يتحركان في اللحظة التالية. يقع لامبروفير بمقعده إلى الراء كي يتفادى حركة أومبر المباغته نحوه، وتخرج الأوروبية سداسية الخواتم أنبوب نفخ من كمها. تتسع عينا شافا، لكن يده لا تزال محشورة في سربنتين. يحاول أن يهجم عليها، لكن الجثة تثقل ذراعه. ترفع المرأة الأنبوب إلى فمها.

لكنها قبل أن تتمكن من النفخ، كانت ناسون قد نهضت وبدأت تغزل نطاق قدرة لتثليج المرأة. تنتفض المرأة متفاجئة، وتستجيب بفعل شيء ما يحطم نطاق قدرة ناسون قبل أن يكتمل، وهو نفس الشيء الذي كانت أمها تفعله خلال التدريبات إن فعلت ناسون شيئاً خاطئاً. صدمة هذا الإدراك دفعت ناسون إلى الترنح والتراجع إلى الخلف.

إذن هكذا تعلمت أمها تلك الخدعة، في المرتكز، هكذا يدرّب المرتكزيون صغار الأوروبيين. كل شيء تعلمته ناسون من أمها ملوث بهذا المكان...

لكن هذا الإلهاء العابر كافٍ. يتمكن شافا من تحرير يده من الجثة ويقطع الغرفة كلها في لمح البصر، ويقبض على أنبوب النفخ وينتزعها من المرأة، ويطعننها في حلقها قبل أن تتعافى. تقع المرأة على ركبتيها، تحتنق، وتتوجه غريزيًا نحو الأرض. لكن عندها يحتاج شيء ما الغرفة، وتشهق ناسون ولا يعود في وسعها فجأة سسبنة شيء. تشهق المرأة أيضًا، ويثن حلقها وهي تتشبث برقبته. يقبض شافا على رأسها ويهشم رقبتها بحرركة مباغته.

لامبروفير يتعثر بينما يطارده أومبر، ويبحث بين ملابسه عن جسم ثقيل صغير مُحبًا. يصيح: «يا شر الأرض»، ويشدّ أزرار معطفه، «إنكما ملوثان».

غير أنه لا يزيد عن هذا، لأن أومبر يتحرك بسرعة خارقة فتجفل ناسون عندما يتناثر شيء على رقبته. دهس أومبر رأس الرجل.

يقول شافا وهو يطلق سراح جثة المرأة ذات الخواتم الستة ويحدق إليها: «ناسون، اذهبي إلى الخارج وانتظرينا هناك».

تقول ناسون: «حاضر يا شافا». تزدرد لعابها، وترتجف. لكنها تجعل نفسها تلتفت وتغادر الغرفة رغم ذلك. في النهاية، هناك حوالي اثنين وعشرين أوروبيني ذوي خواتم في مكان ما هنا بحسب سربنتين. إن المرتكز الأنتاركتيكي ليس أكبر بكثير من مدينة جيكتي. تغادر ناسون المبنى ذا الطابقين الذي يقوم بدور المبنى الإداري. هناك أيضًا مجموعة من البيوت الصغيرة التي يبدو أنها تأوي الأوروبينيين الأكبر سنًا، وعدة ثكنات طويلة بالقرب من صوبة زجاجية الحوائط. يتحرك

العديد من الناس في المكان، يتحركون من وإلى وبين الثكنات والبيوت. يرتدي قليل منهم فقط الأسود، لكن حتى ذوو الملابس المدنية لهم إحساس الأوروبيين. خلف الصوبة ثمة سهل منحدر تعجّ برقع الحقائق الصغيرة، وإن كانت أكثر من أن تُعد حقائق. إن هذه لمزرعة؛ أغلب الرقع مزروعة بكثافة بالحبوب والخضراوات، وثمة عدد من الناس يعملون فيها، لما كان طقس اليوم لطيفاً ولا أحد يعلم أن الوصاة مشغولون بقتل الجميع في المبنى الإداري.

تمشي ناسون على طريق معبد بالحصى فوق السهل، رأسها موجه إلى أسفل كي تركز في عدم التعثر، بما إنها لم تعد قادرة على السسبنة منذ فعل شافا ما فعل مع المرأة ذات الخواتم الستة. لطالما علمت أن في وسع الوصاة إطفاء الأوروبينية، لكنها لم تجرب هذا من قبل. يصعب عليها المشي وهي لا تستوعب الأرض إلا من خلال قدميها وعينيها، ويصعب أيضاً وهي ترتجف بتلك الدرجة. يحذر شديد تضع قدمًا أمام الأخرى، وفجأة تجد أمامها قدمي شخص آخر فتتجمد بالكامل من المفاجأة والصدمة.

تقول الفتاة: «انظري أمامك وأنت ماشية». إنها فتاة نحيلة بيضاء، لكنها ذات قبة من الشعر الرماد براكيني، ولعلها من نفس عمر ناسون. غير أنها تتوقف لما ترى ناسون جيداً. «انتظري قليلاً، ثمة شيء على وجهك، ربما حشرة ميتة أو ما إلى ذلك. يعب!». تتجه إليها وتنفضها بأحد أصابعها.

تنفض ناسون متفاجئة قليلاً، ثم يغلبها تهذيبها. «شكراً، و... أعذر عن اعتراضي طريقك».

ترمش الفتاة: «لا بأس. سمعتهم يقولون إن الوصاة جاءتوا بحصاة جديدة. هل هي أنت؟».

ترمقها ناسون بحيرة. «ح... حصة؟».

ترفع الفتاة الأخرى حاجبيها. «نعم.. تلميذة؟ أوروبية إمبراطورية تحت التدريب؟». إنها تحمل دلوًا مليئًا بمعدات الزراعة، ما لا يلائم المحادثة على الإطلاق. «إن الوصاة كانوا يجلبون الأطفال قبل بدء الموسم. هكذا جئت أنا إلى هنا».

وفعليًا، هكذا جاءت ناسون أيضًا. تردد: «جلبني الوصاة». تشعر بالخواء.

«وأنا أيضًا»، ثم تعبس الفتاة وتشيح بنظرها، «هل كسروا يدك بعد؟». يتوقف النفس في صدر ناسون.

وأمام صمتها يتحول تعبير الفتاة إلى المرارة. «إنهم يفعلون هذا بكل الحصى في لحظة ما، يكسرون عظام اليد أو الأصابع»، تهزّ رأسها، ثم تأخذ نفسًا سريعًا، «إننا لا يفترض بنا أن نتحدث عن ذلك. لكن مهما قالوا، فيجب أن تعلمي أنك لست السبب، هذا ليس خطأك»، نفس سريع آخر، «سأراك قريبًا. أنا أجاهي، لم أنل اسمًا أوروبيًا بعد. ما اسمك؟».

لا تستطيع ناسون أن تفكر. صوت قبضة شافا تهشم العظام يتردد في رأسها. «ناسون».

«تسعدني مقابلتك يا ناسون». تومئ أجاهي بأدب، ثم تتابع طريقها عبر الخطوات المنحدرة، تدندن وتطوح دلوها. تتابعها ناسون بعينها، وتحاول أن تفهم.

إن هذا المكان... هذا المرتكز... هو سبب كسر أمها ليدها.

تختلج يد ناسون من ألم شبحي. ترى أمها مرة أخرى وهي تحمل الحجر في يدها، ترفعه، تظل ثابتة للحظة، ثم تنزل به.

هل أنت متأكدة أنك قادرة على التحكم في نفسك؟

المرتكز هو السبب في أن أمها لم تحبها قط.

وهو سبب أن أباهما لم يعد يحبها.

وهو سبب موت أخيها.

تراقب ناسون أچاي وهي تلوح لفتى نحيل أكبر سنًا مشغول بعزق الأرض. هذا المكان هو السبب. وهؤلاء الناس، الذين ليس لهم الحق في الوجود.

إن الياقوتية الزرقاء ليست بعيدة، تخلق فوق جيكتي، حيث تركتها من أسبوعين عندما غادرت مع شافا وأومبر يريدون مرتكز الأنتاركتيكا. تستطيع أن تسببها من بعيد، مع أنها أبعد من أن تراها. تشعر بها تتذبذب وهي تتوجه إليها، وللحظة تتعجب من أنها تعلم ذلك بشكل ما. تلتفت غريزيًا كي تواجهها، كي تصبح على امتدادها. إنها لا تحتاج إلى عينها كي تستخدمها، ولا إلى أوروچينيته.

(هكذا هي طبيعة الأوروچينيين، هذا ما كان ليقوله لها شافا القديم

لو ما زال موجودًا. إن ناسّون تستجيب فطريًا لكل التهديدات بنفس الطريقة: مقابلتها بأعتى قوة تدميرية ممكنة. كان ليقول لها هذا قبل أن يكسرها ليؤكد على تعلمها درس التحكم).

إن هذا المكان يزخر بخيوط الفضة. كل الأوروجينيين متصلون من خلال التدريب المشترك والخبرات الجماعية.

هل كسروا يدك بعد؟

ينتهي الأمر في غضون ثلاثة أنفاس. تترك ناسّون نفسها تقع خارج النور المائي الأزرق، وتعود إلى وعيها فتجد نفسها ترتجف. بعد برهة، تلتفت ناسّون وتجد شافا يقف أمامها، مع أومبر.

تقول: «أنت قلت إنهم لم يكن ينبغي أن يكونوا هنا».

شافا لا يبتسم، ويظل ساكنًا على نحو تعرفه ناسّون جيدًا. «أفعلت هذا إذن كي تساعدیننا؟».

لا تتمكن ناسّون من التفكير بما يكفي لتكذب. تهزّ رأسها. تقول: «إن هذا المكان وجوده خطأ. المرتكز خطأ».

«فعلًا؟»، إن هذا اختبار، وناسّون لا تعلم كيف تجتازه. «لماذا تقولین هذا؟».

«كانت ماما على خطأ، بسبب تعليم المرتكز لها. كان يمكن أن تكون ... ح... حليفة لك»، مثلي، تفكر، وتذكر، «لكن هذا المكان حوَّ لها إلى شيء مختلف»، لا تستطيع صياغة ما تريد، «هذا المكان جعلها خطأ».

ينظر شافا إلى أومبر. يميل أومبر رأسه، وللحظة تومض الفضة، ومضة عابرة بينهما. إن الأشياء الكامنة في سسبينتيهم تتناغم تناغمًا

غريبًا. لكن شافا يتجههم، وتراه يتراجع من تزامن الفضة. هذا يؤلمه، لكنه يفعله على أية حال، ويستدير كي ينظر إليها بأعين مشرقة وفك مشدود ونقط عرق طازجة على جبهته.

يقول أخيرًا: «أظنك محقة يا صغيرة. هذا منطقي؛ لو أنك وضعت الناس في قفص، سيسخرون أنفسهم للهروب منه، وليس للتعاون مع سجانهم. أعتقد أن ما حدث هنا كان حتميًا»، ينظر إلى أومبر، «مع ذلك لا بد من أن وصاتهم كانوا متهاونين جدًّا، وإلا ما سمحوا لعصابة أوروچينين بالتغلب عليهم. أعتقد أن تلك التي كان معها أنبوب نفخ هي الدافع وراء كل ذلك. إنها برية المنشأ على الأرجح، وتعلمت أشياء قبل أن تأتي هنا ما كان ينبغي أن تعرفها».

يقول أومبر: «وصاة متهاونون»، وينظر إلى شافا، «صحيح».

يبتسم له شافا، وتقطب ناسون في حيرة. يقول شافا: «لقد قضينا على الخطر».

يوافقه أومبر: «أكثره».

يوافقه شافا بإمالة رأسه قليلًا ورسم تعبير مبهم على محياه، قبل أن يلتفت إلى ناسون قائلاً: «لقد كنت محقة بفعلك ما فعلته يا صغيرة. شكرًا لك على مساعدتنا».

لا يرفع أومبر عينيه عن شافا. بالتحديد عن مؤخرة عنق شافا. يلتفت شافا فجأة ويحدق إليه، وقد ذهبت ابتسامته وسكن جسده سكونًا مميًا. بعد لحظة يشيح أومبر ببصره. عندها تفهم ناسون، لقد خدت الفضة داخل أومبر، أو للدقة خفتت إلى أدنى حد ممكن في

الوصاة، لكن الخيوط المتوهجة داخل شافا لا تزال حية ونشيطة وتمزقه.
لكنه يحاربهم، وجاهز لمواجهة أومبر أيضًا لو تطلب الأمر.
أهذا من أجلها؟ ناسون تتعجب، تبتهج. من أجلها.

ثم يقرفص شافا ويحيط وجهها بكفيه. يسألها: «هل أنت بخير؟».
تقفز عيناه نحو السماء شرقًا، نحو الياقوتية الزرقاء.

تقول ناسون: «نعم»، لأنها بخير فعلاً. الاتصال بالمسلة كان أيسر
هذه المرة، يرجع هذا إلى أنه لم يكن مفاجئًا، وإلى أنها بدأت تعتاد على
الظهور المبالغت للغرائبية في حياتها. تكمن الخدعة في أن تدع نفسها تقع
في المسلة، وتقع معها بنفس السرعة، والتفكير فيها وكأنها عمود كبير
من النور.

يقول: «مذهل»، ثم ينهض واقفًا، «هيا بنا».

هكذا يغادرون المرتكز الأنتاركتيكي، تاركين المحاصيل تخضر في
حقوله، والجثث تبرد في مبناه الرئيسي، ومجموعة متنوعة من التماثيل
البشرية اللامعة متعددة الألوان، متناثرة في حدائقه وثكناته وفوق
أسواره.

لكن في الأيام التالية، وبينما يقطعون الطرقات وممرات الغابات
بين المرتكز وجيكتي، وينامون الليلي في حظائر الأغراب أو حول نيران
أقاموها بأنفسهم... ناسون تفكر.

إنها، في النهاية، لا تملك غير التفكير. أومبر وشافا يتحدثان معًا،
ثمة توتر جديد بينهما. تفهم من هذا أنها حري بها ألا تتواجد مع أومبر

وحدها أبدًا، ما يسهل عليها لأن شافا يراعي ألا يدعها أبدًا. هذا ليس ضروريًا تمامًا؛ تعتقد ناسون أن في وسعها أن تفعل في أومبر ما فعلته في إيتز وفي المرتكز الأنتاركتيكي. إن استخدام المسلات ليس سسبنة، والفضة ليست أوروچينية، وبهذا حتى الوصاة ليسوا آمنين مما هي قادرة على فعله. لكنها تحب أن شافا يذهب معها حتى للاستحمام، ويعرض عن النوم - يبدو أن هذا من قدرات الوصاة أيضًا - كي يحرسها خلال الليل. من الممتع أن يكون لديها شخص، أي شخص، يحميها مرة أخرى. لكنها، تفكر.

يؤرقها أن شافا دمر نفسه في أعين رفاقه الوصاة باختياره ألا يقتلها. يؤرقها أكثر أنه يعاني، يجزّ على أسنانه ويتظاهر بأن تلك ابتسامة أخرى، حتى وهي ترى الفضة تتلوى وتشتعل في داخله. لا تتوقف الفضة عن ذلك، وهو لا يتركها تخفف ألمه لأن هذا يجعلها بطيئة ومنهكة في اليوم التالي. تراقبه يتألم وتكره هذا الشيء الصغير في رأسه الذي يؤلمه كل هذا الألم. إنه ما يعطيه قوته، لكن ما فائدة القوة إن جاءت بطوق مسنن؟

«لماذا؟»، تسأله ذات ليلة بينما هم يخيّمون فوق شريحة عالية بيضاء من شيء لا هو بالمعدن ولا بالصخر، وهو كل ما تبقى في موقع أطلال حضارة ميتة. إن هناك علامات على وجود قطاع طرق أو أغيار في هذه المنطقة، وقد حذرتهم الكومونة الصغيرة التي قضوا فيها ليلتهم السابقة منهم. لذا يمنحهم ارتفاع الشريحة على الأقل أفضلية في رؤية أي هجوم محتمل مبكرًا إلى حد بعيد. ذهب أومبر لنصب أفخاخ من أجل الإفطار. استغل شافا فرصة غيابه للتمدد على فراشه القابل للطي بينما

تتولى ناسّون المراقبة. لا تود ناسّون أن تحرّمه من الراحة، لكنها تحتاج أن تعرف. «لماذا يوجد هذا الشيء في رأسك؟».

يقول: «لقد وُضع فيها وأنا صغير جدًّا». صوته منهك. إن محاربة الفضة لأيام متواصلة من دون نوم لم تكن بلا ثمن. «بالنسبة إليّ لم يكن هناك مكان للسؤال قط، بل هكذا كانت الأمور دومًا ببساطة».

«لكن...»، لا تريد ناسّون أن تكون مزعجة وتكرر السؤال بلماذا مرة أخرى. «هل كان هذا حتميًا؟ ما الهدف منه؟».

يبتسم، وإن كانت عيناه مغلقتين. «نحن مصنوعون كي نحمي العالم من شرور بني جلدتك».

«أعلم هذا، لكن...»، تهزّ رأسها، «من صنعك؟».

«أنا؟ بالتحديد؟»، يفتح شافا عينيه، يعبس قليلًا، «لا... لا أذكر، لكن عمومًا، يصنع الوصاة الوصاة الآخرين. إننا نعثر بعضنا على بعض، أو نُستولّد، أو نُرسل لوارانت من أجل التدريب و... التعديل».

«ومن الذي صنع الوصي الذي قبلك؟ والذي قبله؟ من أول من فعلها؟».

يظل صامتًا لبعض الوقت، يحاول التفكير. تخمن هذا من تعبيره. إن ناسّون تتقبل هذا الشيء/الخطأ في شافا، الشيء الذي يكحت ذكرياته، والذي يصبّ ضغطًا هائلًا كضغط خطوط الصدوع على أفكاره. هكذا هو شافا. لكنها في حاجة إلى معرفة لماذا هكذا هو شافا... والأهم، في حاجة إلى معرفة كيف تجعله أفضل.

يقول أخيرًا: «لا أعلم»، وتعرف أنه ما عاد مستعدًّا للحديث من

الطريقة التي يزفر بها ويغلق عينيه مجددًا. «في النهاية يا صغيرة أسئلة
«لماذا» لا تهم. لماذا أنت أوروبية؟ أحيانًا علينا تقبل نصيبنا من الحياة».
في النهاية تقرر ناسون أن تحرس، وبعد لحظات يستسلم جسد
شافا للنوم لأول مرة منذ أيام. تتابع المراقبة باجتهاد، وتمدّ وعيها
المسترد حديثًا في الأرض كي تلتقط ديب الحيوانات الصغيرة وغيرها
من الأشياء المتحركة في محيطها القريب. تستطيع أيضًا سسبنة أومبر،
الذي لا يزال يتحرك بطريقة ممنهجة على حافة نطاقها وينصب فخاخه.
وبسبب أومبر تنسج شبكة من الخيوط الفضية في وعيها. يستطيع أومبر
تفادي السسبنة، أما هذه فلا. وفي وسع تلك الشبكة أيضًا كشف الأغيار
حال تمكن أحدهم من التسلل إلى مسافة كافية لرمي سهم أو حربون.
إنها لن تسمح أن يؤذى شافا كما أؤذى أبوها من قبل.

باستثناء حيوان ما ثقل ودافئ يخب على أربع ليس بعيدًا عن أومبر،
ربما يصطاد أيضًا، ليس ثمة داعٍ وشيك للقلق. لا شيء...

...إلا. شيء شديد الغرابة. شيء... هائل؟ لا، بل إن حدوده ضيقة،
ليس أكبر من تلك الحجارة متوسطة الحجم، أو من شخص. لكنه تحت
الشريحة التي يخيمون عليها مباشرة. فعليًا تحت قدميها، ليس أبعد من
عشرة أقدام تحتها.

وكانها هذا الشيء لاحظ انتباهها، يتحرك. فتحسّ وكأن العالم كله
يتحرك. تشهق ناسون لا إراديًا وتميل مبتعدة، مع أن لا شيء حولها يتغير
إلا الجاذبية، وحتى هذه تتغير قليلًا. لكن الشيء الهائل ينسحب فجأة،
وكانها شعر بتمعنها فيه. عدا أنه لا يبتعد تمامًا، وبعد لحظات يتحرك

من جديد، إلى أعلى. ترمش ناسون وتفتح عينيها، فترى تمثالاً يقف على حافة الشريحة لم يكن موجوداً من قبل.

ناسون لا تتحير، فهي في النهاية كانت ذات يوم تود أن تصبح قوالة، وقضت الساعات مصغية لحكايات آكلي الصخور والألغاز المحيطة بوجودهم. بيد أن هذا لا يبدو مثلما حسبت شكل آكلي الصخر، فهم في حكايات القوالين لحمهم رخام وشعرهم جواهر، أما هذا فرمادي تماماً، حتى بياض عينيهِ رمادي. صدره عارٍ وعضلاته مفتولة، وبيتسم فتراجع شفاته وتكشف عن أسنان نقية ومصقولة بعناية.

يقول عبر صدره: «أنت من حول من في المرتكز إلى صخر قبل عدة أيام».

تزدرد ناسون لعابها وتنظر إلى شافا. إنه ثقيل النوم، وصوت أكل الصخر غير مرتفع. شافا سيسيتيقظ غالباً لو صرخت، لكن ما الذي يستطيع وصي أن يفعله أمام مثل هذه الكائن؟ بل هي حتى غير متأكدة ما الذي يمكنها أن تفعله معه بالفضة؛ إن أكل الصخر هذا مستنقع متوهج منها، خيوط الفضة داخله ملتفة ومتشابكة مثل دوامات.

غير أن ثمة شيئاً واحداً واضحاً في حكايات القول عن آكلي الصخر: إنهم لا يهاجمون من دون استفزاز. لذا: «نعم... نعم»، تحافظ على صوتها خافتاً، «هل هذه مشكلة؟».

«لا، على الإطلاق، أردت فقط أن أعبر عن إعجابي بعملك». فمه لا يتحرك. لماذا يبتسم كل هذا الابتسام؟ تزداد ناسون يقيناً بمرور كل لحظة أن تعبيره أكثر من مجرد ابتسامات. «ما اسمك يا صغيرة؟».

تقشعر من يا صغيرة. «لماذا؟».

يخطو آكل الصخر إلى الأمام، يتحرك ببطء. يصدر عن حركته صوت كجعجعة الرحي، ويبدو غريبًا غرابة تمثال يتحرك. تجفل ناسون تقززًا، فيتوقف. «لماذا حولتهم إلى صخر؟».

«كانوا خطأ».

يخطو آكل الصخر إلى الأمام مرة أخرى، فوق الشريحة. ناسون شبه تتوقع أن تنشرح الشريحة تحت وزن هذا الكائن الهائل، أو حتى تنثني. إنه جبل مضغوط في حجم وهيئة إنسان. غير أن الشريحة المصنوعة من مادة ترجع إلى حضارة ميتة لا تنشق ولا تنثني بينما يقترب الكائن منها إلى حد يسمح لها برؤية تفاصيل شعر رأسه شعرة شعرة.

يقول بصوته الغريب ذي الصدى: «أنت من كان على خطأ. إن أهل المرتكز والوصاة ليسوا الملامين على ما يفعلونه. ألم ترغب في معرفة لماذا وصيك مضطر إلى كل هذه المعاناة؟ الإجابة: أنه ليس مضطرًا إلى ذلك».

ناسون تتييس. لكن قبل أن تطالب بمعرفة المزيد، تدور رأس آكل الصخر نحو شافا. يقوم بتعديل طفيف شديد الدقة إلى حد لا تراه ناسون ولا تسسبنه، ويلمع... شيء ما، وفجأة، خفقان الفضة الحي المضطرم داخل شافا يسكن. لا يبقى فيه شيء نشيط إلا تلك البقعة المظلمة الشبيهة بالإبرة، وتسسبن ناسون فورًا محاولتها الضخمة لإعادة فرض السيطرة. ولكن شافا يزفر برفق ويسترخي أكثر في نومه، والألم الذي كان يعذبه لأيام قد اختفى، على الأقل إلى الوقت الراهن.

ناسّون تشهق... بخفوت. ما دام شافا قد حظى بفرصة راحة أخيراً،
لن تفسدها عليه. بدلاً من ذلك تقول لآكل الصخر: «كيف فعلت هذا؟».
«أستطيع أن أعلمك. أستطيع أن أعلمك كيف تواجهين معذبه،
وسيده أيضاً لو رغبت».

تزدرد ناسّون لعابها بعسر. «نعم، أرغب»، لكنها ليست غبية.
«مقابل ماذا؟».

«لا شيء. لو قاتلت سيده فأنت تقتلين عدوي أيضاً. هذا يجعلنا...
حلفاء».

تعلم الآن أن آكل الصخر كان يتلكأ حولها ويتنصت عليها، لكنها
لم تعد تهتم بذلك. فقط كي تنقذ شافا... تلحق شفيتها فتجد لها مذاقاً
كبريتياً باهتاً. لقد كانت الغيوم الرمادية تزداد كثافة على مدى الأسابيع
المنقضية. تقول: «حسناً».

«ما اسمك؟»، لو كان ينصت فهو يعلم اسمها. لكن هذه إيحاءة
نحو التحالف.

«ناسّون، وأنت؟».

«ليس لدي اسم، أو أسمائي كثيرة. سمني كما تحبين».

يحتاج إلى اسم. لا تعمل التحالفات بغير أسماء. «ف... فولاذي؟».
هذا أول شيء يخطر لعقلها، لأنه رمادي جداً.

الإحساس بأنه لا يابئ يستمر. يقول فولاذي: «سوف آتيك لاحقاً،
عندما يتسنى لنا الحديث بلا مقاطعة».

في اللحظة التالية يختفي، ويختفي الجبل من خريطة وعيها في ثوانٍ. وبعد لحظة، يظهر أومبر من الغابة المحيطة بشريحة الحضارة الميتة، ويبدأ يصعد التل المؤدي إليها. إنها في الواقع سعيدة لرؤيته، حتى مع أن نظرته تحتد عندما يقترب ويرى أن شافا نائم. يتوقف على بعد ثلاث خطوات، أقرب من اللازم إن أخذنا في اعتبارنا سرعة الوصاة.

تقول ناسون وهي تومئ بصرامة: «سأقتلك لو حاولت فعل شيء. أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟ وسأقتلك لو أيقظته أيضًا».

أومبر يبتسم. «أعلم أنك ستحاولين».

«سأحاول، وسأنجح».

يتنهد، ولا يخلو صوته من الكثير من العطف. «ليس لديك أدنى فكرة عن مدى خطورتك. إنك أخطر مني بما لا يقاس».

ليس لديها فكرة فعلاً، وهذا يضايقها كثيرًا. إن أومبر لا يتصرف بدافع القسوة. لو أنه يراها خطرًا، فلا بد من أن لهذا سببًا. لكن هذا لا

٣٢٥

تقول: «شافا يريدني حية، ولهذا سأعيش، حتى لو اضطررت إلى قتلك».

يبدو على أومبر التفكير في هذا. تلمح لمعة فضة خاطفة في داخله، وتدرك فجأة غريزياً أنها لم تعد تتحدث مع أومبر.

بل مع سيده.

يقول أومبر: «وماذا لو قرر شافا أن تموتي؟».

«أموت». وهذا ما أخطأ فيه المرتكزيون، تشعر بهذا يقينًا. لقد اعتبروا الوصاة أعداءً، ولعلمهم كانوا كذلك ذات يوم مثلما قال شافا. لكن على الحلفاء أن يثقوا بعضهم ببعض، وأن يسمحوا لضعفهم بالظهور. إن شافا هو الشخص الوحيد في العالم الذي يحب ناسّون، وناسّون مستعدة للموت أو القتل أو إعادة تشكيل العالم، من أجله.

يحني أومبر رأسه، ببطء. يقول: «إذن سأثق بحبك له». وللحظة تشعر بصدى صوته في جسده، وعبر الأرض، يتردد حتى الأعماق، «على الأقل الآن». ويقول هذا، يتجاوزها ويجلس على الأرض إلى جوار شافا، متخذًا وضع الحراسة.

لا تفهم ناسّون منطق الوصي، لكنها لو أنها تعلمت شيئًا واحدًا عن الوصاة خلال الأشهر المنقضية، فهو أنهم لا يتكلفون عناء الكذب. لو قال أومبر إنه سوف يثق بشافا... لا، بل قال إنه سوف يثق بحب ناسّون لشافا، لأن هناك فرقًا. لكن لو قال أومبر إن هذا يعني له شيئًا، ففي وسعها الاعتماد على ذلك.

هكذا تتمدد على فراشها القابل للطّي برغم كل شيء وتسترخي. لكنها تظل لبعض الوقت بغير نوم، ربما من التوتر.

يحلّ الليل. السماء صافية، باستثناء الرماد الضبابي الباهت الذي يهبّ من الشمال، وبضعة غيوم لؤلئية متكسرة تنجرف جنوبًا بانتظام مع النسيم. تشرق النجوم، وتغمز عبر الضباب، وتحقق إليهم ناسّون لوقت طويل. عندما يبدأ عقلها يسترخي أخيرًا وتروح في النوم، تلاحظ متأخرًا نورًا أبيض وهاجًا يتحرك في اتجاه عكس البقية... إلى الأسفل

بشكل ما، فيما تتحرك بقية النجوم من الغرب إلى الشرق عبر السماء.
بيطء. الآن، بعدما رأيته أول مرة، بات من الصعب ألا تلاحظه. إنه أكبر
من البقية بقليل وأسطع منها أيضًا. غريب.
تنقلب ناسون وتعطي ظهرها لأومبر، وتنام.

عمر تلك الأشياء من عمر العالم. من السذاجة أن نعتبرها عظامًا، فهي
تتفتت بمجرد اللمس.

لكن الأغرب من العظام هو الجداريات. إنها تعجّ بأشكال نباتات لم أرَ
مثلها قط، ورموز لعلها لغة، لكنها تبدو مثل أشكال وخطوط ملتوية.
منها شيء كبير مستدير أبيض وسط النجوم، يتدلى فوق المشهد برمته.
كان شاذًا، لم أحبه. جعلت ذا المعطف الأسود يدمر الجدارية كلها.

من تقرير الرحالة فورجيد مبتكرة يومينس.
أرشيف الهيئة الهندسية، شرق الاستواء.

أنت، تقابلين هديقا قديما

أريد متابعة إلقاء الحكاية عليك مثلما كنت أفعل، بعقلك، بصوتك، وبإخبارك ما تعرفينه وما تفكرين فيه. أتجدين هذه وقاحة؟ أعترف أنها كذلك، وأناانية. لكنني حينما أتحدث مثل نفسي، يشق عليّ أن أشعر مثل جزء منك. وأشعر بالوحدة. أرجوك، دعيني أتابع أكثر قليلاً.

تحدثين إلى آكل الصخر الذي انبثق من شرنقة العقيق المرقط. يقف في مكانه محنياً وساكنًا تمامًا، يراقبك بزاوية عينه عبر تموج الهواء الخفيف الناجم عن الحرارة حول الجيود المشقوق. شعره مثلما تتذكرينه في تلك اللحظة بين الحلم والحقيقة في المسلة العقيقية؛ دفقة متجمدة، مثل ما يحدث للشعر الرماد براكيني عندما تضربه هبة رياح قوية إلى أعلى وإلى الورا، عدا أنه الآن من الأوبال الشفاف المائل إلى البياض بدلاً من البياض التام. لكن على عكس الهيئة اللحمية البشرية التي اعتدته بها، «بشرة» آكل الصخر هذا سوداء مثل سماء الليل قبل الموسم. والشروخ التي رأيتها فيه حينها تدركين الآن أنها عروق رخام فضية وبيضاء. حتى الملابس الوهمية

الراقية التي تلف جسده، التي تبدو كعباءة بسيطة تتدلى من أحد كتفيه، من الرخام الأسود. لا يخلو من عروق الرخام فيه سوى العينين، وقد أمسى بياضهما ظلمة ناعمة منطفئة، تثقبهما قزحيتان لا تزالان بياضوين بياض الثلج، يبرزان من وجهه الأسود بروزًا صارخًا يثير فيك اضطرابًا أوليًا يمنعك، لأول وهلة، من إدراك أن الوجه المحيط بهما لا يزال وجهه هواء.

إنه هواء، لكن أكبر؛ تلاحظين أن هذا وجه شاب وليس صبيًا. لكنه يظل وجهًا عريضًا جدًا بفم ضيق جدًا، ليس له معنى عرقياً. غير أنك تقرئين التوتر في ملامحه الجامدة، لأنك تعلمت كيف تقرئينها من قبل على وجه أرق مصمم لاستثارة تعاطفك.

تسألين: «أيها كذب؟». هذا هو الشيء الوحيد الذي في وسعك سؤاله.

«كذب؟». صوته صار رجولياً. نفس الصوت لكنه غدا صادقاً، يأتي من مكان ما في صدره.

تلجين الغرفة. لا تزال ساخنة إلى حد مزعج، وإن كانت تبرد باطراد. لكنك تتعرقين مع ذلك. «هيئتك البشرية أم هذه؟». «كلتاها كانت حقيقة في أوقات مختلفة».

«آه، صحيح، قال ألابستر إنكم كنتم جميعاً بشرًا من قبل». تمر لحظة صمت. «هل أنت بشر؟».

لا يسعك حيال هذا إلا الضحك فوراً. «رسمياً؟ لا». «لا عليك بما يحسبه الآخرون. ما الذي تشعرين أنت به؟». «أنني بشر».

«إذن وأنا أيضًا».

لا يزال يشعّ البخار وهو يقف بين شقي الصخرة الضخمة التي
فقسته لتوّها. «همم، لم تعد كذلك».

«هل أسمع كلامك أم أصغي إلى شعوري حيال نفسي؟».

تهزّين رأسك وأنت تلفين حول الجيود بأوسع ما يمكن. إنه خاوٍ
تمامًا في الداخل؛ مجرد قشرة صخرية نحيلة، عارية من البلورات أو أي
من الرواسب الداخلية المعتادة في مثل هذا النوع من الصخور. لا يرقى
إلى أن يُعدّ جيودًا. «كيف انتهى بك الحال في مسلة؟».

«أغضبت روچا لا يصح إغضابه».

يفاجئك ضحكك المباغت، فتتوقفين وتنظرين إليه. إنه يراقبك
كما اعتاد أن يفعل، بأعين متسعة مليئة بالأمل. هل تشكل غرابة العينين
البالغة الآن أي فارق؟

تقولين: «لم أكن أعلم أن من الممكن حبس أكل صخر».

«يبل ممكن. إنها واحدة من طرق قليلة يمكن أن توقفنا».

«وليس قتلکم، كما هو واضح».

«لا، لذلك طريقة واحدة».

«وهي؟».

يلتفت كي يواجهك. تبدو التفاتته لحظية، فجأة تصبح وقفة التمثال
مختلفة كليًا، رائقة ومنتصبة، بيد واحدة مرفوعة على نحو... داعي؟
مستعطف؟ «هل تخططين لقتلي يا إيسون؟».

تتنهدين وتمهزين رأسك وتمدين يدك كي تلمسي شقي الصخرة
المنفرجين، فضولاً.

«لا تفعلي، لا يزال ساخناً إلى حد قد يحرقك»، يتوقف، ثم يتابع:
«تلك كانت طريقتي في النظافة، بغير صابون».

ذات يوم، على جانب طريق جنوب تيريمو، وقف ولد يحدق إلى
قطعة صابون بحيرة، ثم باستمتاع. إنه لا يزال نفس الولد. لا تستطيعين
نفضه من ذهنك. فتتنهدين، وتتخلين عن ذلك الجانب منك الذي
يريدك أن تعامله على أنه شيء مختلف، شيء خيف، شيء أجنبي. إنه
هواً. يريد هواً أن يأكلك، وحاول أن يساعدك من قبل على إيجاد ابنتك
رغم أنه فشل في ذلك. ثمة حميمة في هذه الحقائق مهما بدت لك غريبة،
وهذا ليس لا شيء بالنسبة إليك.

تعقدين ذراعيك وتمشين ببطء حول الجيود، وحوله. عيناه تتبعانك.
«من إذن الذي ركل مؤخرتك؟». لقد استعاد عينيه المفقودتين وفكه
السفلي، وعادت أطرافه الممزقة لتصبح جزءاً منه مجدداً. لا تزال غرفة
معيشتك ملطخة بالدماء، لكن ما كان منها في غرفة نومك ذهب، ومعه
طبقة من الأرضية والحوائط. لطالما كان يقال عن آكلي الصخور إنهم
يتحكمون في أصغر ذرات المادة، تخمين أن هذا يكفي لإعادة استخدام
ما انفصل عن الواحد منهم من أجزاء، وإعادة توظيف ما فاض من
المواد المحيطة.

«حوالي عشرة من بني جنسي، ثم واحد بعينه».

«كل هذا العدد؟».

«كانوا أطفالاً بالنسبة إليّ. كم عدد الأطفال المطلوبين للتغلب عليك؟».

«أنت كنت طفلاً».

«أنا بدوت طفلاً»، صوته يرق، «بدوت هكذا من أجلك فقط».

ثمة فارق هائل بين هذه النسخة من هـوا ونسخته السابقة غير حالة وجوده. عندما يقول هـوا الناضج أشياء كهذه، لكلماته ملمس مختلف تمامًا عما كنت تشعرين به من كلمات هـوا عندما كان يقول شيئًا مشابهًا. أنت لست متأكدة إن كنت تحبين الملمس الجديد.

تقولين كي تغيري الموضوع إلى الوضع المريح: «أكنت إذن تقاتل كل هذا الوقت؟ كان هناك آكل صخر على القمة المسطحة، رمادي و...».

«نعم». لم تحسبي أن من الممكن أن يبدو على آكل صخر الاستياء، لكن هذا ما يبدو على هـوا. «هذا لم يكن من الأطفال، وهو من استطاع هزيمتي في النهاية، وإن كنت استطعت أن أهرب دون ضرر بالغ». تدهشين للحظة من أنه يعتقد أن تمزيق كل أطرافه وفكه وعينه ليس ضررًا بالغًا. لكنك أيضًا ممتنة لذلك نوعًا. لقد آذى آكل الصخر هذا هـوا، وأنت آذيته ردًا على ذلك. ربما كان انتقامك سريع الزوال، لكنه يجعلك تشعرين بأنك تعتنين بمن يخلصونك.

لا يزال صوت هـوا دفاعيًا. «ولم يكن أيضًا من الحكمة أن... أن أواجهه بهيئة اللحم بشري».

لم تعودى تطيقين حرارة الغرفة. تخرجين إلى غرفة المعيشة وأنت تمسحين العرق على وجهك، وتشدين ستار الباب الرئيسي جانبًا

وتربطينه، كي يدور الهواء البارد في دوران أفضل، ثم تجلسين عند المائدة. وما إن تلتفتي نحو غرفة النوم، حتى تجدي هواً عند بابها، يؤطره قوس المدخل تأطيراً جميلاً، مثل لوحة بعنوان: دراسة لشاب في حالة تأمل قلق.

«ألهذا إذن عدت إلى هيئتك الأصلية؟ كي تواجهه؟». أنت لم تري الحرق القماشية التي كانت تحتوي أحجاره عندما كنت في غرفة النوم. لعلها احترقت بعدما أدت غرضها وباتت قصاصات متفحمة مع البقية. «بل عدت لأن الوقت قد حان». ها هي نبرة الاستسلام في صوته مجدداً. سمعت منه تلك النبرة أول مرة عرفت فيها حقيقته. وكأنه يعرف أنه خسر شيئاً من صورته في عينك وليس لاسترداده من سبيل، ولا خيار لديه سوى القبول، لكنه ليس مضطراً لأن يحب هذا. «لم يكن في وسعي الإبقاء على تلك الهيئة إلا لوقت محدود. فقررت أن أقلل هذا الوقت، لرفع فرصتك في النجاة».

«أوه؟».

تلاحظين فجأة أن ما تبقى من قشرة البيضة التي خرج منها في غرفتك، خلفه، تذوب بشكل ما؛ تتحلل، ويفتح لونها، وتعود مادتها إلى الاندماج مع مادة الكريستالة الرائقة الأصلية، وتنفصل عن متعلقاتك المتبقية بينما ترجع إلى حالتها الأصلية وتتصلب من جديد. تحدقين إلى هذا بدلاً منه للحظة، مشدوهة.

إلى أن يقول: «إنهم يريدون موتك يا ناسون».

«إنهم...؟»، ترمشين، «من هم؟».

«بعض من بني جنسي. وهناك بعض آخر يريدون فقط أن يستخدموك.
أنا لن أسمح لهم».

تعبين. «لن تسمح لمن؟ من يريدون قتلي أم استخدامي؟».

«كلاهما». الصوت الأجوف يحتد فجأة. تتذكرينه مقرصًا، كاشفًا عن
أسنانه مثل حيوان بري. يخطر لك إدراك مفاجئ أنك لم تري العديد من
أكلي الصخر في الأنحاء أخيرًا، منذ شهور. لا ياقوتية الشعر ولا الرخامي
زبدي اللون ولا بشعة الملابس ولا لامع الأسنان، ولا كل المعتادين هنا.
حتى إيكًا علقت على الغياب المفاجئ لأكلة صخرها.
تندفعين: «أنت أكلتها!».

بعد توقف وجيز يقول: «أكلت كثيرين». بصوت يخلو من أي نبرة.
تتذكرينه يقهقه ويدعوك بالسخيفة، ويتكور ملتصقًا بك كي ينام. يا
نار الأرض، إنك غير قادرة على التعامل مع هذا.

«لماذا أنا يا هوّا؟»، تفردين يديك. إنها مثل أيادي النساء في منتصف
العمر العادية. جافتان قليلًا. لقد ساعدت في أعمال طاقم صباغة الجلود
بضعة أيام، وجعلت المواد بشرة يديك تتشقق وتتقشر. لهذا كنت
تفركينهم ببعض المكسرات التي كانت في حصتك التموينية الأسبوعية،
مع أن هذه الدهون ثمينة ويجب أكلها بدلًا من إضاعتها في البهرجة
الفارغة. وفي راحة يمينك علامة هلالية بيضاء صغيرة على هيئة ظفر
الإبهام، وتؤلمك عظام هذه اليد عندما يشتد البرد. مثل أيادي النساء
العادية.

تقولين: «أنا ليس بي شيء مميز. لا بد من أن هناك أوروچينيين آخرين

قادرين على الاتصال بالمسلات. إن ناسون ونار الأرض...»، لا، «لماذا أنت هنا؟»، تقصدين لماذا ربط نفسه بك.

يصمت لبعض الوقت، ثم: «أنت سألتني هل أنا بخير».

لا تجدين لهذا أي معنى في البداية، ثم تفهمين. آليا. يوم مشمس جميل، وكارثة تلوح عمّا قريب. كنت متألّمة وتحلقين في القلب المشروخ المتنافر للمسلة العقيقية، ورأيت أول مرة. منذ متى كان في المسلة؟ منذ زمن بعيد كفاية لأن تُدفن المسلة تحت الرواسب والنمو المرجاني لمواسم عديدة. بعيد بما يكفي للنسيان، مثلما نُسييت كل الحضارات الميتة في العالم. ثم تأتين بعد كل هذا وتسألينه: هل أنت بخير؟ يا شر الأرض! لقد حسبت نفسك تهلوسين.

تأخذين نفسًا عميقًا وتنهضين، تتجهين إلى مدخل شقتك. إن الكومونة الآن هادئة. بعض الناس يسعون في شؤونهم العادية، لكن عددهم أقل من المعتاد. إن اتباع الناس لروتينهم المعتاد ليس دليلًا على السلام، فالناس في تيريمو كانوا يتبعون روتينهم العادي أيضًا حتى اللحظة التي حاولوا فيها قتلك.

تونكي لم ترجع الليلة السابقة، لكنك الآن لست واثقة بأن هذا يعني أنها مع هياركا أو في الغرفة الخضراء. ثمة عامل محفز نشيط في كاستريا الآن، يُسرّع تفاعلات كيميائية غير مرئية، ويسهل حدوث نتائج غير متوقعة. انضموا إلينا وستعيشون، لكن بدون الروحجات. هذا ما قاله لهم أكل الصخر الرمادي.

هل سيتمهل أهل كاستريا كي يفكروا أنه لا توجد كومونة

استوائية مستعدة فعلاً لاستقبال تدفق مبالغت من الهجاء الأوسطين،
وأنهم في أفضل الظروف سيتخذونهم عبيداً أو يأكلونهم لحماً؟ تستيقظ
غريزة الأمومة فيك وتحذر، تهمس من مؤخرة رأسك: /عتني بأحبك،
اجمعهم حولك واحمهم جيداً. أنت تعلمين ماذا سيحدث لو أدت لهم
ظهرك ولو للحظة.

تضعين مخللة هروبك التي لا تزال في يدك على كتفك. ما عاد
إبقاؤها معك اختياراً في الوقت الحالي. ثم تلتفتين إلى هوا. «تعال معي».
يبتسم هوا مرة واحدة. «أنا لم أعد أمشي يا إيّسون».
أوه، صحيح. «طيب، أنا ذاهبة إلى إيّكا، قابلني عندها».
هوا لا يومئ، بل يخنفي ببساطة. لا يضيع حركة عبثاً. ستعتادين
على ذلك.

يتحاشى الناس النظر إليك وأنت تقطعين جسور وممرات الكومونة.
تشرعين بحكة في كاهلك من تحديقهم حالما تتجاوزينهم. لا تقدرين على
منع نفسك من التفكير في تيريمو مرة أخرى.

لا تجدين إيّكا في شقتها. تنظرين حولك، تتبعين أنماط حركة الناس
في الكومونة بعينيك، ثم تتجهين أخيراً نحو القمة المسطحة. لا يمكن
أن تكون لا تزال هناك. لقد عدت إلى بيتك، وراقبت طفلاً يتحول إلى
أكل صخر ونمت عدة ساعات. لا يمكن أن تظل هناك كل هذا الوقت.
لكنها هناك. تجدين أن ليس على القمة المسطحة الآن إلا القليل،
حوالي عشرين فرداً، بين الجالس والرائح والغادي، يبدو عليهم الغضب
والسخط والاضطراب. مقابل العشرين الذين ترينهم، هناك بالتأكيد

مئات المجتمعين في الشقق والحمامات والمخازن، يخوضون نفس الحديث في مجموعات أصغر وبأصوات أخفت. لكن إيكا هنا، تجلس على أحد الأرائك التي جلبتها إحداهن من شقتها، ولا تزال تتحدث. تقول شيئاً عن خطوط إمداد من إحدى الكومونات الجنوبية الحليفة، تخاطب به رجلاً يدور في دوائر بأذرع معقودة، ويستهجى كل ما تقوله. هذا خوف. إنه لا ينصت. لكن إيكا تخاطبه بالعقل مع ذلك. هذا سخف.

اعتني بأحبك.

تمشين حول الحاضرين -وبعضهم يجفل منك- وتقفين إلى جوارها. «أحتاج أن نتكلم وحدنا».

تتوقف إيكا في منتصف جملتها وتنظر إليك وترمش. عيناها حمراوان وجافتان، إنها لم تشرب أي ماء منذ فترة. «ماذا هناك؟».

«أمر مهم»، وعلى سبيل المداينة المهدبة، تومئين إلى الحاضرين وتقولين: «آسفة».

تتنهد وتفرك عينيها، فتزدادان احمراراً. «طيب»، وتنهض، تتوقف للحظة كي تواجه الموجودين، «التصويت غداً صباحاً. لو أنني لم أقنعكم... كما تحبون، تعلمون ما عليكم فعله».

يراقبونكما بصمت وأنت تأخذينها بعيداً.

في شقتها، تغلقين الستار الأمامي وتفتحين الذي يؤدي إلى الغرف الشخصية. لا تجدين أي مساحة زائدة تشير إلى مكانتها الخاصة؛ لديها بالتان خشبتان والعديد من الوسائد، لكن ملابسها في سلة، والكتب

واللفافات مكدسة على الأرض في أحد أركان الغرفة. لا مكتبة ولا خزانة ملابس. طعامها من تموينها الكوموني مكدس عشوائياً قبالة الحائط إلى جوار قرعة مفرغة مألوفة يحب الكاستريميون استخدامها لتخزين مياه الشرب. تنتزعين القرعة، وتنتقين من كومة الطعام برتقالة جافة، وقطعة من جبن الصويا الذي كانت إيكا تنقعه مع بعض الفطر في إناء مسطح، وشريحة صغيرة من سمك مملح. ليست بالوجبة المثالية، لكنها مغذية. تقولين لها: «إلى سريرك»، وتومئين إليها بذقنك وأنت تجلبين لها الطعام. تقدمين إليها القرعة أولاً.

إيكا، التي تتابع كل هذا بانزعاج متزايد، تصيح: «لست نوعي المفضل. ألهذا جئت بي إلى هنا؟».

«ليس بالضبط، لكن ما دمت هنا فعليك أن تتراحي»، تبدو معترضة، «لن تستطيعي أن تقنعي أحداً بأي شيء...»، لا سيما من تعميهم الكراهية عن المنطق، «... إن منعك تعبك من التفكير بوضوح».

تزجر، لكن تذهب بالفعل إلى فراشها مبرهنة على مدى إنهاكها، وتقعّد على حافته. تشيرين إلى قرعة المياه، فتمثل وتشرب على ثلاث جرعات سريعة ثم تضعها جانباً، مثلما ينصح القوالون بكيفية الشرب بعد الجفاف. «رائحتي قدرة، أحتاج إلى الاستحمام».

«كان عليك أن تفكري في هذا قبل أن تقرري محاولة الحديث بالمنطق مع الغوغاء المتعطشين لرجنا». تأخذين منها القرعة وتدفعين في يدها صحن الطعام. تنتهد، وتبدأ تمضغ بتجهم.

«إنهم لن...»، لكنها لا تستمر طويلاً في تلك الكذبة قبل أن تجفل

وتحديق إلى شيء خلف ظهرك. تفهمين قبل أن تستديري، إنه هواء. تقول: «لا، ليس في كومونتي الصدئة».

تقولين: «أنا من قلت له أن يقابلنا هنا، هذا هواء».

«قلت لـ... هذا...». تطلع إيكّا ريقها بصعوبة، وتحديق فيه للحظة أطول، ثم تتابع أخيراً أكل برتقالتها. مضغها أبطأ، ولا تفارق عينها هواء. «تعبت من تمثيل دور الإنسان إذن؟ لا أفهم لماذا كلفت نفسك هذا العناء أصلاً، فقد كنت أغرب من أن ينجح تنكرك».

تذهبين إلى الحائط القريب من باب غرفة النوم وتجلسين قبالة على الأرض. تضطرين إلى إنزال مخلاة الهروب من أجل ذلك، لكنك تحافظين عليها قريبة من يدك. تقولين لإيكّا: «أنت تكلمت مع مستشاريك ونصف أفراد كومونتك، راكدون وروجات وأصليون ووافدون، لكنك لا زلت ينقصك منظورهم»، وتومئين نحو هواء.

إيكّا ترمش، ثم ترمق هواء باهتمام متجدد. «ألم أطلب منك أن تجلس في مجلسي ذات يوم؟».

يقول هواء: «ليس في وسعي تمثيل بني نوعي أكثر ما يسعك تمثيل نوعك، علاوة على أنني كنت منشغلاً بأمور أهم».

ترين إيكّا ترمش لما تسمع صوته وتحديق إليه. تلوحين يداً منهكة نحو هواء. إنك على عكس إيكّا نمت، لكنه نوم مضطرب، وأنت جالسة في قيط الشقة منتظرة الجيود أن يفقس. «مشاركتك بما تعرفه قد تساعدنا»، ثم، بدافع من غريزتك، تضيفين: «لو سمحت».

لأنك تشعرين أنه متحفظ نوعاً. تعبيره لم يتبدل، ووقفته هي نفس

التي رأيته بها آخر مرة، الشاب ذو اليد المرفوعة. غير مكانه ولم يغير وقفته، ليس بعد.

الدليل على تحفظه تجديده في قوله «حسنًا»، كل شيء يكمن في النبوة. لكن لا بأس، يمكنك التعامل مع التحفظ.

«ما الذي يريده آكل الصخر الرمادي؟»، لأنك متأكدة أنه لا يريد في الواقع ضم كاستريما إلى أي كومونة استوائية. إن أقوام البشر وسياسات البلاد ليست بالشيء الذي يعني لهم الكثير، إلا لو كان لخدمة هدف غير معلن. إن أهل رينانيس بيادقه وليس العكس.

يرد هوّا: «إننا الآن كثر، كثر بما يكفي لاعتبارنا قوم، لا مجرد خطأ». تنظرين إلى إيكا بعد هذا التصريح الذي ليس في محله، فتد بنظرة بمعنى أنه مشكلتك أنت لا أنا. لعل لهذا علاقة ما بها أنتم فيه. تقولين: «وهذا يعني...؟».

«من بين قومي من يعتقدون أن هذا العالم لن يسع من الناس بأمان إلا نوعًا واحدًا».

يا شر الأرض. هذا ما تحدث عنه ألابستر. كيف وصفه؟ فرق متقاتلة تعود إلى حرب قديمة، ومنهم من يريد تحييد الناس. مثل آكلي الصخر أنفسهم.

تقولين: «أتريدون مسحنا بالكامل؟»، تهمسين، «أو... تحويلنا إلى صخر؟ مثل ما يحدث لألابستر؟».

يقول هوّا برفق: «ليس كلنا، وليس كلكم».

عالم من المتصخرين فقط. مجرد التفكير في هذا يجعلك ترتجفين. تتخيلين رمادًا متساقطًا وأشجارًا عارية وتماثيل مربية في كل مكان، بعضها يتحرك. كيف؟ إنهم منيعون بالكامل، لكنهم حتى الآن كانوا يأكلون بعضهم بعضًا فقط (حسب ما تعرفين). أيمنهم تحويل الجميع إلى صخر مثل ألابستر؟ ولو أنهم يريدون مسح البشرية، ما الذي منعهم من فعل هذا قبل الآن؟

تهزّين رأسك. «لقد تحمل هذا العالم نوعين من الناس لمواسم. أو ثلاثة أنواع لو حسبت الأورچينيين كما يفعل الراكدون».

«لسنا جميعًا موافقين على هذا»، أمسى صوته رقيقًا جدًّا، «إن ولادة واحد جديد منا حدث شديد الندرة، ونعيش بلا نهاية، بينما أنتم تكبرون وتتكاثرون وتذبلون كالقطر. يشقّ علينا عدم الحسد، أو الطمع».

تهزّ إيكا رأسها في حيرة، وإن كان صوتها يحافظ على رباطة جأشها العادية. ترين تقطعية تعجب صغيرة بين حاجبيها. لكن فمها يميل جانبًا قليلًا، وكأنها لا يسعها عدم إبداء ولو القليل من الاشمئزاز. تقول: «حسنًا. إذن كان آكلو الصخور منا، والآن يريدون قتلنا. ما الذي يجعلنا نثق بك؟».

«ليس «آكلو الصخور»، لا نريد كلنا الشيء نفسه. بعضنا يعجبه الوضع القائم، بل وبعضنا حتى يرغب في جعل العالم أفضل... وإن كانوا لا يتفقون كلهم على معنى هذا»، وتتغير وقفته لحظيًّا؛ يدان مرفوعتان، راحتها إلى أعلى، كتفان مرفوعان بطريقة ماذا يسعنا أن نفعل؟ «لأننا قوم مثلكم».

تسألينه: «وماذا تريد أنت؟»، لأنك لاحظت أنه لم يرد سؤال إيكا. تقفز القزحيتان الفضيتان نحوك، وتثبتان. تظنين أنك تحسّين بالأسى في وجهه الجامد. «أريد ما أردته دومًا يا إيّسون. مساعدتك، ولا شيء غيرها».

تفكرين؛ لا يتفق الكل على ما قد تعنيه «المساعدة».

تقول إيكا: «جميل، أثرت مشاعري»، تفرك عينيها المتعبتين، «لكنك لم تصل إلى المغزى بعد، ما علاقة تدمير كاستريما بمنح العالم لنوع واحد من الناس؟ ما الذي يريده هذا الرجل الرمادي؟».

«لا أعلم»، لا يزال هوّا ينظر إليك، وهذا ليس موتراً كما ينبغي أن يكون، «حاولت أن أسأله، لكن لم تنتهِ المحادثة على خير».

تقولين: «خن»، لأنك تعلمين أنه لم يسأل الرجل الرمادي في الأصل بلا سبب.

توجه نظره إلى الأسفل. قلة ثقتك تؤلمه. «إنه يريد أن يتأكد من عدم فتح بوابة المسلة مجددًا أبدًا».

تسأل إيكا: «بواسطة ماذا؟». لكنك تسندين رأسك إلى الحائط، مصعوقة ومذعورة وحائرة. بالطبع. يريدون قتل ألابستر! كي يقضوا على الناس الذين يعتمدون على الطعام وضوء الشمس في حياتهم، ليس هناك ما هو أسهل من تركهم لهذا الموسم حتى ينقرضوا، تاركين الأرض المظلم وراءهم ليرثه أكلو الصخر. وكى يحدث هذا، يتعين عليهم قتل الشخص الوحيد القادر على إنهاء الموسم.

ثم تدركين وأنت ترتجفين: الشخص الوحيد غيرك. لكن لا، لعلك

قادرة على التلاعب بمسلة، لكنك ليس لديك أدنى فكرة عن كيفية تنشيط مئتي مسلة صدئة في نفس الوقت. هل لا يزال ألابستر قادرًا على فعلها؟ إن كل مرة يستخدم فيها أوروچينيته تقتله ببطء. يا للصدأ المتقشر، إنك أنت الوحيدة المتبقية التي يُحتمل أن تتمكن من فتح البوابة. لكن إن تمكن جيش دمی الرجل الرمادي من قتلكما، فقد أصاب غايته في جميع الأحوال.

تقولين لإيكا: «هذا يعني أن الرجل الرمادي يريد محو الأوروچينيين على وجه الخصوص». أنت تحتزلين الحقيقة اختزالًا، لكنك لا تكذبين. هذا ما تقولينه لنفسك. هذا ما تحتاجين إلى أن تقوليه لإيكا، كي لا تعرف أبدًا أن ربها لدى الأوروچينيين القدرة على إنقاذ العالم، فلا تحاول أبدًا الاتصال بمسلة بنفسها. هذا بالتأكيد ما كان ألابستر يفعله معك دائمًا؛ يخبرك ببعض الحقيقة لأنك تستحقينها، لكن ليس كلها كي لا تحرق نفسك بها. ثم تفكرين في عظمة أخرى ترمينها: «هوا كان عالقا في مسلة لبعض الوقت، ويقول إن هذا هو الشيء الوحيد القادر على إيقافهم».

ليس هذا بالضبط ما قاله، لكن لعله أيضًا لا يعطيك سوى الحقائق الآمنة.

تقول إيكا بانزعاج: «اللعة. أنت تعرفين كيف تلعبين بالمسلات، ارمي عليه واحدة إذن».

تتذمرين: «هذا لن ينجح».

«ماذا سينجح إذن؟».

«ليست عندي أدنى فكرة! هذا ما كنت أحاول تعلمه من ألابستر طوال الوقت»، وأفضل، لكنك لا تريدین قول هذا. تستطيع إيكًا تخمينه في العموم.

«رائع»، تبدو إيكًا فجأة ذاوية، «أنت محقة، أحتاج إلى النوم. لقد جعلت إزني تحشد الأشداء وتؤمن مخزن السلاح. ظاهريًا، هذا لتجهيزهم حال قاتلنا الاستوائيين، فعليًا...»، تهزّ كتفيها، وتتنهد، وأنت تفهمين. إن الناس الآن مذعورون، ومن الأفضل عدم استفزاز القدر.

تقولين برفق: «الثقة بالأشداء غير ممكنة».

ترفع إيكًا عينها إليك: «إن كاستريما ليست مثل الأماكن التي جئت منها».

تودين أن تبسمي، لكنك تمتنعين لأنك تعرفين أنها ستكون ابتسامة قبيحة. إنك من أماكن عدة، ولقد تعلمت من كل منها أن لا حياة للروحيات والراكدين معًا. عدا أن إيكًا تتململ قليلاً إزاء نظرتك، وتحاول مجددًا: «فكري، كم كومونة كانت ستسمح لي أن أعيش بعدما تعرف حقيقتي؟».

تهزّين رأسك. «هذا لأنك كنت مفيدة، وهكذا كان حال الأوروبيين الإمبراطورين أيضًا»، لكن أن يكون المرء مفيدًا للآخرين ليس مثل أن يكون مساويًا لهم.

«طيب، أنا مفيدة، وكلنا كذلك. لكن اقتل الروحيات أو ارمهم في الخارج، تخسر كاستريما السفلية، ومن ثم نحن تحت رحمة حفنة من الناس قد يعاملوننا جميعًا عمدًا قريب كالروحيات، لمجرد أن أسلافنا لم يستطيعوا أن يختاروا عرقًا بعينه ويلتزموا به...».

«أنت تقولين باستمرار «نحن»». تقولين هذا بلطف، لأنك تكرهين أن تهدمي أوهامها.

تتوقف، وتتلوى عضلة بفكها مرة أو مرتين. «لقد تعلم الراكدون كراهيتنا، ويمكنهم أن يتعلموا العكس».

«الآن؟ والعدو حرفيًا على الأبواب؟». أنت منهكة، منهكة جدًا من كل هذا الهراء. «الآن هو وقت رؤية أسوأ ما فيهم».

تراقبك إيكًا للحظة طويلة، ثم تنكمش... بالكامل؛ ظهرها ينحني ورأسها يتدلى وشعرها الرماد براكيني ينزلق على جانبي رقبتها حتى يبدو شديد السخافة، لبدة كأجنحة الفراشة. يداري شعرها وجهها، لكنها تأخذ نفسًا متعبًا طويلًا، حتى يكاد يبدو نشيجًا، أو ضحكة.

«لا يا إيسون»، تفرك وجهها، «لا. إن كاستريا وطني مثلما هي وطنهم. لقد عملت من أجلها، وقاتلت من أجلها. كاستريا ما كانت لتكون هنا لولاي، ولولا غيري من الروجات الذين خاطروا بأنفسهم للحفاظ عليها فعالة تعمل على مر السنين. أنا لن أستسلم».

«ليس من الاستسلام أن تخافي على نفسك...».

«بل هو كذلك»، ترفع رأسها، لم يكن نفسها إجهاشًا ولا ضحكًا، إنها شديدة الغضب، لكن ليس منك. «أنت تقولين إن عليّ أن أترك هؤلاء الناس؛ أهلي ومعلمي في المدرسة وأصدقائي وأحبائي، تقولين إن عليّ أن أتركهم لمصيرهم، أنت تقولين إنهم لا شيء، حفنة حيوانات طبيعتهم مفترسة. تقولين إن الروجات ليسوا إلا فرائس، ولن نكون غير ذلك. لا، أنا لن أقبل هذا».

تبدو عازمة. هذا يوجع قلبك، لأنك شعرت مثلها من قبل. وليتك لا زلت قادرة على الشعور بنفس الشيء، بالأمل في مستقبل حقيقي، ومجتمع حقيقي، وحياة حقيقية... لكن باعتيادك على فطرة الراكدين الطيبة خسرت ثلاثة أبناء.

تقبضين على مخللة هروبك وتنهضين تريدين الذهاب، وتمررين يدك عبر صفائك. هوّا يختفي لما يقرأ انتهاء المحادثة. لكن بعدها، وأنت تكادين تخرجين عبر ستار المدخل، توقفك إيكا بقولها.

«حذري الآخرين. مهما حدث، لن نكون نحن البادئين»، صوتها الآن خالٍ من المشاعر، وتشديدها هذه المرة على «نحن» يعني أنها تعني بها نحن الأوروبيين، «ولا يجب حتى أن ننهي هذا. المقاومة قد تثير هياج الجموع. تحدثي مع الآخرين في مجموعات قليلة فقط، ومن الأفضل واحدًا واحدًا إن أمكن، كيلا يحسب أحد أننا نجتمع للتآمر. واعملي على أن يعرف الصغار أيضًا بهذا، ولا يكونن أحدهم وحيدًا بعد اليوم».

إن أكثر الأطفال الأوروبيين يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم. التقنيات التي علمتها لهم تنفع أيضًا في ردع أو إيقاف المهاجمين مثلما تنفع في تثليج أعشاش الغلايات. لكن إيكا محقة، إنكم لستم كثيرين بما يكفي للمقاومة، ليس من دون تدمير كاستريما، وهذا نصر كالهزيمة. لكن هذا يعني أن بعض الأوروبيين سوف يموتون، وأنت سوف تتركينهم يموتون حتى لو كان في وسعك إنقاذهم. لم تحسبي من قبل أن إيكا باردة بما يكفي للتفكير بهذا النحو.

ولا بد أن دهشتك ظهرت على وجهك، لأن إيكا تبتسم. تقول:
«أنا عندي أمل، لكنني لست غبية. لو اتضح أنك محقة، لن نذهب بغير
قتال، ولنجعلهم يندمون على انقلابهم علينا. لكن إلى أن نصل إلى تلك
النقطة التي لا رجعة منها... أتمنى ألا تكوني محقة».

أنت على يقين أنك محقة. إن اعتقادك أن الأوروجينيين سوف
يظلون دومًا كبش فداء هذا العالم يجري في عروقك مجرى الدماء، مجرى
السحر. هذا ليس عدلاً، أنت لا تريدين إلا أن تجعلي لحياتك قيمة.
لكنك تقولين: «أتمنى أنا أيضًا ألا أكون محقة».

ليس للموتى أمان.

اللوحة الثالث - «البنيان» - البيت الأول

ناسون، تواجه

لم تشعر ناسون منذ زمن بهذا القدر من الفخر بنفسها، حد أنها حالما أصبحت قادرة على علاج شافا، ركضت عبر المدينة وتسلمت هضبة القمر الجديد لتخبره.

«علاج»، هكذا تسمي الأمر. لقد قضت الأيام القليلة الماضية في الغابة تتدرب على مهارتها الجديدة. لا يسهل عليها دومًا تمييز مكنم الخطأ في الأجساد، يتعين عليها أحيانًا تتبع خيوط الفضة داخل الأشياء حتى تصل إلى أماكن العقد والتشوهات. في الفترة الأخيرة بات هطول الرماد أكثر تكرارًا وديمومة، وأمست الغابة مرقعة بالبقع الرمادية، ومن ثم بدأت بعض النباتات تذوي أو تدخل في سبات. هذا طبيعي في تلك الحالات، وتثبت خيوط الفضة ذلك بتدفقها المستمر. مع ذلك، عندما تبحث ناسون بتمهل وتفحص بعناية، تجد أشياء تعاني من تغيرات غير طبيعية ولا صحية؛ مثل يرقة تحت حجر تضخم أحد جوانبها تضخمًا غريبًا، وأفعى تعاني من فقرة مكسورة، وإن صارت بعدما بدأ الموسم أكثر سمية وشراسة، فاكتفت ناسون بتفحصها عن بعد، وكرمة بطيخ تحدثت أوراقها فباتت تحتفظ

بمزيد من الرماد، بدلاً من أن تتقعر فتنفذه عن نفسها، ومثل قليل من النمل في أحد الأعشاش، أصابتهم عدوى فطرية طفيلية.

تدربت ناسّون على استئصال مكامن الخطأ من تلك الأشياء ومن غيرها. إن تلك مهارة عصية على الامتلاك، مثل إجراء جراحة باستخدام خيط لا غير، من دون لمس المريض بأي شكل. تعلمت كيف تجعل حافة الخيط حادة، وكيف تعقده وتربطه بخيط آخر، وكيف تبتّر خيطاً ثالثاً وتستخدم طرفه الحارق في الكي. تمكنت من إزالة تورم اليرقة، لكنها ماتت. ولحمت الحواف المكسورة لعظام الأفعى، وإن كان هذا ليس أكثر من تسريع لعملية الالتئام الطبيعية. ووجدت الجزء الذي يقول تحدي في الكرملة وجعلته يقول تقعري. أما ما فعلته بالنمل فكان الأفضل؛ إذ لم تتمكن من إزالة الفطر عنهم، لكنها تمكنت من إزالة التوصيلات الطفيلية في أمخاخهم التي تجعلهم يتصرفون بغرابة وينشرون العدوى. كم كانت ممتنة لفرصة التجريب على الأمخاخ.

ثم جاءت ذروة تدريب ناسّون عندما هاجمهم الأغيار من جديد، ذات صباح، قبل أن يجف الندى على الرماد وتراب الأرض. كان هؤلاء غير الفرقة التي قضى عليها شافا، إنما هم عصابة أوغاد جدد لا يعرفون الخطر الذي ينتظرهم. لم تعد ناسّون مشتتة بوجود أبيها، لم تعد عاجزة، وبعدها أثلجت أحد المهاجمين، فر البقية. لكنها تلاحظ في إحداهم كتلة خيوط متشابكة في اللحظة الأخيرة، فتضطر حينها إلى اللجوء إلى الأوروجينية التقليدية (هكذا صارت تفكر فيها) كي تشق الأرض تحتها وتحاصرها في حفرة.

ترمي امرأة الأغيار ناسون عندما تنظر من فوق حافة الحفرة بسكين، وبالحظ فقط يخطئها السكين. بعدها ناسون، في منأى عن نظر المرأة، تتبع الخيوط إلى أن تجد شظية خشبية طولها ثلاث بوصات مستقرة في يد المرأة، غائرة جدًا حتى أنها تحكّ العظام، وتسمم دمائها على نحو قاتل، وسببت لها عدوى متقدمة جدًا حتى تورمت يدها إلى ضعفي حجمها الأصلي. إن أي طبيب كوموني أو حتى أي بيطري جيد في وسعه استخراج هذا الشيء، لكن الأغيار يفتقرون إلى رفاة الوصول إلى المعالين المهرة، وإنما يعيشون بالحظ، ما يشح حد الندرة في الموسم.

تقرر ناسون أن تصبح حظ المرأة. تكمن قريبًا منها حتى يسعها التركيز، ثم يحذر بالغ -وبينما تشهق المرأة وتسب وتصرخ ما الذي يحدث؟- تستخرج الشظية منها. حينما تنظر في الحفرة مرة أخرى، تجد المرأة على ركبتيها، تتأوه وهي تحمل يدها الدامية. تدرك ناسون متأخرًا أنها في حاجة إلى تعلم التخدير، فتراجع حتى تستند إلى الشجرة من جديد وترمي خيوطها سعيًا إلى القبض على العصب هذه المرة. تستغرق بعض الوقت حتى تعرف كيف تحدره بدلًا من إثارة مزيد من الألم.

لكنها تتعلم، وعندما تنتهي تشعر بالامتنان لامرأة الأغيار التي تثن وهي غائبة عن الوعي في قاع الحفرة. تدرك ناسون أنها لا يمكنها ترك المرأة تذهب، فهي إما ستموت ببطء وقسوة، وإما ستعود مجددًا ولعلها في المرة القادمة تهدد أحد من تهتم بهم ناسون. هكذا ترمي ناسون خيوطها مرة أخيرة، وتقطع تلك المرة بنظافة أعلى عمود المرأة الفقري. تموت المرأة دون معاناة، وذلك مصير رحيم مقابل ما كانت تريده لناسون.

وها هي الآن تصعد هضبة القمر الجديد ركضًا، مبهجة لأول مرة منذ قتلت إيتز، ويمنعها شوقها لرؤية شافا عن ملاحظة توقف بقية الأطفال عمّا يفعلونه واختصاصها بالنظرات الباردة. لقد أوضح لهم شافا أن ما فعلته بإيتز كان غير متعمد، وطمأنها أنهم سيتجاوزون ما حدث عاجلاً أم آجلاً. وهي تتمنى أن يكون محققاً، لأنها تفتقد صداقتهم. لكن لا شيء من هذا مهم الآن.

«شافا!»، تدس رأسها قبل جسدها في كايينة الوصاة، فلا تجد هناك إلا نيدا، تقف في الركن كما تفعل عادةً وتحقق إلى الخواء بشرود. لكنها تستجمع تركيزها ما إن تدخل ناسون، وتبتسم بطريقتها الخاوية. تقول: «أهلاً يا صغيرة شافا، تبدين اليوم مشرقة».

«أهلاً أيتها الوصية»، إنها دائمة التهذيب مع نيدا وأومبر. حقيقة أنها يرغبان في قتلها ليست داعياً إلى التخلي عن حسن سلوكها. «أتعلمين أين شافا؟».

«إنه في البوتقة مع ووديه». تسرع ناسون نحو البوتقة دون أن يكلّ عزمها. إنها تعلم أن ووديه يُعد الآن أبرع الآخرين بعدما ذهب إيتز، وهو الوحيد غيرها في القمر الجديد الذي يُحتمل ولو قليلاً أن يتصل بمسلة. لكنها تعتقد أن لا أمل في هذا، لأنه لا يوجد من يستطيع تدريبه على النحو السليم، خاصة وأنه ضئيل وواهن. إن ووديه لم يكن لينجو أبداً من بوتقة ماما.

لكنها تظل مع ذلك مهذبة معه أيضاً. تركض على الحافة الخارجية لدائرة تدريبه وتتقافز قليلاً، وتحافظ على سكون أوروچينيتها كيلا تشتته،

بينما هو يرفع من الأرض عمودًا بازليتيًا، ثم يحاول أن يعيده من حيث جاء، ويلهث بشدة مع أن العمود لا يتحرك بسرعة بالغة. ويراقبه شافا عن كثب، وابتسامته ليست كبيرة كالمعتاد. إن شافا أيضًا يرى ما تراه.

يتمكن ووديه أخيرًا من إعادة العمود إلى الأرض. يأخذ شافا بكتفه ويعينه على العودة إلى دكة الجلوس، وهو أمر لا غنى عنه، لأن ووديه ما عاد قادرًا على المشي إلا بالكاد. يرمي شافا ناسون بنظرة، فتومئ على الفور وتلتفت وتركض إلى قاعة الطعام كي تجلب قديرًا من مياه الفاكهة من هناك. عندما تقدمه إلى ووديه، يرمش للحظة، ثم يبدو محرجًا من ترده، فيأخذه منها في النهاية بإيماءة شكر خجلة. إن شافا دومًا على حق.

يسأله شافا: «أحتاج إلى مساعدة في العودة إلى المهجع؟».

يقول ووديه: «أستطيع أن أعود بنفسى يا سيدي». ثم تقفز عيناه نحو ناسون، على نحو تفهم منه أنه على الأرجح يفضل المساعدة، لكنه يعلم أنه من الأفضل له ألا يحول بين شافا وبين تلميذته المفضلة.

تنظر ناسون إلى شافا، متوقدة الحماس، لكنها تستطيع أن تنتظر. يرفع شافا حاجبه، ويميل رأسه ويمد يدًا لمساعدة ووديه على النهوض. ما إن يصبح ووديه آمنًا في فراشه، يعود شافا إلى ناسون الجالسة على الدكة. جعلها التأخير أهدأ، وهذا جيد، لأنها تعلم أنها يجب أن تبدو هادئة واحترافية حتى تقنعه أن يسمح لبنت صغيرة محدودة الخبرة أن تجرب فيه باستخدام السحر.

يجلس شافا إلى جوارها، يبدو مستمتعًا: «طيب، ماذا هناك؟».

تأخذ نفسًا عميقًا قبل أن تبدأ: «أعلم كيف أستخرج هذا الشيء منك».

يعلم كلاهما جيدًا عمّا تتحدث. لقد جلست بجوار شافا من قبل، وعرضت نفسها عليه، بينما كان هو متكومًا على تلك الدكة بالذات قابضًا على رأسه ويرد همسًا على صوت ليس في وسعها أن تسمعه، ويرتجف بينما يجلده هذا الشيء بسياط من الألم الفضي. والآن أيضًا، يضربه بنبضات داخلية خافتة غاضبة، يدفعه إلى الطاعة، يدفعه إلى قتلها. إنها تتيح نفسها له لأن وجودها يخفف من ألمه، ولأنها لا تصدق أنه يمكن أن يقتلها. هذه حماقة، تعرف هذا. إن الحب ليس لقاءًا ضد القتل. لكنها تحتاج إلى أن تصدق هذا عنه.

يعبس شافا، وهذا جزء من أسباب حبها له؛ أنه لا تبدو عليه أمارات عدم التصديق. «نعم، لقد شعرت فعلاً بأنك صرت... أصقل أخيرًا. كان هذا يحدث أيضًا للأوروبيين في المرتكز، عندما كانوا يُسمح لهم بالتطور إلى هذه الدرجة. يصبحون بعدها معلمي أنفسهم، تقودهم قواهم إلى طرق معينة، بإرشاد من هبتهم الطبيعية»، يقطب حاجبيه قليلا، «لكننا بصراحة كنا نبعدهم عن هذا المسار».

«لماذا؟».

«لأنه خطر، خطر على الجميع، لا على الأوروبيين محل التساؤل وحده». يميل نحوها، كتفه دافئ وداعم. «أنت نجوت من المرحلة التي تقتل الأغلبية، أي الاتصال بالمسلة. أنا... أذكر كيف مات آخرون وهم يحاولون هذا»، يبدو للحظة مضطربًا، ضائعًا، مرتبكًا، بينما يتلمس

طريقه يحذر بين الحواف الملتهبة لذكرياته الممزقة، «أتذكر بعضه. أنا ممتن لـ...». يجفل مجددًا، يبدو مضطربًا مجددًا. لم تكن الفضة هذه المرة هي ما يؤذيه. تخمن ناسّون أنه إما تذكر أمرًا لا يحبه، وإما لا يستطيع تذكر أمرًا ينبغي تذكره.

تفيق على حقيقة أنها مهما صارت بارعة، فلن تستطيع أن تستأصل منه ألم الخسارة. لكنها تستطيع استئصال بقية الألم، وهذا هو المهم. تلمس يده، أصابعها تغطي الندوب النحيلة التي يسببها بأظافره لنفسه عندما يصبح ألمه أسوأ مما تستطيع ابتساماته تخفيفه. إن تلك الجروح اليوم أكثر مما كانت منذ عدة أيام، وبعضها لا يزال حديثًا. تذكره: «أنا لم أمت».

يرمش، وهذا وحده كان كافيًا لإعادته إلى هنا والآن. «هذا صحيح، لكن يا ناسّون...»، يبدل من وضع يديهما، إنه الآن من يمسك يدها. يده ضخمة حتى أنها لا تستطيع أن تلمح يدها داخلها. لطالما كانت تحب ذلك، أن يغلفها بالكامل. «... يا صغيرتي الحنون، أنا لا أرغب في إزالة حجر أساسي».

حجر الأساس. عرفت الآن اسم عدوها. صحيح أن الكلمة ليس لها معنى، لأنه معدني لا حجري، ولأنه ليس في أساسه بل في رأسه، لكن هذا لا يهم. تجزّ على أسنانها لتقاوم الكراهية. «إنه يؤذيك».

«كما ينبغي أن يفعل، فأنا خنته»، يضيق فكه للحظة، «لكنني أقبل عواقب أفعالي يا ناسّون، وأستطيع تحملها».

هذا ليس له معنى. «إنه يؤذيك. أستطيع أن أوقف الأذى. بل أستطيع حتى أن أجعله يتوقف عن إيذاك من دون أن أخرجه، لكن لفترات

وجيزة، وسيكون عليّ أن أظل بصحبتك». تعلمت ذلك من محادثتها مع فولاذي، ومن مراقبتها لما فعله. إن في آكلي الصخر سحرًا أكثر من الناس بكثير، لكن ناسون تستطيع أن تحاكيه بقدر ما. «لكني إن استأصلتها...». يقول شافا: «إن استأصلتها فلن أعود وصيًا. أتعلمين ما الذي يعنيه هذا يا ناسون؟».

يعني أن شافا حينها يمكن أن يغدو أباهًا. إنه كذلك فعليًا على عدة أصعدة. ثمة أشياء في حياة ناسون لا تفكر فيها مباشرة لأنها غير مستعدة لمواجهة نفسها بشأنها (لكنها ستفعل، قريبًا جدًا)، لكنها موجودة في عقلها.

يقول ردًا على أمنيته الصامتة: «يعني ذلك أنني سأخسر الكثير من قوتي، ولن يعود في وسعي حمايتك يا صغيرتي». تقفز عينه نحو كابينة الوصاة، فتفهم. أومر ونيدا سيقتلانها. بل سيحاولان.

رأسه يميل. يظن لحظيًا بالطبع لنواياها المتحدية. «لن يكون في وسعك هزيمتهما معًا يا ناسون. أنت لست قوية إلى هذا الحد. إن في جعبتهما حيلة لم تريها بعد، حيل تستطيع أن...»، يبدو مضطربًا من جديد، «لا أريد أن أتذكر ما هما قادران على فعله بك».

تحاول ناسون ألا تدع شفتها السفلية تبرز إلى الخارج. كانت أمها تقول إن هذا تدمر، وأن التذمر والتأفف أشياء لا يفعلها إلا الأطفال الرضع. «لا ترفض بسببي». إنها قادرة على أن تعتني بنفسها. «ليس بسببك، قلت هذا فقط آملًا إقناعك بتحفيز غريزتك للبقاء».

أما فيما يخصني، فأنا لا أريد أن أشيخ وأمراض وأموت يا ناسون، وهذا ما سوف يحدث إن انتزعت حجراً أساسياً. أنا أكبر مما تحسبن...». تعود نظرتة الغائمة للحظة، لكنها تعرف هذه المرة أنها تعود إلى عدم تذكره كم عمره بالضبط. «أكبر مما أنا أحسب. إن حجر الأساس هو ما يمنع الزمن من اللحاق بي، ومن غيره سأصبح في غضون أشهر رجلاً عجوزاً استبدل آلام الحجر بآلام الشيخوخة، ثم أموت».

«ما الذي يدريك أن هذا ما سيحدث؟»، ترتجف قليلاً، حلقها ينغصها.

«بل أنا أدري، لقد رأيته يحدث يا صغيرة، وهذه قسوة لا رحمة»، تضيق عينا شافا، وكأنه مضطر إلى عصر ذاكرته، ثم يركز فيها. «هل أذيتك من قبل يا ناسوني؟».

تجهش بالبكاء. لا تعلم سر بكائها، عدا... عدا أنها ربما كانت تريد هذا، تسعى إليه بكل طاقتها. لقد أرادت أن تستخدم أوروجينيتها في فعل الصواب، بعدما استخدمتها في فعل أشياء كثيرة مريعة... وقد أرادت فعل هذا له. إنه الشخص الوحيد في العالم الذي يفهمها، الذي يحبها كما هي، ويحميها رغم ما هي.

شافا يتنهد، ويأخذ ناسون في حجره، فتلف نفسها حوله وتنتحب في صدره لفترة طويلة، غير آبهة أنها حيث يمكن أن يراها الجميع.

لكنها عندما انقضى النحيب، تدرك أنه كان يحتضنها بنفس الإحكام. إن الفضة تصول وتجول في داخله لأنها قريبة منه. أنامله على مؤخرة عنقها، ويسهل عليه أن يضغط بها ويدمر سسبيتها، ويقتلها بضغطة واحدة. لكنه

لم يفعل، بل كان يحارب دافعه لفعل هذا له بعض الوقت. إنه يفضل تلك المعاناة، تلك المخاطرة، على أن يدعها تساعده، وهذا أسوأ شيء في العالم بأسره.

تضيق فكها، وتحكم قبضتها على ظهر قميصه. ترقص مع الفضة، تتدفق معها. إن الياقوتية الزرقاء قريبة. لو أنها تمكنت من جعلها يتدفقان معًا، ستفعلها بسرعة، ستنتزعها بدقة جراحية.

شافا يشتد، «ناسون»، يحمد فجأة تأجج الفضة داخله ويظلم قليلًا. إن حجر أساسه واع بالخطر الذي تشكله. إن هذا المصلحته.

لكن.

تزدرد لعابها. لو أنها آذته لأنها تحبه، أيعد هذا أذى؟ لو أنها آذته الآن كثيرًا لتجنبه أذى لاحقًا أكثر، أيجعلها هذا شخصًا سيئًا؟ «ناسون، أرجوك».

أهذا ما لا ينبغي أن يكونه الحب؟

عدا أن تلك الفكرة تذكرها بأمها، وبأمسية باردة تحجب فيها الغيوم الشمس وريح حادة تجعلها ترتعش فيما تغطي أصابع ماما أصابعها وتثبت يدها على صخرة مسطحة. لو استطعت أن تتحكمي في نفسك خلال الألم، سأعلم أنك صرت آمنة.

تطلق سراح شافا وتراجع، وترتجف من الشخص الذي كادت تتحول إليه.

يكنم في مكانه لحظة أخرى، ربما ارتياحًا أو ندمًا، ثم يقول برفق: «لقد كنت في الخارج طوال اليوم، ألم تأكلي شيئًا؟».

إن ناسون جائعة، لكنها لا تريد أن تقر بذلك. تشعر فجأة باحتياج إلى وضع مسافة بينهما، تحتاج إلى شيء يجعل حبها له أقل، كي يهدأ باعثها على مساعدته رغمًا عنه ولا يوجعها.

تنظر إلى يديها وتقول: «أريد... أريد أن أزور بابا».

يظل شافا صامتًا لوهلة أخرى. إنه غير موافق. لا تحتاج إلى رؤية أو سسبنة هذا كي تعرفه. كانت ناسون قد سمعت بها نشب بين شافا وأبيها يوم قتلت إيتز. لم يسمع أحد ما قاله شافا لجيجا، لكن الكثيرين رأوه يطرح جيجا أرضًا ويربض فوقه، ويبتسم في وجهه بينما يحدق فيه جيجا بأعين جاحظة مذعورة. يمكنها تخمين ما صار. بيد أن ناسون، لأول مرة، تحاول ألا تهتم بشعور جيجا.

يسألها: «هل يمكنني الذهاب معك؟».

«لا»، إنها تعرف كيف تتعامل مع أبيها، وتعلم أن شافا لن يصبر عليه، «سأعود بسرعة».

«أتمنى أن تفعلي يا ناسون»، صوته عطوف، لكنه تحذير.

غير أنها تعرف كيف تتعامل مع شافا أيضًا. «حسنًا يا شافا»، ترفع عينها إليه، «لا تقلقي، أنا قوية، أنت جعلتني كذلك».

«أنت التي جعلت نفسك قوية»، نظرت رقيقة وفظيعة، إن عيون بياض الثلج فظيعة دائمًا، حتى عندما تغشاها طبقة من الحب. اعتادت ناسون على هذا المزيج.

تنزل من حضنه. منهكة، مع أنها لم تفعل شيئًا. لطالما كانت المشاعر ترهقها. لكنها تنزل الهضبة وتتجه إلى جيكتي. تومئ إلى الأشخاص الذين تعرفهم، سواء ردوا تحيتها أو لا. تلاحظ الصومعة الجديدة التي تبنيها القرية، بعدما حظوا بوقت كافٍ لزيادة مخازنهم بينما لا يزال هطول الرماد واحتجاب السماء متقطعين. إنه يوم عادي هادئ في كومونة عادية هادئة، وبشكل ما لها نفس انطباع تيريمو. لولا القمر الجديد وشافا، كانت ناسون لتكره وجودها هنا مثلما كرهت هناك. لعلها لن تفهم أبدًا لماذا اختارت ماما هذا المكان الممل النائي حينما كان العالم بأسره مفتوحًا لها، بعدما فرت بطريقة ما من المرتكز.

وهكذا، وأمها في عقلها، تطرق ناسون باب منزل أبيها (إن لها غرفة هنا، لكنه ليس منزلها، ولهذا تطرق).

يفتح جيغا الباب فورًا، كما لو كان يتأهب للذهاب إلى مكان ما، أو كما لو كان ينتظرها. تهب من البيت رائحة شيء يعبق بالثوم، من ناحية الفرن في الخلف. تفكر ناسون أن لعل ما في الإناء سمك، بما أن حصص تموين جيكتي غنية بالأسماك والخضراوات. هذه أول مرة يراها جيغا منذ شهر، تتسع عيناه للحظة.

تقول: «أهلاً يا بابا». ثم غرابة وخرج.

ينحني جيغا، وقبل أن تفهم ناسون ما الذي يحدث، كان يحملها ويحتاجها في حضنه.

إن لجيكتي انطباع تيريمو، لكن على نحو جيد هذه المرة. مثل عندما كانت ماما أيضًا موجودة، لكن بابا كان من يحب ناسون أكثر،

وما في الإناء فوق الفرن كان بطاً لا سمكاً. لو الآن مثل وقتها، كانت ماما لتصبح في جرو كيركوزا الجيران لسرقته الملفوف من حديقة بيتهم، لأن توكي العجوز لم تربط أليفها قط كما ينبغي. كان الهواء Liebec بنفس رائحته الآن؛ ريح طبخ شهى مختلط بالروائح اللاذعة للحجارة المكسورة لتوها، والمواد الكيماوية التي يستخدمها بابا لتنعيم وصقل عدته. كان أوتشي ليركض في الخلفية ويصدر أصواتاً ووشش ويصبح أنه يسقط بينما يحاول أن يقفز إلى أعلى في الهواء...

تتيس ناسون في حضن أبيها عندما تدرك فجأة: أوتشي، يقفز إلى أعلى، يقع إلى أعلى، أو يتظاهر أنه يفعل. أوتشي، الذي ضربه بابا حتى الموت.

يشعر جيغا بتيسها فيتيس بدوره. ينزلها ببطء إلى الأرض ويطلق سراحها، بينما تتحول سعادته إلى توتر. يقول: «ناسون»، تتفحص نظرتة وجهها، «هل أنت بخير؟».

«أنا بخير يا بابا». تفتقد ذراعه حولها، لا يسعها إلا هذا، لكن تذكرها المباغت لأوتشي ذكرها أن تلتزم الحذر. «أردت فقط أن أراك». يتزحزح توتر جيغا قليلاً. يرتبك، يبدو وكأنه يبحث عما يقوله، ثم في النهاية يفسح الطريق. «ادخلي، هل أنت جائعة؟ هناك طعام يكفي كلينا».

هكذا تدخل البيت، وبينما يقعدان لتناول الطعام يثرثر عن كيف طال شعرها كثيراً، وكيف أمست ضفائرها جميلة، هل هي من ضفرتها لنفسها؟ وهل أمست هي نفسها أطول؟ ربما، تقر بهذا مع احمرار وجنتيها،

حتى وهي تعلم أنها صارت أطول ببوصة كاملة عن آخر مرة قاسها جيغا، وكان قد فعل هذا لأنه فكر أنه ربما يحتاج إلى تقديم طلب للحصول على ملابس جديدة لها مع حصة تموين القمر الجديد التالية. يقول جيغا إنها أمست شابة ناضجة الآن، وفي صوته فخر حقيقي يرخي دفاعاتها. توشك أن تصبح في الحادية عشرة وهي شديدة الجمال وشديدة القوة، كم هي تشبه.. يتلعثم. تحديق ناسون إلى طبقها لأنه كاد أن يقول كم تشبهين أمك.

أهذا ما لا ينبغي أن يكونه الحب؟

ترغم ناسون نفسها على قول: «لا بأس يا بابا». إنه لشيء فظيع أن ناسون جميلة وقوية مثل أمها، لكن الحب والفضائع صنوان لا يفرقان. «أنا أيضًا أفقدتها»، لأنها فعلاً، وبرغم كل شيء، تفتقدتها.

جيغا يتيسس نوعاً، وتتلوى عضلة في منحنى فكه قليلاً، «أنا لا أفقدتها يا عزيزتي».

تلك كانت كذبة صارخة حد أن ناسون تنسى أن تتظاهر بموافقته وتحديق إليه. وتنسى أشياء كثيرة على ما يبدو، بما فيها الحد الأدنى من الحصافة، لأنها تندفع: «لكنك تفتقدتها، وتفتقد أوتشي أيضًا، أرى ذلك فيك».

يغدو جيغا جامداً كتمثال، ويحدق إليها بشيء بين الصدمة مما قالت صراحةً والرعب مما قالت. ثم، ومثلما اعتادت ناسون من أبيها، تتحول صدمته من غير المتوقع إلى غضب فجأة.

يسألها بغتة: «أهذا ما يعلمونه لك في هذا الـ... مكان؟ يعلمونك الإساءة إلى أبيك؟».

فجأة يزداد تعب ناسون، لقد تعبت من الرقص حول كل هرائه.
تقول: «أنا لم أسئ إليك»، تحاول أن تحافظ على صوتها حياديًا
مسطحًا، لكنها تسمع فيه إحباطها. لا تستطيع منع هذا. «لم أقل غير
الحقيقة يا بابا، لكنني لا أمانع أنك...».

«هذه ليست الحقيقة، بل إهانة، أنا لا أسمح بمثل تلك الألفاظ يا
بنت».

تصبح الآن مرتبكة. «أي ألفاظ؟ أنا لم أقل أي شيء سيئ».

«السيئ هو أن تقولي عن شخص أنه يجب الروجات».

«أنا... لم أقل أن...»، لكنها قالت على نحو ما. لو أن جيجا يفتقد
ماما وأوتشي، فهذا يعني أنه يجبها، وهذا يجعله محبًا للروجات. لكن...
أنا روچا. تعلم أنها لا يجب أن تقول هذا، لكنها تريد أن تفعل.

يفتح جيجا فمه ليقول شيئًا، ثم يبدو وكأنه يمسك نفسه. يشيح
ببصره، ويسند مرفقيه إلى المائدة ويشبك يديه على النحو الذي يلجأ إليه
عندما يحاول التحكم في أعصابه.

يقول: «إن الروجات...»، يبصق بالكلمة وكأنها نجسة، «...
يكذبون يا حبيبي. يهددون ويتلاعبون ويستغلون الناس. إنهم شر يا
ناسون، شر خالص مثل الأب الأرض نفسه. وأنت لست كذلك».

وهذه كذبة أيضًا. لقد فعلت ناسون ما تحتم عليها فعله كي تنجو،
بما في ذلك الكذب والقتل. ولقد فعلت بعضًا من هذه الأشياء كي تحمي
هو نفسه. إنها تكره ما اضطرت إلى فعله، وهي حانقة من أنه على ما يبدو
لم يدرك ذلك قط، وأنها لا تزال تفعل وهو ما زال لا يرى.

تلفي ناسون نفسها تفكر وهي تنظر إلى أبيها لماذا لا أزال أحبه أصلاً؟

تقول بدلاً من ذلك: «لماذا تكرهنا إلى هذا الحد يا بابا؟».

جيجا يجفل، ربما من نا الجماعة غير المتوقعة. «أنا لا أكرهكم».

«لكنك كرهت ماما، ولا بد أنك كرهت أُو...».

«لم أفعل». يدفع جيجا الطاولة وينهض. ناسون تجفل رغماً عنها، لكنه يلتفت ويبدأ يذرع الغرفة بعنف في دوائر صغيرة. «أنا فقط... أعلم ما هم قادرون على فعله يا حبيبتي، أنت لن تفهمي هذا، أنا كنت في حاجة إلى حمايتك».

وفي إشراقة فهم مفاجئة، قوية كالسحر، تدرك ناسون أن جيجا لا يتذكر وقوفه فوق جثة أوتشي، يحيش صدره كما كتفيه، فكه مضموم حول كلماته هل أنت أيضًا مثله؟ ويعتقد الآن أنه لم يهددها قط، لم يرمها من العربة لتتدحرج من أعلى تل من العصي والحجارة. ثمة شيء ما أعاد كتابة قصة أبنائه الأوروچينيين داخل رأسه، وهي قصة منقوشة وصامدة أبداً كالحجر في عقل ناسون، ولعله نفس الشيء الذي حول ناسون داخل عقله إلى ابنته بدلا من روجا، وكأن هذا انشطر عن ذاك بشكل ما.

«عرفت الروجات عندما كنت صبيًا، أصغر منك الآن»، لم يعد جيجا ينظر إليها، وجعل يلوح بيده وهو يتكلم ويمشي، «ابن عم ماكنبا». ناسون ترمش، تتذكر السيدة ماكنبا، العجوز التي كانت تفوح دائماً برائحة الشاي. كان لِرنا، طبيب الكومونة، ابنها. أكان للسيدة ماكنبا ابن

عم؟ ثم تفهم. «وجدته خلف صومعة الحبوب. كان مقرصًا، مرتعشًا، حسبته مريضًا»، يهزّ جيغا رأسه طوال الوقت، ولا يزال يروح ويحي، «كان معي صبي آخر، كنا نلعب معًا نحن الثلاثة دومًا. ذهب كيرل ليهزّ ليتيسك، لكن ليتيسك...»، يتوقف جيغا بغتة. يجيش كتفيه كما كانا يجيشان يومها، «أخذ كيرل يصرخ، وليتيسك يقول إنه لا يستطيع أن يتوقف، لا يعرف كيف يتوقف. أكل الثلج ذراع كيرل وانكسر. تناثرت دماؤه قطعًا على الأرض. قال ليتيسك إنه آسف، وأخذ يبكي، لكنه تابع تثليج كيرل. لم يتوقف. وعندما بدأت أركض مبتعدًا كان كيرل يمد ذراعه نحوي، مثلجًا بالكامل إلا من رأسه وصدره، وذراعه التي توجه بها إليّ. لكن الأوان قد فات، عرفت ذلك، كان الأوان قد فات من قبل حتى أن أركض لأطلب المساعدة».

لا يريجها أن تعرف إن كان هناك سبب -سبب بعينه- لما فعله أبوها. كل ما تفكر فيه أن أوتشي لم يفقد تحكمه على هذا النحو، ما كانت ماما لتسمح له. وهذا صحيح، إن ماما كانت تسسبن وتحمد أوروچينية ناسون ولو من أقصى المدينة إلى أقصاها. ما يعني أن أوتشي لم يفعل أي شيء يستفز جيغا. قتل جيغا ابنه بجريرة اقترفها آخر قبل ميلاده بكثير. وهذا، أكثر مما عداه، يجعلها تفهم أخيرًا أن لا أمل في التفاهم بالعقل مع كراهية أبيها.

بالتالي كانت ناسون شبه مستعدة عندما انقلب نحوها بغتة نظر جيغا بجانب عينه، مترعًا بالشك. «لماذا لم تعالجي نفسك بعد؟». لا تفاهم، لكنها تحاول، لأن ذات يوم كان هذا الرجل حياتها كلها.

«ربما أصبح قادرة على ذلك عمّا قريب. لقد تعلمت كيف أجعل الأمور تحدث بالفضة، وكيف أستخرج الأشياء من الناس. لا أعلم كيف تعمل الأوروجينية بالضبط ولا أين مصدرها، لكن لو أنها شيء يمكن استخراجه، عندها...».

«لقد تكلمت مع أهل الكومونة وعرفت أن أحدًا من بقية الوحوش لم يشفَ»، تصبح خطوات جيّجا أسرع على نحو ملحوظ، «بل يعيشون مع الوصاة فوق الهضبة، ويزيدون عددًا كل يوم، ولم يشفَ منهم أحد! يا لها من كذبة».

«إنها ليست كذبة، لو أنني صرت ماهرة بما يكفي، سأصبح قادرة على ذلك قريبًا»، إنها تفهم ذلك بالغريزة تقريبًا، لو بلغت ما يكفي من التحكم الدقيق وبمساعدة الياقوتية الزرقاء، ستصبح قادرة على أي شيء تقريبًا. «لكن...».

«وما الذي منعك من أن تصبحي ماهرة بما يكفي؟ إن لك هنا قرابة العام».

لأن هذا صعب. أرادت قول هذا، لكنها تعي أنه لا يريد أن يسمعه. إنه لا يريد أن يعرف أن الوسيلة الوحيدة لاستخدام الأوروجينية والسحر لتبديل حال شيء، هو أن تصبح خبيرًا في الأوروجينية والسحر. لا تجيبه لأن لا فائدة من هذا، ولا يسعها قول ما يريد أن يسمعه. ليس عدلًا أن ينعت الأوروجينيين بالكذب ثم يطلب منها أن تكذب.

يتوقف ويلتفت فيواجهها، وقد أمسى مرتابًا من صمتها. «أنت لا تحاولين أن تتحسني، أليس كذلك؟ قولي الحقيقة يا ناسون!».

كم هي، وحق الصدا، منهكة.

تجيب في النهاية: «أنا أحاول أن أتحسن يا بابا، أحاول أن أصبح أوروپينية أفضل».

جيجا يتراجع، وكأنها ضربته. «أنا لم أسمع لك أن تعيشي بالأعلى لهذا».

إنه لم يسمح لها بشيء، بل شافا أرغمه. إنه يكذب على نفسه حتى الآن. لكن ما يفطر قلب ناسون هو كذبه عليها (وتعي فجأة أنه كان يكذب عليها طوال حياتها)، هو قوله إنه يحبها في حين هذا غير صحيح كما هو واضح. إنه لا يستطيع أن يحب أوروپيني، وهي أوروپينية، وهو لا يستطيع أن يكون أبا أوروپينية، ولهذا يطالبها باستمرار أن تصبح شيئاً غير نفسها.

ولقد تعبت، تعبت وانتهت من كل هذا.

تقول: «أنا أحب كوني أوروپينية يا بابا». عيناه تتسعان. هذا قول فظيع، حبها لنفسها أمر فظيع، «أنا أحب قدرتي على تحريك الأشياء، وعلى استخدام الفضة، وعلى الوقوع في المسلات. وأكره...».

كانت على وشك قول إنها تكره ما فعلته بإيتز، وأنها تكره على وجه الخصوص كيف يعاملها الآخرون بعدما عرفوا ما تقدر عليه، لكنها لا تتاح لها الفرصة. يتقدم جيجا بسرعة خطوتين ويطوح ظهر يده بسرعة شديدة حتى أنها لا تراها قبل أن ترميها من مقعدها.

ومثلما كان في ذلك اليوم على الطريق الإمبراطوري، عندما وجدت نفسها فجأة أسفل تل العصي والحجارة، تتألم. وتدرك في إشراقة فهم

أخرى أن هذا بلا شك ما صار مع أوتشي. كان العالم كما يجب أن يكون في لحظة، وفي التالية انقلب إلى الخطأ الكامل، إلى الفساد الكامل. تفكر حزناً، على الأقل لم يُتيح لأوتشي وقتاً للكراهية. ثم تثلج المنزل برمته.

لم يكن هذا رد فعل غريزي، بل فعلاً متعمداً، دقيقاً، صنعت ناسون نطاق قدرة بمساحة وأبعاد المنزل بالضبط. لن يعلق فيه أحد خارج هذه الحوائط. وتركت أيضاً بقعتين آمنتين داخل هذا النطاق، ومركزت كل منهما على نفسها وأبيها. شعرت بالبرد على شعرها وجلدها، ينخفض ضغط الهواء فيبدأ يشد ملابسها وضمائرها. يشعر جيغا بنفس الشيء فيبدأ يصرخ، عيناه تجحطان ولا تريان، تعميه ذكرى الموت الثلجي القاسي لصديقه أمام عينه. عندما تعود ناسون للوقوف على ساقها، وتنظر إليه عبر أرضية الغرفة المغطاة بالثلج الأملس اللامع وخلف المقعد الساقط الذي تشوه إلى حد يستحيل معه أن يُستخدم مجدداً، تجده وقد تعثر وانزلق على الثلج ووقع، وتزحلق قليلاً على الأرض حتى ارتطم بأرجل المائدة.

ليس هناك أي خطر. لم تشكل ناسون نطاقها إلا لحظة، تحذيراً له كيلا يلجأ إلى مزيد من العنف. لكن جيغا ظل يصرخ، بينما تحديق ناسون إلى أبيها الهلّع المتكوم حول نفسه. ربما عليها أن تشعر بالشفقة، أو بالندم، عدا أن ما تشعر به هو الغضب البارد نحو أمها. تعلم أن هذا غير عقلائي، حقيقة أن خوف جيغا من الأوروبيين يفوق حبه لأبنائه ليست خطأ أحد إلا جيغا نفسه. لكن ناسون كانت ذات يوم تحب أباهاً حباً غير

مشروط، والآن، تحتاج إلى من تلومه على ضياع هذا الحب الكامل،
وتعلم أن أمها يمكن أن تتحمل هذا.

كان عليك أن تنجيننا من شخص أقوى، قالتها في عقلها لإيسون،
أينما كانت إيسون الآن.

تحاذر وهي تمشي على الأرضية الملساء كيلا تتزحلق، وتحتاج أن تهزّ
المزلاج عدة مرات حتى يفتح. وعندما يفتح، يكون جيغا قد توقف
عن الصراخ خلفها، وإن كانت لا تزال تسمع تنفسه اللاهث وأنيته
الواهن مع كل زفير. لا تريد أن تنظر خلفها، لكنها ترغب نفسها على
ذلك، لأنها تريد أن تكون أوروبية جيدة، والأوروبية الجيدة لا
يتحمل كلفة خداع الذات.

ينتفض جيغا وكأن نظرتها تحرقه.

تقول: «الوداع يا بابا». ولا يرد عليها بأي كلمة.

وأخر دمة ذرفت، بينما يحرقها حيًا بالثلج، تهشمت على الأرض كما
الانشقاق. حصن قلبك من الروجات، فأرواحهم ليس فيها غير الصدا.
من الحكاية القولية «قبلات ثلجية»، لصاحبها
هوز قوال بيبك، سُجلت في مسرح ميسدا في ربع
بيبك. (ملحوظة: تنصل سبعة قوالين استوائيين
جوالين من هوز واعتبروه «جوالًا نصابًا شعبيًا».
يُحتمل أن تكون الحكاية منحولة)

أنت، تبدئين العد التنازلي

حالما نذهب من عند السانزية، أنتحي بك جانبًا.

أقول: «إن الذي تدعيه الرجل الرمادي، لا يريد منعك من فتح البوابة، لقد كذبت».

أنت الآن قلقة مني كل القلق. كلامي يبلبلك، أرى ذلك، تريدان أن تصدقيني حتى وعيناك تذكر أنك أني خدعتك. لكنك تتنهدين وتقولين: «طيب، خنت أن لديك المزيد».

أقول متجاهلاً تهكمك: «إنه سيقهلك لأنك غير قابلة للتلاعب، لأنك إن فتحت البوابة ستردين القمر وتنهين المواسم، أما ما يريده هو ف شخص يفتح البوابة لغاياته الخاصة».

تفهمين دوافع اللاعبين أكثر الآن، حتى لو لم تفهمي اللعبة كلها. تعبين. «وما هي غاياته؟ التحويل؟ حفظ الوضع القائم؟». «لا أعلم، أهذا يهم؟».

«لا أظن»، تمررين يدك على صفائك التي أعدت تضفيرها أخيرًا، «لهذا إذن يحاول جعل كاستريا تطرد كل روجاتها؟».

«نعم. لو كان يستطيع فسيجد سبيلاً لإرغامك على فعل ما يريد يا إيسون، وإن لم يستطيع... فأنت بلا فائدة له، بل أسوأ، أنت العدو». تفصح تنهيدتك عن إنهاك العالم بأسره، ولا ترددين على هذا إلا بلياءة ثم الابتعاد. أراقبك تذهبين وأنا في أشد الرعب.

ومثلما اعتدت في لحظات يأس سابقة، تذهبين إلى الألبستر. لم يبقَ فيه الكثير. منذ تحلى عن رجله صار يقضي أغلب الوقت مخدراً، ملتصقاً بأنثيموني مثل جرو يرضع من أمه. أحياناً لا تطلبين الدروس عندما تزورينه. إن هذا تضييع للوقت، فأنت متيقنة أن السبب الوحيد لتشبه المضني بالحياة هو أن ينقل إليك فن تدمير العالم. لقد ضبطك متلبسة عدة مرات، تستيقظين من نومك الملتصق بعشه لتجدينه يحرق إليك. لكنه لا يوبخك، غالباً لأنه يفتقر إلى القوة الكافية لذلك، ولهذا أنت شاكرة. تجدينه مستيقظاً هذه المرة وأنت تجلسين إلى جواره، وإن كان لا يتحرك كثيراً. لقد انتقلت أنتيموني بالكامل إلى العش الأيام الأخيرة، ونادراً ما ترينها في أي وضع غير «الكرسي الحي» الذي تتخذه له؛ راحة، ساقاها منفرجتان، يداها مرتكزتان إلى فخذيها. يستند الألبستر إليها بظهره لأن الحروق القليلة في ظهره شُفيت حينما كانت حروق رجله تتعفن. لحسن الحظ ليس لأنثيموني أذاء تؤلم جلسته، وحتى محاكاتها للملابس ليس فيها شيء خشن ولا حاد. تتزحزح عينا الألبستر لتبعانك وأنت تجلسين، مثل أعين آكلي الصخر. تكرهين تلك المقارنة عندما تخطر لك.

تقولين: «التاريخ يعيد نفسه»، دون أن تتكلفي عناء شرح ما الذي يُعاد، إنه يفهمك دائماً، «كيف فعلتها؟ ... أقصد في ميوف، أنت حاولت، كيف؟»، لأنك ما عدت تجدين في نفسك أدنى رغبة في القتال من أجل هذا المكان، أو بناء حياة هنا. غرائزك كلها تدعوك إلى وضع مخلعة هروبك على كتفك وأخذ أحبابك والفرار قبل أن تنقلب كاستريها عليكم. إن هذا على الأرجح حكم بالإعدام، فالموسم بالأعلى قد استفحل، لكن البقاء يبدو لك أشد مصيراً.

يأخذ نفساً طويلاً، بطيئاً، فتعرفين أنه ينوي الرد، لكنه يحتاج إلى بعض الوقت كي يتمكن من الكلمات. «لم أتعمد شيئاً. أنت كنت حبل، وأنا كنت ... وحيد. لبعض الوقت».

تهزّين رأسك. طبعاً كان يعرف أنك حامل قبل أن تعرفي بنفسك، لكن هذا الآن لا يهم. «أنت حاربت من أجلهم»، التركيز في آخر كلمتين يتطلب مجهوداً كبيراً، لكنك تركزين. صحيح أنه حارب من أجلك وكورندم وإينون، لكنه حارب من أجل ميوف نفسها أيضاً. «كانوا سينقلبون علينا أيضاً، عاجلاً أم أجلاً»، عندما يتضح أن كورندم أقوى مما يحسبون، أو إن تمكنوا من ردع الوصاة فيتحتّم عليهم بعدها مغادرة ميوف إلى مكان آخر. لم يكن من انقلابهم مناص.

يصدر صوتاً مؤكداً.

«لماذا إذن؟».

يتنهد تنهيدة طويلة بطيئة. «كان هناك احتمال ألا يفعلوا». تهزّين رأسك، كلامه عصي على التصديق حتى يكاد يبدو أصواتاً مبهمّة، لكنه

يضيف، «وأي احتمال يستحق القتال في سبيله». لا يقول في سبيلك، لكنك تشعرين بها، إنها ما بين السطور، تكادين تسسبنينها تحت سطح كلماته. كي تتسنى لعائلتكم حياة عادية بين الآخرين، فرص عادية، معاناة عادية. تحدقين إليه. يدفعك دافع لحظي لرفع يدك إلى وجهه، وتحرير أصابعك على شفاهه ذات الندوب. يراقبك وأنت تفعلين ويمنحك ابتسامته الربعية الصغيرة، التي هي جل ما يستطيع فعله هذه الأيام. وهذا أكثر مما تحتاجين.

ثم تنهضين وتخرجين، كي تحاولي استخلاص فرصة كاستريا الواهنة المشقوقة غير الموجودة تقريباً في النجاة.

كانت إيكا قد دعت إلى تصويت في الصباح التالي، بعد أربع وعشرين ساعة من «عرض» رينانيس. تحتاج كاستريا إلى الرد بشكل ما، لكن إيكا ترى أن الرد لا يجب أن يكون محصوراً في مجلسها غير الرسمي. وأنت لا ترين أن التصويت سيشكل أي فارق، غير التأكيد على أن لو اجتازت الكومونة هذه الليلة بسلام فستكون تلك معجزة صدئة.

يرميك الناس بالنظرات وأنت تمشين وسط الكومونة. تحافظين على بصرك أمامك وتحاولين ألا تدعيهم يؤثرن فيك بوضوح.

خلال زيارات خاصة موجزة، تنقلين أوامر إيكا إلى كاتر وتيميل، وتطلبين منهم نشرها. إن تيميل عادةً يأخذ الأطفال إلى الخارج من أجل دروسهم على أية حال، ويقول إنه سيزور تلاميذه في بيوتهم ليشجعهم

على تكوين مجموعات دراسية ثنائية وثلاثية، في بيوت الكبار الموثوق بهم. تريدين قول إنه لا يوجد كبار جديرون بالثقة، لكنه يعلم هذا، ولا سبيل غير ذلك، فليس ثمة داعٍ إلى الجهر به.

يقول كاتر إنه سينقل أوامر إيكا إلى الروحات الكبار القليلين. إنهم ليس بينهم البارع بما يكفي لتشكيل نطاق قدرة أو التحكم في أنفسهم كما ينبغي. باستثناءك وألابستر، الكل هنا بريون. لكن كاتر سيراعي أن يكونوا بالقرب ممن لديهم القدرة. يضيف كاتر بوجه جامد: «ومن سيحمي ظهرك أنت؟».

ما يعني أنه يعرض ذلك. النفور المتجلي في القشعريرة التي اجتاحتك لدى عرضه يفاجئك. أنت لم تثقي به قط، حتى وأنت لا تدرين لذلك سببًا. ثمة خطب ما في إخفائه لحقيقته طوال عمره، وإن كان هذا تناقضًا صارخًا مع تنكرك لعشرة أعوام في تيريمو. لكن، بحق الصدأ المتقشر، أئمة من تثقي به؟ لا شيء يهم ما دام سيقوم بدوره. تجربين نفسك على أن تومئي. «ابحث عني إذن بعدما تنتهي». يوافق.

تقررين عندئذٍ أن ترتاحي قليلًا. إن غرفة نومك متداعية منذ تحول هوا، وأنت لست مستعدة كثيرًا للنوم في فراش تونكي. لقد مر زمن طويل، لكن ذكرى العفن تموت بصعوبة. زائد أنك تفتنين، متأخرًا، أن لا يوجد من يحمي ظهر إيكا. إنها تؤمن بكمونتها، وأنت لا تفعلين. لقد التهم هواً ياقوتية الشعر، التي أبدت ولو قليلًا شيئًا من الاهتمام بالحفاظ على حياة إيكا. هكذا تستعيرين كيسًا قماشياً آخر من تيميل، وتجمعين من شقتك قليلًا من الاحتياجات الأساسية - هذه ليست

مخللة هروب بالمعنى المفهوم، وبهذا يكون لإنكارك بعض الصحة لو اعترضت إيكّا- وتتجهين إلى شقتها (وسيفيد هذا أيضًا في جعل عثور كاتر عليك أصعب). تستتجين من صوت تنفسها من وراء ستائر غرفة النوم أنها لا تزال نائمة. إن أرائكها مريحة، خاصة عند مقارنتها بالنوم الحشن الذي كابدته على الطرقات. تستوسدين مخللة هروبك وتتكومين على أريكّة، وتحاولين نسيان العالم لبعض الوقت.

ثم تستيقظين على لعنات إيكّا وهي تتخطاك وتمضي متعثرة مسرعة حتى تكاد تمزق إحدى ستائر الشقة في تعجلها. تقومين بمشقة وتجلسين. «ما الذي...»، ثم عندها تسمعين أنت أيضًا الصيحات المتصاعدة في الخارج. صيحات غاضبة. ثمة جمع يحتشد.

إذن لقد بدأنا. تنهضين وتتبعينها، وتأكدك من أخذ المخلاتين لم يكن فكرة مُستدركة.

يحتشد المتجمهرون في المستوى الأرض من الكومونة، قرب الحمامات العامة. تنزل إيكّا إلى هذا المستوى بوسائل لن تفعل مثلها؛ تنزلق على سلاّم معدنية، وتقفز من فوق حواجز منصّات وتهبط إلى منصّات تعلم أنها تحتها، وتركض على جسور تتأرجح تحت قدميها تتأرجحًا مخيفًا. تتبعينها بطرق منطقية غير انتحارية، هكذا تلفينها لدى وصولك تصيح بأعلى ما في وسعها وتحاول إسكات الجميع وجعلهم ينصتون ويترجعون.

في قلب التجمهر يقف كاتر، لا يرتدي إلا منشفة، ولأول مرة لا تبدو عليه لامبالاته المعهودة. إنه الآن متيسس، متحفز، فكه معقود،

مستعد للانطلاق. وترقد على بعد خمسة أقدام منه جثة مثلجة لرجل، متجمد في وضع التراجع إلى الوراء، نُحِتَت على وجهه نظرة رعب صارت أبدية. لا تتعرفين على هويته. لا يهم. المهم أن روچا قتل راكداً. عود ثقاب مشتعل رُمي في كومونة من الحطب اليابس المشبع بالزيت.

حالما تبلغين التجمهر تجددين إيكا تصيح: «كيف حدث هذا؟». تسمعنيها بالكاد، يوجد هنا حوالي خمسين شخصاً. تقررین الالتزام بمكانك في الخلف مع أنك قادرة على التدافع حتى تصلي إلى المقدمة. ليس هذا وقت جذب الانتباه. تنظرين حولك فتجددين لِرنا يتلكأ في مؤخرة الحشد أيضاً. عيناه متسعتان وفكه مشدود ويبادلک النظر. وهناك أيضاً -يا نار الأرض- ثلاثة روچات صغار، منهم بيتي، التي تعلمين أنها قائدة عصابة من أشجع وأغبي صغار الروچات. تقف على أطراف أصابعها، وتشرئب من أجل رؤية أفضل. عندما تحاول بيتي أن تتقدم بالتدافع، تقابل عينها عينك، فترمينها بنظرة أمهات، فتجفل وتراجع.

«ومن يهتم بكيف حدث هذا بحق الصدأ؟»، هذا سكيم، أحد المبتكرين. تعرفينه فقط لأن تونكي لا تني تشتكي من أنه أغبي من أن ينتمي إلى تلك الطائفة، ويجدر به بدلاً من ذلك أن يُلقى في طائفة غير مهمة، مثل القيادة. «لهذا...».

يقاطعها أحدهم صائحاً: «يا للروچات الملاعين!».

يقاطعه آخر: «بل أنت اللعين إن لم تصمت، إنها إيكا».

«ومن يأبه بوحش روچا صدئ آخر...».

«يا ابن الكانييالي الصدئ، سأكسر عظامك إن لم...».

يدفع واحد آخر، ويدفع الثاني الأول، وتتناثر اللعنات والتهديدات بالقتل. يسود الهرج.

إلى أن يتقدم أحدهم من الحشد ويربض إلى جوار الجثة الثلجة، ويحاول بأقصى استطاعته أن يحيطها بذراعيه. التشابه بينه وبين الجثمان واضح حتى رغم طبقة الثلج. لعلهم أخوان. تردد عويله المفجوع بغته، ضرب الجمع بموجات الصمت. يتململ الموجودون بعدم ارتياح بينما يتحول عويله إلى نحيب عميق ممزق للقلوب.

تأخذ إيكا نفسًا عميقًا وتتقدم إلى الأمام، مستغلة الفرصة التي أتاحتها حسرة الرجل على فقيده. تقول لكاتر بحزم: «ماذا قلت لكم؟ ما الذي قلته بحق الصدا؟».

يقول كاتر: «هو من هاجمني». لا يبدو عليه أدنى خدش.

تقول إيكا: «هراء»، ويردد بعض المحتشدين صدى قولها، لكنها ترمقهم شذراً حتى يتراجعوا. تنظر إلى الرجل الميت، فكها مشدود. «إن بيتاين ما كان ليفعل هذا، إنه لم يستطع قتل دجاجة عندما كان هذا دوره في رعاية الدواجن».

يحملق إليها كاتر. «كل ما أعلمه أنني أردت الاستحمام. قعدت لأغتسل فقام وابتعد عني، قلت لنفسي لا بأس، ما دام هكذا سيكون الحال فلن أهتم. ثم عندما مشيت أمامه لأنزل المغطس، ضربني بقوة، على مؤخرة عنقي».

يثير هذا لغطاً منخفضاً غاضباً، ويثير أيضاً ململة مضطربة. إن مؤخرة العنق بحسب الشائعات أفضل مكان تضرب فيه روجا. وهذه

ليست حقيقة، فهي لا تنجح إلا لو ضربت بقوة تكفي للتسبب في ارتجاج أو شرخ في الجمجمة، وهذا ما يسقط الروجا وليس أي ضرر مفترض للسببينا. إنها أسطورة شائعة بين الراكدين، ولو صح هذا، فلعله سبب كافٍ ليدافع كاتر عن نفسه.

«الصدأ على هذا»، وتلك كانت زجرة من الرجل الذي يحتضن جثة بيتاين التي تذوب ببطء، «إن بيتس لم يكن ليفعل هذا، أنت تعلمين يا بيك أنه لم يكن لي...».

إيكا تومى، وتذهب فتلمس كتف الرجل. يتململ الحشد مجددًا، وغضبهم المكبوت يتململ معه، معها، بخفوت، حتى الآن. «أنا أعلم»، تلتوي عضلة في فكها مرة، مرتين، تنظر حولها، «هل رأى آخر الشجار؟». يرفع بعض الأشخاص أياديهم. تقول امرأة: «رأيت بيتس يتحرك»، تزدرد لعابها وهي تنظر إلى كاتر، ترقط نقاط العرق شفتها العليا، «لكني أعتقد أنه كان يريد فقط التقاط الصابون».

كاتر ينفجر: «لقد نظر إليّ، وأنا أعلم ما الذي تعنيه نظرة صدئة مثل تلك».

تقاطععه إيكا بتلويح يدها. «أعلم يا كاتر. أخرس»، ثم تسأل المرأة: «وماذا أيضًا؟».

«هذا كل شيء. أشحت بنظري للحظة وعندما نظرت مجددًا كان هناك تلك ال... دوامة، ريح وثلج»، تقطب حاجبيها ويضيق فكها، «تعلمين كيف يقتل من هم مثلك».

ترمقها إيكا بغضب، لكنها تجفل عندما تتصاعد صيحات أخرى،

مؤيدة للمرأة هذه المرة. يحاول أحدهم تجاوز الحشد إلى كاتر، يعيقه آخر، لكنه يكاد يطاله. ترين الإدراك على وجه إيكا أنها تحسرهم، أنها لن تجعلهم يرون. إنهم يتحولون إلى غوغاء، ولا شيء في وسعها لمنعهم من ذلك.

عدا أن... أنك جانبك الصواب في هذا، هناك شيء في وسعها.

وتفعله بأن تلتفت وتضع يداً على صدر كاتر، وترمي فيه شيئاً. أنت لم تكوني تسسبنين سسبنة واعية ساعتئذٍ، فلم يصلك إلا أثر ما تفعله، وهو... ماذا؟ إنه مثل... مثلما أخضع ألابستر يوماً بقعة ساخنة، قبل سنوات طوَالٍ وعلى بعد خمس قارة من هنا. لكن أصغر. مثل ما فعله الوصي لاينون، لكن محدود وفظاعته ليست بادية للعيون. أنت لم تعلمي أن في وسع الروجات فعل شيء كهذا.

وأياً كان ما فعلت، فكاتر لم تتسن له حتى فرصة أن يشهق. جحظت عيناه وترنح إلى الوراء خطوة، ثم سقط، على وجهه نفس نظرة الرعب التي على وجه بيتاين.

الكل يصمت. وفمك ليس الوحيد المتدلي مفتوحاً.

تأخذ إيكا نفسها. أياً كان ما فعلته، فقد أخذ منها الكثير. ترينها تترنح قليلاً، ثم تتمالك نفسها. تقول وهي تلتفت نحو الحشد: «هذا يكفي، أكثر من يكفي، تحققت العدالة كما ترون، والآن اذهبوا إلى بيوتكم الصدئة».

لا تظنين أن هذا سيفلح إلا في تركية تعطش الحشد للدماء... لكن هذا يجعلك تدركين محدودية ما تعرفين. يتململون قليلاً، يتمتمون قليلاً، ثم يشرعون في التفرق، يتبعهم نحيب رجل مكلوم.

ينادي صاحب الساعة مؤذناً بانتصاف الليل. باقي ثماني ساعات على التصويت صباحاً.

تغمغم إيكا: «لم يكن هناك بد من فعلها». أنت في شقتها مجدداً، نوعاً ما، تقفين بجوارها. الستائر مفتوحة حتى يكون في وسعها رؤية قومها، ويكون في وسعهم رؤيتها. لكنها تميل إلى عتبة الباب وترتجف، قليلاً، لن يستطيع أحد رؤية هذا من بعيد. «لم يكن هناك بد». تمنحنيها الاحترام والصراحة كما تستحق. «عندك حق». الساعة الثانية صباحاً.

تفكرين في النوم بحلول الساعة الخامسة. كانت الأمور أهدأ مما توقعت. جاء لِرنا وهياركا لينضما إليك وإيكا. لم يطلب منك أحد السهر للمراقبة، ورثاء كاتر في صمت، وانتظار نهاية العالم (مجدداً)، لكن هذا ما كنت تفعلينه. تجلس إيكا على أريكة بذراعيها مضمومتين حول ركبتيها ورأسها مستندة إلى الحائط، ونظرتها منهكة وفارغة.

عندما تسمعين الصراخ مجدداً، تغلقين عينيك وتفكرين في تجاهلها. لا يخرجك من عجزك عن الاكتراث إلا صراخ الأطفال. ينهض الآخرون وتنهضين معهم، وتخرجون إلى الشرفة وتنظرون؛ يركض الناس نحو إحدى المنصات الواسعة المحيطة بكريستالة عمودية أصغر من أن تحتوي أي شقق. تتجهين مع بقيتكم في هذا الاتجاه أيضاً. تستخدم الكومونة مثل تلك المنصات في التخزين، لهذا تعجّ تلك المنصة بالبراميل والصناديق

والآنية الفخارية. ترين إناء فخاريًا يتدحرج لكنه لا يزال سليماً، ترينه لدى وصولك أنت وصحبتك إلى المنصة، عدا أنه لا يفسر بقية ما ترين.

إنهم الروجات الصغار مجدداً. عصابة بيتي. كل هذا الصراخ مصدره اثنان منهم، يصرخان وهما يشدان ويضربان امرأة ثبتت بيني أرضاً وتصيح فيها وتقبض على عنقها. تقف امرأة أخرى عمّا قريب، تصيح في الأطفال بدورها، لكن أحداً لا يلقي لها بالاً، صياحها المبهم لا يزيد على كونه تحريضاً.

إنك تعرفين المرأة التي تثبت بيتي، نوعاً ما. اسمها واينين، من المقاومين، ولعلها أصغر منك بعشر سنين، بنيتها أثقل وشعرها أطول. لقد عهدتها لطيفة عندما تصادفتما في نوبات العمل في مزارع الفطر أو المراحيض، لكن تناهت إلى مسامعك النميمة من وراء ظهرها. إن واينين هي من تصنع الميلو التي يدخنها لِرنا أحياناً، ونور القمر الذي يشربه قليل من أهل الكومونة. كان عملها الجانبي قبل الموسم مزدهراً، لما كانت تساعد الكاستريميين الأصليين في التخفيف عن حياة التعدين والمقايسة المملة، وكانت تخزن منتجاتها في كاستريما السفلية لتخفيها عن أعين جباة الضرائب، واتضح أن ذلك كان خياراً موفقاً الآن وقد انتهى العالم. لكنها أمست زبونة نفسها الكبرى، ولم يعد من المستغرب رؤيتها تتعثر في أنحاء الكومونة، بوجه محمر وصوت جهوري، ينبعث منها الدخان كبركان طازج.

ليست واينين عادةً بالسكيرة البغيضة، فهي تشارك بأريحية ولا تغيب أبداً عن نوباتها، لهذا لا أحد يأبه كثيراً بما تفعله بمنتجاتها. كل شخص

يواجه الموسم بطريقته. لا بد أن ثمة ما استفزها. إن بينتي لمستفزة. تهرع هياركا مع بعض الكاستريمين لرفع المرأة من فوق الفتاة، وتقولين لنفسك إن بينتي لحسن الحظ لديها من التحكم في الذات ما يكفي لمنعها من تثليج المنصة اللعينة كلها، بينما ترفع المرأة ذراعها وتكور قبضتها.

قبضتها التي

لقد رأيت أثر قبضة جيغا، كدمة من أربع علامات متوازية، على

وجه أوتشي

قبضتها التي

التي

التي

لا

مكتبة

t.me/soramnqraa

أنت في التوبازية وبين خلايا المرأة في نفس اللحظة. أنت لا تفكرين، بل يغطس عقلك إلى أعلى مغمورًا في النور الأصفر، وكأنه ينتمي إليه. سسبينتك تلتوي حول الخيوط الفضية وأنت تشدينهم معًا، أنت جزء من المسلة ومن المرأة في نفس الوقت، وأنت لن تسمحين بحدوث هذا، ليس مجددًا، ليس مجددًا، لم تستطعي إيقاف جيغا من قبل، لكن...

تهمسين: «لن يؤذى طفلًا آخر!»، فيلثفت أصحابك جميعًا إليك متفاجئين ومحتارين، ثم يحيدون بنظرهم عنك، لأن المرأة، التي كانت ثملة بحمية القتال، تشرع تصرخ فجأة، والأطفال يصرخون أكثر. حتى بينتي صارت بين الصارخين، لأن المرأة التي فوقها تغدو حجرًا لامعًا متعدد الألوان.

«لن يؤذى طفلاً آخر!». تسسبنين أقرب الموجودين إليك، مستشاري جيجا والشملة الصارخة، وبينتي وبقية البنات، والكل. كل من في كاستريما. يدوسون على أطراف أعصابك، يدقون ويصخبون، وكلهم جيجا. تركزين في المرأة الشملة، ويكاد يكون ما تفعلينه غريزياً، تعصرين الحركة والحياة منها حتى آخر قطرة، وتستبدلين بها تلك المادة نتيجة التفاعلات السحرية العجيبة الشبيهة بالحجارة، تلك التي تقتل الأباستر، والد طفلك الميت. «لن يؤذى طفلاً آخر». كم قتل العالم من أطفال روچات لمئات السنين، من أجل أن ينام الأطفال الآخرون قريري العين؟ كلهم جيجا، العالم اللعين كله شافا، كاستريما هي تيريمو هي المرتكز. «لن يؤذى طفلاً آخر». وتلتفتين بالمسلة وتنهمرين بكامل قوتها عبرك كي تبدئي في قتل كل من في محيط بصرك وما يتعداه.

لكن ثمة ما يعيق الاتصال بينك وبين المسلة. فجأة أصبحت تجاهدين من أجل الوصول إلى القوة التي كانت في متناول يديك بيسر من قبل. تكشفين عن أسنانك دون أن تفكري، تزججرين دون أن تسمعي نفسك، تكورين قبضتيك وتصرخين في عقلك، «لن أسمح له بفعل هذا مجدداً»، وترين شافا، وتفكرين في جيجا.

عدا أن من تسسبنينه هو الأباستر.

تشعرين به، يتجلى عبر سوط أبيض لامع يجلد رابطتك بالمسلة. إنها قوة الأباستر في مواجهة قوتك، و... لا تفوز. لا يطفئك كما تعلمين أنه يستطيع أن يفعل، أو كما حسبت أنه يستطيع أن يفعل. أهو أضعف؟ لا، وإنما أنت صرت أقوى بكثير مما كنت.

ثم تلطمك على حين غرة فداحة تلك الملحوظة عبر ضباب الذكريات
والرعب الذي يحاصرك، وتعيدك إلى الواقع البارد الصادم. لقد قتلت
امرأة بالسحر، وأنت على وشك مسح كاستريما من وجه الأرض بالسحر،
وتحاربين ألابستر بالسحر... وألابستر لا يقدر على تحمل المزيد من السحر.
تهمسين: «يا للأرض اللامبالي». تتوقفين عن المقاومة فورًا، فيقطع
ألابستر اتصالك بالمسلة. لا تزال لمسة ألابستر أدق منك، بيد أنك
تشعرين بوهنه بينما يفعل، بقوته المتداعية.

أنت لا تدركين حتى أنك تركضين في البداية، لا يكاد هذا يرقى إلى أن
يكون ركضًا. المبارزة السحرية والقطع المباغت لاتصالك بالمسلة تركاك
مشوشة وواهنة حد أنك تترنحين من الحاجز إلى الحبال وكأنك ثملة
أيضًا. يصرخ أحدهم في أذنك، تقبض يد على أعلى ذراعك فتنفذها
عنك وتزجرين. تصلين بشكل ما إلى المستوى الأرضي دون أن تقعي
إلى حتفك. تمر الوجوه أمام عينك مشوشة، ولا تهتمين، لا ترينها لأنك
تنتحين بصوت عالٍ، تهتفين لا، لا، لا. أنت تعلمين ماذا فعلت، حتى
لو تنكرينه بكلماتك وجسدك وروحك.

ثم أنت في العيادة.

أنت في العيادة، تنظرين إلى تمثال حجري ضئيل غير متناسب
الأبعاد، وإن كان دقيق الصنعة. ليس لهذا التمثال ألوان ولا لمعة، وإنما
هو فقط بني رملي باهت. يكاد يكون تمثالًا تجريديًا أوليًا، تمثال رجل في
آخر لحظاته، تمثال انقطاع الروح، لرجل لا يكون، ما كان، لرجل كان
موجودًا وضاع.

أو في وسعك أن تكتفي بتسميته ألابستر.

والساعة الخامسة والنصف

في السابعة، يأتي لِرنا إلى حيث أنت مكومة على الأرض، أمام جثة ألابستر. لا تكادين تشعرين بعوده بالقرب منك، وتتساءلين لماذا جاء. يفترض به أن يعلم مصلحته، يجدر به الذهاب، قبل أن تنفجري مجددًا وتقتلينه أيضًا.

يقول: «إيكّا أقنعت الكومونة ألا يقتلوك. وأنا أخبرتهم عن ابنك، وكان هناك... ما يشبه الإجماع أن واينين كان يمكن أن تقتل بينتي لو تابعت ضربها بهذا الشكل. رد فعلك المغالي كان... مفهوماً»، يتوقف، «إنهم يثقون في بإيكّا أكثر الآن بعدما قتلت كاتر من قبل، يعلمون أنها لا تتكلم فقط بدافع من...»، يتنهد، يهز كتفيه، «الانتماء».

نعم، هذا مثلما كانوا يخبرونك في المرتكز، الروجات كلهم واحد، جريمة أحدهم ذنب الجميع.

«لن يقتلها أحد»، وهذا هوّا. بالطبع صار هنا الآن، ليحمي استثماره. لِرنا يتزحزح باضطراب جراء ذلك، عدا أن صوتًا آخر يؤيده، «لن يقتلها أحد»، وأنت من تجفلين هذه المرة، لأنها أنتيموني.

تدفعين نفسك للنهوض من استلقاءك ببطء. إنها تجلس في نفس وضعها الدائم - ولقد كانت هنا طوال الوقت - ولا تزال الكتلة الحجرية التي كانت ألابستر تستند إليها، مثلما كان يفعل جسده الحي ذات يوم. عيناها ثابتتان عليك بالفعل.

تقولين: «ليس في وسعك أخذه»، تزججرين، «ولا أخذي».

تقول أنتيموني: «لا رغبة لي فيك، فأنت قاتلته».

اللجنة. تحاولين الاحتفاظ بغضبك المتأجج، تحاولين استخدامه للتركيز وللتوجه إلى القوة اللازمة لتحديها، لكن غضبك يتهاوى إلى عار، وأنت على أي حال لا تصلين إلى مسلة ألابستر اللعينة الشبيهة بالسكين الطويل، الإسيينلية. تلفظ المسلة توجهك المتأرجح فوراً تقريباً، وكأنها تبصق في وجهك. أنت جديرة بالاحتقار، ألسن كذلك؟ يعلم هذا آكلو الصخر، والبشر، والأوروبيون، وحتى المسلات الصدئة. أنت لا شيء. لا، أنت هلاك. وها قد قتلت واحداً آخر ممن تحبين.

هكذا تجثمين مكانك، على يديك وركبتيك، ضائعة، مهجورة، مرفوضة، متألمة كما لو أنك تشعرين بدوران تروس محرك الوجة بداخلك. ليت صناع المسلات اخترعوا وسيلة ما لحصد قوة الألم المشابهة، لكنهم جميعاً ميتون.

يجترك صوت من أعماق حزنك. أنتيموني الآن واقفة، منتصبه متصلبة مهية. تنظر إليك من فوق أنفها، وبين ذراعيها الكتلة الحجرية التي هي ما تبقى من ألابستر. لا تبدو من هذه الزاوية مثل شيء كان ذات يوم بشراً، وهو لم يكن كذلك رسمياً على أية حال.

تقولين: «لا». صوتك ليس متحدياً هذه المرة، وإنما متوسلاً. لا تأخذينه، لكن هذا ما طلبه، أراد أن تأخذه أنتيموني لا الأب الأرض، الذي أخذ منه الكثير. هذه هي الخيارات المتاحة: الأرض أو آكلة الصخر، أما أنت فلست على أي قائمة.

تقول: «لقد ترك لك رسالة». صوتها عديم النبرة لم يختلف، لكنه مع ذلك... أهذه شفقة؟ «الأونيكسية هي الحل. الشبكة أولاً ثم البوابة. لا تصدئي الأمر يا إيسون. أنا وإينون لم نحبك عبثاً».

تسألين: «ماذا؟»، لكنها تومض، وتصبح شفافة. يخطر لك لأول مرة أن انتقال آكلي الصخر عبر الصخور وتبدل المسلات بين الحالة الحقيقية والخيالية الشفافة نفس الشيء.

لكنها ملاحظة عديمة الجدوى. تختفي أنتيموني في الأرض الذي يكرهك، ومعها الألبستر.

تجلسين حيث تركتك. رأسك خاوية. ثم تلمس كتفك ذراع، ويردد صوت اسمك، ويعرب اتصال - ليس بمسلة - عن نفسه، تلتفتين نحوه. لا تستطيعين منع نفسك، أنت تحتاجين إلى شيء، وإن لم يكن إلى الأسرة أو الموت، فلا بد أنه شيء آخر. تلتفتين وتمدين ذراعك، وها هو لِرنا هنا من أجلك، كتفه دافئ وطري، وتحتاجينه. تحتاجين إليه. هذه المرة فقط، أرجوك، تحتاجين أن تشعري بوجود إنساني، أيًا كان مسمى هذا الوجود، ولعل بوجود ذراعي إنسان حولك، وصوت إنسان يهمس في أذنك: «أنا آسف، آسف لك يا إيسون»، لعلك هكذا تشعرين به. لعلك إنسانة، ولو لبعض الوقت.

في السابعة وخمس وأربعين دقيقة، تجلسين وحدك مجددًا. ذهب لِرنا كي يتحدث مع أحد مساعديه، وربما مع الأشداء الذين يراقبونك من مدخل العيادة. يوجد في قاع مخلاة هروبك جيب خفي،

وهو سر اختيارك لشراء مخللة الهروب تلك بالذات من صانع الجلود هذا بعينه منذ سنوات. عندما رأيت هذا الجيب ساعتها، خطر لك على الفور الشيء الذي تودين وضعه فيه، وهو شيء ما كنت تسمحين لنفسك، نفس إيسون، أن تفكر فيه كثيرًا، لأنه يعود إلى سيانيت، وسيانيت ميتة. ومع ذلك تحتفظين ببقاياها.

تخوضين في مخلاتك حتى تبلغ أصابعك الجيب وتعبثين فيه. تجدين الصرة، تستخرجينها، تفضين أواصر الكتان الرخيص، وها هم؛ ستة خواتم، من أحجار مصقولة شبه ثمينة.

لا يكفونك وأنت في رتبة تسعة خواتم، لكنك لا تأبهين بأول أربعة على أية حال، يتدحرجون على الأرض بعدما ترمينهم. أما الاثنان الباقيان، اللذان صنعهما لك ذات يوم، فتضعينهم في سباتيك. ثم تنهضين.

الساعة الثامنة. ورؤوس بيوت الكومونة مجتمعون على القمة المسطحة.

القاعدة هي: صوت واحد لكل حصة تموينية لبيت. ترين إيكا في قلب الدائرة مرة أخرى، ذراعاها معقودتان ووجهها خاوٍ خواء مقصودًا، وإن كنت تسببين أن أكثر التوتر المكبوت المخيم على المكان توترها. جاء أحدهم بصندوق خشبي قديم، وتناثر الناس حوله، يتحادثون، ويكتبون على قطع الورق أو الجلد، ويرمونها في الصندوق.

تتجهين إلى القمة المسطحة بصحبة لِرنا. لا يلاحظك الناس حتى

تتجاوزي أغلب الجسر، فوقهم تقريبًا. ثم يراك أحدهم قادمة ويشهق عاليًا، يصرخ آخر محذرًا: «الصدأ! إنها هي». يتدافع الناس ليبتعدوا عن طريقك، يكادون يتعثرون بعضهم ببعض.

وحري بهم أن يفعلوا. إذ في يمينك سكين ألابستر الوردي الطويل الغريب، المسلة الإسبينية المصغرة المعاد تشكيلها. لقد تمكنت من التزامن معها، وصارت لك. رفضتك من قبل لأنك كنت مضطربة متخبطة، أما الآن فأنت تعلمين ما الذي تحتاجينه منها. وجدت تركيزك الضائع. لن تؤذي الإسبينية أحدًا ما دمت تمنعنيها عن ذلك. أما إن كنت أنت نفسك فاعلة، فتلك مسألة أخرى.

تمشين نحو مركز الدائرة، وبتراجع الرجل المسؤول عن صندوق الاقتراع من أمامك، تاركًا الصندوق مكانه. إيّاك تتجههم وتتقدم نحوك وتقول: «إيسون...»، لكنك تتجاهلينها. تندفعين إلى الأمام، وفجأة يصبح فعلك فطريًا، سهلاً، طبيعيًا، تقبضين على مقبض السكين الطويل بكلتا يديك وتدورين مرتكزة إلى فخذيك وتطوحين. في اللحظة التي يلمس فيها سيفك الصندوق، يزول. لا يتهشم، لا ينقطع، بل يتفكك إلى جزيئاته الميكروية الأولية، صخر مسحوق. ترى العين ذلك غبارًا يتناثر ويلمع في النور قبل أن يختفي في الهواء. الناس بين من يشهق ويصرخ، ما يعني أنهم يستنشقون أصواتهم. غالبًا لن يؤذيهم هذا... كثيرًا.

ثم تدورين وترفعين سكينك الطويل، وتلوحين به ببطء كي يشير إلى كل الوجوه.

تقولين: «لا تصويت». يسود الهدوء حتى تسمعي تقاطر الماء من الأنابيب في الأحواض العامة، على عمق مئات الأقدام من هنا. «اذهبوا وانضموا إلى رينانيس إن أردتم، إن قبلوكم، لكن لو أردتم البقاء، فلن يحق لأي جزء من هذه الكومونة أن يقرر أن الجزء الآخر قابل للمحو. لا تصويت على من يستحق أن يكون إنساناً».

يتململ البعض ويتبادلون النظر. تحديق فيك إيكا وكأنك كائن قد ينطوي على خطر، وهو أمر مضحك، فجدير بها بعد كل هذا أن تعلم أن لا يوجد «قد» هنا. تبدأ تقول بذلك الصوت الذي المسطح الذي يستخدمه المرء مع الحيوانات أو المجانين: «إيسون، هذا...»، ثم تتوقف لأنها لا تعلم ما هذا بالضبط، لكنك تعرفين، إنه انقلاب لعين. لا يهم من سيتولى القيادة، لكن في تلك المسألة الوحيدة، أنت ديكتاتورة، لن تسمحين أن يذهب موت ألابستر دفاعاً عن هؤلاء الناس سدى.

تقولين مرة أخرى: «لا تصويت»، صوتك حاد مثل الذي كنت تستخدمينه مع ذوي الأعوام الاثني عشر في المدرسة من قبل، «إن هذا المجتمع هنا واحد متحد. إما ستقاتلون بعضكم من أجل بعض، وإما سأقتلكم جميعاً حتى آخر واحد صدئ منكم».

ويسود صمت حقيقي هذه المرة. لا يتحركون. تعرفين من عيونهم البيضاء التي تتجاوز مجرد الخوف أنهم يصدقونك.

جيد.

تدورين، وتذهبين.

فاصلة

في الأغوار السحيقة، أترامن مع عدوي... أو أحاول أن أفعل. «هدنة»، أقولها، أتوسلها. عانت الأطراف كلها من الخسارات كثيرًا. ضاع قمر، ومستقبل، وأمل.

هنا، تحت، يكاد يستحيل سماع الرد بالكلمات. ما سمعته كان ترددات غاضبة، تقلبات وحشية في الضغط والحرارة. اضطررتُ إلى الهروب بعد فترة وإلا انسحقت، ومع أن الانسحاق لن يكون لي أكثر من عثرة مؤقتة، فإنني لا يسعني الآن التعثر ولو مؤقتًا، فالأمور تتبدل بين بني جنسك، بسرعة بالغة كما تميلون إلى فعل الأمور عندما تتخذون أخيرًا قرارات حقيقية، وعليّ أن أتأهب. والغضب كان إجابتي الوحيدة على أي حال.

أنت، تستعدين للقتال

مضى شهر منذ كنت على السطح آخر مرة، ويومان منذ قتلت
الابستر، في خضم جنونك وعذابك. لا شيء يبقى على حاله في الموسم.
إن كاستريما العلوية محتلة. النفق الذي عبرته أول مرة دخلتي فيها
الكومونة غدا مسدودًا، أحد أوروچينيو الكومونة رفع من الأرض
شريحة صخرية ضخمة أحكم بها غلقه. لعلها إيكا، أو كاتر قبل أن تقتله
إيكا، فهذان كانا الوحيدين في الكومونة القادرين على التحكم الكافي في
فعلها، إلى جوارك والابستر. والآن مات اثنان من الأربعة، والعدو على
الأبواب. الأشداء المتكتلون خلف مدخل النفق ينتفضون واقفين لدى
وصولك إلى منطقة النور الكهربى، ومن كانوا واقفين بالفعل يشدون
من وقفاتهم، وإكسبر، ثاني الأشداء في ترتيب القيادة بعد إزني، يتسم
عندما يراك. إلى هذا الحد ساءت الأمور. لقد فقدوا عقولهم حتى أنهم
يعدونك الآن بطلتهم.

قالت لك إيكا: «لا أحب هذا». إنها لم تزل في الكومونة، ترتب
شؤون الدفاع الذي سيكون حتميًا حال اختراق الأنفاق. الخطر الحقيقي

سيكون لو وجد كشافة الرينانسين فتحات تهوية جيود كاستريما. الفتحات مخبأة جيداً -إحداها في مغارة نهر جوفي، والبقية مخبأة في أماكن خفية بذات القدر، وكأن بناء كاستريما القدامى خافوا أيضاً الهجوم- لكن أهل الكومونة سيُجبرون على الخروج لو وجدها العدو وسدّها. «هذا غير أنهم يعمل معهم أكلو صخر. أنت خطيرة ومخبولة بما يكفي للقضاء على جيشهم كله يا إيسّي، أعترف بذلك، لكن لا أحد منا يستطيع قتال أكل صخر. لو قتلوك، فقد خسرنا أفضل أسلحتنا».

قالت ذلك عند الإطالة الخلابّة، حيث ذهبتما لحل ما استجد من أمور. كان الحرج بينكما يومها على أشده، إذ أنك، عندما منعت التصويت، قوضت سلطة إيكا وهشمت الوهم الجمعي أن لكل فرد قولاً في كيفية إدارة الكومونة. لا زلت تعتقدين أن هذا كان ضرورياً، لا يجب أن يتسنى للجميع القول فيمن تستحق حياته القتال دفاعاً عنها. وإيكا في الواقع اعترفت بموافقتها على ذلك خلال حديثكما، لكن هذا دمرها.

أنت لم تعتذري عن هذا، لكنك حاولت ردم الشروخ. قلت بحسم: «بل أنت أفضل أسلحة كاستريما»، وعانيت ما تقولين. دوام كاستريما كل هذا الوقت، وهي كومونة فشل فيها الراكدون باستمرار عن شئق الروجات الذين يعيشون بينهم علناً، معجزة، حتى لو كانت عتبة «عدم ارتكاب إبادة عرقية بعد» سهل تجاوزها. لم تتمكن كومونات عديدة حتى من بلوغ هذا الحد. لن تبخلي بالإشادة على من يستحقها.

خفف هذا من وطأة الحرج بينكما. قالت لك في النهاية: «على الأقل لا تموت بحق الصدا، لا أظنني أستطيع السيطرة على هذه الفوضى من

دونك في هذه المرحلة». إن إيكا بارعة في جعل الناس يشعرون أن لديهم سبباً لفعل أمر ما. ولهذا هي القائدة.

ولهذا أنت، الآن، تمشين عبر كاستريا السطحية التي حولها جنود رينانيس إلى ثكنة، ولهذا أنت خائفة فعلاً. إن القتال من أجل آخرين أشق دوماً من أجل نفسك.

كان الرماد يتساقط بانتظام لعام، حتى بات بعلو الركبة. هطل المطر مرة واحدة على الأقل أخيراً فدّكه، ولهذا تسسبنين تلك القشرة الطينية الرطبة تحت طبقة الرماد المسحوق السطحية، لكن حتى تلك الطبقة سميكة. تمتلئ شرفات ومداخل البيوت، التي كانت من قبل خاوية، بجنود العدو، يراقبونك، والرماد الذي لم يمسه مطر تحت الأفاريز يعلو حتى منتصف أكثر حوائط البيوت. كان عليهم أن يحفروا فيه لفتح النوافذ. يبدو الجنود مثل... الناس، لأنهم لا يرتدون أزياء متماثلة، لكن ثمة تماثل بينهم رغم ذلك: إنهم جميعاً إما سانزيون تماماً أو يبدون سانزيين. عندما تتسنى لك رؤية لون ملابسهم التي بهتت من السفر في الرماد، تلمحين العلامة المتمثلة في قصاصة من قماش جميل راقٍ مربوطة حول أذرعتهم أو معاصمهم أو جبهاتهم. ما عادوا أغياراً استوائيين إذن، بل وجدوا كومونة. أو شيئاً أكثر قدماً وأولية من كومونة، صاروا قبيلة. وهم هنا ليسلبوك ما هو لك.

لكنهم فيما يتجاوز ذلك ليسوا أكثر من أناس عاديّين. كثير منهم في مثل عمرك أو أكبر. تخمين أن أكثرهم أشداء زائدون على الحاجة، أو أغيار يحاولون إثبات فائدتهم. يزيد فيهم الرجال على النساء قليلاً، لكن

هذا منطقي أيضًا، لأن أكثر الكومونات تتخلص ممن يتعذر عليهم إنتاج الأطفال أسرع ممن عداهم... بيد أن عدد النساء هنا يعني أن رينانيس لا تعاني من نقص موردي السكان الأصحاء. يعني أنها كومونة قوية.

تتابعك أعينهم وأنت تقطعين شارع كاستريما السطحية الرئيسي. تعلمين أنك تبرزين عمًا عداك، ببشرتك وشعرك النظيفين من الرماد وملابسك مشرقة الألوان؛ ليست أكثر من بنطال جلدي بني وقميص أبيض مصفر، لكن هذه ألوان أمست نادرة في عالم من الشوارع الرمادية والأشجار الرمادية الميتة والسماء كثيفة الغيوم الرمادية. وأنت أيضًا الأوسطية الوحيدة بحسب ما ترين، وضئيلة الحجم مقارنة بأكثرهم.

لا يهم. تحوم خلفك الإسيينلية، وتظل على بعد قدم واحد بالضبط من مؤخرة رأسك، وتدور حول نفسها ببطء. أنت لا تجعلينها تفعل ذلك، بل ولا تعلمين في الواقع لماذا تفعل ذلك، عدا أن هذا ما تفعله ما دمت لا تحملينها في يدك. حاولت أن تضعيها أرضًا، لكنها ظلت تطفو وتحوم وراءك على هذا النحو. كان عليك أن تسألي ألابستر كيف تجعلينها تحسن التصرف قبل أن تقتليه. إنها الآن تتذبذب قليلًا، بين الحالة الواقعية والشفافة، وتسمعين - لا تتسبنين، بل تسمعين - طنين طاقتها الواهن وهي تدور. ترين وجوه الناس تحتلج عندما يلاحظونها. هم ربما لا يدركون ماهيتها، لكنهم يعرفون الشيء السيئ عندما يسمعون واحدًا.

تعلو في مركز كاستريما السطحية قاعة مقببة، أخبرتك إيكا ذات مرة أنها كانت مكان اجتماع أهل الكومونة، استُخدمت في الحفلات والزيجات واجتماعات الكومونة الموسعة من حين إلى آخر. لكنك ترين

عندما تقترين منها أنها تحولت الآن إلى مركز عمليات من نوع ما، ثمة جمع من الرجال والنساء الواقفين أو المقرفصين أو القاعدين، داخلها وحوها، يتكتل بعضهم حول مائدة حديثة الصنع. وحالما تقترين بما يكفي تبصرين أن عليها مخططاً مرتجلاً لكاستريا إلى جوار خريطة للمنطقة المحلية، ويتناقشون حولها. تفزعك رؤية أنهم حددوا على الخريطة مكان أحد فتحات التهوية؛ الفتحة التي خلف شلال صغير عند نهر قريب. لعلهم فقدوا كشافاً أو اثنين كي يجدوها، إذ تعجّ ضفاف النهر الآن بروابي الغلايات. لا يهم، المهم أنهم اكتشفوها، وهذا سيء.

يتحدث ثلاثة منهم حول الخريطة لدى اقترابك. ينكر أحدهم ثانياً بمرفقه، فيلتفت ويهزّ امرأة ناعسة كي تنتبه فيما تقترين من القاعة وتقفين قبل أقدام قليلة من الطاولة. تنهض المرأة وتذهب لتنضم إلى الآخرين وهي تفرك وجهها بنعاس. هيئتها ليست من أبهى ما رأيت. شعرها مقصوص من الناحيتين حتى فوق أذنيها، قصة رديئة جداً تبدو وكأنها تمت بسكين، وتجعلها تبدو ضئيلة، حتى وهي ليست كذلك، فجذعها برميلي أملس، ثديان وجيزان يخفيان في معدة أنجبت طفلاً واحداً على الأقل، فوق ساقين مثل أعمدة بازلتية، ولا ترتدي ما يميزها عن الآخرين، وعلامة انتماؤها إلى قبيلتها لا يتجاوز منديلاً حريراً أصفر باهتاً يتدل بغير إحكام حول رقبتها. لكن في نظرتها جاذبية، حتى وهي نصف نائمة، ما يجذب تركيزك إليها.

ترحب بك بسؤال: «كاستريا؟»، وهذا على أي حال كل ما يهمها منك.

تومئين، «أتحدث باسمهم».

تريح يديها على الطاولة وتومئ، «إذن رسالتنا وصلت». تقفز عيناها نحو الإسبينية التي تحوم خلفك، ويتبدل شيء في نظرتها. ليس بكراهية، تتطلب الكراهية إحساسًا. إنها حالما فطنت المرأة أنك روچا، قررت أنك لست شخصًا، ببساطة شديدة. إن اللامبالاة أسوأ من الكراهية.

طيب. أنت غير قادرة على رد لامبالاتها بمثلها، لا يسعك إلا رؤيتها إنسانة. أنت مضطرة إذن إلى الاكتفاء بالكراهية. لكن اللافت حقًا هو أنها تعلم على نحو ما ماهية الإسبينية، وما الذي تعنيه. غريب.

تقولين: «نحن لن ننضم إليكم، وإن كان القتال هو ردكم على هذا، ليكن».

تميل رأسها جانبًا. تفلت من أحد ضباطها ضحكة، ويرمقه آخر بسرعة فيصمت. يعجبك هذا الإسكات، فيه احترام... احترام لقدراتك حتى لو ليس لشخصك، ولكاستريها حتى لو كانوا يعتقدون أنكم ليست لديكم أدنى فرصة، حتى لو أنتم، في الواقع، ليست لديكم أدنى فرصة. تقول المرأة: «أنت تعلمين أننا لسنا مضطرين إلى القتال، يمكننا الاكتفاء بالبقاء هنا، وقتل كل من نخول له نفسه الخروج للصيد أو المقايضة، والجوع كفيل بإخراجكم».

تمكنين من عدم إبداء رد فعل. «مخزوننا من اللحم قليل، لكن نقص الفيتامينات سيتطلب بعض الوقت، شهور على الأقل، قبل أن يبدأ تأثيره. وفيما عدا ذلك مخازننا تكفي»، ترغمين نفسك على هزّ

كتفيك، «وسبق أن وجدت كومونات أخرى سبلاً للتغلب على نقص اللحم بسهولة».

تبتسم. أسنانها ليست مشحوذة، لكنك تفكرين للحظة في أن أنيابها أطول مما ينبغي. هذا على الأرجح إسقاط من مخيلتك. «صحيح، لو أن هذا مزاجكم في الأكل. ولهذا السبب نبحت نحن أيضًا عن فتحات تهويتكم»، تنقر على الخريطة، «كي نغلقها ونخنقكم حتى تُنْهَكُوا، عندها سنهشم الحواجز التي وضعتموها في الأنفاق ونعبث فيكم كما نحب. إن الحياة تحت الأرض من قبيل الغباء، فما إن يعرف أحدهم مكانكم، حتى تصبحوا أيسر منالاً لا العكس».

هذا صحيح، لكنك تهزّين رأسك. «نحن لسنا باللقمة السائغة. إن كاستريا ليست غنية، وبيوت أحرارنا ليست أفضل حالاً من كومونات أخرى لا تطفح بالروحات»، تريئين للحظة لتعميق وقع ما قلت. لا يطرف للمرأة جفن، لكنك تشعرين بتململ بعض من في القاعة إثر ذلك. جيد. هذا يعني أنهم يفكرون. «ثمة فرائس أسهل في الخارج، لماذا تنشغلون بنا؟».

تعلمين أن السبب الحقيقي هو أن الرجل الرمادي يسعى إلى الأوروبيين القادرين على فتح بوابة المسلة، بيد أنه لم يكن ليخبرهم بهذا. إذن ماذا قد يدفع كومونة استوائية مستقرة للتوجه إلى الغزو؟ لكن، لا، إنها بالتأكيد ليست مستقرة. إن رينانيس قرية نسبياً من الصدع، وحتى بوجود محطات توصيل تعمل فلا شك أن الحياة هناك صعبة؛ ثورات بركانية يومية ترمي غازات مميتة، هطول رماد أسوأ بكثير

من هنا، ما يتطلب ارتداء الأقنعة الواقية طوال الوقت، ولو أمطرت السماء فغيثها سيكون حمضاً صافياً، وهذا لو كان المطر ممكناً في الأصل مع بصق الصدع المستمر للحرارة والرماد. وامتلاكهم لأي ماشية حية لأمر مشكوك فيه... لعلهم أيضاً يعانون من نقص اللحوم.

يفاجئك أن تقول المرأة: «لأن هذا ما تتطلبه النجاة»، تتصب وتعتقد ذراعيها، «تأوي رينانيس الآن من السكان أكثر مما تتحمل مخازنها. كل ناجٍ من كومونة استوائية جاء وخيم على عباتنا. كان سيتحتم علينا فعل ذلك على أي حال، وإلا كنا سنعاني من تكدس الأغيار حولنا. وربما أيضاً كنا لنسلحهم ونطلقهم كي يطعموا أنفسهم ويعودوا إلى الكومونة بما يفيض. أنت تعلمين أن هذا الموسم لن ينتهي».

«سينتهي».

«ربما»، تهز كتفيها، «طبقاً لحسابات جيوميستينا، لو أننا زرعنا فطراً وما إلى ذلك بكمٍ كافٍ، وحافظنا حفاظاً صارماً على محدودية تعدادنا، لعلنا نحقق استدامة تكفيها للنجاة حتى ينتهي الموسم. لكن الاحتمالات أفضل لو أننا استولينا على بيوت أحراز كل كومونة نقابلها...».

لا تقدرين على منع نفسك من تقليب عينيك، «أتحسبون أن خبز الرماد المسروق سيدوم لكم ألف سنة؟»، أو اثنين، أو عشرة، ثم بعدها بضع مئات من الثلج.

تتوقف حتى تنتهي وتتابع: «... ثم نؤسس خطوط إمداد بالبضائع المتجددة مع كل كومونة. وسوف نحتاج إلى بعض الكومونات ذات الموارد الساحلية، وبعض الأنثراكتيكية حيث يمكن زراعة بعض

النباتات التي لا تحتاج إلى نور كثير»، تترىث بدورها لتعميق الوقع،
«لكنكم يا معشر الأوسطيين تأكلون كثيرًا».

طيب. «إذن أنتم هنا لمحونا من الوجود»، تهزّين رأسك، «لماذا لم
تقولي هذا من البداية؟ لماذا تكبدتم حماقة التخلص من الأوروچينين؟».
ينادي أحدهم من خلف القاعة، «دانييل»، تنظر إليه المرأة، وتومئ
بشروء. يبدو أن هذا اسمها. «هناك دومًا فرصة أن تنقلبوا بعضكم على
بعض، حينها نتدخل في النهاية ونأخذ ما تبقى»، تهزّ رأسها، «أما الآن
فعلينا فعلها بالطريقة الصعبة».

طين خافت مستمر يفرض نفسه فجأة على سسبينتك مثل صرخة
تحذير.

لكنك تسسبينه بعد فوات الأوان، لأن هذا يعني أنك في نطاق
قدرة وصي على إلغاء أوروچينيتك. تستديرين بغتة حتى تكادي تتعثري
وأنت تغزلين نطاق قدرة هائل كفيل بثليج البلدة الصدئة كلها في لحظة،
ولأنك تتوقعين إلغاء لم تنشئي نطاقًا ضيقًا حاميًا يقيك من السكين المقيق
الذي ينغرس في ذراعك اليمنى.

تذكرين قول ألابستر أن تلك السكاكين مؤلمة، وطبيعي أن تؤلم
وهي مغروسة في عضلة أعلى ذراعك وعلى الأرجح تحتك بالعظام.
لكن ما لم يقله ألابستر - وقد انتابك غضب غير عقلائي تجاهه بعد موته
بساعات، هذا الغبي الصديء عديم النفع - أن ثمة شيئًا في هذا السكين
يبدو وكأنه يضرم الحريق في جهازك العصبي بأكمله. والنار أسخن ما
تكون في سسبينتك، حتى مع أنها بعيدة تمامًا عن ذراعك. تتألمين كثيرًا من

تشنّج عضلاتك كلها في نفس الوقت. تقعين على جانبك، ولا يسعك حتى الصراخ. تظلين ممددة في مكانك ترتجفين، وتحدين إلى المرأة التي تقترب وسط حشود الجنود الرينانسية، تنظر إليك مبتسمة. هيئتها شابة على نحو مفاجئ، أو لعلها تبدو كذلك فقط، فالمظاهر ليس لها معنى عند الوصاة. عارية من رأسها إلى خصرها، صدرها صغير، بشرتها داكنة على نحو ملحوظ بين كل هؤلاء السانزيين... تتساءلين كم ستتألين عندما تفجرك مثلما فعل بإينون.

ثم يظلم كل شيء دفعة واحدة. لا تفهمين ما الذي حدث في البداية. هل مت؟ بهذه السرعة؟ لا زلت تحترقين بالداخل وتشعرين بالحاجة إلى الصراخ. ثم تحسّين فجأة بالمدخلات الجديدة، حركة سريعة كما الريح، ملمس جزئيات أجنبية على المستقبلات الشعورية لبشرتك. إن هذا... مطمئن طمأنة غريبة. تكادين تنسين وجعك.

ثم يعود النور فيربك جفنيك اللذين تدركين فجأة أنها مغلقان. لا تستطيعين فتحهما. تسمعين سببًا قريبًا ويدنو صاحبه منك أكثر، ثم تثبتك يد في مكانك، ما يكاد يثير هلعك لأنك غير قادرة على ممارسة الأوروچينية ولا يزال جهازك العصبي ينفجر. لكن حينها، ينتزع أحدهم السكين من ذراعك.

كأن سريّة إنذار زلازل كانت تدوي بداخلك ثم خرست فجأة. ترتجّين في ترحيب للوجع الطبيعي، وتفتحين عينيك الآن وقد صرت قادرة على تحريك عضلاتك بنحو طبيعي مجددًا.

إنه لِرنا، وأنت على أرضية شقته، والنور من الحوائط الكريستالية،

وهو يحمل السكين ويحدق إليك. خلفه، يقف هواء في وضع رجاء، كان على الأرجح موجهًا إلى لِرنا. تنتقل عيناه إليك دون أن يكثر بتغير وقفته.

«يا للصدأ الحارق اللعين»، تصدرين تنهيدة متأوهة، ثم، لأنك فهمت الآن ما لا بد أنه قد حدث، تضيفين: «شكرًا» إلى هواء، الذي أخذك إلى الأرض قبل أن تتسنى للوصية قتلك. لم تحسبي قط أنك يمكن أن تمتني شيئًا مماثلًا.

كان لِرنا قد رمى السكين والتفت لبحث عن ضمادات. أنت لا تنزفين كثيرًا، لقد اخترقك السكين عموديًا، موازيًا الأوتار عوضًا عن قطعها، ويبدو أنه لم يصب شريانًا رئيسيًا. يصعب البت في ذلك ويدك لا تزال ترتجف قليلًا، ربما من الصدمة. لكن لِرنا لا يتحرك بسرعه التي تكاد تتجاوز قدرات البشر التي يتحرك بها عندما تكون حياة أحدهم على الحافة، وهذا يطمئنك.

يقول لِرنا بينما لا يزال ظهره ناحيتك: «أفهم من ذلك أن محاولتك للتفاوض لم تثمر».

كانت الأمور بينكما أخيرًا محرجة؛ لقد أبدى اهتمامه بوضوح، وأنت لم تستجيب له بالمثل ولا بالرفض، ومن ثم ساد الإحراج. كان ألابستر في لحظة ما قبل أسابيع قد قال إن عليك أن تقبلي الفتى، فالإحباط دائما ما كان يجعلك معتلة المزاج ومتقدة الرغبة، فنعتيه بالسخافة وغيرت الموضوع، لكن... في الواقع أنت تفكرين في الأمر أكثر بسبب ألابستر.

بيد أنك لا تنفكي تفكرين في الأباستر أيضًا، أهذا أسف عليه؟
لقد كرهته، وأحببته، وافتقدته لأعوام، وأرغمت نفسك على نسيانه،
ووجدته مجددًا، وأحببته مجددًا، وقتلته. أسفك عليه ليس مثلما تشعرين
تجاه أوتشي، أو كورندم، أو إينون، هؤلاء جروح في روحك لا تزال
تنزف، أما خسارتك للأباستر فهي ببساطة... انتقاص لما تبقى منك.

ولعل الآن ليس بالوقت المناسب لتأمل حياتك العاطفية الكارثية.

تقولين: «نعم». تنفضين عنك معطفك. ترتدين تحته قميصًا بلا
أكمام مناسب لدفع كاستريما. يستدير لِرنا مجددًا ويقرفص بجوارك،
ويبدأ يمسح الدماء بقصاصة قماشية ناعمة. «أنت كنت محقًا، لم يكن
ينبغي أن أصعد. إن لديهم وصية».

تقفز عينا لِرنا إليك، ثم يعود إلى الجرح. «سمعت أن الوصاة في
وسعهم إيقاف الأوروچينية».

«هذه الوصية لم تحتج إلى هذا، قام سكينها اللعين بالدور بدلًا
منها». وتعتقدين بينما تفكرين في إينون أن لعلك تعرفين السبب. لم يلغِ
الوصي أوروچينية إينون أيضًا، ربما طريقتهم في القتل عبر التصاق الجلد
بالجلد لا تعمل إلا مع الروجات الذين لا تزال أوروچينيتهم نشيطة،
وهكذا كانت تريد قتلك. لكن فك لِرنا معقود بالفعل، فتقررين أنه ربما
لا يحتاج إلى معرفة هذا.

يقول هوّا بدون سابق إنذار: «لم أعرف أن لديهم وصية، أنا أسف».

تنظرين إليه. «أنا لا أتوقع من آكلي الصخر أن يكونوا عالمين بكل

شيء».

«لقد قلت إنني سأحيك»، صوته منذ تخلي عن هيئته السابقة أمسى أقل تعبيرًا، أو لعل صوته لم يتغير وأنت فقط من تحسّينه خاويًا منذ ما عادت ترافقه لغة جسد تضيف إليه. لكن مع ذلك، يبدو صوته... ساخطًا. ربما على نفسه.

«وقد فعلت». تجفلين حالما بدأ لِرنا يلف ضمادة حول ذراعك بإحكام، لكن بلا خياطة، هذا جيد. «لم أكن أرغب في أن يجرنني أحدهم عبر الأرض، لكن التوقيت كان ممتازًا».

«لقد نالك أذى». بل هو بالتأكيد ناظم على نفسه. تلك أول مرة يبدو فيها صوته كالولد الذي قابلته منذ زمن طويل. أهو صغير بالنسبة إلى بني نوعه؟ صغير القلب؟ عله فقط منفتح وصادق معك حد أنك تحسّينه صغيرًا.

«لا زلت حية، وهذا هو المهم».

يخرّ صامتًا. يتابع لِرنا عمله صامتًا. ومع هذا الإحساس العام بالاستياء الذي يشعّاه، لا تملكين منع نفسك من الإحساس بالذنب.

بعدها، تغادرين شقة لِرنا تريدين القمة المسطحة، حيث أقامت إيكا مركز عملياتها الخاص. جاء أحدهم بأرائك شقتها، ووزعتهم هي فيما يشبه نصف دائرة. أخرجت إيكا ببساطة مجلس مستشاريها إلى العلن. تحتل هياركا إحدى الأرائك بالكامل، تستلقي عليها كعادتها برأس مستندة إلى قبضة وجسد متمدّد على بقيتها بشكل لا يسمح غيرها بالجلوس معها، وتونكي تروح وتجيء في مركز نصف الدائرة. وليسا وحدهما، جاء بعض المتوترين أو الضجرين بمقاعدهم الخاصة

أو افترشوا الأرضية الكريستالية، لكنهم ليسوا كثيرًا كما توقعت. لقد لاحظتِ وأنت في طريقك إلى هنا أن الكومونة تعجّ بالنشاط، بعضهم يقذّون السهام في إحدى الغرف التي مررت عليها، والبعض يصنعون أقواسًا مستعرضة في غرفة أخرى. وترين في الطابق الأرضي ما يبدو أنه تدريب على حمل السكاكين الطويلة؛ شاب نحيل يشرح لنحو ثلاثين شخصًا كيف يسددون طعنات علوية وسفلية. وعند الإطالة الخلابة هناك بعض المبتكرين ينصبون فخاخًا من صخور تقع على المقتحمين.

يرفع المتابعون على القمة المسطحة أعينهم عندما تصلين أنت ولرنا. تشعرين بالسخرية المريعة التي ينطوي عليها الموقف. الكل يعلم أنك تطوعت للخروج إلى السطح لتوصيل رد كاستريما على رينانيس. فعلت ذلك جزئيًا لأنك أردت أن يرى الجميع أنك لم تنقلي على إيكا التي لا تزال في القيادة. رأى الجميع ذلك أمانة على أنك غدوت مجنونة، لكنك على الأقل في صفهم. ترين الأمل في أعينهم، لكنه يخبو بسرعة. عودتك بضادة دامية حول ذراعك ليست بالعلامة المطمئنة.

تونكي منخرطة في حديث صاحب. حتى هي مستعدة للقتال، وقد استبدلت بتنورتها بنطالًا متنفخًا، وعقدت شعرها فوق رأسها في كتلة من الصفائر البالية، وشدت سكينين طويلين متماثلين إلى فخذيها. إنها في الواقع تبدو جميلة نوعًا ما. ثم تنتبهين إلى ما تقوله: «أما الموجة الثالثة فيجب أن تكون في منتهى البراعة. إن الضغط يثيرها. اختلاف درجات الحرارة جدير بإطلاق هبة رياح وخفض الضغط بما يكفي.

لكن يجب أن يحدث بسرعة، وبلا هزات. الغابة ستضيع منا في جميع الحالات، لكن الهزات ستجعلها تلجأ إلى باطن الأرض، ونحن نريدها تتحرك».

تقول إيكا: «أستطيع فعل هذا»، لكنها تبدو مضطربة، «أو على الأقل بعضه».

«لا، يجب أن يحدث هذا كله معاً»، تتوقف تونكي وتحقق فيها، «هذا ليس محل تفاوض». ثم تراك فتتوقف، وتنزل عينها مباشرة إلى الضمادة حول ذراعك.

إيكا تلتفت وتتسع عيناها أيضاً، «اللعنة».

تهزّين رأسك هزة منهكة. «لقد اتفقنا أنها محاولة تستحق، والآن نعلم أنهم لا يمكن التفاهم معهم».

ثم تقعين، ويلتزم الجميع الصمت بينما تفصحين عن شتى أنواع المعلومات التي تمكنت من استخلاصها من رحلتك بالأعلى؛ جيش من الزائدين على حاجة القوم، قائدة تدعى دانييل، ووصية واحدة على الأقل. إضافة هذا إلى ما تعلمونه بالفعل - أن ثمة آكلي صخر في صفوفهم، ومدينة كاملة مترعة بأمثالهم في النطاق الاستوائي - ترسم صورة قائمة. لكن ما خفي كان أعظم.

«كيف عرفوا بنقص اللحوم؟». لا يبدو أن هناك من يلوم إيكا على إخفائها الخبر الذي أذاعه آكل الصخر الرمادي، أو على الأقل لا يلومونها الآن، حتى وقد عرفوا أنها كانت تكتمه عنهم. ليس غريباً أن يتخذ القادة قرارات مثل هذا. «وكيف يجدون فتحات التهوية الصدئة؟».

تقترحين: «لن يتعذر عليهم البحث مع توفر العدد الكافي من...»، لكنها تقاطعك.

«بل سيتعذر، لقد كنا نستخدم هذا الجيود بطريقة أو بأخرى طوال خمسين سنة، ونعرف المنطقة جيدًا، ومع ذلك استغرقنا أعوامًا طويلاً حتى وجدنا الفتحات. هناك فتحة عند مستنقع خث نتن يفوح برائحة القذارة حتى السماء وكثيراً ما تقوم فيه الحرائق»، تنثني إلى الأمام وتلقي مرفقيها فوق رقبتيها وتتنهد، «بل كيف علموا أصلاً أننا هنا؟ إن حتى شركاؤنا التجاريون لم يروا إلا كاستريما السطحية».

يقول لِرنا: «ربما هناك أوروبيون في صفوفهم أيضاً»، بعد كل هذه الأسابيع من سماع لفظة روجا فقط، تبدو لفظته المهذبة متكلفة لأذنيك، «لعلهم...».

تقول إيكا: «لا»، ثم تنظر إليك، «إن كاستريما شاسعة. لكن عندما جئت إلى هنا، هل لاحظت حفرة ضخمة في الأرض؟»، ترمشين متفاجئة، فتومئ إليك قبل أن تجيبي، بما إن وجهك قد قال كل شيء، «نعم، كان حريقاً بك أن تفعلي، هذا المكان... لا أعلم، يخفي نفسه عن الأوروبيين، لكن ما إن تدخله حتى ينقلب الحال، نحن وقود هذا الجيود. المرة القادمة التي تخرجين فيها إلى السطح، أقصد عندما لا يكون هناك من يحاول قتلك، جربي أن تسسبني المكان، وستفهمين قصدي»، تهز رأسها، «حتى لو كان لديهم روجات أليفة، لن يسعهم معرفة أين نحن».

هياركا تنهد وتنقلب على ظهرها، وتغمغم بين أنفاسها. تكشف تونكي عن أسنانها، لعلها عادة التقطتها من هياركا. تقول: «هذا لا يهم».

تقول هياركا: «كونك لا تحبين سماع أمر يا عزيزتي لا يعني أنه لا يهم. أنت تحبين الأمور منطقية، والحياة ليست منطقية». «وأنت تحبين الأمور فوضى».

تندفع إيكّا: «وإيكّا تحب الأمور مفهومة».

تونكي تردد، وهياركا تنهّد وتقول: «تلك ليست أول مرة أفكر في أن ثمة جاسوسًا في الكومونة».

أوه، يا للصدأ. تسود همهمة لحظية وململة بين السامعين. يحدق لِرنا فيها، يقول: «لا معنى لهذا، ليس لدى أي منا أدنى سبب لخيانة كاستريما. كل من استقبلته الكومونة ليس لديه أي مكان آخر يذهب إليه».

«هذا غير صحيح». تعتدل هياركا جالسة، وتبتسم كاشفة عن أسنانها المشحوزة، «أنا كان في وسعي الذهاب إلى كومونة مسقط رأس أمي. لقد كانت قيادية هناك قبل أن تغادر كي تذهب إلى كومونة مسقط رأسي... كانت مليئة بالمنافسين وأمّي أرادت أن تصبح القائدة، أما أنا فغادرت كومونتي لأنّي لم أرغب في أن أكون قيادية بعدها. صحيح أنها كومونة تطفح بالأوغاد، لكنني لم أكن أخطط لقضاء بقية حياتي في حفرة»، وترمق إيكّا.

إيكّا تنهّد تنهيدة من طالت معاناته، «لا أصدق أنك لا زلت غاضبة من أني لم أرميك في الرماد. قلت لك إنني كنت في حاجة إلى مساعدتك». «لا بأس، لكنني فقط أقول إنني ما كنت لأبقى هنا لو كان لي القول في ذلك حينها».

لرنا يعبس. «أفضلين الحياة في كومونة استوائية مكتظة بالسكان وأوهام إعادة مجد السانزا القديمة؟».

تهز هياركا كتفيها. «لا، الآن أنا أحب وجودي هنا، لكني أقول لعل هناك غيري من يفضل رينانيس حد أنه يبيعنا ليضمن لنفسه مكانًا هناك».

يصيح أحدهم من عند جسر الحبال: «يجب أن نجد الجاسوس». هنا تقولين بحدة: «لا». تستخدمين صوت المعلمة، فيتفضل الجميع وينظرون إليك. «قالت دانييل إنها أملت أن تجعل كاستريا تمزق نفسها بنفسها. لا يجب أن نبدأ حملة صيد روجات تعسفية هنا». لهذا أكثر من معنى، لكنك لا تحاولين أن تكوني حاذقة. أنت تعلمين جيدًا أن صوت المعلمة ليس السبب الوحيد الذي يجعل الجميع ينصتون إليك بهذا الاضطراب الملموس. لا تزال الإسبينية تطفو وراءك.

تفرك إيكًا عينيها. «عليك أن تتوقفي عن تهديد الناس يا إيسي. أعلم أنك نشأت في المرتكز ولا تعرفين طريقة غير هذه، لكن ... هذا ليس سلوكًا مجتمعيًا سليمًا».

ترمشين، مبهوتة ومهانة. لكن ... إنها محقة. تنجو الكومونات باتباع توازن حذر بين الثقة والخوف. قلة صبرك تميل الكفة في ناحية أكثر بكثير من المطلوب.

تقولين: «طيب». يهدأ الجميع قليلًا، وقد اطمأنوا إلى أن إيكًا قادرة على تهدئك، بل وتتردد القليل من الضحكات المقتضبة المتوترة. «لكني لا زلت أظن أن مناقشة وجود جاسوس من عدمه ليست مهمة الآن».

لو أن هناك جاسوسًا، فرينانيس يعرفون ما يعرفون بالفعل. كل ما يسعنا فعله هو وضع خطة لن يمكنهم توقعها».

تشير تونكي إليك وترمق هياركا بنظرة صامتة من نوع أترين؟

تميل هياركا إلى الأمام وتزرع يدها على ركبتيها وتحقق إليكم جميعًا. إنها ليست من يجادل عادةً - كان هذا دور كاتر - لكنك ترين العند مرتسماً على وجهها: «بل مهم لو لا يزال الجاسوس هنا، وإلا حظاً سعيداً في إبقاء الخطة سرّاً لو...».

يبدأ هرج عند الإطالة الخلابة. تتعذر الرؤية من القمة المسطحة، لكن يصبح أحدهم منادياً إيكا. تنهض على قدميها فوراً وتتجه في هذا الاتجاه، لكن ينبثق فجأة من ناحية الممرات شخص ضئيل - لعله صبي يعمل راكضاً - ويندفع حتى يقابلها قبل حتى أن تقطع الجسر الرئيسي إلى خارج القمة المسطحة.

يصيح الصبي قبل أن يتوقف: «رسالة من أنفاق السطح! الرينانيسيون يدكّون الصخور الحاجزة».

تنظر إيكا إلى تونكي، فتومئ تونكي، «قال مورات إن المتفجرات جاهزة».

تسألين: «ماذا؟».

إيكا تتجاهلك، تقول للصبي: «أخبرهم أن يتقهقروا ويتبعوا الخطة، هيا». يلفّ الولد على عقبيه وينطلق، لكن فقط حتى يبلغ نقطة يرى فيها بوضوح الإطالة. يقف هناك ويرفع يداً، يضم قبضته، ثم يطلق سراح أصابعه منفرجة. تتبع ذلك سلسلة من الصافرات التي تتردد عبر

الكومونة بينما تترحل الإشارة حتى تصل إلى وجهتها، ويدب النشاط في مجموعات صغيرة متعددة من الناس تتكون فوراً وتتجه إلى الأنفاق. تتعرفين على بعضهم، إنهم أشداء ومبتكرون. ليست لديك أدنى فكرة عما يحدث.

تلتفت إيكا بهدوء ملحوظ كي تواجهك، وتقول: «أحتاج إلى مساعدتك. لو أنهم يدكّون الصخرة، فهذا خبر جيد، يعني أنهم ليست لديهم روچات. لكن تدمير الأنفاق لن يعيقهم إلا لوقت محدود إن كانوا عازمين على النزول هنا. ولا أحب كثيراً فكرة أننا عالقون هنا. هلا ساعدتني في بناء نفق هروب؟».

تراجعين قليلاً، مصعوقة. تدمير الأنفاق؟ لكن صحيح، هذه هي الإستراتيجية الوحيدة المنطقية في هذه الظروف، لن تستطيع كاستريما مواجهة جيشاً يفوقها عدداً وعتاداً، وحلفاء من آكلي الصخر والوصاة. «ماذا يجب أن نفعل؟ نهرب؟».

تهز إيكا كتفيها. تفهمين الآن لماذا تبدو منهكة إلى هذا الحد، فهي لا تواجه فقط انقلاب الكومونة الوشيك على روچاتها، بل وتقلق على مستقبلها. «إنها خطة طوارئ. لقد أمرت بنقل بعض المخازن الأساسية إلى الكهوف الجانبية منذ أيام. لن نستطيع أخذها كلها معنا بالطبع، ولا حتى أكثرها. لكن لو أننا ذهبنا واختبأنا في أي مكان - قبل أن تسألني، عندنا مكان، مغارة تبعد بضعة أميال - حتى لو دخل الرينانسيون فلن يجدوا إلا كومونة مظلمة بلا قيمة، سيختنقون فيها لو أطالوا المكوث. سيأخذون عندها ما يحتاجون ويذهبون، ولعلنا ساعتيذ نعود».

لهذا إيكا هي القائدة. كانت تفعل كل هذا بينما أنت عالقة في صراعاتك. لكن يظل... «لو كان معهم ولو روجا واحد، سيعمل الجيود، وسيصبح جيودهم، ونمسي نحن أغيارًا».

«صحيح، هكذا تنهار الخطة الاحتياطية، أنت محقة»، تنهد، «ولهذا أريد أن أجرب خطة تونكي».

ثور ثائرة هياركا: «قلت لك إني لا أريد أن أكون قائدة صدئة يا بيك».

تقلب إيكا عينيها، «وتفضلين أن تصبحي من الأغيار؟ ابتلعي لسانك».

تجيلين بصر ك بينها وبين تونكي، وتشعرين بضياع تام. تزفر تونكي محبطة، لكنها ترغم نفسها على الشرح. تقول: «مطلوب استخدام محكوم للأوروجينية؛ دفعات متواصلة من التبريد البطيء نحو السطح، في دائرة مركزها الكومونة. هذا سيثير حشود الغلايات في المنطقة. لقد كان المبتكرون الآخرون يدرسون سلوكها في الأسابيع المنصرمة»، تلوح بأصابعها قليلاً، لعله احتقار غير واعٍ لهذا النوع من الأبحاث، «يجدر بهذا أن ينجح، لكن يجب أن يحدث بسرعة، وبواسطة شخص لديه الدقة والقدرة على التحمل. وإلا ستحفر الغلايات في الأرض وتلجأ إلى السبات».

تفهمين فجأة. هذا جنون، لكنه جنون من شأنه أن ينقذ كاستريما. ومع ذلك... تنظرين إلى إيكا، وإيكا تهز كتفيها، لكنك تقرئين توترها. لم تفهمي أبدًا كيف تستخدم إيكا أوروجينيتها. إنها بريّة، ونظريًا

هي قادرة على فعل أي شيء أنت قادرة عليه، وفي وسع من يخلص في تدريب نفسه أن يتمكن من الأساسيات ويصقل نفسه. عدا أن أكثر الروجات الذين يدربون أنفسهم... لا يفعلون. لكنك سسبنت إيكا وهي تستخدم قواها، ومن الواضح أنها لو كانت في المرتكز لكانت من ذوي الخواتم، وإن كانت لن تزيد على خاتمين أو ثلاثة. إنها قادرة على تحريك صخرة، لا حصوة.

ومع ذلك، تستطيع بشكل ما أن تجتذب كل روجا في نطاق مئة ميل إلى كاستريا، ومع ذلك، فعلت ما فعلت بكاتر، ومع ذلك تتمتع بصلابة وثبات في القوة لم تري لها تفسيراً، ما يجعلك تشكين في تقييمك المرتكزي لها. إن صاحب الخاتمين أو الثلاثة لا يسسبن هكذا.

ومع ذلك الأوروچينية هي الأوروچينية، والسسبينا هي السسبينا. للجسد حدود.

تقولين: «إن جيشهم يملأ كاستريا السطحية وحوض الغابة، ستفقدن وعيك قبل أن تتمكني من تثليج نصف هذا النطاق». «ربما».

«بل بالتأكيد».

تقلب إيكا عينيها. «أنا أعلم الصدا الذي أفعله لأني سبق وفعلت مثله. ثمة سبيل أعرفه، ما يشبه ال...»، تتلعثم. تقررين أن، لو نجوت من هذا بأي شكل، على روجات كاستريا أن يبدووا في ابتكار كلمات للأشياء التي يفعلونها. تنهد إيكا محبطة، وكأنها تسمع أفكارك. «لعل هذه تقنية مرتكزية؟ عندما تفعليها مع روجا آخر، وتحافظين على معدل

خطى ثابت للجميع، بأن تعودى نفسك على سعة الأقل لكن تستخدمين قدرة تحمل الأقوى...؟».

ترمشين... ثم يقشعر جسمك كله. «يا نار الأرض وجيوب الصدا، أعلمين كيف تقومين ب...»، فعلها ألابستر بك مرتين منذ زمن بعيد، مرة ليغلق بقعة ساخنة ومرة لينقذ نفسه من التسمم، «الجرّ المتوازي؟».

«أهذا ما تسمونه؟ المهم، عندما تعمل مجموعة كاملة على التوازي، في... شبكة... فعلتها من قبل مع كاتر وتيميل... المهم، لا زلت أستطيع استخدام الروجات الآخرين، بل وحتى الأطفال يمكن أن يساعدوا»، تنهد. أنت خمنت هذا بالفعل. «المشكلة أن الشخص الذي يربط الآخرين بعضهم ببعض»، اللجام، وتذكرين تلك المحادثة الغاضبة قبل زمن طويل مع ألابستر، «هو من يحترق أولاً. فهو من عليه أن... يتلقى الاحتكاك نيابة عنهم، وإلا سيلغي كل من في الشبكة بعضهم بعضاً، ولن يحدث شيء».

يحترق، يموت. «إيكا»، أنت أكثر براعة ودقة منها بمئة مرة، وتستطيعين استخدام المسلات.

تهزّ رأسها متعجبة. «أسبق لك أن، هم، «اشتبكت» بأحد من قبل؟ قلت لك إن هذا يحتاج إلى تدريب، زائد أن وراءك مهمة أخرى»، نظرتها ثاقبة، «سمعت أن صاحبك في العيادة مات، هل علمك ما تحتاجين منه قبلها؟».

تشيحين بنظرك والمرارة في حلقك، لأن برهان تمكّنك من الاتصال

بالمسلات المنفصلة هو أنك قتلته بمسلة، لكنك لم تقتربي بعد من فهم كيف تفتحي البوابة. لا علم لك بكيفية استخدام عدة مسلات معًا. الشبكة أولًا ثم البوابة. لا تصدئي الأمريا إيسون.

يا للأرض! تفكرين يا لك من أحق عبقرى. وهذا كان وجهًا إلى نفسك بقدر ما هو ملقى نحو الأستر.

تدفعين: «علميني كيف أبني شبكة معك».

تتجهن، «قلت لك إن...».

«هذا ما كان يريدني أن أفعله، هذا الصدى اللعين المتقشر». تبدئين في المشي ذهابًا وإيابًا، متحمسة ومرعوبة وساخطة في نفس الوقت. يحدق إليك الجميع. «ليس تشبيك الأوروچينية، بل تشبيك ال...»، كل تلك المرات التي جعلك فيها تدرسين خيوط السحر في جسده، وفي جسدك، وجعلك تستشعرين اتصالها وتدفعها، «وبالطبع لم يستطع أن يخبرني هذا مباشرة، كيف له أن يفعل شيئًا بهذه المنطقية؟».

«إيسون»، ترميك تونكي بنظرة قلقة، «لقد بدأت تبدئين مثلي».

تضحكين عليها، حتى وقد حسبت أنك لن يعود في وسعك الضحك مرة أخرى بعدما فعلت ببستر. تقولين: «الأستر، الرجل الذي كان في العيادة، صاحبي... كان أوروچينيًا ذا عشرة خواتم، وقد كان أيضًا الرجل الذي شقَّ القارة في الشمال».

يثير هذا الكثير من الهمهمات. يقول تلينو الخباز: «روچا مرتكزي؟ أكان مرتكزيًا وفعل ذلك؟».

تتجاهلينه. «كانت لديه أسبابه». الانتقام، والفرصة لصنع عالم

يستطيع كورو أن يعيش فيه، حتى لو لم يعد كورو حيًا. هل هم في حاجة إلى معرفة أمر القمر؟ لا، ليس الآن، لن يؤدي هذا إلا إرباك الجميع بقدر ما تُربك كل تلك الفوضى. «أنا لم أفهم ما فعله حتى الآن، الشبكة أولاً ثم البوابة»، أحتاج أن أعلم ما أنت على وشك فعله يا إيكا، لا يمكنك أن تموتي دون أن تعلميني».

يرجّ شيء ما المكان رجًا. ارتجاج صغير مقارنة بما تفعله الهزات، ومحدود. تلتفتين أنت وإيكا وكل روجا غيركما إلى القمة المسطحة وترفعون رؤوسكم تحريًا لما حدث. هذا انفجار. أطلق أحدهم عدة مفرقات محدودة وأسقط أحد الأنفاق الخارجة من كاستريا. بعد لحظات تتردد صيحات من الإطالة الخلابة. تضيق عينك في هذا الاتجاه فترين بعض الأشداء -الذين كانوا يجرسون النفق الرئيسي عندما خرجت لتحدثي مع دانييل والرينانسيين- قادمين مهرولين، لاهثي الأنفاس وزائغي النظرات... ومفعمين بالغبار. لقد فجروا النفق وهربوا.

تهزّ إيكا رأسها وتقول: «دعينا إذن نتعاون في صنع نفق الهروب، عسى ألا نقتل بعضنا بعضًا ونحن نحاول».

تستدير، وتتبعينها، وتذهبان معًا بين المشي والخبب نحو الجانب المقابل للجيود. يحدث هذا باتفاق غير منطوق، كلتاكما تعرف غريزيًا بالضبط أين توجد أفضل نقطة لثقب الجيود. تلفان حول منصتين، ثم تعبران جسرين، وها هو الحائط البعيد للجيود، مدفونًا بين كريستالات منتفخة أقصر من أن تصلح للسكن. جيد.

ترفع إيكا يديها على شكل مستطيل، فترتكبن، إلى أن تسسبني قوتها

الأوروبية الحادة التي تثقب الجدار في أربع نقاط. هذا بديع. أنت راقبتها من قبل وهي تمارس الأوروبية، لكن هذه أول مرة تحاول فيها أن تكون دقيقة في فعل شيء، وهذا... عكس توقعك بالكامل. إنها غير قادرة على تحريك حصوة، لكنها تستطيع تقطيع أركان وخطوط شديدة الدقة حتى تبدو وكأنها من صنع آلة. لعلها لا تستطيع تحريك حصوة، لأن من ذا الذي يحتاج إلى تحريك حصوة بحق الصدا؟ تلك ليست إلا طريقة المرتكز في الاختبار. طريقة إيكّا ببساطة هي أن تكون دقيقة عندما تحتاج عملياً إلى الدقة. لعلها لهذا لم تنجح في تقييمك، لأنه كان تقييماً خاطئاً.

تتوقف، وتسببن «يداً» ممدودة إليك. أنت واقفة على منصة حول عمود كريستالي أضيق من أن تكون فيه شقق، مخصص للتخزين ولتجر أدوات صغير. إن المنصة حديثة الصنع، لذا لا يزال حاجزها خشبياً، وأنت غير مستعدة للرهان بحياتك عليه. لكنك مع ذلك تقبضين على الحاجز وتغلقين عينيك، وتوجهين أوروبينياً إلى الرابطة التي تعرضها. إيكّا تستولي عليك. كنت ستهلين لولا أنك اعتدت هذا من ألابستر. إنه نفس ما حدث من قبل: أوروبية إيكّا تنصهر معك بشكل ما وتستهلكك. تسترخين وتركينها تمسك الزمام لأنك تدركين فوراً أنك أقوى منها، ويمكنك، ويجب أن، تكوني المتحكمة... لكنها هنا المعلمة وأنت المتعلمة. هكذا تراجعين، وتعلمين.

إنها رقصة بشكل ما. أوروبينيتها مثل... نهر، يفيض ويجري في تيارات ذات أنماط وخطى مختلفة. أنت أسرع وأعمق وأدق وأقوى،

لكنها تقودك بكفاءة تجعلكما تتدفقان معًا. تدفقك يبطئ ويتخفف من بعض دقته، وهي تدفق أسرع، وتستخدم عمقك لتعزيز قوتها. تفتحين عينيك للحظة، ترينها مستندة إلى العمود الكريستالي وتنزل حتى تفرص عند قاعدته، كيلا تعود مضطرة إلى الانتباه إلى جسدها خلال تركيزها... ثم تصبحين في طبقات الجيود الكريستالية، داخل قشرته وتخرقين الصخور المحيطة به، تتدفقين خلال ثنايا وتعرجات الصخر البارد العتيق. تتدفقين مع إيكا بسهولة فائقة تفاجئك. لقد كان التدفق مع الألبستر أخشن من هذا، ربما لأنه لم يكن معتادًا على ذلك عندما جربه أول مرة معك. أما إيكا فقد فعلتها مع آخرين، وهي معلمة أفضل بكثير مما كان هو على الإطلاق...

لكن...

لكن. أوه! ترين ذلك بجلاء الآن.

السحر. ثمة خيوط سحرية متداخلة مع تدفق إيكا، تدعم وتحفز محركها في مواطن نقصها، وتنعم طبقة الاحتكاك بينكما. من أين يأتي هذا السحر؟ إنها تستخرجه من الصخر ذاته، وتلك أعجوبة أخرى، لأنك حتى الآن لم تحسبي أن في الصخور سحرًا. لكنه موجود، ترفرف خيوطه بين جزئيات السيليكون والكلسيت متناهية الصغر، مثلما كانت بين جزئيات مادة الألبستر الصخرية. لكن، لا. بين الكلسيت والكلسيت بالتحديد، أما السيليكون فتلمسه فقط. إنها تنبع من الكلسيت الموجود داخل جيوب من الجير داخل الصخرة. تخمينين أن في لحظة ما، قبل ملايين أو مليارات السنين، كانت تلك المنطقة برمتها في قاع المحيط،

أو جزيرة في بحر. عاشت أجيال من الحياة البحرية حياتها وماتت هنا، وتحولت إلى طبقات مضغوطة بعضها فوق بعض. أتلّك آثار احتكاك مجلدة قديمة؟ يصعب التحديد، فأنت لست بجيوميسيتية.

لكن ما تفهمينه بغتة هو التالي: السحر يأتي من الحياة، من الكائنات الحية، أو التي كانت حية، أو تلك التي كانت حية منذ عصور سحيقة حتى أنها تحولت إلى شيء آخر. يسبب لك هذا الفهم تحولاً في رؤيتك للأمور و

و

و

ترين الشبكة فجأة؛ خيوط متداخلة فضية تتشابك عبر القارة بأكملها، وتتحرق الصخور حتى الصهارة الذائبة تحتها، تتألق كالجواهر بين الغابات والمرجان المتحجر وآبار النفط، وفي الهواء على شباك العناكب الصغيرة، وفي السحاب، وإن كانت هناك واهنة، بين الكائنات الميكروية الحية في نقاط المياه. تعلو الخيوط حتى حافة قدرتك على الإدراك وبعدها، حتى تلمس النجوم ذاتها.

وحيثما تلمس الخيوط المسلات تغدو شيئاً مختلفاً تماماً. فكل من المسلات التي تطفو في خارطة وعيك -الذي اتسع فجأة ليشمل أميالاً وأميالاً، إنك تدركين العالم الآن بما هو أكثر من سسبيتك وحدها- تعمل كمحور التواء لألوف، ملايين، تريليونات الخيوط، إنها القوة التي تمسك كل تلك الخيوط. تنبض كل مسلة بوهج فضي أبيض متذبذب. يا شر الأرض، إن هذه هي المسلات في حالتها غير الواقعية، في مستوى آخر

من الوجود، تطفو وتنبض وتتقلب بين الصلب والسحري والصلب،
تشهقين عجبًا من جمالها الخلاب.

ثم تشهقين من جديد، عندما تلحظين بالقرب منك...

تشدّ إيكا زمامك، وتدركين متأخرة أنها استخدمت قوتك حتى
وأنت شاردة في تجلياتك. صار الآن هناك نفق جديد صاعد عبر طبقات
الصخور الرسوبية والبركانية. يتخلله سلم درجاته واسعة عريضة،
صاعدة إلا من بسطة عادية بين حين وحين. لا يوجد ركام متخلف من
نحت الصخور، بدلًا من ذلك ضغطت إيكا الصخور ببساطة في الحوائط
والأرض لتفسح مكانًا لتشكيل السلم، واستغلت الكثافة الزائدة في
ترسيخ النفق مقابل ثقل الصخور حوله. بيد أنها توقفت قبل اختراق
السطح بقليل، والآن تفصلك من الشبكة (ها هي تلك الكلمة تتكرر
مجددًا). ترمشين وتلتفين نحوها، وتفهمين فورًا.

تقول إيكا: «يمكنك أن تكلمي». تنهض من أرضية المنصة وتنفض
عن مقعدها الغبار، يظهر عليها التعب. لا شك أن محاولاتها المستمرة
للسيطرة على تقلباتك المفاجئة كانت عليها منهكة. لن تستطيع الآن
القيام بالأمر الذي اعتزمت فعله، ستنهار قبل أن تبلغ نصف الطريق
حول الوادي.

وهي أيضًا لم تعد مضطرة. «لا، سأعتني بالأمر».

تفرك عينيها. «إيسي!».

تبتسمين، ولأول مرة لا تضايقك تلك الكنية. ثم تستخدمين ما
تعلمته منها من فورك، وتمسكينها مثلما أمسكك الأستر من قبل، وتمسكين

كل روجا في الكومونة أيضًا (يجفل الكل في نفس الوقت حالما تفعلين ذلك. إنهم معتادون على إيكا، لكنهم يدركون أنك لجام مختلف ما إن يسسبنوك). إيكا تتيبس، لكنك لا تفعلين شيئًا سوى التمسك بها. صرت تستطيعين فعلها، ولا مرء في ذلك.

ثم تؤكدين على ذلك عبر الاتصال بالإسينلية. إنها لا تزال خلفك، لكنك تسسبنين اللحظة الدقيقة التي تتوقف فيها عن التذبذب وتصدر عوضًا عن ذلك نبضة صامتة ترجّ الأرض. تحسّين وكأنها تقول إنها جاهزة.

تتسع حدقتا إيكا وكأنها تسسبن كيف تحفز المسلة... تشحن؟ توقظ؟ توقظ شبكة الروجات. ذلك لأنك الآن تفعلين الشيء الذي كان يحاول ألابستر أن يعلمك إياه لسته أشهر، أي استخدام الأوروجينية والسحر معًا فيقويان ويدعمان بعضهما، ما يجعل المجلمل أقوى، ثم دمج هذا مع شبكة من الأوروجينيين مجموعها أقوى منهم فرادى، تعمل نحو غاية واحدة، ثم توصيلها بمسلة تضاعف قواهم أضعافًا. أمر مذهل.

فشل ألابستر في تعليمك هذا لأنه كان مثلك، مركزي التدريب ومركزي الحدود، تعلم أنه يفكر في القوى بمصطلحات الطاقة والمعادلات والأشكال الهندسية فقط. لقد تمكن من السحر لطبيعته الاستثنائية، لكنه لم يفهمه جيدًا قط. ولم تفهميه أنت، ولا حتى الآن. لكن إيكا، بطبيعتها البرية، وبلا همولة مسبقة تحتاج إلى التخفف منها، كانت المفتاح طوال الوقت. فقط لو لم تكوني بهذا الغرور...

لكن، لا. لا يمكن أن تقولي كان ألابستر ليكون حيًا. لقد هلك

لحظة استخدم بوابة المسلة لقسم القارة نصفين. كانت الحروق تقتله بالفعل، إنهاؤك له كان رحمة. ستصدقين ذلك في آخر المطاف.
ترمش إيكا وتتجههم. «هل أنت بخير؟».

إنها تعرف سحرك وتميز منه حزنك. تزدردين لعابك رغم الغصة في حلقك، بحذر، وأنت تحكمين الإمساك بالقوة الكامنة المتراكمة فيك. تكذبين: «نعم».

نظرة إيكا كاشفة أكثر من اللازم. تنهد. «أقول لك شيئاً... لو نجونا من هذا، فلدي مخزون من السرديس اليومييسي في أحد بيوت الأحرار. أترغبين في مشاركتي الشرب؟».

تنفك الغصة في حلقك وتضحكين. إن السرديس خمر مقطر يُصنع من فاكهة لها نفس الاسم، تنمو أشجارها عند سفوح الجبال المجاورة ليومييس، ولا تنمو في أي مكان عدا ذلك. لذا، ربما يكون مخزون إيكا الأخير من نوعه في السكون برمتها.
«حتى الثمالة؟».

«حتى فقدان الوعي». ابتسامتها منهكة، لكن حقيقية.
يعجبك وقع هذا. «حسنًا، لو نجونا من هذا»، عدا أنك الآن متأكدة أنكم ناجون. لديك ما يكفي من القوة في شبكة الأوروچينية والإسبينية، وسوف تجعلين كاستريا آمنة للروجات والراكدين وكل من في ناحيتكم منها، وجحيماً على أعدائكم.
بهذه النية تلتفين، وترفعين يدك، وتفردين أصابعك أمامك فيما تطلقين سراح أوروچينيتك وسحرك.

تحيطين بكاستريما كلها: السطحية والسفلية وكل ما يهم بينهما وتحتها وفوقهما. جيش رينانيس كله أمامك، مئات النقاط المتوهجة بالسحر والحرارة على خريطةك العقلية، يتكتل بعضهم في بيوت لا تخصهم، والبقية حول مداخل الأنفاق الثلاثة التي تؤدي إلى الكومونة السفلية. تمكنوا بالفعل من اختراق الصخور الضخمة التي رفعها أحد روجات كاستريما ليعيقهم في نفقين من الثلاثة، في أحد هذين أدى الاختراق إلى انهيار الممر. مات بعض الجنود، أجسامهم تبرد. ويعمل الآخرون على إزالة الركام من الطريق. ترين بوضوح أن هذا سوف يستغرق على الأقل عدة أيام.

لكنهم في النفق الآخر -يا للصدأ المتقشر- وجدوا وعطلوا المتفجرات. تتذوقين لذوعة الطاقة الكيميائية غير المبذولة، وحموضة العرق وشهوة الدماء. يمضون في طريقهم بلا عائق نحو كاستريما السفلية، قطعوا نصف الطريق تقريبًا نحو الإطالة الخلابة. خلال دقائق، سيغشى دفاعات كاستريما مئات الأشداء بسكاكينهم الطويلة وأقواسهم المستعرضة ونبالهم ورماحهم، ومئات آخرون قادمون من فم النفق في إثرهم.

تعلمين ما عليك فعله.

تراجعين من هذا المنظور الضيق. تمتد الآن الغابات المحيطة بكاستريما تحتك. تتذوقين في هذا المنظور الأوسع حواف هضبة كاستريما، والمنخفض القريب الذي هو حوض الغابة. جلي الآن أنه كان هنا ذات مرة بحر، وقبله مجلدة، وأكثر. وجلي أيضًا أن تلك العقد النارية والنورية المتناثرة عبر الغابة هي الكائنات الحية في المنطقة. يوجد منها أكثر مما

حسبت، وإن كان أكثرها كائنات نائمة أو مختبئة أو تحمي نفسها من حمية الموسم بما يتسنى لها. وعلى ضفتي النهر، تتألق الغلايات تألقاً. تستعمر تلك الكائنات ضفتي النهر وأكثر الهضبة والخوض خلفها.

تبدئين بالنهر، تبردين التربة والهواء والحجر تبريداً رقيقاً على امتداده. تفعلينها بنبضات موجية، موجة باردة ثم سكون، ثم موجة أبرد قليلاً. تخفضين من ضغط الهواء داخل دائرة التبريد التي ترسمينها، ما يؤدي إلى هبوب الرياح إلى الداخل، نحو كاستريما. هذا تحريض ووعد: إن غادرتم عشتم، وإن بقيتم سأثلج كل واحد منكم أيها الملاعين التافهون حتى تنقرضوا.

الغلايات تتحرك. ترينهم موجة من الحرارة المتألقة تنتفض من أعشاشهم تحت الأرض وفوقها، تلك الروابي التي أنشؤوها حول ضحاياهم ليتغذوا عليها... مئات الأعشاش، ملايين الحشرات، لم تحسبي قط أن كاستريما موبوءة بهم إلى هذه الدرجة. كان تحذير تونكي عن نقص اللحم بلا معنى وفائتاً لأوانه، لم يكن في وسعكم منافسة هؤلاء الغزاة البارعين. لم يكن هناك مناص من استساغة مذاق البشر على أي حال.

ليس هذا مكان ذلك ولا وقته. اكتملت دائرة البرد حول كاستريما. توجهين الطاقة إلى الداخل في موجات. إن الغلايات سريعة، ويا صداً الجحيم، وفي وسعها الطيران. لقد نسيت أن لها أجنحة.

و... يا نار الأرض. صرت فجأة ممتنة إلى أنك تسسبنين ما يحدث على السطح فقط، دون أن تريه ولا تسمعيه.

ما يدخل وعيك هو صورة مرسومة بالضغط والحرارة والتفاعلات الكيميائية والسحر. هنا تكتل ساطع من الجنود الرينانيسيين، متجمعين داخل إطار من الطوب والخشب، يغشاهم سرب من الغلايات الملتهبة. تسبنين عبر أساسات المبنى أقدام تدب، وباب ينصفع، ووقع أجساد طرية على بعضها وعلى الأرض، وهزّات صغيرة جراء الهلع. تتوهج النقاط التي تمثل الجنود أكثر عندما تنزل عليها الحشرات أخيراً وتفعل أفاعيلها.

كان ترتيس صياد كاستريما تعيس الحظ، لم تصبه إلا حشرات قليلة، ولهذا لم يمت منها. أما هنا فنصيب كل جندي عشرات الغلايات التي تغطي كل نقطة يمكن الوصول إليها من لحمه. هذه رافة، لا يدوم عذاب أعدائكم طويلاً، وتصبح منازل كاستريما السطحية واحداً وراء الآخر ساكنة صامدة من جديد.

(ترتعد الشبكة في لجامك، لا أحد من الآخرين يجب ذلك. تشدينهم بحزم وتبقينهم على المسار. لا مجال الآن للرحمة).

تتجه الأسراب الآن إلى الأقبية، وتهبّ على الجنود المتجمعين هناك، وتجد الأنفاق الخفية المتوجهة إلى كاستريما السفلية. تميلين على الإسبينية طلباً لمزيد من القوة، في محاولة لسبينة أي من النقاط الحية في الأنفاق جنود رينانيسية وأيها حماة كاستريما. إنهم متلاصقون، متقاتلون. يتعين عليك مساعدة قومك... آخ، يا للصدأ. تشعرين بإيكا تغالب تحكمك، ورغم أن انغماسك الكامل في الشبكة يمنعك من سماع ما تقوله جهراً، تفهمين قصدها.

تعلمين ما عليك فعله.

هكذا تنتزعين كتلاً من الحوائط وتستخدمينها لسد الأنفاق. إن بعض أشداء ومبتكري كاستريما لا يزالون في ناحية الغلايات، وبعض جنود رينانيس في ناحيتكم الآمنة، لكن أحداً لا ينال كل ما يبغى. لا تستطيعين منع نفسك من سسبنة الارتجاف والصراخ عبر صخور الأنفاق.

لكن قبل أن ترغمي نفسك على تجاهل هذا، تتردد صرخة أخرى، أقرب، واهتزاز تدركين أنه في طبلة الأذن لا السسيينا. تبدئين في فض الشبكة بارتباك، لكن ليس بسرعة كافية، وليس قبل أن يجذب شيء ما لجامك، ويكسره، ويرميك أنت وبقية الروجات خارج التزامن تتعثرون وتلغون نطاقات قدرة بعضكم بعضاً. ما هذا الصدا؟ شيء ما قطع من بينكم اثنين.

تفتحين عينيك فتجدين نفسك ملقاة على أرض المنصة الخشبية، إحدى ذراعيك ملتوية على نحو مؤلم تحت جسدك، ووجهك ملتصق بأحد صناديق التخزين. تدفعين نفسك للقيام بحيرة وتأوه (ركبتاك ضعيفتان، ثمة ثمن على لجام الشبكة دفعه). «إيكّا؟ ماذا كان هـ...؟».

هناك صوت من وراء الصناديق. شهقة. وصرير من خشب المنصة أسفلك التي تثن عوارضها من حمل ثقله لا يوصف. ثم صوت طحن صخري عالٍ ومفاجئ إلى حد يجفلك وأنت تدركين أنك سبق وسمعت هذا الصوت. تقبضين على حافة صندوق وعلى الحاجز المعدني، وتنزلين على ركبة واحدة، وهذا يكفيك لرؤية:

هوّا، في وضع يطلق عليه عقلك فورًا وبنصف تركيز اسم المحارب. يقف بذراع ممتدة تتدلى منها رأس، رأس آكل صخر، شعره لؤلئي مجمد، ووجهه ينتهي تحت الشفة العلوية. بقية آكل الصخر، من الفك السفلي إلى أخمص القدم، يقف أمام هوّا متجمدًا في وضع التوجه نحو شيء ما. ترين وجه هوّا جزئيًا من جانبه، لا يتحرك ولا يمضغ، لكن على شفثيه الرخاميتين السوداوين بقايا صخر مسحوق شاحب، وفي كاهل ما تبقى من آكل الصخر فجوة بحجم قضة. إذن هذا كان مصدر الصوت المألوف.

بعد لحظة، تنهشم بقايا آكل الصخر، ثم تدركين أن وضع هوّا قد تغير إلى آخر يضع قبضته عبر صدر آكل الصخر المتهشم. تنزلق عيناه نحوك. ترين أنه لم يزدرد ما في فمه، لكنه لا يحتاج إلى فتح فمه كي يتكلم على أي حال. «إن آكلي صخر رينانيس قادمون يريدون أوروچينيو كاستريما».

يا شر الأرض. ترغمين نفسك على النهوض رغم ثقل رأسك وخفة قدميك. «كم عددهم؟».

«ما يكفي». في رمشة عين تكون رأس هوّا ملتفتة نحو الإطالة الخلابة. تنظرين فترين القتال مستعرًا هناك، بين الكاستريميين المدافعين والرينانيسيين الذين تمكنوا من عبور النفق. تلمحين من بين الغزاة دانييل، ترفع سكينين سبجيين طويلين أمام اثنين من الأشداء القريبين. إزني تصيح طلبًا لقوس مستعرض آخر بعدما علق قوسها، ثم ترمي سلاحها المعطوب وتستل سكينًا عقيقًا أبيض يلمع في النور، وترمي نفسها في مواجهة دانييل.

ثم ينصب تركيزك إلى مكان أقرب، حيث علقت بيتتي في جسر من الحبال، ثم ترين السبب: يقف على منصة معدنية خلفها آكلة صخر غريبة أخرى، جسدها بالكامل من السترين الذهبي إلا من بعض الميكا الأبيض حول شفتيها، تقف بيد واحدة ممدودة، أصابعها مقوسة في إيحاء متحدية. بيتتي تبعد عنها حوالي خمسة عشر قدمًا، لكنك ترين الدموع تملأ وجهها وهي تجاهد لتخليص نفسها من الحبال. تتدلى إحدى ذراعيها على نحو غريب. مكسورة.

يدها مكسورة. يقشعر جسدك كله. «هوا».

ترتطم رأس آكلة الصخر بالمنصة الخشبية بصوت عالٍ، بعدما يسقطها هوا عنها. «إيسون».

«أحتاج إلى الخروج إلى السطح بسرعة». تسسبنينها من هنا، تشعرين بسحرها، قريبة وهائلة. لقد كانت هنا طوال الوقت، لكنك أحجمت عن استخدامها، فهي أكثر مما احتجت إليه سابقًا، لكنها بالضبط ما تحتاجينه الآن.

«إن السطح يعجّ بالغلايات يا إيسي، ولا شيء غيرها». إيكًا على قدميها، لكن بالكاد، تستند إلى الحائط الكريستالي. تريدين أن تحذريها من أن آكلي الصخر قادرون على المجيء عبر الحوائط الكريستالية، لكن لا وقت. لو أبطأت فسينال أكلو الصخر منها على أي حال.

تهزين رأسك وتتجهين مترنحة إلى هوا. لا يستطيع أن يأتي هو إليك لثقله البالغ، حتى أنك لا تفهمين كيف لا تنهار المنصة تحت وزنه. وقفته تبدلت مجددًا بعدما أمسّت آكلة الصخر الأخرى قطعًا متناثرة حوله،

صار الآن يضع يده على الحائط الكريستالي، وبقية جسده يواجهك. يده الأخرى ممتدة نحوك مفتوحة داعية. تتذكرين ذلك اليوم على ضفة النهر، بعدما وقع هوّا في الطين. لقد منحته يدك لتساعديه على النهوض، دون أن تعلمي أنه تثقله العظام الماسية والحكايات العتيقة غير المروية. رفض يومئذ مساعدتك كي يحافظ على سره، وأنت تأملت، حتى لو حاولت ألا تتألمي.

أما الآن فيده باردة مقارنة بدفء كاستريما، صلبة، على أن سسبنته ليست مثل سسبنة الصخر، تدركين هذا في افتتاحان عابر. لبشرته ملمس غريب، لا تلين لضغط أصابعك إلا قليلاً. وفي أصابعه بصمات. هذا يفاجئك.

ثم ترفعين نظرك نحو وجهه. لقد أعاد تشكيل تعبيره من البرود الذي رأيته عليه عندما دمر أعداءه، إلى ابتسامة صغيرة على شفثيه. يقول: «سأساعدك طبعاً». ترين أنه لا يزال فيه من الصبي الكثير، حتى تكادي تردي له الابتسامة.

لكن لم يعد هناك وقت للتأمل فيه أكثر، لأن كاستريما تتحول حولك مرة واحدة إلى بياض كامل، ثم عتمة كاملة بلون سواد الأرض. لكنك لا تهلعين، لأن يد هوّا على يدك.

ثم ها أنت تقفين أمام قاعة كاستريما السطحية، بين الموتى والمحتضرين. حولك، بين ممرات القاعة وعلى بلاطها، تنطرح أجساد جنود رينانيس المتلوية، بعضها تستحيل رؤيته تحت بساط من الحشرات، ولا يزال قليل منهم يزحف ويصرخ. يعبق المكان برائحة اللحم المملح

إياها، ويهبّ الهواء محملاً بالغلايات والنسيم منخفض الضغط الذي صنّعه.

تندفع نحوك إحدى الحشرات، فتتقزّزن، لكن يد هوّا تصبح في لحظة حيثما كانت الغلاية، يتقطر منها الماء الساخن ويصدر عنها صفارة خافتة كصفارة براد الشاي المغلي تبث بالتدريج. ينصحك: «ينبغي عليك إنشاء نطاق قدرة»، صحيح وحق الصدأ. تشرعين في الإفلات من قبضته كي تفعليها بأمان، لكنه يحكم يده حولك، قليلاً. «الأوروبية لا تؤذيني».

إن لديك من القوة ما يفوق الأوروبية، لكنه يعلم هذا، إذن لا بأس. ترفعين نطاقاً عاليّاً ضيقاً حولك، يزخر بالثلج الناجم عن الرطوبة، وعلى الفور تبدأ الغلايات تتجنبك. لعلهم يتبعون درجة حرارة أجساد فرائسهم. لا يهم.

ترفعين عينك نحو السواد الذي يبرز من السماء.

إن الأونيكسية ليست مثل غيرها من المسلات؛ أكثر المسلات شظايا ضخمة في هيئة أعمدة سداسية أو ثمانية مدببة من الطرفين، وإن كنت رأيت بعضهم بأطراف غير منتظمة أو خشنة. أما الأونيكسية فجسم بيضوي كابوشوني، تتدلى ببطء من طبقة الغيوم التي اختبأت فيها منذ بلغت كاسترياً قبل أسابيع قليلة. لا يسعك تخمين أبعادها، لكنك عندما تديرين رأسك لترى السماء المحيطة بكاسترياً العلوية، تجددين أن الأونيكسية تملؤها بالكامل تقريباً، من شمالك إلى جنوبها، من الأفق الرمادي الغائم وحتى المخرج بالحمرة السفلية من توهج الصدع. ولا تعكس شيئاً، ولا

تلمع بأي شكل. عندما تنظرين إليها -والغريب أن هذا يصعب فعله دون أن تجفلي- لا ترين أنها تحوم فعلاً فوق كاستريا إلا من الغيوم القليلة حول حوافها. عندما تنظرين إليها، تشعرين بقربها، فوقك مباشرة، ليس عليك إلا أن ترفعي يدك... لكن جزءاً منك يهاب فعل ذلك.

تقع الإسينيلية خلفك بصوت مكتوم يرجّ الأرض، وكأنها تحشع لكبيرتها. أو لعل هذا فقط لأن الأونيكسية تجذبك، تشدّك إليها، تشدّك إلى أعلى...

... تشدّك، آه، يا للأرض، بسرعة فائقة...

... لا يبقى منك ما يكفي للتحكم بأي مسألة أخرى، لا يفيض منك فائض. تقعين إلى أعلى، تطيرين إلى خواء لا يناديك فقط، بل يمتصك أيضاً. لقد تعلمت من الاتصال بالمسلات الأخرى أن تستسلمي للتيار، لكنك تفهمين أن هذا لا يمكن فعله هنا، وإلا ابتلعتك الأونيكسية. بيد أنك لا تستطيعين مقاومتها أيضاً، وإلا مزقتك.

أقصى ما تتمكنين منه هو نوع من التوازن الهش، حيث تقاومين بقدر الإمكان من دون أن تتوقفي عن الانجراف عبر فراغاتها البينية. لقد تشربت الكثير من طاقتها بالفعل، الكثير جداً. يجدر بك استخدام هذه القوة وإلا... وإلا... لكن لا، ثمة خطب ما، ثمة شيء يقع من التوازن. فجأة، تتلأأ سياط الضوء حولك، وتجدين نفسك عالقة في شبكة من تريليون، كوينتليون خيط سحري، وتضيق عليك.

في مستوى مغاير من الوجود، تصرخين. تلك كانت غلطة، إنها تلتهمك، وهذا مريع. كان الألبستر مخططاً. ليتك تركت آكلي الصخر

يقتلون كل روحا في كاستريا ويدمرون الكومونة ولا تموتين هذه الميتة
المریعة، ليتك تركت هواء يقضمك ويمضغك بأسنانه الجميلة، على الأقل
أنت تحيينه

تحيينه

تحییي... یییي... یییي —

تضيق عليك سياط خيوط السحر من ألف اتجاه. تتوهج شبكة
الضوء حولك بحيوية، فجأة، أمام خلفية من السواد التام. الآن ترين.
ترين أبعد من نطاقك العادي حتى يكاد هذا يفوق استيعابك. ترين
السكون، كلها. ترين نصف القشرة التي تمثل هذا الجانب من الكوكب،
وتستنشقين نفحات الجانب الآخر. هذا وحق نار أعماق الأرض لكثير،
وأنت غبية. لقد قالها لك ألابستر: الشبكة أولاً، ثم البوابة. لا يمكنك
فعلها وحدك، تحتاجين إلى شبكة صغيرة كوسادة امتصاص لتفعيل
الشبكة الأكبر. تتوجهين بخرق نحو أوروچيني كاستريا مجدداً،
لكنك لا تنالين منهم، صاروا أقل عدداً، يتوهجون ثم ينطفئون حتى
عندما تتوجهين إليهم، هلعهم يجعلهم عديمي الجدوى حتى بالنسبة
إليك.

لكن، بجوارك مباشرة، يوجد جبل صغير من القوة: هواء. لا تحاولي
التوجه إليه، لأن هذه القوة غريبة عليك ومرعبة، لكنه هو من يتوجه
إليك، ويثبتك، ويدعمك بصلابة.

ما يسمح لك أخيراً أن تذكر أن... الأونيكسية هي المفتاح.
الذي يفتح البوابة.

والبوابة تُنشط شبكة...

وفجأة تنبض الأونيكية، تنبض بعمق الحمم وبثقل الكوكب،
تنبض حولك.

إنها، يا للأرض، ليست شبكة أوروچينيين، بل شبكة
تبدأ بالإسبينية، بما إنها هنا، بجوارك. ثم تتبعها التوبازية، تخضع
قوتها الهوائية البراقة لك بيسر شديد.

ثم الكوارتزية الدخانية. ثم الجمشية، صديقتك القديمة، التي
تبعك بثقل منذ تريمو. والكونزيتية. واليشمية.
أوه

والبجادية، واليشبية، والأوبالية، والسترينية...
تفتحين فمك لتصرخي لكنك لا تسمعين نفسك.
الياقوتية، الإسبوديومينية، الزمردية الزرقاء، الزبرجدية، الـ...
«هذا كثير»، لا تعلمين إن كنت تصرخين داخل عقلك فقط أم في
الخارج أيضًا، «أكثر مما أستطيع تحمله».

يقول الجبل الرابض بجوارك: «إنهم يحتاجونك يا إيسون».
فيتضح كل شيء داخل مجال تركيزك. نعم. لا تفتح بوابة المسلة
إلا لغاية معينة.

بالأسفل، حوائط الجيود، أعمدة متذبذبة من السحر الخام، المادة
الأصلية لكاستريها. تسبنين -تشرين- تدركين وجود الشوائب داخل
بنيتها. تسمحين ببقاء الشوائب الطافية على السطح.

(إيكا، بيتي، وكل الروجات الآخرين، والراكدون المعتمدون عليهم لاستمرار الكومونة. كلهم يحتاجونك).

في المقابل، هناك تلك الشوائب المتداخلة في البنية الكريستالية للجيود، تمتطين خيوط المادة والسحر، تتلكأ داخل الصخور وحول قشرة الجيود مثل الطفيليات، تنخر في أساسها. إنها أيضًا جبال من القوة، لكنهم ليسوا جبالك.

أخبرك هوّا أن سبب حبسه أنه أغضب روچا لا يصح إغضابه. نعم، وهذا ما فعله أكلة الصخر الصديين هؤلاء.

تصرخين مجددًا، لكن صراخ هذه المرة نابع من جهد، نابع من عدوان. بوم، تنكسر بنية المادة وخيوط السحر، وترتقينها من جديد بطريقتك. ترفعين كريستالة كاملة من أساسها، وترمينها نحوهم مثل رمح، وينطحن أعداؤك تحتها. تبحثين عن الرجل الرمادي، آكل الصخر الذي أذى هوّا، لكنه ليس بين هذه الجبال التي تهدد بيتك، وهؤلاء أتباعه لا أكثر. حسنًا، سترسلين إليه رسالة إذن مكتوبة بمخاوفهم.

لقد حبست بما فعلت خمسة آكلي صخر على الأقل في كريستالات. كان هذا سهلًا بصراحة، ما داموا أغبياء بما يكفي للانتقال عبر الكريستالات وأنت تراقبين. كانت أطوارهم تتبدل داخل الكريستالات، ما فعلته ببساطة كان أنك أوقفت هذا التبدل، وجهدتهم داخلها مثل حشرة في كهرمانة. والبقية يهربون.

يهرب البعض صوب الشمال. غير مقبول. والمسافات لا تعني لك الآن شيئًا. ترتفعين، تستديرين، ثم تنفضين إلى أسفل مرة أخرى، وها

هي رينانيس، قابعة في قلب شبكة من محطات التوصيل مثل عنكبوت
كامن بين فرائسه الميتة. لا يكلفك شيئاً أن تلحقني بكل مواطن رينانيس
نفس ما فعلته مع المرأة التي كانت ستضرب بيتي حتى الموت. لا
فارق بين متنمر وآخر. ببساطة شديدة تقلبين خيوط الفضة المتذبذبة
بين خلاياهم حتى تصبح الخلايا ساكنة، صلبة، حجرية. تم الأمر،
وانتصرت كاستريما في الحرب في لمح البصر.

لكن الخطر الحقيقي هو الآن، الخطر هو أنك عندما تقبض على
زمام قوة شبكة المسلات هذه دون أن تركزها على شيء، تصبح أنت محل
تركيزها، وتموت. الآن وقد أمست كاستريما آمنة، تقتضي الحكمة فك
الشبكة وغلق البوابة والانسحاب منها قبل أن تدمرك.

لكن... أمان كاستريما ليس رغبتك الوحيدة.

إن البوابة كالأوروجينية، إن لم تتحكم فيها بوعيك، تستجيب
لرغباتك اللاواعية حتى لو كانت الرغبة في تدمير العالم. وأنت لست
متحكمة برغباتك، ليس هذا في سعتك، إن رغباتك جزء جوهري
منك مثل ماضيك أو شخصيتك الدفاعية أو قلبك الذي انكسر
مراراً.

ناسون.

يلتفت وعيك إلى الجنوب، ويتتبع.

ناسون.

ثمة تشويش. يؤلم. اللؤلئية، الماسية، والـ

— ياقوتية الزرقاء. لكن هذه تقاوم الانجذاب إلى شبكة البوابة. لم

تلاحظي ذلك من قبل تحت وطأة عشرات، بل مئات المسلات الأخرى،
أما الآن فتلاحظينها لأن

مكتبة

t.me/soramnqraa

ناسون

إنها هي

إنها ابنتك، ناسون، أنت تميزين وجودها المعقد الفاتر مثلما تعرفين
قلبك وروحك، إنها هي، مكتوبة على كل شبر من هذه المسلة، لقد
وجدتها، حية.

وحالما يتحقق هدفك، تبدأ البوابة في التحلل. تنفصل بقية المسلات،
وتطلق الأونيكية سراحك في النهاية، وإن كان بشيء من التردد البارد.
وبينما يرتمي جسدك جانبًا لأن ثمة ما أفقدك توازنك، تمسكك يد
وتعينك على الانتصاب. لا تقدرين على رفع رأسك إلا بالكاد، تشعرين
بجسدك بعيدًا، ثقيلًا، وكأنه صار حجرًا. أنت لم تأكلي منذ ساعات،
لكنك لا تشعرين بالجوع. تعلمين أنك استهلكت أكثر من طاقتك
بكثير، لكنك لا تحسّين بأي إنهاك.

حولك جبال. «ارتاحي يا إيسون»، قالها الذي تحببته منهم، «سأعتني
بك».

تومئين برأس أثقل من جلمود. الجبال الجديدة تجذب انتباهك،
وتجبرين نفسك على النظر مرة أخيرة.

إنها أنيموني، تقف قبالتك، متبلدة كما كانت دومًا، مع ذلك في
حضورها شيء مطمئن. تفتنين غريزيًا أنها ليست عدوة.

يقف بجوارها آكل صخر آخر، طويل، نحيل، في «ملابسه» المنسدلة غرابة، أبيض بالكامل مع أن ملامح وجهه ساحل-شرقية: فم كبير وأنف طويل وعظام وجنة عالية وشعر مجعد منحوت بأناقة. عيناه فقط سوداوان، ومع أنهما تراقبانك بتعرف خافت ولمعة مرتبكة لشيء لعله (لكنه لا يجب أن يكون) ذكرى... تجدين في هاتين العينين شيئاً مألوفاً. يا للمفارقة، إن تلك أول مرة ترين آكل صخر مصنوع من المرمر^(١). ثم يختفون.

ماذا لو لم يكن ميتاً؟

خطاب من ريدو مبتكر ديارس إلى الجامعة السابعة،
بُعث مع رسول من ربيع وكومونة آليا بعد رفع المسلة
العقيقية، واستقبلته الجامعة السابعة بعد انتشار خبر دمار
آليا عبر التلغراف. المصدر مجهول.

(١) المرمر بالإنجليزية: alabaster، أي الألبستر. [المترجم]

فاصلة

تقعين بين ذراعيّ، وأخذك إلى مكان آمن.

إن الأمن نسبي. أنت صددت إخوتي المقيتين، الذين كانوا سيقتلونك لأنهم عاجزون عن التحكم فيك. لكني حالما أدخل كاستريما، وأنبتق في مساحة أليفة هادئة، أشم الحديد في الهواء، بين الغائط والأنفاس العطنة والدخان وروائح اللحم. إن رائحة الحديد لمن روائح اللحم أيضًا، فأحد تنويعاته تجري في الدماء. تتناثر الجثث بالخارج في الممرات وعلى السلالم، بل ويتدلى أحدها من أحد مزالق الحبال. غير أن القتال انتهى تقريبًا، لسببين. أولهما أن الغزاة فهموا أنهم عالقون بين سطح موبوء بالحشرات القاتلة، وبين أعدائهم الذين صاروا يفوقونهم عددًا بعدما مات أكثر الغزاة. من يرغبون في البقاء أحياء منهم استسلموا، ومن خافوا ميتة أسوأ رموا أنفسهم على السيوف أو كريستالات كاستريما.

ثاني أسباب توقف القتال هي الحقيقة الحتمية أن الجيود قد تضرر بشدة. الكريستالات التي كانت متوهجة في شتى أنحاء الكومونة تتذبذب الآن بغير انتظام، وأحد أكبر الكريستالات انخلعت من الحائط وانكسرت، وتناثر ركامها وغبارها على أرضية الجيود. وفي المستوى الأرضي، توقف تدفق المياه الساخنة إلى الحوض الكوموني إلا من بصقات عشوائية من حين إلى آخر. العديد من كريستالات الكومونة أمست مظلمة تمامًا، ميتة، مشققة، لكن يمكن رؤية في كل منها شكلاً أكثر قتامة، متجمداً وعالقاً، له هيئة بشرية.

حمقى. هذا مآلهم لإغضابهم الروجا الخاص بي.

أمددك على فراشٍ، وأؤكد من وجود طعام وشراب قريب. يتعذر عليّ إطعامك بعدما نبذت الغلاف المُسرّع للحركة الذي ارتديته كي أصبح صديقك، لكن أحدهم سيأتي قريباً، قبل أن أضطر إلى المحاولة. إننا في شقةٍ لِرنا، ولقد وضعتك في سريره. أظن هذا سيعجبه، وسيعجبك أيضاً، ما إن تحبي الشعور بأنك بشر مرة أخرى.

أنا لا أغير عليك من هذه العلاقات، فأنت تحتاجين إليها.

(أنا لا أغير عليك من هذه العلاقات، فأنت تحتاجين إليها).

أمددك بعناية كي ترتاحي، وأضع ذراعك فوق الأغطية، كي تعلمي حالما تستيقظين أن عليك أن تقرري.

إنها ذراعك اليمنى، أمست الآن شيئاً بنياً صلباً من السحر المركز. تم التحول بنظافة، لحملك نقي كامل في أتم حال. كل ذرة في مكانها، تشكيلاتها البنيوية الغامضة شديدة الدقة والقوة. ألمسها مرة، لمسة وجيزة، مع أن أصابعي تشعر بضغط اللمسة بالكاد. هذه بقايا شعورية متلكئة من اللحم الذي ارتديته أخيراً. سوف أتجاوزها.

يدك الحجرية متكورة في قبضة، وثمة شرخ في ظهرها عمودي على عظام اليد. حتى أثناء ما كان السحر يعيد تشكيلك، قاومتِ. (قاومتِ، حتى وهذا ما يجب أن تتحولي إليه. لطالما كنت تقاومين).

آخ، لقد صرت عاطفياً. بضعة أسابيع ملتحفاً بالنوستالجيا جعلتني أنسى نفسي.

هكذا أنتظر. وبعد ساعات أو أيام يعود لِرنا إلى شقته، يفوح بروائح الإنهاك ودماء الآخرين. يتوقف حالما يراني واقفاً حارساً في غرفة معيشته. يتجمد في مكانه للحظة. «أين هي؟».

نعم، إنه يستحقك.

«في غرفة النوم». يذهب إلى هناك من فورهم، ولا حاجة لي بتتبعه، سيعود.
بعد فترة -دقائق أو ساعات. أعلم تلك الكلمات لكنها لا تعني لي الكثير-
يعود إلى حيث أقف في غرفة المعيشة. يجلس بثقل شديد، ويفرك وجهه.
أقول بلا داعٍ: «ستعيش».

«نعم». يعلم أنك في غيبوبة، وسيحسن الاعتناء بك حتى تستيقظي. بعد
لحظة يخفض يديه ويحدق فيّ. «ذراعها».
أعلم قصده. «ليس بغير إذن».

وجهه يتلوى. أنفّر قليلاً ثم أتذكر أنني قبل زمن غير بعيد، كنت أيضاً في
حالة حركة دائمة رطبة. يسعدني أنني انتهيت من هذا. يقول: «ما أنبلك». نبرته
تعني غالباً الإهانة.

لست بأنبل من قراره الشخصي ألا يأكل ذراعك الأخرى. بعض الأشياء لا
تزيد على أخلاق أساسية.

بعد فترة، أظنها ليست أعواماً لأنه لم يتحرك، ولعلها بضع ساعات لأنه
في منتهى التعب، يقول: «لا أعلم ماذا سنفعل الآن. إن كاستريما تموت». وكأنما
تأكيداً على ما قال، تظلم فجأة الكريستالة حولنا وتفرق الشقة في ظلام تام إلا
من ضوء شحيح من الخارج، ثم يعود النور. يزفر لِرنا، نفسه يعبق بالدهيدات
الخوف. «صرنا أغياراً».

لا داعي إلى الإشارة إلى أنهم كانوا أيضاً ليصيروا أغياراً أيضاً لو تمكن
العدو من قتل إيسون وبقية الأوروچينيين، سيفهم هذا وحده في النهاية، بعد بذل
مجهود ووقت وعرق كما هي طريقته. لكن لما كان هناك شيء لا يعلمه، أذكره.

أقول: «ماتت رينانيس، قتلتها إيسون».

«ماذا؟»

لقد سمعني، إنما هو فقط لا يصدق ما سمع.

«أتعني أن... أنها أثلجتهم؟ من هنا؟»

لا، بل استخدمت السحر، لكن ما يهم هو: «كل من كانوا بين حوائطها ماتوا».

يتأمل في هذا إلى الأبد، أو ربما لثوانٍ. «إن مدينة استوائية مثلها تحتوي بلا شك على بيوت أحراز شاسعة، ستكفينا لأعوام»، ثم يقطب حاجبيه، «لكن السفر إلى هناك وجلب هذا الكم من البضائع والعودة بها لن يكون مهمة سهلة». إنه ليس غيباً. أتأمل في الماضي بينما يستوعب هو الأمر. عندما يشهق، أنتبه إليه مجدداً.

«إن رينانيس خاوية»، يحدق إليّ، ثم ينهض واقفاً ويصول ويجول في الغرفة، «أهذا ما تخبرني به يا هوّا؟ يا شر الأرض... أسوار سليمة ومنازل قائمة وبيوت أحراز... ومن ذا الذي يمنعنا عنها بحق الصدا؟ لا يوجد شخص عاقل يتجه شمالاً في هذه الأيام. يمكننا أن نعيش هناك».

أخيراً. أعود إلى تأملي حتى وهو يهمهم لنفسه ويضحك عالياً ويخطو ذهاباً وإياباً، لكنه فجأة يتوقف، ويحدق إليّ، وتضيق عيناه ريبةً.

يقول بخفوت: «أنت لا تفعل شيئاً من أجلنا، بل من أجلها فقط، لماذا تخبرني بهذا؟».

أصنع بشفتي شكل قوس، فيضيق فكه مشمئزاً. ما كان عليّ أن أكلف نفسي هذا العناء. أقول: «إن إيسون ترغب في مكان آمن من أجل ناسون».

صمت، لساعة ربما، أو للحظة. «لكنها لا تعلم أين ناسون».

«إن بوابة المسلة تتيح مستوى كافيًا من الإدراك الدقيق».

يجفل. أنا أتذكر كلمات الحركة؛ يجفل، يستنشق، يزدرد، يعبس. «يا نار الأرض، إذن...»، يتجهم، ويلتفت لينظر نحو ستار غرفة النوم.

نعم. عندما تستيقظين ستذهبين للبحث عن ابنتك. أرى وجه لِرنا يرق عندما يهبط عليه هذا الإدراك، ويثقل كاهله المنهك ويحني وقفته. ليس لديّ أدنى فكرة عما يعنيه أي من هذا.

«لماذا؟»، أستغرق عامًا حتى أعي أنه يتحدث إليّ وليس إلى نفسه، لكن حاملًا أفهم ذلك يكون قد أكمل سؤاله: «لماذا تبقى معها؟ هل أنت... جائع؟». أقاوم رغبتني في تهشيم رأسه. «لأنني أحبها بالطبع»، ها قد تمكنت من قولها بنبرة متحضرة.

«بالطبع»، يرق صوته.

بالطبع.

ثم يفادر، كي ينقل المعلومات التي أخبرته بها لبقية قادة الكومونة. يعقب هذا قرن، أو أسبوع، من النشاط المحموم بينما يستجمع الآخرون متاعهم وقواهم من أجل رحلة ستكون بلا شك طويلة قاسية و، بالنسبة إلى البعض، مميتة. لكن لا خيار لهم غير ذلك. هكذا هي الحياة، في الموسم.

نامي يا حبيبتي، وتعايف. سأقف لك حارسًا، وسأكون بجوارك عندما تنهضين مجددًا. إن الموت، بالطبع، اختيار، سأحرص على بقاءه خيارًا لك. (لكن ليس موتك).

ناسّون، تختار

لكنني أيضًا...

أتنصت عبر الأرض. أسمع الترددات. حالما يظهر مفتاح جديد، ما إن تُبرى أسنانه وتُسحذ بما يكفي للاتصال بالمسلات وجعلها تغني، نعرف جميعًا بهذا. من يأمّلون من بيننا... يسعون إلى هذا المغني، إلى هذه المغنية. ومع أننا محرومون أبدًا من إدارة المفتاح بأنفسنا، نستطيع أن نؤثر في اتجاهه. حيثما تصدح مسلة، في وسعك التيقن من أن أحدنا قريب. نحن نتحدث فيما بيننا. لهذا أعلم.

تستيقظ ناسّون في دهمة الليل. العنبر مظلم تمامًا، لذا تسحب حذاءها ومعطفها وتقطع الغرفة بحذر بالغ مخافة أن تخطو على أحد ألواح الأرضية ذات الصرير. لا يتحرك أي من الآخرين، وحتى لو استيقظ أيهم ولا حظها، فسيحسبونها ذاهبة إلى بيت الخلاء في الخارج لا أكثر.

المكان في الخارج هادئ. بدأت السماء تضيء شرقًا مع تباشير الفجر، وإن كان هذا يصعب تحديده مع غيوم الرماد السميكة. تذهب

إلى قمة المنحدر، تلاحظ أضواء قليلة منارة في جيكتي. بعض المزارعين والصيادين استيقظوا، لكن في القمر الجديد لا يزال كل شيء ساكنًا.

ما هذا الذي يشدّ عقلها؟ إنه لشعور مزعج، لزج، وكأن ثمة ما علق بشعرها وعليها أن تنتزعه منه انتزاعًا. لكن الإحساس مُركّز في سسبيتها، لا، بل أعمق. هذا الشد في ضوء عمودها الفقري، في الفضة بين خلاياها، في الخيوط التي تربطها بالأرض وبالقمر الجديد وبشafa وبالياقوتية الزرقاء التي تحوم فوق غيوم جيكتي، ويمكن أن تُرى من حين إلى حين وقتما تنفرج الغيوم قليلًا. لكن هذا الإزعاج من... الشمال. شيء ما يحدث في الشمال.

تلتفت ناسون اتباعًا لإحساسها، تتسلق الهضبة نحو أرضية البوتقة الفسيفسائية، وتتوقف في المنتصف حيث تجعل الريح شعرها المنفوخ يرتجف. تستشرف من هنا الغابة المحيطة بجيكتي تمتد أمامها مثل خريطة، بقباب الأشجار المستديرة تتخللها التواءات البازلتية بين بقعة وأخرى. يستطيع جزء منها أن يدرك القوى الفاعلة وخطوط الترددات والصلات والإشارات المتضخمة، لكن أي قوى؟ ولماذا؟ شيء هائل.

يقول فولاذي: «ما تستشعرينه هو أن أحدهم فتح بوابة المسلة». لا يباغتها أن تجده فجأة يقف إلى جوارها.

تسأله ناسون: «أكثر من مسلة؟»، لأن هذا ما تسسبنيه، أكثر بكثير. «كل مسلة موجودة فوق هذا النصف من القارة. مئات الوحدات من ميكانيزم قديم بدأ يعمل مرة أخرى كما كان يفترض به أن يعمل». صوته باريتوني ولطيف لطفًا مفاجئًا، ويبدو حزينًا في تلك اللحظة. تجد

ناسون نفسها تتساءل عن حياته وماضيهِ، وهل كان ذات يوم طفلاً مثلها أم لا. يبدو لها هذا مستحيل. «قوة جبارة. إن قلب الكوكب ذاته ينهمر عبر البوابة... وهي تستخدمه لغايات في منتهى التفاهة»، تهيدة خافتة، «لكن هذا ما فعله أيضًا صنّاع البوابة الأصليون أيضًا على ما أظن».

تعلم ناسون بطريقة ما أن فولاذي يتكلم عن أمها. إن ماما حية، وغاضبة، ومترعة بالقوة.

ترغم نفسها على سؤال: «أي غاية؟».

تنزلق عينا فولاذي نحوها. إنها لم تحدد غاية من التي تسأل عنها، أمها أم القدامى الذين صنعوا وأقاموا المسلات. «تدمير المرء أعداءه بالطبع. هدف ضئيل وأنا فيُشعر صاحبه بالعظمة في حينه... وإن كان ليس بلا عواقب».

تفكر ناسون فيما تعلمته، وسسبنته، ورأته في الابتسامات الميتة للوصيين الآخرين. تقول: «الأب الأرض لن يقف ساكنًا».

«مثلما لن يفعل المرء إزاء من ييغون استعباده. هذا مفهوم، أليس كذلك؟».

تغلق ناسون عينيها. نعم، تجد كل هذا مفهومًا عندما تفكر فيه. في هذا العالم لا يفترس القوي الضعيف، وإنما يخدع الضعيف القوي ويصب في أذنه السم حتى يصبح ضعيفًا أيضًا، ثم بعدها تُكسر الأيادي وتُحَاك خيوط الفضة كالحبال، وتحرك الأمهات الأرض كي تدمر أعداءها لكنها لا تستطيع حماية ولد واحد صغير.

(بنت).

لم يكن هناك قط من ينقذ ناسون، وحذرتها أمها أن لن يكون هناك أبداً. إن أرادت ناسون أن تتحرر من قيود الخوف، فلا خيار لها إلا صناعة هذه الحرية لنفسها.

هكذا تلتفت ببطء، لتواجه أباهما، الواقف بهدوء خلفها.

يقول: «حبيبتى». هذا نفس صوته الذي كان يستخدمه دومًا معها، لكنها تعلم أنه ليس صادقاً. عيناه باردتان مثل الثلج الذي تركته في بيته قبل أيام. فكه محكم، وجسده يرتجف قليلاً، وتبصر قبضته المحكمة. في قبضته سكين، سكين جميل من العقيق الأحمر، أجمل إنتاجاته الحديثة بالنسبة إليها، لنصله الأملس تقزح خافت ولمعة تداري حدته البالغة كالموسى.

تقول: «أهلاً يا بابا». ترنو نحو فولاذي وهي تعلم يقيناً أنه مدرك نوايا جيغا المضمرة، لكن آكل الصخر الرمادي لا يتكلف عناء الالتفات عن مشهد بزوغ الفجر على الغابة، أو عن سماء الشمال حيث تحدث أشياء عديدة ستغير من وجه الأرض.

حسنًا. تواجه أباهما مرة أخرى. «إن ماما حية يا بابا».

لو أن هذا يعني أي شيء له، فهو لم يبده. ظل واقفاً في مكانه، ينظر إليها، ينظر إلى عينيها بالتحديد. لطالما كانت لها عينا أمها.

فجأة ما عاد أي شيء يهم. تنتهد ناسون وتفرك وجهها بيدها، منهكة مثلما لا بد أن أباهما منهك بعد كل هذه الأبديات التي قضاها في الكراهية. إن الكراهية متعبة، العدمية أسهل، وإن كانت لن تعرف تلك الكلمة إلا بعد سنين، لكنها بالضبط ما تشعر به: إحساس جارف

بانعدام معنى كل شيء. تقول لأبيها وهي تنزل يدها إلى جانبها: «أعتقد أنني أفهم لماذا تكرهنا. لقد فعلت أمور سيئة يا بابا، سيئة بقدر ما تظنني فاعلة. أنا لا أعرف كيف لا أفعل هذه الأشياء، وكأن الجميع يريدونني أن أكون سيئة، فلا يعود في وسعي أن أكون غير هذا». تتردد، ثم تقول ما كان في عقلها لشهور طويلة من دون أن تجهر به. لا تظن أنها ستحظى بفرصة أخرى لقوله بعد الآن. «أتمنى لو كان في وسعك أن تحبني على أي حال، حتى وأنا سيئة».

عدا أنها تفكر في شافا وهي تقول هذا، شافا الذي يحبها مهما كان الأمر، مثلما كان حريًا بأبيها أن يفعل.

لا يزيد جيغا عن متابعة التحديق إليها. في مكان ما من هذا الصمت، في مستوى آخر من وعيها، ذلك الذي تحتله السسونا وأيًا كان اسم الشيء الذي يحسّ خيوط الفضة، تشعر ناسون بأن أمها انهارت، أو للدقة تشعر بقبضة أمها على شبكة المسلات الوماضة المتقلبة تنفك مرة واحدة. وإن كان ذلك كله من دون أن تمسّ حتى مسلتها الزرقاء.

تقول ناسون أخيرًا: «أنا آسفة يا بابا. حاولت ألا أتوقف عن حبك، لكن هذا صعب».

إنه أضخم منها بكثير، ومسلح وهي عزلاء. وعندما يتحرك يفعل بتناقل الجبال، بأكتافه أولاً يتبعها بقية جسمه الذي يتسارع من شديد البطء إلى سرعة لا يمكن مواجهتها. إنها تزن أقل من خمسين كيلوجرامًا، ولا فرصة لها في مواجهته.

لكنها في اللحظة التي تشعر فيها باختلاج عضلات أيها، من خلال الترددات الصغيرة التي يصدرها في الأرض والهواء، توجه وعيها نحو السماء وترسل أمرًا واحدًا رنانًا.

تحول الياقوتية الزرقاء اللحظي يخضّ الهواء بعنف، فيهب إلى الداخل ليملأ الفراغ الذي خلفه التحول، ينجم عن ذلك صوت هادر كهزيم رعدٍ هو الأعلى من بين ما سمعت ناسون قط. يرتبك جيغا في منتصف انطلاقته ويتعثر، ينظر إلى أعلى. في اللحظة التالية ترتطم الياقوتية الزرقاء بالأرض أمام ناسون، وتشرخ الحجر المركزي في سيفسء أرض البوتقة، ودائرة حولها نصف قطرها ستة أقدام.

إنها ليست نفس الياقوتية الزرقاء التي اعتادت رؤيتها فوقها حتى الآن، غير أن تطابق هذه الأشياء يتجاوز الهيئة. حالما تمديدها لتقبض على مقبض السكين الصخري الطويل الأزرق الوماض، تقع فيها قليلًا. تقع إلى أعلى، تتدفق عبر تيارات النور والظل مائية الهيئة، تقع إلى الداخل، في الأرض، وتقع بعيدًا، فتحتك بالوحدات الخارجية التي تتشكل من مجملها البوابة. إن الشيء الذي في يدها هو نفس ماكينة الفضة الوحشية هائلة القوة التي كانت من قبل دومًا، نفس الأداة، لكنها باتت أكثر تنوعًا في الاستخدام الآن.

يحدق جيغا إلى الياقوتية الزرقاء قليلًا، ثم إلى ناسون. للحظة يتردد، وناسون تنتظر. هل سيدور على عقبيه؟ هل سيجري؟ ... لقد كان أباه. هل يتذكر ذلك؟ تريده أن يتذكر. لن تعود الأمور بينهما مثلما كانت أبدًا، لكنها لا تريد أن يذهب ما كان بلا معنى.

لكن لا. جيغا ينطلق نحوها مجددًا، يصرخ ويرفع سكينه.

فترفع ناسون نصل الياقوتية من الأرض. يماثلها السكين طولًا، لكنه لا يزن شيئًا. فالياقوتية كانت، ولا تزال، تطفو، عدا أنها الآن تطفو أمامها لا فوقها. إنها لا ترفعها بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما تأمرها بالحركة حسب إرادتها إلى مكان جديد، فتفعل. تتحرك المسلة أمامها، بينها وبين جيغا، هكذا عندما يتهياً جيغا لطعنها، لا يستطيع منع نفسه من الارتطام بها، وبهذا يجعل تدفق قوة ناسون من المسلة إليه يسير، حتمي.

لا تقتله بالثلج. باتت تفضل استخدام الفضة على الأوروچينية. تحول جلد جيغا يحدث بتحكم أدق مما فعلته بإيتز، لأنها واعية بما تفعل، ولأنها تفعله عن عمد. يبدأ جيغا يتحول إلى حجر، بدءًا من نقطة التلاقي بينه وبين المسلة.

ما لا تراعيه ناسون هو طاقة الوضع التي تحمل جيغا إلى الأمام، حتى وهو ينظر إلى الياقوتية الزرقاء ويتلوى ويرى ما الذي يحدث لجلده، ويبدأ يشهق كي يصرخ، لكنه لا يستكمل شهيقه جراء تصلب رثيته. بيد أنه يكمل اندفاعه، حتى وإن صار غير متزن وفاقداً للتحكم، أقرب إلى الوقوع منه إلى الهجوم، لكنها وقعة تركز طاقتها في سكين في يده، وتطال السكين ناسون في كتفها، بدلًا من قلبها الذي كان يرمي إليه.

يحل وجع الطعنة مباغتًا وسيئًا، ويكسر تركيز ناسون فورًا. هذا سيئ لأن الياقوتية الزرقاء تتوهج مع ألمها، وتتذبذب بين الحالة الخيالية والعادية بينما تشهق ناسون وترنح. يقضي هذا على جيغا لحظيًا، يتحول

بالكامل إلى تمثال ذي شعر نائر من الكوارتز الدخاني ووجه مستدير من المغرة الحمراء وملابس من السيرينديبايت الأزرق القاتم، لأنه كان يرتدي ملابس قائمة كي يتربص بابلته.

لكن التمثال يقف منتصباً للحظة فقط، ثم يرسل تذبذب الياقوتية الزرقاء موجة تضربه مثل رنة جرس، لا تختلف كثيراً عن الارتجاج الذي يفجر الأوروجينية الداخلية إلى الخارج، الذي ضرب به وصي ذات يوم رجلاً اسمه إينون.

جيجا يتهشم بنفس الطريقة، لكن من دون سوائل ناتجة. إنه من مواد ضعيفة، هشّة، سيئة الصنع. تتدحرج القطع الناجمة عنه حول قدمي ناسون حتى تسكن.

تحقق ناسون إلى بقايا أبيها حولها لوقت طويل أليم. خلفها، في القمر الجديد وتحت في جيكتي، تُقاد الأنوار في المهاجع. استيقظ الجميع من هزيم رعد الياقوتية. يسود الارتباك، أصوات تنادي هنا وهناك، وسبينة محمومة تتحسس الأرض في كل مكان.

يحدد فولاذي إلى جيجا معها. يقول: «هذا لن يتوقف، ولن يتحسن».

ناسون لا تقول شيئاً. تقع عليها كلمات فولاذي كالصخر في الماء، دون حتى أن تثير بوقوعها تموجات.

«ستقتلين كل من تحبين في النهاية، أمك، شافا، كل أصدقائك هنا في القمر الجديد. لا مفر».

تغلق عينيها.

«لا مهرّب، إلا واحد»، ثم يتوقف وقفة حذرة متأملة، «هل أخبرك به؟».

شافا قادم. تسسبن طنينه، العذاب الدائم من ذلك الشيء في مخه، الذي لا يسمح لها بإزالته. شافا، الذي يحبها. ستقتلين كل من تحبين في النهاية.

تجعل نفسها تقول: «نعم، أخبرني كيف لا...»، ثم ينقطع استرسالها. لا تستطيع أن تقول «أؤذيهم»، لأنها آذت بالفعل الكثير. إنها وحش، لكن لا بد أن هناك طريقة لاحتواء وحشيتها، للقضاء على التهديد الذي تشكله أوروچينيتها.

«إن القمر سيعود يا ناسون. لقد طار بعيدًا مثل ورقة في مهب الريح، غير أن الريح ستعود به. لكنه لو تُرك مع نفسه فسينجرف بعيدًا مرة أخرى. حدث ذلك من قبل عدة مرات».

ترى ناسون عين أبيها في إحدى كتل الصخر، تحديق فيها من بين ركامه. كانت عيناه خضراوين، أما الآن فلهما درجة جميلة من الزبرجدي الغائم.

«لكن باستخدام البوابة، سيمكنك أن... توكزيه. خبطة صغيرة تعدل المسار الذي يتبعه عادةً، تأتي به إلى بيته بدلًا من أن يذهب ويضيع من جديد. إن الأب الأرض يفتقده، وجلبه هنا سيكون بمثابة لم الشمل». أوه. إنها الآن تفهم، فجأة، لماذا يريد الأب الأرض موتها.

يقول فولاذي برفق، همسًا في أذنها تقريبًا لأنه تحرك مقترّبًا منها: «سيكون هذا شيئًا مريعًا، ينهي المواسم، ينهي كل المواسم، لكن مع

ذلك... لن شعري بما تشعرين به الآن مرة أخرى. لن يعاني أحد بعد ذلك».

تلتفت ناسون كي تنظر إلى فولاذي، تجده منحنيًا نحوها، في وجهه نظرة خبث تكاد تكون كارتونية منحوتة بإحكام.

يأتي شافا مهرولًا ثم يقف أمامهما. يحدق إلى حطام جيغا، وترى ناسون اللحظة التي يلتصق فيها إدراكه ما يراه على وجهه. عينه بيضاء الثلج ترنو إليها، وتتفحص هي تعبير وجهه بمعدة منقبضة تتوقع ألمًا قريبًا.

ليس على وجهه إلا المعاناة. خوف منها، حزن عليها، جزع من كتفها الدامي، حذر وغضب وقائي عندما يبصر فولاذي. لكنه لا يزال شافا الذي تعرفه. عذابها من جيغا يتراجع أمام اطمئنانها إلى حنانه. شافا سيظل يحبها مهما حدث.

هكذا، تلتفت ناسون إلى فولاذي وتقول: «أخبرني كيف أعيد القمر إلى بيته».

شكر وعرفان

بفضل هذه الثلاثية زاد احترامي للكتاب أصحاب الملاحم ذات المليون كلمة، والتي تمتد على مدار خمسة أو سبعة أو عشرة أجزاء أو أكثر. سواء كنت تحب هذا أو لا، سواء أثار سماعك عن عمل مشابه حماسك أو ضجرك، اسمح لي أن أقول لك: إن إلقاء قصة طويلة ثرية شيء صعب يا جماعة. كل الاحترام لمتعددي الأجزاء.

وكل الشكر لمديري في وظيفتي الصباحية، الذي دبر لي جدولاً زمنياً مرناً سمح بإتمام هذا الكتاب في سنة. وإلى وكيلتي ومحررتي، كالعادة، اللتين تحملتا مكالماتي الهاتفية الدورية الطويلة التي أثمرت فيها بلا انقطاع عن «كل شيء خاطئ إلى الأبد». وإلى ناشرتي في أوربت إلين رايت Ellen Wright، التي تحملت بصبر نسياني إخبارها عن، بصراحة، كل شيء (توقفي عن تفحص صندوق رسائلك الإلكترونية في العطلات يا إلين). إلى زميلي في Altered Fluid^(١) والمستشار الصحي دانييل فريدمان Danielle Friedman، الذي قرأ النص بسرعة الضوء بناءً على طلب مفاجئ، وإلى كريس ديكمان

(١) مجموعة خاصة بكتاب الخيال الذين يعيشون في مناهاتن. [المترجم]

Kris Dikeman، زميل آخر في Altered Fluid، وهو من ساعدني في بناء
بركاني الخاص (قصة يطول شرحها)، وإلى WORD Books في بروكلن،
الذين سمحوا لي باستخدام مقرهم مجاناً في حفل إطلاق (علم الزلازل
السحري^(١)). وإلى أبي، الذي أمرني أن أتمهل وألتقط أنفاسي. وإلى بنات
مشروع أوكتافيا Octavia Project، اللاتي ذكرنني بما حققت وبما يعنيه هذا
كله. وإلى معالجي النفسي. وأخيراً إلى قطي السخيف الملك رمسيس،
الذي يبدو أنه أتقن فن القفز من رف الكتب إلى حاسبي المحمول في
اللحظة التي أحتاج فيها إلى استراحة من الكتابة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(١) الاسم المؤقت لمشروع الثلاثية قبل أن تسميه الكاتبة (الأرض المكسور). [المترجم]

عن المؤلفة

ن. ك. جيميسين N. K. Jemisin

نورا كيتا جيميسين كاتبة أمريكية مشهورة في مجال الخيال العلمي والفتازيا. تتناول رواياتها موضوعات متنوعة، مثل الصراع الثقافي والقمع والنجاة في عالم مضطرب. حصلت على جوائز عديدة عن أعمالها، منها جائزة هيوغو Hugo لأفضل رواية لثلاث سنوات متتالية (٢٠١٥، ٢٠١٦، ٢٠١٧)، عن ثلاثية الأرض المكسور (الموسم الخامس، بوابة المسلة، السماء الحجرية)، وهي أول كاتبة تحقق هذا الإنجاز.

عن المترجم

محمد أ. جمال

كاتب ومترجم مصري، نُشر له: «أبناء نوت وأساطير أخرى: حكايات مصرية عتيقة»، «طيران - ٢٠٢١»، «كتاب خيبة الأمل - ٢٠١٨». وعدد من الأعمال المترجمة من الإنجليزية إلى العربية، منها: «البطل بألف وجه - جوزيف كامبل» و«إفطار الأبطال - كورت فونيجت» و«أساطير إسكندنافية - نيل غايمن». حاز جائزة «أخبار الأدب» في الرواية ٢٠١٧، ومنحة آفاق في الكتابة الإبداعية ٢٠٢٢.

في عالم يزرع تحت غضب الأرض المتمثل في الزلازل والبراكين والمواسم القاتلة، يشطر «السكون» - وهي القارة الوحيدة في الكوكب - صدعٌ هائل يبلغ مركز الأرض. تستمر الحكاية والعالم ينتهي، مجدداً، ولآخر مرة. تلك حكاية واحدة، وحكايتان: حكاية عن إيسون، التي لا تزال تبحث عن ابنتها بعدما قُتل ابنها الآخر، لكنها تنشغل بوطن جديد تحتاج إلى حمايته، وبعودة معلمها وحبيبها القديم ألابستر، الذي يطلب منها إنقاذ العالم بفتح ميكانيزم عتيق قاتل يدعى «بوابة المسلة». وحكاية عن ناسون، الابنة التي تهرب من أمها، لكن عليها التعامل مع أب قاتل، يريد لها أن تتخلص من كل ما هو نفسها كي ترضيه.

تلك حكاية عن الناس الذين أضروا بالأب الأرض. سَمَموا مياهه وقتلوا كثيراً من تجليات الحياة الأخرى على سطحه وثقبوا قشرته، وغاصوا في لحمه ودمايته. وذروة عجزهم كانت الأوروجينين، الذين ارتكبوا جرماً حتى الأرض لم يستطع أن يغفره: دمروا ابنه الوحيد... فهل إلى استعادته من سبيل؟

«بوابة المسلة» هي الرواية الثانية من ثلاثية «الأرض المكسور» لكاتبة الفانتازيا والخيال العلمي الأمريكية: ن. ك. جيميسين. وهي ثلاثية تُعد من أفضل أعمال الفانتازيا في العقد الأخير، إذ إنها من الأعمال القليلة التي حظيت بإشادة نقدية وإقبال جماهيري عالٍ في نفس الوقت، وفاز كل من أجزائها الثلاثة بجائزة هيوغو Hugo Award للفانتازيا والخيال العلمي، فئة أفضل رواية للأعوام (2016، 2017، 2018).

المترجم

مكتبة

t.me/soramnqraa

ن. ك. جيميسين

بوابة المسلة

ثلاثية الأرض المكسور - الكتاب الثاني



9

789921

888193

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

